

القسم الثالث

من

المعسول

ويشتمل على فصلين :

الاول في اشياخ الالفيين من الصوفية

الثاني في اشياخ الالفين من العلماء ومشاهير القراء

الفصل الاول . وهو ما تضمنه هذا الجزء . فيه :

1 - الشيخ سيدي يحيى بن عبد الله الدؤيلائي التلميذ لشيخ سيدي عبد الله بن سعيد في التربية

2 - العلامة سيدي الحاج الحسين الاقراني شيخ سيدي محمد بن عبد الله ابن صالح في الطريقة الاحمدية

3 - الشيخ ماء العينين الصراوي شيخ سيدي الحاج بلقاسم (تبركا) يوم الم به في الصحراء .

4 - الشيخ سيدي سعيد بن همؤ المندري شيخ سيدي الحاج علي المعلوم بالشيخ الالف في الطريقة الدرقاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الشيخ يحيى بن عبد الله

الدوينملائي

قبل 945 هـ = نحو 999 هـ

نسبه:

يحيى بن عبد الله بن يبورك بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم .

قبل ان نتكلم حول المترجم ونسبه ، نذكر ما وجدناه بخط سيدي محمد ابن القاضي الايديكلي التلميذ ناقلا عن خط سيدي محمد بن محمد ابن محمد الشهير ابوه بقاضي دوينملائي في القرن الماضي - وستراه امامك - مما نقلناه من كتابته ، وقد ذكر فيها فوائد تتعلق بالامكنة التي تبواها الرراكيون بالسكنى في سوس .

نص ذلك مختصرا اختصارا تحرى فيه عين المراد ، ونبد كثير مما يتعلق بحكايتهم الآتية :

ان لسيدي وسنمين « بن يعلى كما وجدته في محل آخر » الذي هو رئيس الرراچيين المدفون في جبل الحديد بالشياطمة عشرة اولاد ، كلهم حفظوا القرآن ، وما تزال ذريتهم يحفظونه الى الآن ، ثم ان واحدا من هؤلاء الابناء دفن في (مديون) بهشتوكة ، والثاني في (اتيملت) تحت الرمال - دوينملائي - في قبيلة ايت سميون ، والثالث بماسة ، والرابع في (تادارت) بالوادي الكبير ، وهشتوكة ايضا - كذا - والخامس سيدي داود في تيزلومي ، والسادس في (وادي نون) في موضع (تاكوصنت) ، من جهة ربح المطر - كذا - والاربعة الباقون في معمورة بقيق بوادي درعة ، ذهبوا في سياحتهم حتى ماتوا هناك رحمهم الله ، ورضي عنهم فأما دفين (تيزلومي) سيدي داود فابنه سيدي موسى في (تادارت) بايت جرار ، وابنه الآخر محمد بماسة ، ثم ان محمد بن محمد بن داود دفن في

(الأنجيليكت) وله ولد يسمى عيسى بن ابراهيم بن محمد بن محمد بن داود،
دفن في (تاسريكاست) في (وادي نون) وهم بنو الكتانيين ، وهم هناك الآن .

وابو الاعلام فاتح وادي افران في حياته نزل في (زاوية السندرة)
- زويت تنز كرت - وقد خلف بعده حفيده يعقوب بن محمد بن يوسف
ابن الاعلام ، واخوته عبد الكبير وعبد المالك وعبد الكريم ، ثم خلف يعقوب
ولده يوسف ، وعبد الكريم ولده ابا القاسم ، وعبد الملك ولده عبد الرحمان
ابن الحاج ، ثم كان اولادهم هناك الى الآن .

وعبد الواحد بن الحسن من رجراجة (وهو شارح المدونة) دفن في
(اسرير) في وادي نون ، في قرية المرفقة بقبلتها ، وقد خلف ولده مبارك
المدفون في (اصنبوينا) في موضع (انججال) ببعمرانة .

ومن ذرية سيدي سعيد يبقى الرجراجي علي بن احمد دفين
(ايسكراد) ببني جرار ، وله خمسة اولاد ، ابراهيم دفين (تاجاديرت)
وعبد الله دفين (تفرط) ، ومحمد بن علي دفين (الخرشاون) في بلدة
(تاحت) ، واثنان مدفونان في آفا بلاد (كاكار) كتب ذلك محمد بن محمد
ابن محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يورك بن محمد بن علي
بن محمد بن عبد الرحمان بن عاصم سنة 1253 هـ .

هذا ما نقلناه مختصرا من كلام كثير جمع غالب الحكايات الملققة
حول الرجراجين ، ومحمد بن محمد بن محمد الذي كتب هذا سنة 1253 هـ
هو ولد القاضي ، لان والده توفي قبل ذلك ، وسترى ذلك امامك .

وبين يدي الان صحيفة اخرى طويلة ، ملخص ما فيها : ان الرجراجين
من بقية الحواريين ، وانهم انتقلوا من جزيرة الاندلس الى المغرب قبل الاسلام
وكانوا يحفظون عن اجدادهم ان نبيا مبعوث ، فبقوا يترصدون مبعثه ،
فحين اخبروا بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمعوا رؤساء المغرب
فسافروا في جمع عظيم تحت رياسة سبعة :

1 - وسنمين . 2 - عيسى بوخابية . 3 - يعلى . 4 - ابو بكر
اسمناس . 5 - صالح بن ابي بكر . 6 - عبد الله ادناس . 7 - سعيد يبقى

ساروا في مثل الجراد المنتشر ، في شوق عظيم ، ورجاء كبير ، ففي
اثناء الطريق تخلف سعيد ولم يوبه له لعظم الجمع ، وسبب تخلفه
ان النصب قيده عن المشي فحفر قبره ، ثم ان الرجراجين لما اشرفوا على
وادي مكة اعلنوا كلمة التوحيد ، فدخلوا بين الجبلين ، وهم يترنمون بهذا
النشيد :

بسم الله يا الله يا رحمان يا رحيم
لا اله الا الله محمد رسول الله

فاستجابت لهم شعاب الوادي بالاصداء ، فقال اهل مكة ما هذه
الرجراجة ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء الرجراجيون
جاءوا مسلمين ، ومن هناك اتصل بهم هذا الاسم ، ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : هؤلاء القوم جاءوا من المغرب ، وما جاءوا الا للاسلام ،
ففرحت بهم مكة فرحا عظيما ، وحين قابلوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو
بين عظماء مكة ، قال رئيس القوم والمتولي لادارة ذلك الوفد العظيم ، سيدي
واسمين : مَجِيحُونَ اِيحَانُ رَسُولُ اللَّهِ - من هو منكم رسول الله ؟ -
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : نَكِينُ اَتِجَانُ اَشْكَادُ - انا هو
رسول الله ، فتعالوا الي - ثم سألهم هل وصلوا اجمعون ، فقالوا نعم يا
رسول الله ، فقال : لكن اين سيدي سعيد ، فتساءلوا عنه بينهم وفتشوا
عنه بين ذلك الجمع العظيم ، فلم يجدوه فرجعوا الى رسول الله ، فقالوا له :
(اَبَقْنَا) - بقي وراعنا - فمن هنا جاءه اسم يبقى ، فيقال سعيد يبقى
فقال لهم رسول الله وقد استخرجه لهم من عنده بعد ما اتى به مفيا اياه
في شفير القبر ، بل انه سابق قبلكم ، فسمي سعيدا السابق ، ثم طاب المقام
للرجراجين ، فنووا ان يقطنوا بمكة ، وقد بشرهم النبي صلى الله عليه
وسلم بأن سبعة من الاولياء يتناسلون دائما في اصلاهم بين احفادهم الى
قيام الساعة ، ثم ان جبريل نزل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له :
مر هؤلاء القوم ان يرجعوا الى بلادهم ليفتحوها للاسلام ، فانه لا يفتح المغرب
الا رجراجة ودغوغ وصنهاجة ، فان لم يفتحها هؤلاء فلا تفتح ابدا ، ثم تكرر
نزول جبريل بذلك المرة الثانية والثالثة ، مؤكدا ان الفتح للمغرب لا يكون
الا على يدهم ، واما غيرهم فسيرتدون على اعقابهم كفارا ، ثم نزل رابعا فامر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب رسالة من الان الله ، ومما في الرسالة :

الاسم خلفائي في المغرب كله ، فانما المغرب لبني رچراجة وبني دغوغ وبني
صنهاجة ، فقال القائد الاعلى سيدي واسمين : سمعا وطاعة لما يريده الله
مننا ورسوله .

ثم احل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث المغرب في مقابلة
جهادهم عن اذن من الله ايضا نزل به جبريل ، ثم صدر القوم عن مكة وقد
فازوا فوزا عظيما تحفهم البركة ، وقد دعا لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين قالوا له : انا نجهل الطريق الى بلادنا ، فجعل الله لهم ثلاثة
انوار تسطع امامهم يعرفون بها السبيل ، فكانت هذه الانوار لرجراجة
ودغوغ وصنهاجة ، لكل قبيل نور ، ثم ذهب بهم النور حتى وقف بهم في
ساحل بحر عظيم ، فرفعوا الامر الى القائد الاعلى واسمين ، فقال لهم ان
دخل النور في البحر فاقتحموا وراعه ان كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ، ثم
تقدم القائد نفسه فنادى البحر ان اسكن ، فسكن بقدرة الله ، فدخل
واسمين فاقتفى اثره فمروا سالمين الى ان خوجرا في رباط الفتح ، ففرقت
القبائل الثلاث كل واحدة الى مواطنها ، فاقبلت رجراجة الى الشياظمة
وحاحة ، ونورهم لا يزال يسمى بين ايديهم ، ثم لما استقر بهم النوى ، والقوا
عصا التيسار في ديارهم ، انقلب ذلك النور غررا في جباههم ، ووسامة متألقة
تتلا في معارفهم يشاهدها كل واحد ، ثم اعلنوا النداء العام لجميع الناس
ان يدخلوا في دين الاسلام وان يعلنوا كلمة التوحيد ، فاجابهم جميع الجن
والانس ، فآمن الجميع وبايعوا على نصره الاسلام بحسب الطاقة ، ثم دلفوا
الى جيرانهم ، فمن دخلوا في الدين كان لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، ومن
امرضوا استعرضوا على السيف البتار ، فداموا على ذلك حتى فتحوا كل
المغرب ، فصدقت كلمة جبريل ، وكانت كلمة الله هي العليا .

اول محل نزل فيه اجدادهم حين اقلتهم سفينة من الجزيرة - يعني
الاندلس - ، مدينة (كوز) وتسمى ايضا (حورا) فبنوا هناك مسجدا لا يزال
ينسب للحواريين ، واسماء الذين نزلوا اولا من السفينة : مجا - سكن
بكوز ، والثاني علقمة - سكن : في (تافتاشت) والثالث اردون - سكن
في (سكياط) والرابع ارتون - سكن في (كين الحجر) وكل واحد من الاربعة
معروف في محله ، وقد انتشر لهم النسل ، ولم يزالوا على دين عيسى كما
هو عليه بلا تبدل ولا تغير حتى اتصلوا بالاسلام .

ثم ان رجراجة وصنهاجة ودغوغ ، اقتسموا البلاد بينهم ، فصاح
لرجراجة ما حول البحر كله الى وادي شيشاوة ، الى فم القاهرة وحاحة
والشياظمة واحوازها جميعا ، وسوس كله ، والصحراء الى الساقية
الحمراء ، وعددهم اذ ذاك اربعمائة من الاسر ، وعدد من حفظ القرآن
والمدونة منهم حينئذ ثلاثمائة رجل ومثلهم من النساء ، واما دغوغ فكان لها
من وادي سبو الى جبل مكة ، والى الجبل الاخضر ، ووادي درعة ، وجبل
فشتالة الى دمنات ، وعددهم في ذلك الوقت خمس وسبعون الفا ، وكبيرهم
سيدي ابو الاعلام (1) واما صنهاجة فكان حظها من وادي سبو الى زمور
الى رباط الفتح ، وعددهم اذ ذاك خمس وثلاثون الفا ، وكبيرهم ابن البطاح ،
روى ذلك الشيخ اليوسي في دور الرجراجيين عند مشهد سيدي ابي
زرقطون ، وقد حضر اذ ذاك خمسمائة من الطلبة والعلماء منهم اليوسي
وعبد الله بن محمد الرجراجي ، واحمد بن عباد ، وسعيد بن محمد ،
وسعيد بن عبد المنعم ، وسيدي الحرير ، وكذلك حفظ القرآن والمدونة من
بني دغوغ ستمائة وستة وسبعون رجلا ، ومن النساء خمسمائة صبية ممن
اتفق ان اسمهن مئاس - يعني فضلا عن اسمين بغير ذلك الاسم -
واسم شيخهن عباد ، وكذلك حفظ القرآن ممن اسمهم احمد او محمد
- فضلا عن اسمي بغير الاسمين - مائة رجل ومن النساء مثل ذلك ، روى
ذلك عن الشريف مولاي احمد بن محمد الاغماتي واليوسي ايضا .

ثم ان واسمين لما اشتهر وسمع به سلطان فاس اراد ان ينقله الى
فاس للتبرك به ، فكره ذلك بعض اولاده ، فخرج عشرة منهم الى سوس ،
فعبد الرحمان ابن احمد بن اسماعيل الخطيب الملقب بوسائي في وادي ماسة
في سيف البحر وهو احدثهم ، والثاني علي بن ايوب بن اسماعيل بن يحيى بن
واسمين الولي الصالح العالم العلامة ، حظ رحله في (كدية البير) ببلدة ايت
وادريم ، فبنت له قبائل هشتوكة مسكنه هناك ، فهناك دفن ، وله نسل منه
شيوخ كبار ، والثالث عبد الله بن محمد ، ينتهي نسبه ايضا الى واسمين
ببلد (تيزلومي) في موضع يسمى الفهم - والفهم من عداد تازروالت
(لا تيزلومي) - والرابع عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم في دؤيتملاتين
- تحت الرمال - بقبيلة آملتن ، والستة الباقون من العشرة زاهدون في

(1) وقد تقدم ان رجراجة اخرج يسمى بالاعلام ، وهو في افران بسوس .

الدنيا حتى ماتوا في خلواتهم في احوار وادي درعة ، وكل ذي مشهد قديم بسوس وحاحة والشيظمة وساحل البحر فرجراحي ، كالشيخ مكسدول بساحل البحر بحاحة - هو المشهور اليوم ازاء الصويرة - بالديابات ، واحمد بن سعيد برباط في طرف الكنت ، وسيدي ابي القاسم مع اخوانه بالوادي الكبير ببلد غشانة - ينبغي للقائل ان يراجع هنا ما كنا قلناه في الفصل الاول من القسم الثاني ، عند تعرضنا لنسب آل آجني اديثان - وغيرهم وهم كثيرون ، كتبه من ادرك اخبارهم في رجب الفرد 846 هـ محمد ابن احمد من مرابطي هوت الطرفاء ، تاب الله عليه ، وعبد ربه عبد الله بن سعيد بن احمد التملي . انتهى ما في الاصل ، ونقله كما هو في آخر ربيع الثاني : 1018 هـ ابراهيم بن محمد بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن ايوب ، وتحت ذلك كله :

اعلم بصحة الفرع فوقه وثبوته ابراهيم بن محمد بن جعفر بن زكرياء اذلف الله به ، واعلم به ايضا علي بن الحسن بن مسعود 1148 هـ نقله احمد ابن الحسن بن سعيد بن ابي بكر بن يحيى بن علي بن ايوب ، لطف الله به ، وقد انتسخ مما تقدم : 1149 هـ ابراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن ابي بكر بن يحيى بن علي بن ايوب والحاج محمد ابن الحاج احمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن سعيد بن يـورك الرجراحي ، ومحمد بن احمد بن الحسن بن سعيد بن ابي بكر بن يحيى بن علي بن ايوب ، ثم انتسخ من الاصل ايضا : 1186 هـ .

فأولاد محمد بن احمد بن الحسن بن سعيد بن ابي بكر بن يحيى بن علي ابن ايوب ، وهم محمد بن محمد ، وعلي بن محمد ، وابراهيم بن محمد هم من الرجراحيين بلا شك ، وكذلك اولاد محمد ، وكذلك اولاد محمد بن محمد المذكور ، وهم سعيد بن محمد بن محمد ، وعبد الله بن محمد بن محمد ، وكذلك اولاد بلعيد بن سعيد بن محمد بن محمد ، كلهم رجراحيون ، وهذه اسابهم كما ترى ، فعلى الواقف على ذلك ان يعرف مكانتهم ، كتبه علي بن عبد الملك الكسيمي : 1286 هـ وثؤكد على كل من ذكر من احترام المذكورين 1315 هـ ابراهيم بن محمد بن احمد بن الحسن لطف الله به .

ذلك ملخص صفحات صارت الي ، وهي مشوهة العبارة ، ممسوخة الخط ، فكأنما تستمد الالفاظ والخط والعبارة من هذه الحكاية التي هي

كلها امشاج اخلاط ، افك على افك ، فان كون الرجراحيين من الصحابة مردود عند المحققين ولا يقول به الا من لا يعمن النظر والعجيب ان ممن يقول بذلك الشيخ المرفقي وليس ذلك بشيء ، واستحضر اننا مرة في الدرس في مجلس شيخنا ابي شعيب الدكالي الصديكي رحمه الله ، جرى ذكر صحابيتهم ، فردده شيخنا ، فقليل له : ان الخفاجي في شرحه على الشفا ، يقول ذلك ، وساق في معرض ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بلغات شتى تلك الكلمة المتقدمة بينه وبين الرجراحيين ، فتبسم شيخنا فقال : انما الخفاجي نقال ، وهذا لا ننكر انه مذكور ، لكننا نقول انه باطل مكذوب ، ثم قال لو كان الخفاجي الاديب المطلع اثم اطلع على الاداب وما اليها من العربية ، مقتصر على التفرل والتشبيب بالقذود والخذود والجولان بين الفصون والورود ، لكان ذلك به اولى ، والا فان الحديث لا يكفي فيه النقل حتى يكون ذوقه متريفا في الانسان .

اقول : عهدي بصاحبنا الكانوني ، قد جمع مؤلفا في رجراجة ، فاليه يرجع الامر ، لان من درس الموضوع ، لا يمكن ان يساويه امثالنا الذين اطلوا عليه بفتة ، ولذلك نسحب ذلك الحكم الذي اصدرناه حتى يقول المطلعون كلمتهم ، ونحن وان كنا لا نكاد نشك في ان هذا هو الراي السديد لكننا نؤثر ان يكون العارف بالموضوع المتشبع بما قيل ، هو المصدر للحكم لا من لا يتصدر له . .

اما هذه الحكاية الخرافية فهي بلاشك موضوعة بصفتها المتقدمة ، واحسب ان الدكتور طه حسين ، لو كان اطلع عليها لآلم بها في كتابه (على هامش السيرة) الذي ملأه بأمثالها .

والفائدة التي نخرج بها من تلك المسودة ، بعد ان نرمي كل حشفها ظهريا من كل ما يكذبه التاريخ ، ويدفعه الواقع - وذلك كله ظاهر للعارف ولا نحتاج الى ان نطول بالتنبيه عليه - هي ان نعرف بعض الامكنة التي نزل فيها الرجراحيون ، وان نعرف بعض رجالات منهم لهم مكانة مكيئة في العلوم الاسلامية ونشرها بين البربر ، ونحن نعرف ما مضى لهم من مجد في جهاد برغواطة ايام ازدهار مدينة (نفيس) ورباط (شاكر) ، فقد مثاوا اعظم دور حتى ايدهم الله بالمتونيين ، فوجدوا الكلمة ، والفرغوا المضرب كله مع غيره

في قالب واحد ، فكانت وحدة اندمج فيها الرجراحيون وغيرهم ، فلم يبق لهم الا احترامات يستمدونها من اخبار الابرار المجاهدين . ولا بناء علي بن ايوب ذكر في هذا القسم نفسه فانتظر .

اما عبد الرحمان الماسي الملقب بوسائي ، فها انتذا تراه يعد من الرجراحيين وذلك قول من الاقوال فيه ، وقيل انه من البكرين من آل يعززي وهدى فقد ذكر بين رجالاتهم ، وقيل ان اصله من رندة بالاندلس ، فيذكره بعضهم بعبد الرحمان الرندي ، وانه عمري عدوي كما عند اولاده الى الآن ، وان ابا نمر المشهور في (اسضض) ولده ، وعندنا سلسلة نسب تامة في ذلك ، وذلك هو الصحيح عندنا .

وعهدي بكتيب تحت هذا العنوان في مجموع في الخزانة السعودية المدرية ولم اطالعه ، ربما يحتوي على ما يلقي ضوءا على حياته وماهيته ، ليفتش عن ذلك (ثم اطلعت على ذلك ، فترجح عندي ما تقدم) .

اما كون اليوسي وسعيد بن عبد النعيم ممن تلاقوا في دور رجراحة المدوية فاين اليوسي المتوفى سنة 1102 هـ من الآخر المتوفى اواسيط الماسر ، وكذلك كون واسمين يبقى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى ان يؤسس فاس - وتأسيسها في اول العقد الاخير من القرن الثاني - اكدوبة ان سري .

والمحصل ان غالب ما في تلك المسودة اكاذيب ملفقة مكشوفة ، ولكن السجيب ان المفقلين يتقبلونها كصحيفة من صحف ابراهيم وموسى ، فتراهم حين قراءتها يشهدون مما يشاهدونه من الكرامات التي تسكن لها البحار ، وتدوي بها الجبال وتستنير بها الالواح ، وهنا يحمده الله من له بصيص من المعارف ، حين انقذه الله بنور العلم (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

ثم انني ظفرت بكلام المرغيتي في الموضوع ، فاردت ان اسجله هنا ليعطالعه من يظن ان معه ادلة صحيحة ، ونص ما وجدت بخط الشيخ ابي فارس الادوزي :

قال الشيخ الامام ، المحدث الهمام ابو عبد الله سيدي محمد بن سعيد المرغيتي السوسي اصلا ، المراكشي دارا ، تفمده الله برحمته ،

واسكنه فسيح جنته آمين ، مجيبا عن سؤال عن الصحابة الرجراحيين رضي الله عنهم ما نصه :

واما مسألة سادتنا السبعة الرجراحيين ، الصحابة المرضيين ، افاض الله علينا وعليكم من بركاتهم شيائيبها ، والبسنا واياكم من انوارهم جلايبها ، فلا يخطر لك في البال في الحال ولا استقبال ، انكار صحبتهم ، وجحود مزيتهم ، بل تأدب معهم تأدب الشيوخ الصالحين قبلك ، وحسبك الاقتداء بهم ، وان تصل بهم حبلك ، ولا يصدر منك سقوط حرمتهم ، فانها من حرمة نبيهم ونبيك المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وحسبك وكفى .

واما قولك : لم يذكر اهل السير ، ولا اهل الحديث انه قد وفد احد من اهل المغرب على النبي صلى الله عليه وسلم ، فمردود عليك بأمور ، منها : ان كتب السير انافت على سبعين كتابا كلها من قلت شعري كم رايت منها ، وكذلك كتب الحديث ، ليت شعري كم قرأت منها ، فهذا امامنا مالك رضي الله عنه ، قال له هارون الرشيد اريد ان احمل الناس على الموطأ ، فابى مالك فقال : لا والله ، دع الناس في سعة رحمة الله وتوسعة من دينهم ، فكيف تحمل الناس على الموطأ وقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة الف واربعة وعشرين الفا من الصحابة ، ففرقوا في الدنيا ، وعند كل واحد منهم ما يحتمل الا يكون عند جميعهم ، او عند جلهم ، وقد سمع منهم الناس في اقطار الارض ومشارقها ومغاربها ، فلا تفعل ، ودع الناس في سعة من دينهم ، فان اختلاف العلماء رحمة لهذه الامة ، فأمسك الرشيد عند ذلك عما عزم عليه .

فانت يا اخي اقتد بامامك ، واقتد بقوله عز وجل (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) وقوله (وفوق كل ذي علم عليم) وسلم تسلم

ومنها وهو راجع الى ما ذكرنا انه لا يلزم من عدم اطلاعك على موجب صحبتهم الا يطلع عليه غيرك ، واتبع قول القائل (ومن انتم حتى يكون لكم علم) . وحسبك ان تقول ما جرت به عادة السلف الصالح اذا بلغهم ما ليس لهم به علم ، وهو قولهم : لم يبلغنا هذا ، وفي قولهم ذلك اسوة لمن اراد الاستبراء لدينه والتورع عن التكلم بما لا يعني فيما لا يعني ، لقوله صلى الله عليه وسلم : من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

ومنها : اذا فرضنا اطلاقك على جميع كتب السير ولم تجد فيها ذلك ان تعلم انهم فاتهم من علم السيرة شيء كثير ، نقله غيرهم وشاهد ذلك ان بعضهم يريد على بعض وينقل ما لم ينقله احد منهم ، وكما من مسألة في الحديث لم ينقلها احد منهم ، وكذلك العكس ، وكما من علم عند الخاصة ، قد فات العامة ، وكما من علم عند العامة قد فات الخاصة .

انظر قصة ابن جريج التابعي رضي الله عنه حين قدم الى المدينة فأدركته الصلاة في بعض شعابها فأراد السترة ، فخط خطا ، فاذا خادما ترعى غنما فصاحت عليه وقالت : حدثني مولاتي عن امها عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخط باطل ، الخط باطل ، فاسترجع ، وقال هذه خادما ترد عليك يا ابن جريج ، فكيف بك اذا التقيت الاحرار ، والعلماء الاخيار ، فنقل ذلك عنه عن الخادما عن مولاتها عن ام سلمة فعمل بها الائمة : مالك وغيره .

ومنها : ان صحبتهم اشتهرت في بلاد المغرب اشتهارا يابى الله ان يكون الا بين الخواص منهم والعوام .

ومنها : ان شيوخنا الذين اعتمدنا عليهم في علم الدين ومعارف الدين ، تأبدوا على زيارتهم ، مفتنمين بذلك زيارة الصحابة ، محققين ذلك بما نقرر عندهم من علمه . ومنهم : شيخنا حافظ المغرب العلامة سيدي مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني وغيره من اشراف اهل بلده العلماء ، ومنهم سيدي عبد الواحد بن احمد مفتي الحضرة الحمراء ومفسرها ومدرسها ومؤرخها ، كفى بهذين حجة - ومنهم شيخ الشيوخ المغربي سيدي عبد الله بن محمد الرجراجي ، وله في ذلك كلام مفيد لم نستحضره الآن ، ومنهم استاذ المغرب سيدي محمد الترغسي وتلميذه استاذ المدينة الحمراء سيدي احمد الكفيف - ومن علماء درعة فسوس ففاس فتمسان جماعة وافرة لم نستحضر اسماءهم ، وشككنا في بعضها فتركنا ذكره .

واما الصالحون والاولياء العارفون لا يحصى من رحل منهم لزيارتهم معتقدين فيهم الصحة وصرح بها اهل الكشف منهم تصریحا ، وادركنا منهم والحمد لله جماعة لاشك في خصوصيتهم ومكاشفتهم ، وحدثنا بها بعضهم

عن بعض ، بواسطة ثقة ، وفي هذا الزمان الاخير لقيت عارفا منهم (1) ، وقد كوشف بأصل المقامات العرفانية احياء وامواتا ، كان عزم على الحج ، وقدم زيارة السبعة الرجال ، ولم يزد عليهم من غيرهم احدا ، ورجع سريعا فتهيا للحج ، فأردت استخباره عن ذلك لاكتسب منه علما بما كوشف به ، وكان كثير الادب مع الله ، ورسوله صلى الله عليه وسلم فقلت له : انت عزمت على الحج ، وقدمت رجراجة ، والصيد كله في جوف الفرا ، فابتسم وقال : يا ابن سعيد اني اجدني استحيت من الله ورسوله ومن الصحابة الذين بالمشرق ، ان تركت خلفي طائفة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بلدي تمكنني زيارتهم ، واقصد غيرهم بالسفر البعيد ، وقد فهمت عن الله ان ذلك لا ينبغي ، لان فيه نوعا من الهجران لبعضهم ، وضربا من سوء الادب معهم ليكون ذلك حجة لي في هذا الباب الذي قصدته فابكاني والله كلامه لما ظهر فيه من الحق والتحقيق ، فودعته وانا ابكي بكاء شديدا ، ثم بشرني ببشارة ، قاله ارجو ان يحققها بفضل الله ، وكان ايضا في زماني عارف آخر ممن له اختبار مع الله في جميع احواله وافعاله لا يزيد (2) وكان يؤكد علي ذلك اذا عزمت على زيارتهم مرة ثالثة ان اعلمه ليزورهم معي : وكان يتشوق لزيارتهم لما كوشف به من حالهم المذكور ، وينتظر الادب في ذلك ، ولم يفتح لي وله في ذلك ، قاله نرجو تحقيقه بمنه وكرمه ، وكان شيخنا العلامة المحدث الرواية : الحاج المبرور يستخير الله عز وجل قبل رحلته للمشرق اغتناما لزيارة الصحابة في بلاده ، وتعلق بذلك حتى فتح له في الاذن في زيارتهم ولم يتردد ولم يتباطأ ، ولا طلب رفيقا لشدة الرغبة في ذلك قبل ان يحول بينه وبين ذلك عائق الموت ، فلما رجع رحل الى المشرق رحمه الله ونفعنا به ، وهو شيخنا سيدي ابو بكر السكتاني واطن ان عنده علما اكتسبه من بعض من لقي في المشرق والله اعلم ، فقد حدثني بلقائهم للنبي صلى الله عليه وسلم وكلامهم معه ، وردده عليه السلام بلفتهم نحو ما ذكره صاحب (المفيد) وزيادة عليه ، وقال الشيخ : قالوا : مَجْجُون اِيچْجَان اَرْقَاس تَرْبِي ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : تَكُنْ ، اَشْكِدْ ، وكفى بذلك حجة .

(1) وهو الشيخ التلمسي الذي الف في الخبر .

(2) بيأس في الاصل كالياس التلمسي .

هاك يا اخي اسماءهم : فمقدمهم سيدي وسنمين في طرف جبل الحديد ، ثم سيدي ابو بكر اشماس في (اقرمود) وابنه سيدي صالح وسيدي عبد الله ادناس في المشهد وسيدي عيسى بوخابية على طرف (تاتسيقت) وسيدي يعلي بن واصلي في (امكرز) وسيدي سعيد يبقى في (طماست) ، فلا تتعرض لما لا تعلم فانك حديث السن ، قليل المطالعة ، وقليل لقاء الناس ، فحسبك ان تقول لا ادري ، فهي عبادة امثالي وامثالك علما ، ودع الناس وما هم عليه ، فانك اذا فعلت ما دلتك عليه سلمت وسلم دينك وصلاح يقينك ، لاسيما في هذا الزمان الصعب الذي قل خيره وكثر شره ، وفاض فيه الجهل ، وغاض فيه العلم وعليك بخويصة نفسك ، (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فاذا فعلت قطعت عن نفسك وعن دينك المحن والفتن ، واياك والدعوى ، فانها بلوى نعوذ بالله من فتنة المحيا والمات آمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه اه .

الحمد لله : ومن المثلث للجزولي على الرسالة عند قول ابي محمد ابن ابي زيد وافضل الصحابة الخلفاء الراشدون الى ان قال : قال ابو زرعة : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة الف واربعة عشر الفا من الصحابة راوه ، ولم يذكر احد فيما بلغ علمنا ممن الف في ذكر الصحابة مثل هذا العدد الذي ذكره ابو زرعة ، ولكن ابو زرعة امام متقن عارف بالحديث والتاريخ وهو من اشياخ مسلم بن الحجاج ، وذكر في احاديث غريبة ان سبعة رجال من المغرب الاقصى وصلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى المغرب وذكر بعضهم ان واسمين الرجراجي صاحب جبل الحديد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عنه الكتاب الى اهل المغرب ، يدعوهم الى الاسلام ، فجمع وسمين المصامدة على ذلك الكتاب في موضع (شاكرا) وكان سبب اجتماعهم . الى هلم جرا والله اعلم بصحة ذلك . انتهى كما وجد معزوا للكتاب المذكور .

* * *

فلنعطف الآن العنان الى المترجم يحيى بن عبد الله ، فاول ما نتكلم حوله جده عبد الرحمان بن عاصم ، فقد وجدت من خط الحسن بن محمد الدوينملا لني الفقيه الذي سلم به فيما يأتي : ان عبد الرحمان هذا هو الجد الاعلى لجميع الرجراجيين الساكنين هنالك ، وبذلك نعلم ان ما في هذه

السودة من ان اول نازل هو عبد الله بن عبد الرحمان ليس بشيء ، لان ما عند اولاده يوخذ منه ما لا يليق به حتى وهما ما في تلك المسودة ، ثم قال ان عبد الرحمان تلميذ ابي يحيى الكرسيفي ، وابو يحيى توفي 685 هـ فبذلك نعرف عصره ، وهو ايضا مدفون عند قبر شيخه في (تادثارت) وقد ذكرنا ان الايديكليين والساليين الايسيين من الرجراجيين ايضا واخوة آل عاصم هؤلاء (ويذكر الايديكليون في القسم الرابع) والساليون في هذا القسم نفسه) .

رايت فيما تقدم عند ذكر نسب سيدي يحيى انه ، يحيى بن عبد الله ابن بيورك بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم .

هكذا نسبة الفقيه الحسن المذكور مرتين ، وقال انه منقول كذلك من خط القاضي احمد بن محمد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان بن ابراهيم ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم .

ثم انني وقفت في خط بعض المعنيين انه رفع النسب هكذا : يحيى ابن عبد الله بن بيورك بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن عاصم ، فلما فوق يحيى الى ان تصل عاصما هناك تسعة وما هنا سبعة ، وهذا اختلاف في رجال النسب بزيادة ونقصان ، وقد اخترنا ما رسمنا اولاً ، لكونه منقولاً من ذلك العالم احمد بن محمد ، وهو الاقرب ان يكون صواباً ، وخصوصاً اذا دأبنا ما بين المترجم المتوفى 999 هـ وبين حياة جده الموجود في آخر القرن السابع ، فانا اذا تمسنا على قاعدة ابن خلدون التي قال بها ايضا ابن حجر الحافظ ، وايدها من ان رجال الانساب يقسمون ثلاثة ثلاثة في كل قرن ، فان ذلك مطرد غالباً فنحن اذا اخذنا بما ذكره احمد بن محمد يكون الرجال تسعة من يحيى الى عبد الرحمان بن عاصم ، فيجىء ذلك موافقاً للقاعدة ، فهناك القرن الثامن والتاسع والعاشر ، فيقسم عليها التسعة ، بخلاف ما اذا اخذنا بالقول الآخر .

اشادة التاريخ بالمترجم

قال العلامة الرسموكي في الوفيات :

(الم رابط الخير الدين سيدي يحيى بن عبد الله من تحت الرمال

(ثوبتملائن) وينسب لرچراچة ، توفي رحمه الله ببلده : انتقلت في نحو 999 هـ وله مناقب وكرامات كثيرة سنثبتها ان شاء الله عن الثقات ان فتح الله في تجريد اخباره ، وهو المامول في بلوغ السؤل (لكنه لم يفتح له ان يتم كتابه)

وقال الحضيكي في (طبقاته) مثل ذلك بلا زيادة مهمة .

نظرة على ما قال المؤرخان

ان من القى بصره على ما قال صاحب الطبقات ، يدرك انه انما نقل ما قاله صاحب الوفيات ، ولذلك ينحصر كلامنا في الذي قاله الاول .

اولا - ان قوله فيه الم رابط الخير الدين يعلم منه انه امي ، وانه لم يمر بالتعليم لما نعهده من العرف الجاري ان من كان ملما بالعلوم فان وصفه بها يجعل كاساس لاوصافه ، فنخرج من هذه النظرة ، ونحن نوقن ان الشيخ محمد بن عبد الله امي .

ثانيا - قوله : انه ينسب لرچراچة ، ربما يستروح منه قارئ انه تشكك في ذلك ، والواقع ان عبارته بمثل ذلك عرفنا منها بتتبع في محلات ممن ذكرهم في وفياته : ان المقصود انه سمع بذلك ، ولم يقله من عند نفسه ، ولا عاين ما يستند اليه ، فيكون واقفا ازاء ما يسمعه وقوف السامع الذي لم يزد ولم يشك ، بل ترك الباب كما وجده مفتوحا ، وقد رايت مما سقناه نحن انه رچراچي بلا شك ، ومثل هذه العبارة وجدناها له في الاثرين ابوتيين ايضا ، حين قال انهم ينتسبون لابن رشد او قال ربما يرقعون اليه نسبهم - لم استحضر الان عبارته - ، ثم وقفت على ان ذلك غير صحيح .

ثالثا - انه قال : توفي نحو 999 هـ فيكون شاكا في تعيين تلك السنة بعينها .

رابعا - انه ذكر ان له مناقب وكرامات ووعد بتجريدتها عن الثقات عند تحرير الكتاب ، ولكن ذلك - مع الاسف - امنية لم تتم ، فلم نعلم له الآن من المناقب والكرامات الا ما ترشح به الاحاديث عنه ، وهي الى الخرافات اقرب لعدم ثبوتها بالسند ، بل لا استحضر انا الآن الا ما تقدم في ترجمة تلميذه

جدنا عبد الله بن سعيد ، وتجد هناك ما تراءى في وادي (النصور) لتلميذه ، وتجد هنا قضية الفران ، وكل ذلك مما تتسع له حوصلتي انا - ولا اتكفل بغيري - لو صحت به الرواية ، ولكن حيث خاب رجاء المؤرخ الرسموكي الذي هزم على سوق ذلك ، فقد سقط البنيان من اساسه ، وذهبت تلك المناقب والكرامات ادراج الرياح .

خامسا - انه بلا شك من اشياخ اواخر القرن العاشر المقصودين للتربية ، ونحن لا نجهل ما لذلك القرن من علو كعب المشيخة حتى ان من اراد ان يتصدى لاحصاء الشيوخ الصوفية البارزين فيه ليعتريه عجب مما يراه لا في سوس فقط بل في جميع المغرب ، ولكن الذي يقف امامه في كون مشيخة سيدي يحيى مشهورة شهرة واسعة ، امتد صداها بعد موته الى مسامع صاحب : (الوفيات) اننا لم نجد له اصحابا ينتسبون اليه الا ما كان من جدنا الشيخ عبد الله بن سعيد ، والا ما كان من المبارك بن مسعود الذي قال فيه الرسموكي :

المبارك بن مسعود بن علي الرسموكي التاغاثيني ، صاحب المداعبات الشهيرة والمفاكهات الحسان ، صاحب ولي الله سيدي احمد بن موسى وسيدي يحيى بن عبد الله التملي ، توفي قبيل وفاة المنصور رحمهما الله ببلدته ، انتهى . ووفاة المنصور 1012 هـ .

هذا كل ما وجدناه من اصحاب سيدي يحيى ، ويغلب على الظن ان مناقبه وكراماته التي يعزم مؤلف (الوفيات) الرسموكي ان يوردها في كتابه ربما كانت انتشرت هنالك من في تلميذه المبارك ، وقد ادركها صاحب الوفيات مشهورة ، وربما كان المبارك التاغاثيني قريبا للمؤلف ، فنعلم ان المؤلف من اهل تاغاثين ، لاننا نجهل من هو من رسموكة .

هذه نظرة حول ما قاله الرسموكي في الشيخ يحيى بن عبد الله ، ولنجل بنظرة عامة حول أسرته ، فان هنالك اجدادا واحفادا ، لنرى كيف تلتك الاسرة والمجد ، الا تزال محافظة عليه ، ام القسمة فلهريا ، ولنمر الجميع تحت انظارنا بالارقام على هادشا في البيوتات ، مع الباس كل واحد ما البسه التاريخ سلاحا او علما او كليهما .

1 **عبد الرحمان بن عاصم** : تقدم ما نعرفه عنه من انه تلميذ ابي يحيى المتوفى 685 هـ .

2 **يحيى بن عبد الله بن يبورك بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم** ، وهو المترجم له ، وقد عرفت ما نعرفه عنه ، وما سوى ذلك من زمن ولادته انما حزرناه كما ترى ، واما شيخه في التصوف فلم نعرفه ، وان كنت احسب انه لا يتجاوز مثل الشيخ احمد بن موسى ، وامثاله اذ ذاك مشهورون كثيرون .

3 **عبد الله بن يحيى**

ولد المترجم ، قال فيه في (الطبقات) : عبد الله بن يحيى بن عبد الله التملي من تحت الرمال - دثوئملالتن - كان رحمه الله من كبار الاولياء العباد حسن السميت كريم الخلق ، تولى عنه كرامات كثيرة ، اقبل عليه الخلق ، ويثنون عليه ، ويرون له بركة ظاهرة ، وفراصة صادقة ، وتواضعا تاما ، توفي ببلده مريضا سنة 1047 هـ .

واصل الترجمة من (الوفيات) غير ان في هذه زيادة في الاوصاف التي تراها لكن في (الوفيات) انه قال : توفي : 1047 هـ . تقريبا ، فلا ندري ، اوقع الحضيكي على جلية الامر في تحقيق وفاته ، ام سقط لفظ - تقريبا - في النسخة التي نقل عنها من (الوفيات) .

4 **يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان**

قال فيه صاحب (الوفيات) : (الفقيه سيدي يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان بن عاصم التملي من تحت الرمال (دثوئملالتن) ينتسب لرجل راجحة ، وهو من العلماء المشهورين ، توفي رحمه الله ببلدة انتملنت في نحو اواخر : 999 هـ انتهى ولم يزد صاحب الطبقات شيئا ، بل نقص بعض امور .

5 **سعيد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان**

قال عنه في الطبقات :

سعيد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان التملي من تحت الرمال

- دثوئملالتن - الفقيه الشهير الفاضل القاضي بلده ، والد الفقيه سيدي احمد بن سعيد المذكورة ، توفي رحمه الله سنة : 1017 هـ .

وهنا زيادة قليلة على ما في (الوفيات) ولكنها على الحاشية بتمطيط الاوصاف لا غير ، لان صاحب (الوفيات) وصفه بالقاضي ، ثم مطت الكلمة ، ولا شك ان كل قاض فقيه شهير ، وذو فضل ايضا حقيقة او مجازا .

6 **محمد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان**

قال في الوفيات :

الفقيه القاضي سيدي محمد بن يعقوب بن سعيد التملي ، تولى قضاء بلده بعد وفاة اخيه سيدي سعيد ، مات عام : 1030 هـ .

ثم انني فتشت عنه في نسختي المنسوخة من (الطبقات) فلم اجده ، ولا اخاله الا ساقطا ، والا فما كان مؤلفها ليذره ، ثم لا احسبه يزيد على ما تقدم

7 **احمد بن سعيد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان**

قال في (الوفيات) :

الفقيه القاضي سيدي احمد بن سعيد بن يعقوب التملي من تحت الرمال - دثوئملالتن - هو رجل صالح دين عاصرته ورايته ، وتوفي رحمه الله ببلده ، وهو على قضائها عام : 1040 هـ ودفن بموضعه (تحت الرمال) وهو ممن شكرت سيرته ، واستملحت طريقته ، وصفت سريره ، ورايته مسرة . انتهى .

وبذلك نفسه ترجمه في (الطبقات) مع اختصار المعاصرة والرؤية ، ومثلهما وله العذر ، لانه ما دام مقتصر على ما ينقله عنه في ذلك العصر ، فكيف يصنع الا ذلك ، وقد رايت له بعض فتاوى كناشة ، جمعت فتاوي كثيرة هند سيدي محمد بن عبد الله بن القاضي الايديكلي .

8 **محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن يبورك بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن عاصم** ،

تقدم لنا ما في هذه السلسلة ، وإن الأخرى هي الصحيحة ، ولولا أن هذا نقله سيدي محمد بن القاضي الأيديكلي عن محمد ولد هذا الذي نحن بصدد ذكره ، لما أبهنا به ، ولا جرى به قلمنا .

هذا استاذ جليل ، وعلامة كبير ، كان من علماء أمّلتن في أوائل القرن الماضي فكان وحده مقصودا في تلك الجهة ، ثم علم باسم قاضي (دثوئملالين) واحسب أنه قاض رسمي على يد سيدي محمد بن يحيى أغتاج المشهور خليفة القائد عبد المالك بن بيهي الحاحي ، وقد امتد بجيوش مولانا سليمان إلى هذه الجهات في سنة 1224 هـ فكانت قبيلة أمّلتن منضوية تحت ضبته ، ولذلك قوى ظني بما قلته ، والعادة أن المحتلين يبقون ما كان على ما كان خصوصا رجال الدين ، ولهذا نجد لشهرته بالقضاء دعامة رسمية ، ولم أدر ممن أخذ ، وإن كنت أخال أنه من الأخذيين عن الهوزيوي الذي ذكر عنه أبو زيد الجشتيمي لا أعلم الآن ذا علم أو مفتيا إلا أخذ عنه ، إلا نادرا - أو كما قال - ولهذا مال حسابنا إلى ما ذكرناه ، وتوفي 28-6-1231 هـ وهذا التاريخ لو فاته منقول من كنانة ابن القاضي الأيديكلي ، هذا ما أعرفه عن محمد بن محمد قاضي (دثوئملالين) كما اشتهر به عند الخاصة والعامة ، وقد رأيت توقيعه في فتاوى الكنانة المذكورة آنفا .

9 محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان

ولد المتقدم ، وقد رأيت له آثارا تدل على أنه عالم حسن ، وأنه ورث من ثراث والده كنزا ثميناً ، ولكن أخباره كما هي غابت عني ، واحسب أنه ممن أخذ عن أبي زيد الجشتيمي ، أو عن أحد العلماء الذين لهم شهرة بعد أن انصرم وباء عام 1214 هـ وقد رأيت له ما يدل على أنه لا يزال حيا سنة 1252 هـ .

10 أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد (مكرر أربع مرات) ابن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله .

هو حفيد الذي ذكرناه قبله ، وهو اليوم كاتب رسمي في مركز (تافراوت) ، وحين كان ممن أخذ من الألفيين بالمدرسة الألفية ، فترجئه إلى (القسم الرابع) إن شاء الله .

11 أحمد بن حسين بن أبي القاسم

لم أعرف نسبه المرفوع إلى الجد الأعلى ، رأيت له فتوى في الكنانة المتقدمة وهو حي كما احسب في الثاني عشر ، ولو كان علماؤنا يؤرخون فتاواهم ورسائلهم لما وقع المؤرخ في التردد بين القرون ، ولم أعرف له سوى ذلك .

12 عبد الرحمان بن أحمد من بني محمد ، علامة آخر يظهر مما رأيت له من الفتاوى أنه كبير المقام في العلم ، ولا أعرف عنه شيئا ، واحسبه ممن عاش في النصف الأول من القرن الماضي ، (ثم علمت أنه تأخر عن ذلك العهد ، وأنه مقتول بيد أيت تازكا ، نحو 1300 هـ)

13 أخوه محمد بن أحمد

ولد نحو 1235 هـ وتوفي 22-6-1298 هـ أحد الافذاذ المشهورين في القرن الماضي بالصلاح والعبادة والانحياس إلى الخير ، ونصيحة العباد ، يسلك الطريقة الناصرية ويهتدي بهديها ، فكان ممن يعمل إقدامه لإرشاد الناس فكثيرا ما يتوجه إلى أيت بوعمران ، وإلى أزاغار .

أخذ عن الشيخ سيدي أحمد بن محمد التيمنجيدشتي ، ثم شارط في مسجد (أداي) في قبيلة أمّلتن 36 سنة ، فأقبل على تعليم كتاب الله مع مجاهدة تامة وكان قبل ذلك كما احسب مشارطا في مدرسة تافراوت ، لأنني رأيت أن فقيها يسمى محمد بن أحمد الدثوئملاليني شارط فيها في أوائل العقد السابع قبل أن يتصل بها الاستاذ سيدي محمد بن القاضي نحو 1267 هـ (ثم علمت أن محمدا هذا المشارط في المدرسة أخو محمد المتقدم ، وأنهما اثنان وكل واحد منهما قرأ في تيمكيدشت) أحدهما محمد - فتحا -

كان محمد بن أحمد المذكور قيوما على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكلف أصحابه ما قدروا عليه منها ، فيذكر كل واحد على وسعه ، وربما خرج مع تلاميذه فيدورون على القبيلة ، فيتعهد كل واحد من رجالها بما يقدر عليه منها ، وكان أيضا يسكن لآثرات الفتن متى اندلعت في تلك الجهات .

ومن عاداته اذا كان يمشي مع اصحابه في طريق انهم يتعهدونها
باماطة الاذى من الاحجار والشوك ، ولم يكن قط يتأخر عن تيمنجيد شنت ،
وهناك يلتقي مع الفقراء والمقدمين ، فيتواصون بالصبر ، وكان يرى من
هناك مولعين بالمراشي ، ولكنه هو لا يفضي بشيء ، ولا يتظاهر بأنه من اهل
تلك الناحية ، ولم يعرف له ما عرف الا بعد وفاته .

هذه ترجمة القاها الى اناس بالفاظ تماثل هذه ، وهم كثيرون ، ولذلك
تركناها كما يعرفون به الرجل ، ووجدت بخط صاحبنا الفقيه سيدي عبد
الله بن محمد الكرسي في الاستكاوزي ما يأتي :

(في يوم السبت الوافي 22-6-1298 هـ مات الشيخ الورع الفقيه
الولي الصالح المرضي الزكي العابد الرافض للدنيا واهلها ، المقبل على
الآخرة بكلية وعلى ما يعنيه ، المتبري من الحول والقوة والرياسة والجاه ،
الناصح لعباد الله السيد محمد بن احمد بن بني محمد من تحت الرمال ،
التلميذ وهو تلميذ الشيخ السيد احمد بن محمد التيمكيدشتي ، ومناقبه لا
تحصى ان اردت ان تعدها وكفى بذلك انني ذرعت في الكافد الذي يكتب
فيه رؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فوجدته ستة اذرع ، وهو يكتب في
ورقة حتى تكمل ، فيلصق اليها الاخرى حتى تكمل فكان الكافد ستة اذرع
بلا تخمين ولا تعصب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، انتهى) .

اخبرني بعض اهل اداي التي ابطاً فيها بالمشاركة : انه حين اظله يومه
جمع اهل القرية فودعهم وودع المسجد بأن اذن في جميع اركانه ، ثم توجه
الى داره فقضى عليه ، وكان رحمه الله معروفا عند الناس بسيدي محمد
نيت محمد - فتحا - .

هذا ما وجدته عن الرجل ، ويظهر ان صلاحه اعظم من علمه ، والا
فما لنا لا نرى اثره لعلمه ان كان حقيقة عالما متمكنا .

14 الحسن بن محمد - فتحا -

هو الحسن بن محمد - فتحا - بن احمد بن محمد بن محمد بن احمد
ابن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان بن
ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هاشم .

هكذا بخط يده ومنه نقل ، ثم اتبعه نسبه من جهة ام جده ، فمحمد
بن محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يحيى الى آخر ما تقدم في
طليعة الترجمة .

اخذ عن الشيخ سيدي الحسن التيمكيدشتي ، وقد رايت كتابا
انتسخها هناك وهي مؤرخة بسني 1286 هـ منها شروح المتون الصفري ،
ومثن ابن السبكي ، وخطه وسط ، ومما كتبه في بعض طرر كتاب من كتبه :

ليعلم الواقف ان جل الناس في هذه البلاد السوسية عيدوا عيد رمضان
عام : (1301) هـ بالبارود من غير رؤية الهلال ، نشأ البارود في ساحل البحر ،
وشاع في الليل من السهل الى الجبل ، فكثرت من اعتمد عليه ، وقل من امسك ، ولما
وصل موسم سيدي احمد بن موسى في منتصف غوشت ، نادى مناد يسأل
عن رأى الهلال الذي وقع العيد عليه ليلة الشك ، فلم يظهر احد ، فردد
الناس النداء مرة بعد مرة ، فلم يبرز احد للشهادة ، فنادى اذ ذاك مناد في
الناس ان لا يصام ولا يعيد الا برؤية الهلال ، او بنقلها عن رأى ، كما يجب
شرعا ، فان هذا الزمان لا يضبط فيه الناس ولا يبالون بشرائع الاسلام ،
نقل ذلك عن سمع النداء في الموسم وهي ثقة الضعيف الحسن بن محمد
الرمالي التلميذ الرجراحي لطف الله به .

وللفقيه الحسن هذا ولد يسمى عمر من افاضل اصحاب الشيخ الالفي
من الذين عضوا على طريقته بالثنايا والرباعيات والانياب والضواحك
والنواجد ، ثم جمعوا عليها وراء ذلك شفاههم ، يمضون ضرعها ، وهو اليوم
في نحو الستين من عمره يشارط في قرية (ايفير نتارجات) من قبيلة
املن ، لاقيته مرارا ، ويواظب الزيارة لالغ بفناء تام في المحبة ، ومن اغرب
ما رايت له ان في مجموعة تحت يده قصيدة حسنة في مدح الشيخ التيجاني ،
فكان يتتبع لفظ هذا الشيخ ، فيستبدله باسم شيخ الطريقة الدرقاوية الالفي ،
وربما سادم القافية ، ثم لا يبالى ، توفي والده الحسن سنة 1321 هـ (ثم
توفي سيدي عمر نحو : 1370 هـ) .

هكذا ما امكن من هذه الاسرة الدويلانية بحسب ما نعلم ، اعاد الله علينا
من بركاتها .

سيدي الحاج الحسين الافراني

نحو 1248 = 4 - 10 - 1328

نسبه:

هو الحسين بن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم .

استفقد ايها اليراع من سنتك ، وانفض عنك ما اراه على عطفك منذ
الزمت ان تجري في تراجم اناس لهم من العلوم والمقامات حظوظ غير عظيمة ،
ولم يرزقوا في الازل ان تتلألا سماوات تراجمهم بكواكب المعارف الوهاجة التي
لا تتلألا التراجم حقا بسواها ، فقد ودعت الآن من كانوا على تلك الصفة ،
واقبلت على علامة عظيم يمدد الخافقان بما اوتيته من معارف زاخرة ، ومناقب
باهرة ، ومجد عظيم يخضع له القمران ، ويهتز به المشرقان .

ايه ايها اليراع ايه ، فان الحاج الحسين الافراني لصنو العلامة ابن
العربي الادوزي ، واخو الشيخ الامام الحاج احمد بن عبد الرحمان الجشتيمي ،
علما وجلالة وهمة وتفوقا ، بل له من نواح اخرى ما عجزا عنه لاقتصارهما على
الاخذ بسوس خاصة ، فقد ثافن في فاس ، وكرع في مصر ، فخلط بين المشرق
والمغرب ، فانقاد له فضلها ، فارنا بحقك ايها اليراع ما يستحقه من هذه
بعض صفاته ، كما اريتنا في ترجمة المتقدمين ما اريتنا .

الحاج الحسين الافراني خير علامة خاض العلوم بسوس في عصره ، لانه
ضم الى ما ورثه عن آله ، وارتضعه عن مشايخ جزولة ، ما فاز به اثناء رحلات
قام بها خارج جزولة فرجع منها بافهام نادرة ملقحة بالروح الجديدة ، وبكتب
نادرة استوعبها مطالعة فاستوعب ما يشده به اقاربه كالاستاذ الادوزي ابن
العربي الذي يقول من ابن الحاج الحسين ما ياتي به فعندنا من الكتب ما عنده ،
فكانت كلمة تدل من الاستاذ الادوزي على انه لم يدرك بعد ان كل ما حوته
خرائن سوس من الكتب ليس الا كقلامة ظفر اراء ما اظهرته هذه الاعصار من
المطبوعات فضلا عن الآلاف المؤلفة من مخطوطات المكاتب الكبرى في الحواضر
فماز يدلك من اعمل الرحلة ولان الرجال وبادل الافكار .

ان للحاج الحسين الافراني - والحق يقال - مكانة مكيئة في المعارف على
اختلاف انواعها ، ثم كلفه الله وراء ذلك بما تلقاه من استاذ الكنسوسي من
نصوف هادىء لا ينكر احدا ، ولا يجبه بطريقته طريقة اخرى ، ومعلوم
ما للاديب الصالح الكنسوسي من ذلك ، ونظرات في (الجيش) و (الجواب
المسكت) ، واثناء رسائله ، توحى الى صاحبها ان الرجل خلو من التعصب
الاهمى ، فذلك هو ما اقتبسه الاستاذ الافراني فضمه الى ما عنده من
المعارف فكان له كل ذلك الحسنى وزيادة .

لم ينبت الاستاذ الافراني من منبت سبخ التربة ، ولا تفرع عن شجرة
شجرة بل نبت من بلد طيب (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) ، وتفرع
من اسرة تنتمي الى السلالة الهاشمية فيما قاله المترجم نفسه اثناء رسالة الى
الشيخ سيدي مسعود المعدري كما حدثني به من رأى الرسالة نفسها ،
والناس مصدقون في انسابهم ، ولا يدفع ذلك الا حاسدا او متمعما ، لان علم
الانساب قد انتهى بسوس الى الاستاذ المترجم الذي اذا قال فقد قالت
سدام ، على ان الفرع ليدل على طيب الاصل ، وجودة القرنند لتدل على جودة
النصل ، كما قال زهير :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتفرس الا في منابتها النخل

وكما قال بشار :

وليس المجد منتحلا ولكن * على اعراقها تجري الجياد

وسمعت ان اسرة المترجم تمت الى اسرة ادشاكوك المجيدة في تاتكرت
من ايران ،

ثم ان الاستاذ الحاج الحسين ليس اول من اعتنق المعارف من اهله ،
بل كان قبله بعض ابناء عمومته طالعين في آفاقها ، حدثني بذلك احد اهل تلك
الجهة ممن يعتني بتتبع الانباء ، واستنباط المسيمات من الاسماء ، فلنذكر من
ذكرهم لنا اولاً ، ثم نتخلص للمترجم :

وما من هوى كان التفرول انما * يستن قبل الفرس ان يشغلا

كان عالما مذكورا في اواسط القرن الماضي الى اواخره ، وربما طعن في اول هذا القرن ، وكان قلمه قد يتحرك في الاحكام ورسوم الشهادة ، قال الحاكي ان محررات يده موجودة بكثرة في تلك الجهة ، وهو على كل حال ليس بلدي شهرة كبيرة ، وانما هو وسط في معارفه ، ثم غمر بين علماء آل اساك ، وبين سيدي محمد بن ابراهيم ، ذلك كل ما يعرفه عنه من حدثني ، ثم وعدني ان يوافيني بالزيادة ، ولكن اوصد (1) الباب ، فلم يتيسر ما يراد .

2 - محمد بن عبد الله بن بلقاسم السوقي .

ولد المتقدم ، لازم في مسجد السوق الفقيه سيدي محمد بن علي الايفيري التامانارتي نحو 12 سنة ، فبه تخرج حتى كانت له معلومات حسنة وان كانت لا تعدو الوسط ، وكان جيد الخط ، يجول ايضا في النوازل ، وكان يشارط في مسجد (تازاينتوت) الذي كان جامعا كبيرا قديما ولم يسزل على حاله ، وهو في حالة غير متسعة في العلوم حتى توفي عام 1337 هـ ، ولو كان في غير افران التي فيها امثال العلامة الطاهر بن محمد ، والعلامة محمد ابن الحاج ، والعلامة احمد بن صالح ، لامكن ظهوره ، ولكن المصباح لا يظهر مع الشمس المشرقة (اذا صرصر البازي فلا ذك يصرخ) ولمحمد بن علي وولده احمد الايفيري ذكر في مكان آخر ان شاء الله .

وقد تواتر عند الناس ان المسجد المذكور مبني في مركز قديم للمتونيين ، وهناك صومعة يقال انها ايضا من آثار مركز اسماعيلي وهناك كان قائد كبير يسمى اشغود ، ذكر لي بعضهم ان بعض الرسائل الاسماعيلية اليه موجودة الى الآن ، والجدران الهائلة التي هناك في مساكن الاسرائيليين تدل دلالة صريحة على عمارة هائلة مرت هناك ، ويقول الاسرائيليون انفسهم ان ذلك الملاح اسس قبل البعثة المحمدية بكثير ، وله عند اليهود حرمة في كافة المغرب (وقد نشر مقال في احدى المجلات الفرنسية في الرباط حول هؤلاء الاسرائيليين)

(1) كتب هذا في المنفى الذي ضرب فيه الحصار .

نشأ هناك في قرية السوق كما ينشأ أبناء البداوة لا يعبا له ولا يتنبه الى ما اودعه الله فيه مما ابرزته الايام بعد هذا الحين ، وهكذا ينشأ الاغظم في بساطة وخمول ، ثم لا يزال الدهر يعلي شأنهم شيئا فشيئا حتى يصبحوا وهم زينة الحياة الدنيا ، او كالجبال الراسخة في اكناف الارض تمنعها من ان تميد .

متعلمه للقرآن

لابد ان يكون تدرج في القرآن بين يدي اهله في قرية (السوق) بادىء ذي بدء كما هي العادة المتبعة ، والعادة قلما تتخلف ، ثم حدثت انه استتم دراسته القرآنية في مدرسة (اسنجراد) من ايت جرار عند بعض مشاهير القراء هناك ، ولعل ذلك هو سبب الاتصال الذي رايناه بعد هذا الحين بين الاستاذ وبين آل ايليغ ، لما كان يشاهده من مكانهم من عهد الصغر ، ولعهود الصغر ذكريات لا تمنحي في الجوانح .

اساتذته السوسيون :

1 - اول من اخذ عنه المبادئ الاستاذ سعيد بن عبد الله الاساكي الافراني ، ويوتى لي انه اخذ عنه في مدرسة تانكرت لانه كثيرا ما يشارط فيها ، وترجمة هذا الاستاذ توجد بين تراجم اهله في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) من هذا الكتاب ان شاء الله .

2 - احمد بن عدي العركوبي من ايغير مئولن ، وكان يشارط احيانا في مدرسة تازروالت حتى توفي فيها ، كما كان يشارط ايضا في مدرسة (اسنجراد) ، وسيدكر ايضا في ذلك الفصل مع احد اهله ، هكذا بلغني انه من اساتذته في المبادئ وان كان شيخنا سيدي الطاهر بن محمد الافراني لا خبر عنده عن ذلك .

3 - سعيد بن علي الابرايمي اخذ عنه ايضا في المبادئ ، لاني وجدته لقبه بالشيخوخة اثر القصيدة العينية النبوية لابي العباس الجشتيمي نسخها له ، ولم اعرف من سعيد هذا الآن شيئا .

4 - العربي بن ابراهيم الادوري الامام الكبير ، سمعت استاذنا الطاهر بن محمد الافراني يقول : ان المترجم صاحب استاذ هذا ست سنين .

وقد كان تلقى الطريقة التيجانية قبل ، فامرہ استاذہ المذكور ان لا يشتغل بها ، وان يفرغ جهوده لدروسه ، قال المترجم انه قضى بعد ذلك اذكار تلك السنوات كلها .

5 - ابو العباس الاستاذ العظيم احمد بن عبد الرحمن الجشتيمي في مدرستهم ، وقد عاشه هناك الاستاذ عبد الرحمان السالمي الايسي ومحمد بن ابراهيم التامانارتي الافراني ، ثم اتصلت صحبتهم بعد ذلك ، ومما يتعلق بهذا قصيدة للاستاذ الجشتيمي خاطب بها تلميذه هذا بعد ما ظهرت مكانته ، ونصها :

على مغنى العلاء ابي علي
سلام طيب الانفاس يزري
ويزري بالوصال اذا تبدي
ونلت بفضل ربي كل خير
وبعد فقد كساك الله فضلا
فاكرمها بتقوى الله فيها
وكن ذا همة تعلو الثريا
ولازم نشر ما علمت حتى
وكن متعوذا فيما جهلتهم
ولا ترهب سقوط الجاه منها
وقم بالحق لا يرلك حب
وكن حرا ولا يسلبك حرص
واياك الدنا وغرور وجهه
فعن قرب تؤول الى فناء
يعض يديه عما كان قدما
فلا تنظر لغير الله فيها
ولا تأخذ بدين الله شيئا
ولكن صنه عن تلك الدنايا
واسهم من دعائك كل وقت

سلام من اخي ود صفى
يعرف الند والمسك الذكي
بعيد الهجر من حب رضي
من الدنيا يؤول لاخروى
ثياب العلم ذي الشرف السني
وحاذر ان تدنسها بشي
ولا تتخط الامر الدني
يرى لردا حياتك خير طي
بجنة كل ذي علم تقى
فتكذب في الحديث على النبي
ولا خوف عن النهج السوي
على شيء كما الحر الابي
لها في اعين الحمقى بهي
وتبقى حسرة الصب القوي
يهم به كفيلا بمي (1)
فان العمر في العمل الزكي
من الدنيا الدنية يا صفي
والا جئت بالشيء القري (2)
رجوت به الاجابة للغبى

(1) المراد بفيلا وبمي ، فيلان بن عقبة الملقب ذا الرمة من عشاق شعراء العرب المشهورين

المكرم ببيعة بنت عاصم ، وشيبت بها في شعره .

(2) الشيء القري ، المخلوق المكروب المتعجب منه ، قال الله تعالى ، (لقد جئت شيئا فريا)

اخيك المبلى بالخوض دابا
عساه يفرج بالفران فضلا
بجاه محمد خير البرايا
عليه وآله وصحبه صدق

من الذنب المروع في ابي (1)
واحسانا من البر الولي
نبي الرحمة المنجي الحفي
صلاة بالسلام من العلي

في الحواضر

اعمل الرحلة الى فاس اولا بمصاحبة رفيقيه عبد الرحمان السالمي ، ومحمد بن ابراهيم الافراني ، واخذ كذلك في مراكش عن العلامة اكنسوس ، ثم بعد ذلك اخذ ايضا في مصر ، واجسب ذلك وقت حجته الاولى ، وتفاصيل حياة المترجم في هذه الرحلة العلمية ليست عندي ، ولذلك نوجز عنها في هذه الفترة . وقد سمعت سيدي الطاهر بن محمد يقول : كان على المترجم وصي في يده له مال ، فصار ينفق عليه منه حتى اتم دراسته فقال له : لم يبق عندي من مالك الا ما تؤدي به فريضة الحج ، فكانت حجته الاولى .

في سوس متصديرا

تجد في ترجمة الفقيه سيدي محمد بن بلقاسم التيوي الاتفي بطاقة كتبها اليه الاستاذ الافراني هذا مورخة بذي الحجة عام 1285 هـ ، وبذلك نستدل على انه اذ ذاك قد استقر في داره وانه صار يجول في النوازل من قبل ذلك الحين ويتصل باهلها ، كاحمد بن محمد بن علي الايفيري الذي كان اذ ذاك مشهورا في النوازل ، ثم علمنا ان الاستاذ محمد بن عبد الله الاتفي كان اتصل به في افران قبل 1291 هـ حين كان ياخذ في تلك المدرسة التاكرتية عن العلامة محمد بن ابراهيم ، فقد سمعت انه ربما كان اخذ عنه اذ ذاك بعض اخذ ، ولست في ذلك على يقين ، وانما الذي اتيقنه انه تلقن منه الطريقة التيجانية ، وذلك يدل على شهرته بتلقينها منذ راجع اهله فاستقر بداره في قرية (السوق) بتاكرت في اول العقد التاسع ، وكان اذ ذاك يتردد على مجلس سيدي الحسين بن هاشم ، ومجلسه اذ ذاك بايلغ اعظم مجلس يضم افاذا علماء الجنوب السوسي ، فهناك سيدي محمد بن عبد الله الاساكي واخوه سيدي سعيد وسيدي احمد بن محمد بن عدي العركوبي ، وسيدي احمد بن ابراهيم السملالي ، وسيدي محمد بن صالح التادرازي الباعمراني وسيدي

(1) السيل الاتي ، الاتي من حيث لا يدري .

الحسين العبد لاوي الباعمراني ، وسيدي محمد بن محمد التوماناري الخطاطي وسيدي المدني الناصري ، والفقيه سيدي محمد بن بلقاسم الالفي وكثير من نظرائهم الذين يترددون الى ايليج ، خصوصا في الرضانات حيث يقام حفل عظيم للبخاري على العادة ، فكان الاستاذ سيدي الحاج الحسين منتظما في سلكهم منذ مفتتح العقد التاسع من ذلك القرن ، وقد كان آل الحاج بلقاسم الافرائيون - اسرة الاستاذ المترجم - عيبة آل ايليج وكرشهم وانصارهم في افران ، فكان ذلك من بعض الحوافز للاستاذ حتى يندمج في ايليج ، وقد راينا ايضا انه اخذ القرآن في مدرسة استنجراد جارة ايليج فيرى العظيمة التي يتمتع بها الرئيس سيدي الحسين بن هشام يعسوب الجنسوب اذ ذاك ، ورئيسه الطبيعي الذي منه واليه الاراء صادرة وواردة .

نال سيدي الحاج الحسين هناك شفوفا يتزايد مع مرور الايام ، فكانت مكانته في التحصيل للمعارف ، واتساع اخلاقه ، ودمائة جانبه ، تتسامى به شيئا فشيئا ، فيرتضي في المهمات ، فاليه رفعت القضية التي كانت بين العلامة احمد السملالي والفقيه التادزاراتي ، كما هو مبين في تراجم التادزاراتيين في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) ، وذلك حوالسي مجالس رؤساء (اجراض) بتمانارت ، و (ايليج) بتازاروانت ، و (اجلنيم) بوادي نون ، يزيد رفته شان ، وترددا على اللسنة ، والناس مولعون طبيعة ان يكبروا من راوه مع الاكابر وان لم تكن له مزايا يكبر بها ، فكيف بمثل سيدي الحاج الحسين الذي له مؤهلات كثيرة من نواح شتى ، تعلي مقامه في اوج قلما يناله الا الافذاذ ، ثم ان تردده في جولانه لم يقتصر على رؤساء الجنوب السوسي فقط ، بل كانت له قدماء على رؤساء (راس الوادي) و (حاحة) والمدن : فقد كان يتردد على شيخه الكنسوسي حين لا يزال حيا ، ولم يتوف الا في نحو 1294 هـ ، حتى نال من ورائه معارف كثيرين ، واطن ان وساطته هي التي فتحت الباب للاستاذ حتى اتصل بالدوائر المخزنية ممن كانوا يعتنقون الطريقة الاحمدية التيجانية ، فبذلك كله ينال شفوفا عظيما على غيره من بعض علماء جزولة القابعيين في بيوتهم ولا يكادون يتجاوزونها :

دعيني ارد ماء المفاز اجنبا
فان خطيرات المهالك ضمن
الم تعلمي ان الثواء هو التوي (1)

الى حيث ماء المكرمات نعيم
لراكبها ان الجزاء خطير
وان بيوت العاجزين قبور

من اجل ذلك سار الاستاذ الافرائي يتتبع بشهرة طويلة هريضة قبل ان تافل شمس القرن الماضي ، ويرفل في حلة لجمتها علمه المتين ، وسداها خلقه الرصين ، وطرازها كرمه المعين فكان له في كل ميدان ذكر ، فبين يدي سلسلة من الفتاوي تضم كثيرين من علماء عصره يكون احدهم فيها كلها ، ويجسد القارئ ذلك في (المجموعة الفقهية) ، كما يجد ايضا فتوى له حول مسجد جمعة (ادّاي) ، كان قديما بين الديار ، ثم بتناول الازمنة وقع الجلاء من حول المسجد في اوقات مختلفة الى ان ادى الحال الى ان بقي المسجد نائبا عن الديار ، تكلم في ذلك بين كلام آخرين من اهل عصره ، ولكن لم تقف الا على فتواه فقط ، ففيها نجد اطلاعه وتعاليه الى مصادر عالية بالنسبة الى وسطه ، ثم يتناول الى الحديث مستدلا به ، وذلك ما لم نعهده عن احد من اهل بلاده ، ثم بينما هو مرسل لقلم الافتاء على هذه الوتيرة اذا به يمد له من ناحية اخرى رواقا متسعا من القضاء ، فيقصده ارباب الخصومات ويرون منه ما لا يرون عند كثيرين من معاصريه من كرم ، يرحب بهم أولا ، ثم يفرش لهم مواطىء لينة ، ومن قلة طمع فيما لديهم من وراء فض نوازلهم ، على حين ان غالب اقرانه يماكسون من يقضون له كما يماكس البائع وراء معروض عرضه في السوق ، فاین هذا من سيدي الحاج الحسين المتساهل الذي لا يطلب ما لم يكن مقدما اليه ؟ ولا يفتح للمماكسة والمساومة حول النازلة بابا ، فبذلك كانت مثابته في افران كانها ورثت مثابات آل (اسكا) جيرانه الذين عرفوا بذلك قبل ان يظهر هو في الميدان ، واليك بطاقة كتبها الى معاصره ابي فارس الادوزي حول قضية :

« الفقيه البركة العلامة السيد عبد العزيز بن محمد بن محمد بن احمد الم رابط الادوزي امدمكم الله برضاه وازاح عر حضرتكم كل مشوش مله عن الله ، سلام عليكم ورحمة الله وبركته ، هذا فلا تنس حق الاخاء ، اما بعد فاعلم اني ارخيت العنان في قضية الحامل وخصمه ، وان الفل التي ألزمتها لخصمه سمحوا فيها كما ستقف عليه ان شاء الله واني كلفت الحامل ترك الفل واعطاء ما دفعه خصمه اليك على ما بيده ، والتزم بذلك ، ولذلك وجهته اليك ، والمسالة بحالها ، وتشاور مع الحامل فيما هو الاصح لك وله ، ولا تقبل من جهتك ما يضر في الدين والدنيا ، والاشارة اولى في الامر ، والكنم حتى يتم الامر ان شاء الله على حسن الحال ، والسلام ، الحسين بن الحاج احمد الافرائي » .

اذن هو مفت وقاض ، ولكن هل نال ما نال بالفتوى والقضاء وحدهما ؟ كلا ، بل هناك التدريس ايضا ، فقد جال فيه ما شا الله ، فكانت مدارس تازروالت ، وايت رخا ، وسيدي بوعبدلي ، مَجْرُ عواليه ، ومجرى سوابقه ، فيكون بالفتوى والقضاء والتدريس حاز ما حاز من الشفوف بين اقرانه الاعلى ، وكانت مكارمه التي احيا بها سنة حاتم تشيد له ان جالت حوله الاحاديث بين المتسامرين ، وبين اصحاب القوافل - وكل اهل ذلك العصر اصحاب قوافل لبداة المواصلات - حين يتجاذبون الاحاديث دفعا لسام المسافات ، ووحشة الطرق ، مالاتشيد له الاقلام والطروس ، وتقريراته العليا بين الدروس ، والناس مولعون باطراء من لحظته عين السعد ومن طبيعة ابن آدم ان يقرأ مئثر الناس في الصحف الطافحة بالالوان المتخيرة ، اكثر مما يقرأ عنهم في الصحف المحبرة ، وكثيرا ما ليم المترجم على جوده الفياض الذي لا يزال يوليه ويواليه ، ودبت اليه الانفس الكزة توسعه عثبا بحججها التي قال فيها الشاعر :

والبخيل على امواله علل يوسعنه ابدا ذما وتبكيك

وكما قال بعض الالفين :

دعوني دعوني ان في القلب لوعة تاجج لا تهدا بغير ندى الجود
اذا كان موجود البخيل بكنزه فان الذي انفقت كنزي وموجودي
اليكم فبحر الجود بحر سفينتي به وحده تجرى فترسى على الجودي

ومن كثرة اتصاله باهل البيوتات الماجدة في سوس علا له شأن حتى كان كذلك عند البيوتات خارج سوس ، فقد كان للاكلاوين فيه اعتقاد ، وهو استاذهم في الطريقة التجانية الاحمدية كما هو استاذ امثالهم فيها في سوس ، وبهذه الاتصالات تتوالى اليه الهدايا من الجميع ، كما يختار ان يتصدر في الجامع ، فقد جاءت يوما رسالة حكومية في شأن خلاف جرى بين الجرايين واهل (ايلغ) فكان هو الذي تولى قراءتها في المجمع ، فقطعت جبهة قول كل خطيب .

محنته الاولى

يا لله من محن الدهر التي لا توكل الا باعظم الرجال ، وعرائين الشرف ، فقلما تجد صاعقة محنة ساقطة الا على راس عال من بين الاخيار ، فان كان

(فرانكلان) (1) المخترع الاميركي الشهير اكتشف لاقطة الصواعق الجوية ، فليت شعري من يكتشف لنا ما يدرا عن الناس صواعق محن الزمان التي لا نفتا تنقش حينها بعد حين على هامات الافذاذ ، ثم لا يشفق ولا يرثى لهم احد ، الا تكلفا من اصدقاء امس ، والا مراعاة من اعداء امس واليوم الذين يقلب بعضهم لسانه بالتفجع وان كان قلبه مليئا بالتشفي والشماتة ، فلو تكشف الصدور عن سرائرها للانسان لتجلى له مصداق قول الله تعالى (وما تخفي صدورهم اكبر) .

كانت للاستاذ الافراني تلك المكانة المتقدمة في قلوب الناس ، فكان لاشك قذى في بعض الاعين ، في الوقت الذي كان فيه قررة لبعضها الآخر ، فقد كان له اتصال بايلغ كما رايت ، وحين رجع سيدي محمد بن الحسين الايليقي من عند السلطان مولانا الحسن بقيادة قبائل منها افران ، وكان آل الاستاذ - آل الحاج بلقاسم - صاغية (ايلغ) من قبل هذا العصر ، كان لابد ان الاستاذ من اهله على نمط ما قال دريد بن الصمة :

وهل انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

فشاع في افق (تانكرت) ان الاستاذ جاد في تطلب تنفيذ كلام سلطان البلاد ، وان يتم ما صدر به امره الشريف ، ومعنى ذلك ان تكون هناك مغارم وسجن من اهل (ايلغ) ذلك ما يعتقده آل (تانكرت) الذين كانوا قلبوا ظهر المجن لايلغ من يوم حوضر فيه سيدي الحسين بن هاشم عام 1302 هـ ، ذلك الحصار الذي هتك سجف هيئته ، وما كان احد من اهل عصره يظن انه سيهتك ، لولا ان الله ما رفع شيئا الا وضعه ، فمن ذلك اليوم انقلب آل (تانكرت) على (ايلغ) بعد ان كانوا يتفياون ما شاء الله من عقود السنين ظله الوريث ، انقلبوا بانقلاب الدهر ، وقلما يبقى الوفاء من كثيرين ممن تعرفهم منك واليك ان لم يبق لك ما كانوا يعرفونك به ، وذكر الله ابن الخطيب برحمة عطرة اذ يقول :

تلون اخواني علي وقد جنت على خطوب جملة ذات الوان
وما كنت ادري قبل ان يتكسروا بان اخواني كان مجمع خوان

(1) هو بنجمان فرانكلان السياسي ، الرباضي ، الادبي ، الاميركي ، ولد في بوسطن عام 1706 م ، ومات في 1790 .

كانت (تانكرت) دائما في عداد انصار (ايليغ) الى ان ثارت القبائل كلها ضد (ايليغ عام 1302 هـ) فكانت احداها ، ولذلك يفهم اهلها من الظهير الذي توصل به صاحب (ايليغ) المتضمن للاستيلاء على (تانكرت) ان المقصود به اخذ الثار ، فثار ثائرهم لذلك ، فحين كان عال الاستاذ المترجم لا يزالون يفون لايليغ اتهمهم اهل (تانكرت) بانهم يعملون لتنفيذ ما في الظهير المذكور ، وهذا هو السبب حتى غادر المترجم واهله ديارهم الى (تاغجيجنت) حيث بقوا ما شاء الله ، وهناك زاره الاستاذ علي بن عبد الله الالفي في طلبته مادا اليه يد الاعانة باحمال من الحبوب ، وذلك عام 1306 هـ ، وفي مرجعه من عنده صادف امامه الشيخ سيدي المدني متوفى ففصله بيده ثم كان ممن صلوا عليه ، بهذا حدثني العم ابراهيم .

اختلف الذين يحدثنني عن الاستاذ المترجم ، فمنهم من يقول ان له حقيقة يدا خفية او علنية في كل تلك الهزاهز التي يصاب فيها ويجلى بسببها من مشواه ، ومنهم من يقول انما يظلم الاستاذ ويحسده جيرانه على النعمة التي انساها الله عليه ، فيتخذون امثال هذه الامور ذريعة الى النيل منه ، وانا ممن جعل الى هذا الراي الثاني ، لاني آتست بنفسي كيف يظلم الناس البريء وكيف تنحط النفوس البشرية الى الحضيض فتتطلب ما هو اوهى مما عند المنكوب فتتقنع ان تنسج منه حججا وبراهين تكون هي نفسها اول مومن بانها افكة فيما تدعى ، وكاذبة فيما تحاول ، ولكن مقصودها ما وراء ذلك من حاجة في نفس يعقوب ، ذلك ما ترجح لدي عن الاستاذ ، وانه ما كان ليخوض على كل حال مع الخائضين من اهلها ، الا اذا صدرت منه كلمة او اضطره المناوئون حتى يفعل ما فعل الحارث بن عباد :

قربا مربوط النعمة مني لقمحت حرب وائل عن حبال
لم اكن من جناتها علم الله به واني بحرها اليوم صال

نعم ان للاستاذ نظرة عامة فاق بها فقهاء عصره كافة ، وهي انه لا يريد الا ان يكون دائما في كفة الحكومة كيفما كان الامر ، ويسعى في تنفيذ اوامرها ، وبهذا عرف طوال حياته .

مراجعة الاستاذ لداره

كذبت آل (تانكرت) انفسهم الاتيعة ، فان الاستاذ ليس لهم وحدهم ، وما مجده مثل مجد ابن حبوب احد رؤسائهم الذين يخبون ويضعون بين

الدين يناوئون الاستاذ ، لان للاستاذ من وراء علمه وسؤدده واتباعه في الطريقة الاحمدية التيجانية لانصارا او صمدوا الى ما بين قريتي (السوق) و (ليفرنست) لنسفوه نسفا ، ولكن امثال الاستاذ ممن يقابلون الحوادث بالصبر ويتلقى المقدور بالرضا ، ويترك الماضفين لعرضه ، والمتوسعين مما سينالونه وراءه بسببه لمن هو لكل ظالم بالمرصاد ، وسيطلع الصبح باخذ الثار منهم من حيث لا يحتسب الناس ، اليس الصبح بقريب ؟

اتخذت وسائل فثاب الاستاذ الى داره ، فراجع ما كان له من كرم حافل ، ومن وفود تنتابه من كل جهة ، فاقبل على شأنه ، واحسب ان مشارطته في تلك المدارس كانت في هذا الطور ليرتاش فيسترد بعض ما كان لابد ان يضيع بسبب الجلاء ، فافاض الله عليه نعمه تترى ، وسالت اليه السيول من كل بطحاء ، فكان لا يهتبل الا بالكتب ، وقد بدأت المطابع تستخرج دفائن الخزائن ، وتستنبط من قرائع العلماء الجدد ، فكان زهده في الممتلكات المعهودة منصبا في نهمه بالكتب ، فلا تقع عينه على مطبوع او مخطوط - وما اكثر المخطوطات اذ ذاك في صقعه - الا اشتراه ان امكن ، مع حسن الاختيار ، فينتقي ما يفيد ، ثم لم يزل ذلك هجيرا حتى كانت خزائنه اعظم خزانة في جهته التي يسكنها وكان ايضا يتردد الى الحواضر لا يغيب زيارتها ، فيزداد تعرفا باكابر المغرب الحاضرين والبادين ، فادرك في هذا الطور عظمة ما مثلها عظمة بالنسبة اليه والى وسطه ، فقد بدأت الطريقة الاحمدية التيجانية تنتشر منه بكثرة ، وكان وحده قطب رحاها في الجنوب ، وهناك آخرون تصدروا فيها ولكنهم لم يسعدوا سعده ، وقد رايت القائد المدني الاكلاوي وامثاله اتصلوا به في ذلك الحين فتلقنوا منه الطريقة ، وكذلك بعض رؤساء (حاحة) فتكون له في القلوب ناموس وشهرة عم اندية ما بين فاس والحمراء الى وادي نون ، فالعلماء يذكرونه بعلمه الواسع ، والرؤساء ماخوذون بسؤدده الذي يبهريهم منه اذا جلسوا اليه مما لا يجدونه في كثير من علماء قطره ، واتباعه ومعتقدوه يشيدون بما يرونه منه من ارشاد لطيف ونصائح هينة لينة تضع الهناء مواضع النقب ، ومن بعض كرامات وكشوفات ياثرونها عنه .

كذلك كان الاستاذ سيدي الحاج الحسين الافراني قررة كل عين ، وذكرنا معسولا على كل لسان ، فكان تلك المحنة انما رادت شأنه فوق ما كان عليه ، وهكذا الذهب الابريق لا يزداد بكثرة عرضه على السلاء الا صفاء ولمعاننا وجوده .

القنى في لقلى فان فيسرلشي
لشيشن ان لست باليساقوت

في الحجاز

«احقا لشمس العصر عزم على الشرو ق للشرق ام اقول الناس بهتان ؟
فان صح فهي شمس غرب تشرق وتو حانت قيامة الندى ، ليتهم ماتوا
فبالله لا تقم قيامة معشر حياتهم كانت يدك وان بانوا»

« الجواب من بعض الالفين عن لسان حال الاستاذ »

اشرق حقا كي تبل حشاشتي ويرقا دمع بالتشوق هتان
ازور ربوعا ليس يعتاد زورها سوى من له في الدين سر واعلان
فاصدر ايضا نحوكم فتروني كان لم اكن ممن عن الربيع قد بانوا

ذلك ما خاطب به الاستاذ سيدي محمد بن مسعود الاستاذ المترجم
من سمع بانه عازم على الحج ، وذلك ما يجيبه به بلسان الحال .

سمعت مما مر انه كان حج الحجة الاولى ، ولسنا على يقين من السنة
التي كانت حجته فيها ، وانما الذي نتيقنه هو انه حج ايضا نحو سنة 1314 هـ
في رفقة القائد الحاج احمد التامانارتي ، وكان للاستاذ اتصال قديم كما رايت
برؤساء (تامانارت) الذين هم اخوة اليليفيين في الرئاسة ، يتساندون مع
رؤساء (اچلنم) فيقتادون القبائل التي تنتمي لعصبية (تاجوزولت)
فلذلك تكون الديار الثلاث بكل من تامانارت و اچلنم و ايلغ تنظر نظرة واحدة
حتى الى العلماء الكبار ، كالاستاذ المترجم ، وكانت العادة جارية من قديم ان
احد العظماء اذا اراد ان يحج فانه يستصحب معه افاضل علماء وعبيادا
وامثالهم من الاخيار ، وتلك عادة حاتمية كان آخر من مثل دورها في هذا
الوقت القائد العيادي الرحماني الذي انفق على اربعين ، ونفقة اليوم وما ادراك
ما هي ، تدل على كرم متاصل الجدور ، وكان آل تامانارت الكرماء قديما
وهديشا يمثلون ذلك الدور مرات ، ولذلك تشرفوا بمصاحبة الاستاذ الافراني
رحمه الله ، وبشاخرين كبعض افاضل مرابطينا (سيدي الحاج صالح) وقد
حج المترجم ثلاث مرات .

مع الجلولي

كانت حجة الاستاذ مغناطيس شرفه العظيم ، فلم يكذب يرجع (ان كان
حج في آخر 1314 هـ ، ورجع في 1315 هـ كما اظنه) حتى تبسمت له السعادة
من نغر معسول فشاهد ثاره من التانكرتين يوخد ، وقد رأى من اعدائه امس
من يبصبصون امامه ليكون لهم خير شفيح الى القائد الجلولي الذي القى كللكه
اذ ذاك على قبائل الجنوب ، فنهب بعضها ، فكانت (تانكرت) من المنهويات ،
ولم يسلم فيما سمعت ، منها كلها من حدها الاسفل - قرية السوق - الى حدها
الاعلى - تيفرست - الا دار الاستاذ المترجم ، ودار سيدي الطاهر بن محمد
الافراني استاذنا ، ودار الناصريين ، لا غير ، فانت دولة الاستاذ ، وكانت
هيته ومعرفته في الدوائر العليا تملئ على القائد الجلولي ما تملئ ، من
احترامه ، فجالت يد القائد سيدي احمد بن محمد بن الحسين التازاروالي
في القبائل التي في مرسوم والده الحسيني ، فكانت (تانكرت) تؤدي الاناوة وهي
صاغرة ، ويوخد منها الثار مما فعلته قبل اليوم نحو (ايلغ) وشيعة ايلغ ،
وكان مركز (دار آخداشو) مثنوى جند حارس حاحي يسمى رئيسه علي
امارير ، فكان للاستاذ عنده جاه كبير ، فمال الناس الى دار الاستاذ
للاستشفاع ، اخبرني بعض التيمولائيين ان احد كبرائهم اذ ذاك اسر في
قصة آخداشو ، وارسل به الى تيزنيت فاهرع اهله الى الاستاذ يتطلبون
وساطته عند رئيس المركز ، فذبخوا امام داره كبشا ، وقدموا له كيسا من
السكر ، وكذلك كانت عادة الاستشفاع والاستحرام اذ ذاك ، فقدم معهم الى
المركز فادى ما عليه ، وعلى ذلك فليقس القاريء ، وكان احد آله من آل الحاج
بلقاسم هو الرئيس الرسمي على بعض آل تانكرت ، فزرع في صدور جيرانه ما
زرع مما لا بد منه لجمع الجبايا التي تفرضها القيادة العليا بتيزنيت ، فضفوا
عليه وعلى الاستاذ ثانيا ضفنا مضاعفا استثير به القديم .

محتته الثانية

نفل الجرح في صدور التانكرتين ، وتاججت نيرتهم على الاستاذ الذي
راوه يتمتع بما يتمتع به ، وزاد ذلك ما لا بد ان يفعله ابن عمه الرئيس ، وربما
كان ايضا سهره على ابنته ، فتمت الجمع على الاستاذ ، وصح ان ينسب له
كل شيء ، والفلواهر كلها ضده ، ام ما كادت الجيوش الجلولية تنزاح عن
سوس اوالل عام 1318 هـ ، حتى قامت (تانكرت) بفعل فعل القبائل كلها

برؤسائها الرسميين ، فمالوا الى دار الاستاذ فجعلوا عاليها سافلها ، فنهبوا من المتاع والكتب شيئا كثيرا ، واظن اني سمعت من ينمى الى الاستاذ ان عددها ست عشرة مائة مجلد ، وهي التي تأسف عليها ، فالتحق هو بمأمنه ونجاه الله من كيد الماكرين ، وقد حرص الناس خصوصا الطلبة ان يجمعوا هذه الكتب من ايدي الناهبين او ايدي من وصلهم عن طريق الناهبين فردوا غالبا الى صاحبها هذا ، وهناك من امثال ابي فارس الادوزي من يشنون (1) باقلامهم غارة على الاستاذ لما اصيب بما اصيب به ، فكانوا مع الدهر عليه ، والمعاصرة تمنع المناصرة .

في تيزنيت

التحق الاستاذ بتيزنيت فعرفت له الحكومة انه ما اصيب الا من اجل موالاته لها ، فاقطعته دارا امضى فيها ما بقي من حياته ، فثوى هنالك في دار عز ورفاهية ، وتقله الله من بين من يتربصون به الدوائر ، فاقبلت اليه الاعانات من كل جهة ، وعبدت السبل الى داره من باب دار كل قائد ، وخصوصا حين كان هناك النفوسيون الذين خلفوا الجيوليين المذكورين ، وهكذا دائما تكون محن من اراد الله بهم خيرا ، فانه يكتز لهم مما اصابهم خيرا يجدونه في الحياة الدائمة يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، ثم يرون ايضا عيانا ان الخير فيما وقع ، وانه ليس في الامكان ابدع مما كان كما قيل ، حتى ليعاينون من النتائج المحمودة ما يحمدون به حتى المقدمات (ودون اجتناء النحل ما جنت النحل) ، وان بالمشقات نيل السیادات (لولا المشقة ساد الناس كلهم) ، وعلاوة على ذلك يفوز بطابع الايمان الذي هو الفتنة المحمودة العقبي (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

مع اتقلوس

تغللت جيوش اتقلوس ، فاستولت بسرعة على جميع القبائل التي كان استولى عليها ابن عمه الجيولي قبله ، وقد كان الرئيس الاعلى تيجاني الطريقة . وكان قاضيه سيدي الحسين التاجيوسني كذلك ، فتفتحت الابواب من كل جهة للاستاذ ، فترادفت اليه الهدايا ، وطفحت الى غديره

(1) تجد بعض ما يدل على ذلك في بعض كتاباته الذي ذكر فيها قصة الجولي .

السيول ، فكانت شغافته مقبولة وان كانت الجريمة ما كانت ، وكان وجهه عند اولئك الناس نورا يستضاء به ، وقد سكن الآن جوار قائدهم الاعلى فكانت فتية بابه كعبة الآمال من كل ذي آمال ، فكان قواد الجنوب كلهم اجمعون اكثرون يترددون اليه تزلفا ، وكذلك رؤساء ازغار ، فتسابقوا الى مصاهرته تقويا بمركزه ، فتزوج من عنده القائد مبارك البيراني ، والقائد سعيد المجاطي ، وكان القائد احمد بن محمد بن الحسين الايليقي ممن خطب اليه ايضا ، هكذا تسابق اليه ذوو الاطماع ، وهو يماشي كل واحد بما يليق به ، ومقبل على شأنه ، ينشر الطريقة الاحمدية التيجانية ، بسمعته وبقلمه وبكرمه ، وقد اسس زاويته بتيزنيت ، فطارت في هذا الطور شهرته الى كل المعتنقين لتلك الطريقة ، فيردون اليه تبركا ، ولمشاهدة صاحب تلك الكرامات التي يتداولها اصحابه ، فممن سافر اليه اناس من فاس ما اقتحموا المشقة الا لرؤيته لاغير ، وقد كانت له في فاس مكانة عند اهل الطريقة التيجانية الاحمدية يروونه من اجل عمدتها فيسند اليه عليتهم سندها الى الشيخ الاكبر مولاي احمد التيجاني رضي الله عنه .

وهكذا كانت سكناه بحاضرة تيزنيت خير اعلان لمنصبه وافضل مدياع لفضائله ، ثم انه وان نال ما نال مما يغبطه عليه الغابطون ، وتتمزع به الافئدة ممن هم لنعمته غامطون ، لم يتجاوز منطقة التواضع الذي عرف به يوم لم يكن له هذا الشأن العظيم ، والنفوس الشريفة لا تزداد بالرفعة الا تواضعا .

عبرة على ارتحال الاستاذ من تانكرت

اذا كان اولئك النفايس المغاليس في (تانكرت) يصفقون فرحا وابتهاجا يوم يرون دار الاستاذ سيدي الحاج الحسين في قرية (السوق) بلقما يبابا ، فان هناك من يمر بتلك الدار مرور الشريف الرضي بالربوع التي قال فيها :

وقد امر على ربوعهم وطلوها بيد البلى نهب
لوقفت حتى ضج من لفب نضوى ولج بعذلي الركب
ولفتت عيني فمد خفيست عنها الطلول تلفت القلب

ذلك هو الشاعر الاستاذ سيدي الطاهر بن محمد الافرائي بلبل (تانكرت) الصداح ولعربها الغريد ، فهو الذي تلفت قلبه بعد ان خفيست حاضرة استاذة عن هبله ، فكتب اليه بهذه الانبيات بعد ان تلقى منه رسالتين :

انت فاشتفت من لثمتها الكبد الحري
امام جرى في شاو كل فضيلة
وحاز من العلياء والعز رفعة
واعلى منار المكرمات فاصبحت
هو العلم المرفوع والوارث الذي
هو الشيخ مولانا الامام الرضا ابو
عليه سلام طيب من مقيم
اخي لوعة ما اسارت من ذمائه
رمته النوى - ثلت يمين النوى - فما
يمر على الربيع الذي بان بصدرة
يردد ان جاشت بواد دمعته
« كفى حزنا للهائم الصب ان يرى
فنسأل من نرجو لكل ملمة
فتنشر اسرار وتقضي مئارب

رسالة مولى لم يزل بالعلا اخرى
فغار بضم السبق دون الوري طرا
غدت اعين الآمال من دونها حسرى
عفاة الندى سميا الى بابها تترى
افاض الندى والعلم والفضل والسرا
علي الذي اضحى بأفق الهدى بدرا
يحن للقياء ولو مرة اخرى
سوى الكبد الحراء والمقلة العبرى
امض على العشاق موقعها المرا
فكاد الجوى يقضي عليه اذا مرا
مقالة من اوعي الهوى قلبه جمرا
منازل من يهوى معطلة قفرا «
يمن بجمع الشمل في كنف السرا
وينحدث بعد العسر من فضله يسرا

الامام الذي تاتم الهداة به كانه علم في راسه نار ، والهمام الذي غرر
مناقبه مثل النجم الذي يسرى به السار ، الشيخ الذي تجمعت به متفرقات
الفضائل ، والبدر الذي نور سائر الكواكب بمقابله متضائل ، والجبل الراسخ
الذي لا تزلزله الزعازع ، والهزبر الذي ما هو من رزء وان جل جازع ، والسيد
الذي ليس في سيادته منازع ، شيخنا بركة الدنيا والدين ، وبقية الائمة
المهتدين ، وحجة الله القائمة على المردة المعتدين ، نور مقلة الفضائل وانسانها ،
وعتبة عوارف المعارف ولسانها ، سيدي ابو علي الافراني ادام الله هالة شمس
فضله التي لا تخفى بكل مكان ، وابقاء منارا للدين يهتدي به حيثما كان ،
وسلام عليه سلام مسلوب الفؤاد ، بطول البعاد ، مشوق الى لثم تلك الراحة ،
ورحمة الله وبركاته ، عن خير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا
وقد وردت رسالة سيدي الاولى ثم الثانية قارتاض الفكر في رياضها ، وكرع
من حياضها ، وسكر من حميا الفاظها ، وغارلته حور معانيها بالحاظها ، وجنى
من ادبها الغض ، وسبح في بحر بيانها المرفض ، الى ما سطع من اردانها من
ساطع التفويض لله والتسليم ، ولقى انوار بالقلب السليم ، شيمة مثلكم من
كل عارف ، الذي هو من بحار الحقيقة عارف ، فسبحان من يجمع مقامات

اليقين ، لمن شاء من عباده المثقين ، لم ان العبد يعتذر الى مولاه عن ابطاء
الجواب ، المناهي لجميع طرق الآداب ، بانى ما اخرته في الاولى والثانية الا
لمزمى في كل جمعة على القدوم على حضرة سيدي لافتنام زيارته ، والتشفي
من وهج الشوق ومرارته ، فلم يزل الدهر على عادته يماطل ، ويعارض الحق
الواجب بالباطل ، فكتبت هذه العجالة نفثة مصدور ، وهبة مقل غير معذور
تبت بعض ما في القلب من لاعج الاشواق ، التي ضاقت عن زفراتها الاطواق ،
واني ان شاء الله لم ازل على ذلك العزم متى سمح الدهر البخيل ، وسح
عارض اسعاده المخل ، ومن الله تعالى نرجو تقريبه ، كما نساله تعالى كشف
هذه الحوادث المريبة ، ثم ان هذه النواحي لم تزل على ما في علم سيدي من
الهرج والاضطراب ، وتوالي الحوادث الغراب ، كفنم نام راعيها فتولى رعيها
الاسد (1) ، فعنى ما شاء وافسد .

امور يضحك السفهاء منها . ويبيكي من عواقبها الحليم

وكيف لا وقد قال الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم كما في
مسامرة الشيخ الاكبر ما معناه : ما انتهك قوم حرمة عالمهم الا انتهك الله
مهرتهم . وما نحن بينهم - والله يلطف بنا - الا كالجمل الاجرب ، يشتم او
يطرده او يضرب ، ويرحم الله البستي اذ قال :

واني غريب بين بست واهلها وان كان فيها جيرتي وبها اهلي
وما غربة الانسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل

على ان من جملة النعم علينا ، التي لا نزال نقر بها عينا ، حضورنا ببال
سيدي واهتمامه ، وانخراطنا في زمامه ، فنسأل الله الذي بفضله تتم
الراحات ان يديمها لنا ، وان يبلغ منها املنا ، ويجمع على بساط المسرة
السلامة ، ويصل بالتعلق به حبنا ، ثم ان حاجة الفقير التي لا اهم له منها ، ولا
يطلبه عنها ، الدعاء من سيدي بصلاح الحال والانتقاذ من هذه الاحوال ،
والسلامة للدين والدنيا من الفتن والاهوال ، والسمي فيما يرضى ، واللفظ في
ال « مقضى » ، ثم ان الاخ الارضى سيدي العربي بن محمد يسلم على سيدي
سلام الصب الهائم ، ذي الحب الراسي والود الدائم ، ويسأل صالح الدعاء

1- التماس من نول السامر

ومن رضى عنها يارضى مسجدة

ونام عليها نولي رعيها الاسد

وينهي الى سيدي أن ليس عنده جزء من الحلبة (1) ، والسفر الذي عنده المتضمن لمنطقية الفاسي مع الحامل فخذ منه ، وليسامح سيدي في كسل تقصير ، وليمتعنا بما حدث من أمر المخزن ، والله المسؤول في تعجيل الفرج ، وإزالة الحرج ، بجاه النبي صلى الله عليه وسلم . 14 ذي الحجة 1321 هـ ولدكم على الدوام ، الفقير الى الله ، الطاهر بن محمد بن إبراهيم التامانارتي ، آمنه الله بمنه .

ومما كتب به اليه ايضا الى تيزنيت في اثناء رسالة :

سلام يزدردي صوب الولي	على شيخ الشيوخ ابي علي
على البحر الخضم العارف العا	لم العلم الامام اللوذعي
منار المهتدين محط رحل العف	ساة المرشد البر الحففي
سلام متيم يرجو وصالا	يبرد غلة القلب الشجي
وبعد ففي فؤاد العبد شقوق	الى رؤيا محياك البهي
فحبك خير مدخور اذا ما	تباهى الناس بالذخر السني
وانت اجل معتمد واهدي	اذا ضلوا ، الى النهج السوي

في الحضرة الحفيظية

اثت الاواصر بين الاستاذ وبين الدوائر المخزنية العليا بسبب ما قاساه من تلك المحن من أجل موالاته للحكومة ، فكان ذلك سبب اتصاله بمسامع الجالس على العرش في الدولة العزيرية ، وبأذنه اقطعت له الدار المذكورة آنفا بتزنيته ، ثم لما ترقى المولى عبد الحفيظ الى العرش ، تسابق الناس الى بيعته ، فقام المترجم مع التيزنيتيين بذلك ، وهاك نص بيعتهم - بعد ذكر الشهود الموقعين عليها - .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم ، ومن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه اجرا عظيما) فسبحان من لا يرضى لعباده الكفر ويرضى منهم الايمان ، والحمد لله الذي جعل الخلافة زينة للدنيا والدين ، وفصم بها

مرا العادة المعتدين ، وحقق بها الامراض والدماء والاموال ، وانتصف بها من البغاة والعداة الهائمين في اودية الضلال ، وهيا للخلق من تكون لهم به الحماية في اصلاح احوالها وتلافيها

لسولا الخلافة لم تامن لنا سبل وكان اضعفنا نهبا لا قوانا

والصلاة والسلام على من ملا نوره الآفاق ، وطبق سره السبع الطباق ، واخبر ان الله تعالى خص بهذا الامر قريشا ، وانزل عليه في ذلك (والله يوتي ملكه من يشاء) ، والرضا عن ءاله الذين ظاهروه على اقامة الحق الساطع الانوار ، وصحبه القائمين بعده الحامين للدمار ، اما بعد ، فلما كانت الامامة العظمى قطبا يدور عليها ناموس الاسلام ، وعقدا محررا ضابطا كفيلا بصلاح الخاص والعام ، كان منصبها اعظم واشرف المناصب ، واسمى نظام الخطط الدينية واسنى المراتب ، ولذلك وقع الاجماع من اهل الحل والعقد من اصحاب الكلام ، فيما قل وجل وولاة الامور والحكام ، وارباب المناصب والاحكام ، وحملة العلم من الاعلام ، وحماة السيوف والاقلام ، من مدينة تيزنيت ، واجتمع اجماعهم على بيعته من حاز اشتات الفضائل والفواضل ، واعترف بجلالته وعلو منصبه كل فاضل ، العالم المشارك المتفنن الفهامة التحرير المتقن ، شريف العلماء ، وعالم الشرفاء ، الهمام الهصور المقدام ، ذي الراي والتدبير ، والسماحة والمجد الشهير ابو السعود والسعادات ، سيدنا ومولانا عبد الحفيظ ابن سيدنا ومولانا الحسن ابن سيدنا ومولانا محمد ابن سيدنا ومولانا عبد الرحمان ، فانعقد الاجماع بهذه المدينة التيزنيتية على بيعته ، وبايعوه اسعد الله ايامه ، ونشر للعدل الويته واعلامه ، وحضرها وجوه الاعيان وغيرهم من المسطرين اعلاه ، بيعة جارية على السنة والجماعة ، سالمة من كل كلفة وتباعة ، رضى الكل بها وارتضاها ، والتزم حكمها بالسمع والطاعة وامضاها ، لا يفي بها الا وجه الله الكريم ، بيعة لا يحل عقدها ، ولا ينبد هودها ، لازمة جازمة ، دائبة دائمة ، تامة عامة ، شاملة كاملة ، صحيحة سريجة ، كما التزم المقلد ايدده الله القيام بها على حسب ما تقتضيه الشريعة المطهرة ، بمفاخره المنتشرة المسطرة ، اشهدوا على انفسهم وكفى بالله شهيدا فليأخذ سيدنا رضي الله عنه وايدده هذه الامانة باليمين ، وليتلقها تلقى الخلفاء الراشدين ، عاملا بحديث جده سيد ولد عدنان ، صلى الله عليه وسلم المستطرون على منابر من نور يوم القيامة من يعين الرحمان) ، اللهم يسر له العورات وانصر جيوشه ، واجعل فيما يرشيدك ويرشدي رسولك صلى الله

(1) لعله يعني السيرة الحلبية .

عليه وسلم موارد ومصادره ، فمن حضر أولئك الجمهور ، وسمع الكلام المسطور ، على الوجه المذكور ، قيده شاهدا به عليهم بأتمه ، في الثالث والعشرين من رمضان عام 1325 هـ »

ثم وقد علي الملك الجديد بنفسه ، فقدم بين يديه هذه القصيدة ، وهي من انشاء استاذنا الطاهر الافراني ، أوعز اليه استاذة المترجم ان يقولها عن فيه ، وقد قدمها بقوله تعالى (نصر من الله وفتح قريب) وهي :

لاحت تباشير الهنا لما سرى
هبت بانفاس الحمى من بعد ما
ادت الى قلب المشوق رسالة
فتصوبت عبراته وتصعدت
شوقا الى من لا ابوح بسرهما
نفسى الفداء لها وان ضنت فما
كملت معانيها فما شمس الضحى
بدر على غصن على دعص فما
عجبا لها وهي المنى لم لا ترى
لم لا تبلى غليل قلب شفه
ان الهوى غل القلوب فما لمن
« يا قلب كيف وقعت في اشراكه
فاصبر على حكم الهوى وهوانه
او مل الى ظل الهدى المولى امير
ملك تولى الله حفظ كماله
وجلا ببيعته عن الاسلام ما
يا بيعة قد احكمت ابرامها
لا تختشي نقصا ولا تكثا فهل
ورد البشير بكتبها فكانه
ملك تكففت السعادة ظلله
وافى الخلافة فاستقامت بعد ان

(1) بيت قديم فيه بعض تحوير ، واصله :
يا قلب كيف وقعت في اشراكهم

ولقد عهدتك تعذر الاشراك

والى ولقد مد الضلال الى الهدى
ابى سريخ الدين بالصرم السدي
وبدا بتطهير البلاد مدافعا
بل الفرنسي الكفور اما درى
ابدى الملوك يدا وابهاهم سنى
واشدهم بأسا اذا اجتدم الوغى
الرب يقدم جنده قبل اللقا
ورث الملوك الصيد من ابابه
لا غرو ان جمعت له شتى العلا
دانت لهمة الصعاب وذلت
وانت لبيعت الوفود وطاطات
فاذا سمعت بناقص قد صده
ابشر امير المؤمنين بغاية الـ
« لتهنا الدنيا بملكك انه
فلسوف تملكها كما تبغيه من
فلانت اولى باجتنا صفو المنى
ودت ممالك البلاد لو انها
« لو انها قدرت سعت شوقا الى
سمعت بك الدنيا واهلها فلو
« عليك يا تاج الملوك تحية
« على جدودك سادة الاشراف من
« سلاة رب العرش دائمة على
« على صحابته الكرام وكل من

(1) تسمين التل العروف (كل الصيد في جوف الفرى) .

(2) الترى بالفتح الظهور .

كف السردى قدما به مستنصرا
لا تنشئ جنبا له انى انبرى
عنها عدوا قد طفى وتكبرا
ان قد اتيج لحربه اسد الشرى
واعزمهم ركنا واعلى مفخرا
واسدهم رأيا اذا ما دبيرا
والسعد يكفيه اذا خطب عرا
وحوى علاهم فارتدى وتآزرا
فردا ، فكل الصيد في جوف الفرى (1)
شوس المكارم فامتطى منها القرى (2)
اعناقها طوعا له شم الدرى
عنه الشقاء فقل له (اطرق كرى) (3)
نصر الذي سنى الاله ويسرا
مسك به ردد الزمان تعطرا
سوس الى مصر الى ام القرى
في الملك من كسرى ومن اسكندرا
حازتك كي تحظى بسعد اكبرا
مراكش مشوى علاك لتظفرا
نطق الزمان لما عدا ان يشكرا
تزري بعرف نسيم روض نورا
زكاهم نص الكتاب وطهرا
خير الورى ما لاح نجم او سرى
قد ناصح الدين الحنيف وءازرا

(1) تسمين التل العروف : (اطرق كرى) ، ان النعام في الفرى ، الاطراق خفض النظر ،
والكرى طائر صغير ، او هو الكروان ، شبهوا به الدليل العظير ، وشبهوا الكبراء
بالنعام ، وذلك اذا حضر الكبراء وتكلم الحسراء في امر لا يتكلم فيه اشغالهم مع حضور
من هم اعلى منهم .

وكتب مع القصيدة هذين البيتين المشهورين لتاريخ قيامه :

نصر أمير المؤمنين به العدا لله يفيظ
قد قلت في تاريخه نصير (مولاي الحفيظ)

فذلك 1325 هـ ، باسقاط همزة الوصل .

وفي عام 1326 هـ ، عاود الاستاذ سيدي الحاج الحسين الكرة الى الحضرة الحفيظية ، فقدم ايضا هذه القصيدة التي هي صنو تلك ابا واما ، وهي :

فاذكر عهد الجزع قدس من عهد
بوارق صبح الشيب من مشرق الفود (1)
وغزلانه اللاني يبحن حمى الاسد
سحليم ويصددن المنيب عن القصد
وكتبان ردف فوقها قضب القد
لحافظ فيصمين البريء على عمد
رضابا كطل الزهر قد شيب بالشهد
ويحسن في شرع الهوى الزهد في الزهد (2)
على القلب الا ازداد وقد ا على وقد
به ، وشرى النوم المهنا بالسهد
وابدل غي الهزل من رشد الجد
وبين الرضا والسخط والوصل والصد
يرد عن الايضاع في سنن الوجد
تذكر سعدي او حنين الى هند ؟
وذو الوجد بعد الشيب في غاية الرد
تبصر بالرجعى الى الفوز او تهدي ؟
بطالة او هون الهوى والصبا المردى
سدى الناس من بعد الفواية للرشد

تبسم نغر البرق من جانبي نجد
واذكى رسيس الوجد من بعدما بدت
وجدت تذكرا الحمى ونعيمه
من اللاء يصبين الخلى ويسبين الـ
باقمار تم في ظلام ذوائب
يفوقن عن قوس الحواجب اسهم الـ
ويسمن عن سمطى لثال تضمننا
على مثلها يحلو التهتك صبوة
رعى الله عهد الجزع ما مر ذكره
ناى فنأى قلب المشوق رهينة
فيالك من قلب تبذل في الهوى
تدل بين الصحو والسكر ضلة
ولم يرع حق الشيب والشيب وازع
ايجمل من بعد المشيب وحمله
تهيم بها من بعد ما هي فارك
اما في سنا الشيب الملم هداية
تدل على حسن التخلص من يد الـ
كما يا امير المؤمنين ونوره اهت

(1) الفود : جانب الراس .

(2) وللناسي عبد الوهاب من قصيدة :

فلما روا السم نخبر بانك زاهد

قلت على ما زلت الزهد في الزهد

امام الانام المرتضى الناصر الرشيد
امام انام الناس في ظل هداه
حام على هام العداة مجرد
منار مستهد ونور لمقتد
مجير غريب الدين مؤوى طريقه
حمى بيضة الدين الحفيظي بعدما
وجاهد في الله العظيم عدوه
ونور يقين مشرق وعزيمة
ورأى اذا طاش الحليم واخرس الـ
ونصر من الله العزيز مبشر
هو الملك المنصور بالرعب والقنا
خليفة رب العرش وابن رسوله
وافضل من تزجى لرؤية وجهه الـ
من القوم اما حبههم فعقيدة
واما ولاهم فهو خير وسيلة
مناتبهم ابهى من الشمس في الضحى
وفضلهم نص الكتاب ابانه
وجودهم امن العباد من الردى
خلافتهم زين وبيعتهم تقى
هم العلويون العريقون في العلا
خلاصة مولانا الشريف ونخبة الـ
بهم فخر الغرب البلاد فاذعننت

* * *

يا ملكا عم البرية عدله
وبالعبه الامال يا حرم اللجا
وباخير من ساس الخلافة بالندى
لك الظفر المشهور والعسكر الذي
حميت امير المؤمنين همى الهدي
وسنت بحق دين جلالك مستلصبا

د (عبد الحفيظ) ابن الرضى الحسن المهدي
كما نام مقموط يهدا في المهد
غمام ندى انجى العفاة من الجهد
غياث مستعد وغيث مستجد
مجدد رسم الدين بالسيف والرعد
تطاول لاستلحامها الكفر بالايدي
بهمة لا وان ولا يرم تكيد
كما سل مسنون الفرارين من غمد
فصيح مضى من حيث تنبو ظلى الهند
بفتح مبين جاء بالبشر والسعد
وبالجند جند الله ناهيك من جند
وصفوة مال البيت ذي الشرف العد
كريم مطايا الوفد بالنص والوخد
ونصرتهم في الله كالشرط في العقد
الى الفوز بالرضوان في جنة الخلد
واربى لدى الاحصا على النجم في العد
وهل في كتاب الله غمر لذي جحد ؟
وجودهم البحر الروا الدائم المد
ووصلهم ينجي وبفضهم يردي
ذوو النسب الوضاح والعز والمجد
فضنفر اسماعيل واسطة العقد
لعزتهم ارجاء فارس والهند

* * *

وبارى ندى راحاته صيب العهد
ويا ملجا العاني ويا غنية المكدي
وبالباس والتدبير والجد والجد
له العلم المنسوب بالرعب من بعد
وقمت بحق الواحد الاحد الفرد
ببعض الراشدي او بسم القنا المد

ودافعت من جنس الفرنسيين زائرا
اتى كظلام الليل يحسب انسه
ثبت له حتى اذا حان حينه
فولنى وحل الويل فيه محله
وملأته ذمرا وزلزلت كيدته
وارسلت جند الله ينقض خلفه
شفيت صدور المومنين بخزيه
جزاك اله قمت في نصر دينه

للأظم هجبا بالتكاسر والكبد
بباطله يرمي جبالك بالهد
ولبت اليه وبة الاسد الورد
وممته بالقتل والاسر والطرده
من السيف والبارود بالبرق والرعد
بزاة على القتب السلاهة الجرد (1)
واذهبت غيظا كان مستعر الوقد
جزاء رضا يكفي المهمات من بعد

ثم ان العلامة سيدي الطاهر كتب الى المترجم بعد رجوعه من هذه
السفرة عام 1326 هـ :

بشرى لنا برجوع بدر الفيهب
من بعد ان شرفت به مراکش
وتبركت اعلامها بسوروده
وتيمنت بلوائح النور التي
وارت به البحر الخضم تموجا
وشمائل كنسيم وهن قد سرى
قامت له رؤساؤها وترجلوا
خرجوا الى لقياه اجلالا لـه
وتكاتفوه محبة فكانه
تلك الفاخر والمناقب والعللا
لا غرو ان خضعوا له وتضاءلوا
والشمس لا يبدو اذا ما اشرقت
ثم اثنى لما قضى غرض المنى
فطوى المراحل سائرا وتفاخرت
حتى اناخ ركابه بردانة
حيث الرياض الموثقات تشقها الـ

من سفرة اوفت بكل المطلب
وزهت فزاحمت السماء بمتكب
واستبشرت بندي يديه الصيب
لاحت على ذاك الجبين الطيب
بفرائد العلم الفريب المعجب
باللطف من جنات روض معشب (2)
ادبا اليه واوسعوه بمرحب
وتسابقوا سبق الظما للمشرب
شمس الظهيرة وسط ذاك الموكب
لا بالمأكل والحلي والمركب
لما راوه فهو شمس المغرب
انوارها في الجو نور الكوكب
شوقا الى وطن اليه محب
بلقاء سكان القرى والسبب (3)
حيث المنى والسؤل للمتغرب
سأهار تجري في الفضاء المخصب

(1) القتب : دقة الخصر وضهور البطن . والساهب كجعفر من الخيل : ما عظم وطالت
عظامه ، وفرس أجرد : قليل الشعر رفيعه .

(2) الوهن كفاتس : ما حوالى نصف الليل .

(3) السبب كجعفر : الفرس .

والغصن يرفس للنسيم اذا سرى
والزهري يهيم لفره فرحا به
حيث السداقة والمحبة والسدى
ولدا ففارقها وسار كما سرى
وانى فاشرقت الدنيا وتطلقت
وسمت عفاة المكرمات لبابه
وزاحمت وراد ماء نواله
وتابع الوفد المهني بكرة
سددوا جميعا شاكرين وكلهم

والورق تشدو كالمقش المطرب
فكانه نسر الحبيب الاشرب
والحسن والاحسان والعز الابي
وبل الفمام الى المكان المجذب
ارجاء هذا القطر بعد تقطب
والكل امل وفده المترقب
كالهيم حول المشرب المستعذب
وعشية مثل القطا المشرب
مثنى الحقايب باللسان المطب

* * *

يا ايها البدر المير سناء او
يا ذا الذي سارت بطيب سنائه الـ
لك في القلوب محبة ومهابة
خضعت لك الاقيال لما شاهدوا
هاتيك انوار التقى لاحت ومن
هنتها من سفرة مقروننة
واليكها عن صدق ود مخلص
وعليك يا بدر الكمال تحية
وسلاة رب العرش دائمة على الـ
وعلى الكرام ذوي السيادة الـ

يا ايها العلم الرفيع المنصب
ركبان بين مشرق ومغرب
فلذا اتتك لمغرب او مرهب
بسناك سرا لا تحا لم يحجب
خاف المهيمن واتقاه يحجب
بسمادة لسواكم لم توهب
من منتسم لعلاكم متعصب
تزري بودق بالعشى محلب (1)
ختار سيدنا محمد النبي
والصحب والتالي بذاك المذهب

حقيقة ، ان الشاعر الافراني لمخلص الود للعلامة الحاج الحسين . ومشيد
لجنابه الفخيم ، ومتعصب له من بين اهل ذلك الوادي الذين فعلوا به
لمعتهم وانتهبوا داره ، فقام هو يلقي في ساحة التاريخ هذا المديح الرائق
الذي هو كدر منتشر تنتهبه اسماع المصليخين ، وشاعرنا قديم الاتصال ببلديه
وشيوخه وجاره الحاج الحسين . فهذه قطعة كان ارسلها اليه عام 1314 هـ
من الصويرة حين توجه الى فاس مع رفيقه سيدي العربي .

(1) رعد محلب بالهيم : عصوت . والوداد المحلب بالحاء مثله قال امرؤ القيس :
خفاهين من الخفاهين كالحما

أحمل أعباء النسيم سلاما
إلى خير من قد شاد رسم العلا أبي
كريم بني رسم السيادة بالندی
فاصبح شمسا يستضاء بنوره
أدام به الرحمان نفع عباده

إلى من هذا بالمكرمات أماما
علي الذي سامى النجوم مقاماً
وأمرق حيناً صيته وأشاماً
واقعد في دست العلا واقاماً
وابلفه مما أراد مراماً

ذلك ما يقوله شاعر أفران الأستاذ الطاهر بن محمد في سيدي
الحاج الحسين ، وهل لشعراء الغ فيه من اقوال ، نعم قال شاعر منهم فيه
- وضمن اشطاراً من معلقة امرء القيس - :

بحقك ان جئت الامام فقبل
ومس لنا تلك الخلال فانها
تعرض للانظار من كل جانب
فما في الوري من فاق علما وحكمة
بأفران قلبي الصب يشوى تعلقا
فان يذكر الفرد الحسين محبر
عليه سلام الله ما حن شيق
وما خطرت ذكراه في قلب مرضع

جبين محياه السني المتهلل
(نسيم الصبا جاءت برى القرنفل)
تعرض (ائناء الوشاح المفضل)
وجاها وحسن السميت غير ابي علي
بسكانه لا (بالدخول فحومل)
وأفران يذكر خير (حب ومنزل)
لراحته يشتاق خير مقبل
فتلهو بها (عن ذي تمائم محول)

متفرقات عنه :

اضفى الله على الشيخ السيد الحاج الحسين نعمه الوافرة الوافية
من كل ناحية ، فبعد ان اسبغ عليه حلة العلم ، وتوجه بتاج التقوى ، والقى
عليه رداء فضفاضاً من الشهرة والقبول ، هياً له وراء ذلك من الاخلاق
الزكية ما رفع له شأنه آخر لا ترتفع دعائمه الا على الاخلاق ، فما شئت من
مخالقة يستل بها الضفينة من الصدور سل الشعرة من العجين الرطب ،
ومن كرم يتدفق سيله حتى لا يبقى ولا يذر ، فله في ذلك اخبار غريبة قلما
يصدقها من ليس مطلعاً على حالة الشيخ ، فقد خرج يوماً من داره وعليه
جبة ورداء وسلهام ، وكلها مما احكمت صنعه بنات بلدة (بزو) الصنم
الايدى ، فسلم عليه شخص وقال له اني شريف ، معرضاً بذلك للسؤال ،
والكريم يكفي عنده التعريض .

واذا طلبت الى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم

فتناوله السلهام ، ثم اقبل سائل ثان ، فتناوله الرداء البريوي الناصع
البياض ، الرقيق كاله الغريفي (I) ، ثم اقبل ثالث ايضا فتناوله الجبة ،
وكان ما يرال واقفا على هيئة الراوية التيجانية بتيزنيت . وقد قصدها بين
الظهيرين لالقاء درسه العادي ، فبقى في القميص والفرجية لا غير ، ثم اقبل
على درسه والمحفل مكتظ ، فما قام الى العصر حتى جاء رسول قاضي
الماند انتقلوس بحلة وافية كاملة ، فقدمها اليه ، فانفتل الى بويت في
مرض الراوية فلبسها فيه ، فعجل له بذلك بعض اجره ، (وما عند الله خير
والقى) ، وهي واقعة حقيقة حدث بها بعض من حضر ، واهوى مرة اخرى
الى الدخول الى داره فقال له انسان ان كنت تحب مال البيت فاكسني ،
فاستتر خلف الباب وجعل يلقي الى السائل بثيابه ثوباً ثوباً حتى
السرراويل ، ثم اغلق عليه بابه وذهب السائل بالثياب ، وهي حكاية مشتهرة
منه ايضا رحمه الله ، وحدثني انسان انه لا قاه يوماً في الهاجرة وقد دخل
من تحت برج من ابراج سور تيزنيت يعتاد الجلوس فيه في الضحى ،
فما حبه الى داره فقال لخادم له انظر عند من تستدين لنا قالبا من السكر ،
وجلس مع الحاكي وآخرين ، فاقبل على محادثته المعروفة ، وهي تمتزج
بالحديث والايات والنوادر ، وطبعه اريحي فكه ، فهيأ لهم الاتاي بيده ، وكان
من مادته ان يهيئه بيده لخاصة اصحابه ، ثم قال لهم خذوا راحتكم هنا
هذه قيلولة ، وسنصلي ان شاء الله الظهر هنا جماعة ، وطلب من صاحبه
الفقيه الراضي ان يصلي بالناس في الزاوية ، وكان الابان صيفاً ، قال
الحاكي ، وفي اثناء ذلك غل واغل من الباب الخارجي وصار ينادي يا ابن
الحاج بلقاسم انني محتاج الى السكر فلا اخرج الا به ، يرفع صوته بذلك
ويصرخ ، وكان هذا الواغل معتوها مشهوراً ، ففتح الشيخ نافذة من عليه
له ، فتناول المعتوه قالب السكر ، وما كان ينقصه الا ما شربناه منه ، ثم رد
القائمة ، فصار الخادم الذي استدان صباحاً يتأفف ، ويقول اما انا فوالله
لا استدين ثانياً ، فلما خرج الشيخ عند الظهر امر الخادم باغلاء الماء ،
ونظيف الاواني ، فصلى بنا الظهر ، وقد غلى الماء ووضعت الاواني ، فتناول
الشيخ كتاباً يسرد علينا منه ما يتعلق بان فضل الله واسع ، وبعد هنيهة
معدنا دقا بالباب الخارجي ، فاطل الخادم فاذا به يجد اعواناً من قبل باشا
بارودانت احمد بن علي الكابا ، فتناولوه رسالة مع مائتي ريال (فضية
عالية) ومعهم خمس بغال موقورة سكرًا وريشًا وسجداً ، فاعرو رقت عينا

الشيخ ، وبعد ان ادخل ذلك الى الدار جمع يطهروا بان اهل به بقوا يوما كاملا بلا ذواق ، وانهم قد حرموا ايضا من القالب المشتري صباحا ، ثم ان ذلك فضل الله ، فقد له ذلك من الكرامات المشهورة المألوفة ، وهذه نماذج من احواله ، فانه لا يبخل بما يملك ، ولا يهتم لتأثيل الاملاك ولا لمستقبل اولاده ، وكم ليم في ذلك فقال : الله موجود في كل حين ، وفي رجوعه المرة الثانية من الحضرة الحفيظية ، - وهي التي خلدها الشاعر الافراني في بائيتيه المتقدمة - دخل داره بخيرات من كل نوع ، البسة ودراهم ونفائس ، فما زالت يده تروح وتغدو في ذلك كله حتى اتى عليه في اقرب حين ، وقد وصله السلطان هذه المرة باربعة آلاف ريال ، وهي مال مهم جدا اذ ذاك يكفي من يرغب في الدنيا ان يؤثل به ما يكون له ولعياله عدة وذخرا .

وكان رحمه الله عافا مالوفا ، له اليد مع كل احد ، مع الحكوميين ومع رؤساء القبائل ، ومع الفقهاء المفتين ، وبذلك نال ما نال ، ولكنه مع كل ما ناله متواضع لا يترفع عن احد ، ولا يتكبر على احد ، وقد لبس ناموس التصوف لمكانته من رئاسة الطريقة التيجانية ، ولكنه مع ذلك ملتحم مع رؤساء الطرق الاخرى ، كالشيخ الحاج المدني الناصري ، والشيخ الحاج علي الالفي الدرقاوي ، وكان مزورا للجميع حين كان في افران وحين حل بتزيت ، وقد زاره الشيخ الالفي مع العلامة علي بن عبد الله في كلا المحلين ، وفي بعض زيارتهما له بافران نزلا في دار الشاعر الافراني ، فخلد نزولهما عنده بقوله :

هنيئا قلبي والهناء على مثلي يحق وقد جادت موالي بالوصل
رأى الدهر ذلي واستعار صبابتي فرق وأولى الفضل منه على بخل
فانشد قول ابن الحسين وانسي لأولى به والشكل يذكر بالشكل
« وليس الذي يطلب الويل رائدا كمن جاءه في داره رائد الويل »

كما ان سيدي محمد ابن الاستاذ الطاهر الافراني رغب به ايضا في احدى وفداته الى (تاتكرت) منذ صالحه اهلها عام 1324 هـ ، بقوله :

شموس الهدى ابدت ضياء لمن يسرى فبرج العلا في المجد في فلك البشر
بطلة بدر المدلهمات شيخ من يتلب صدوق ينتهي منهج الخير
امام الوري حامى الشريعة من ردى ال بهالة اذ مدت لها راحة الضر
ومنجد من يسعى اليه مؤملا ندى كفه الزري على لجة البحر

ومحبي قلوب دارسات بها طلل من العلم احياء الربا وابل القطر
محبا له زهر النجوم تضاء لست وخلق كما فاحت معطرة النثر
امولاي اهلا بالقدوم قدومك الس مبارك يا مغنى المنظم والنثر
امولاي جدد للمستهام بدعوة تكون امانا للفؤاد من الدهر
سلام على مثالك ما هيجت صبا غرام اخي شوق اليكم مدى الدهر

مراسلات رسمية اليه :

كتب اليه الوزير المدني الكلاوي :

« محبنا الارضى ، السيد المرتضى ، الفقيه البركة الباذل جهده في سبيل الله ، سيدي الحاج الحسين الافراني ، امنك الله وسلام عليك ورحمة الله ، من خير مولانا نصره الله ، وبعد وصل كتابك الاعز ، وخطابك الرائق الاوجز ، جوابا عما كتبنا به لك في شان التنبيه لما حدث في ايت باعمران ، بانك وجهت من يستقصي اخبار تلك الناحية وتحذير من يروم وقوع الفتنة بين المسلمين ، وتمليك ارضهم واولادهم لطفاة الكافرين ، ووقوفك في عسم مواد الفساد ، وان تلك القبائل قامت على ساق الجد والاجتهاد وان اللل والحمد لله على غاية ما يكون من السكون والاطمئنان لاهجين بدعوة مولانا السلطان ، ولم تطمح نفوسهم فيما لا يرضى الملك الديان ، عدا البعض من هسباوة ، ذكرت ان نارهم لا تخدم الا بتخميم مدد شريف بتيزنيت ، ان القائد صالحا الشاوي يصلح للتكليف على العسكر هناك ، وصرنا من ذلك ببال ، فالحمد لله على وجودكم بتلك الناحية ، لقد ظهرت بركتكم فيها ظهور الشمس الضاحية في السماء الصافية ، وانجلي منها ما كان صدى لها ، فجزاكم الله احسن الجزاء ، بجاه من شفاعته ترجى ، صلى الله عليه وسلم ، ولا تعدم اجازة بحول الله من الله ورسوله ومن سيدنا اعزه الله ، فليرد على عملك ، فلا يضيع لك ذلك بحول الله ، ويصلك طيه كتاب بتكليف القائد صالح على العسكر وجمع اشغاله ، واعلمنا بالمتحصل بمسوده ، والكتاب الذي وجهته لمولانا المؤيد بالله قد وجهناه على مكاتيبنا الى جلالته ، فليدم في وقوفك واعتنائك بامور المسلمين ، ولا تغيب عنا خبرا ، وعلى سبيل المحبة والسلام ، في 17 سفر الخير عام 1327 هـ ، المدني بن احمد امه الله » .

وكتب اليه ايضا :

« محبنا الارضى الفقيه المرتضى البركة الاجل السيد الحاج الحسين الافراني امثك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد وصلت مكاتيبك جوابا عما قدمناه لك بانذار تلك القبائل وردھا للجادة ، وعدم مصارفتهم مع الاجانب الذين يريدون التسلط على القطر السوسي بوسائلهم التي لا تحمد حالا ولا مثالا ، وان سيادتكم قامت في ذلك على ساق ، ووجهت المكاتيب لاربابها ، وحذرت وانذرت ، وواقعت الموعظة في القلوب موضعها ، فجزاكم الله خيرا في الذب عن بيضة الاسلام ، واثابكم بمنه بجاه خير الانام ، عليه من الله افضل الصلاة وازكى السلام ، وقد كتبنا لمولانا ايده الله في شأن وقوفك واهتمامك بامور المسلمين ، ووجهنا لمولانا ما كتبت به اليها في ذلك ، فلا يضيع لك بحول الله وقوفك ، فزد على ما انت عليه ، ولا تقصر كما هو الظن بك ، والمقصود منك ، وبالفجهدك في اطفاء نار الفتن ، فاننا والحمد لله في غاية الاطمئنان بوجودك في تلك الناحية ، وما يطلبه القائد صالح الشراذي من تنفيذ المؤن له ولن معه من العسكر فسيرد قريبا بحول الله ، فقد كتبنا لمولانا ايده الله في ذلك ، وقد كتبنا لك هذا من مخيمنا بسيدي ابي عثمان من بلد الرحامنة نفع الله به ، بصدد التوجه للحضرة الشريفة اصحبنا الله السلامة والعافية في الذهاب والاياب ، فلا تنسونا من صالح ادعيتكم المستطابة ، التي لا شك انها مستجابة ، وعلى صميم المحبة الى لقاء الله والسلام ، في 5 ربيع النبوي عام 1327 هـ ، المدني بن احمد الله وليه . »

وكتب اليه القائد عبد السلام الجراري :

« الى جميل اعتقادنا ، وخالص ودنا ، الفقيه الشهير ، العلم الكبير ، سيدي الحاج الحسين الافراني ، امثكم الله من اسراره ، وافاض عليكم من انواره ، اما بعد : فقد رجع اليها جوابكم الكريم باعذار عاقت عن القدوم ، وحالت عن المشافهة التي هي المرام المعلوم ، فعذرناكم لذلك ، والخير فيما اختاره الله ، وها مبيضة بشأننا صحبة الحامل ان شاء الله ، فما ظهر لسيادتكم فيها من زيد او نقص فاعمل بمقتضى نظرك المصيب ، وبقي على سيادتكم ان تكتب للفقيه سيدي محمد بن ابراهيم السباعي التكروري بكتابته هو للحضرة الشريفة على شأن ايت برايم المشار له في المبيضة ، فقد بينا معه على ذلك كلامنا وشرط ان يرى خطك المبارك المسهود لديه ، فلا بد ان يصلنا مع المبيضة وكذا هفينا القائد عمر الدليمي الكدفاية ان

تكتب للحضرة الولاية بولاية على هشتوكة كلفة ، بما لا يخفى على سيادتكم ، ويصل مع الحامل ، واما تعيين السفر ان شاء الله ، فالى عشرة ايام لما دون ، والله يتولى امورنا جميعا ، وينزلنا كنفا منيعا ، وتشير اشارة لطيفة لجانب الوزير بتعجيل اوتينا من غير طول لبث ان شاء الله ، اما تومي اليه ان يلزم على ولاية ايت برايم ان تيسرت يكون عندهما يكون المدد ان شاء الله بتيزيت ، وعلى المحبة والاخوة والسلام ، في 9 جمادى الاولى عام 1328 هـ ، عبد السلام بن محمد الجراري لطف الله به . »

« ونبه ايضا الفقيه السباعي بان ما وقع من كتابة الظهير لعياد لم يكن عن قصد منه ولا ارادة ، وانما ذلك سهو وغفلة للقاعدة التي في المبيضة ، وتكتب ايضا الى الحاج التهامي بمراكش ان يصحبنا بكتاب منه الى اخيه الوزير موصيا له بجانبنا ان شاء الله ، ولم يوجد من الكاغد اللائق الا القليل الواصل ، والسلام . »

نعم واما خبر هشتوكة وحاجة فقد توسط في صلحهم الشيخ ماء العينين ، فانفصل الفريقان ، واما ناحية المخزن اعزه الله فلم يتجدد لنا منها خبر يقين ، وسمعنا ان المتوكي واهله قاموا بحركتهم في (فسم امسكرروض) اغانة ليحيا ، وان الشداح طلب الاغاثة من هشتوكة ولم ير في الحال ذلك . »

اقول : ان ما يتعلق بعبد السلام وما كتبه له المترجم يوجد في ترجمته في (القسم الخامس) بحول الله .

آثاره :

ان للاستاذ حقا آثارا قيمة في كل انواع العلوم التي حذقها ، بله ، اذ رأيت بعضها ، وفي (المجموعة الفقهية) فتوى له تتعلق بمسجد (اداني) اكثر فيها النقول وسلك فيها مسلكا لم يعهد من اقرانه ، فقد تعالى الى الاستدلال بالحديث وتلك منقبة تعرف له فتشكر ، وهناك ذكر له في فتاوى اخرى ، وآسف على ضياع فتاوى امثاله ، والا فانها لتدل حق الدلالة على سمو فقهه ، وكان جيد الفقه مستحضرا للنصوص ، فهذا سيدي المحفوظ الادوزي يخبرنا انه فتش يوما على نفس علم يجده ، فافعل الرحلة من سارطة مدرسة (سيدي بوشنداني) الى (ادوزا) لاسال الاستاذ محمد

ابن العربي ، فلاقى المشرح في موسم (تادايقت) فاستنزله ، فافضى اليه باستعجاله ، وان مسألة كذا قد اعوزه محلها ، فقال له انزل فانها في المعيار في الباب الفلاني منه ، قال فتعجبت لاني انتقلت المعيار بزعمي ، ثم وجدها كما قال له المترجم ، وبهذا اتصل ما بينهما ، وان كان ما بين السيد الحاج الحسين والادوزيين ليس بذلك على ما هو معروف عن المتعاصرين ، والسيد الحاج الحسين هو الذي اوعز الى الابراييميين ان يشارطوا سيدي المحفوظ في مدرسة (سيدي بوعبدلي) بعد ان خرج هو منها ، ولكون سيدي المحفوظ يصله يناله لوم من الاستاذ ابي فارس في ابيات ذكرت في محل آخر رحم الله الجميع .

وكان الافتاء والقضاء يحومان دائما حول الحاج الحسين الى ان مات ، وكان في ايام اتقلوس احد اركان القضاة بتيزنيت ، ولكنه على كل حال ليس في مسلاخ كثيرين من اقرانه الذين يمتصون بذلك اموال الخصم ، ثم غمرت شهرته حتى علا مقامه عن ذلك ، والا فقد كان في (افران) وفي مدرسة (تازاروات) وفي مدرسة (سيدي بوعبدلي) قطب النوازل والفتيا يقصد من جهات بعيدة ، وكان في (ايليخ) معروفا من قديم ، فقد حدثني بعضهم انه هو الذي يتولى التقدم في كل مجامع القبائل عند الشريف الايليقي ، فبذلك كانت آثاره في النوازل كثيرة ، والاتصال بالرؤساء مما يعظم به الفقيه اذ ذاك .

فمن آثاره ما ينشده ويتمثل به في رسائله ، فقد تمثل في رسالة الى استاذنا سيدي الطاهر الافراني بقول صفوان بن ادريس الاندلسي :

« واخوان صدق لوقضيت حقوقهم
ولو كنت اقضي حق نفسي ، ولم اكن ،
وما اخترت هذا البعد الا ضرورة
قضى الله ان تنأى بي الدار عنهم
ووالله لو نلت المنى ما حمدتـه
لما فارقت عيني وجوههم الزهرا
لما بت استحلي فراقهم المسرا
وهل تسجيز العين ان تفقد الشفرا
اراد بذلك الله ان اعتب الدهرا
وما عادة المشغوف ان يحمد الهجرا »

وكتب في رسالة اخرى اليه متمثلا :

« ولا تلق بالاخبار من غير خبرة
ولا تاخذ الاخبار عن كل مخبر »

ومن آثاره ايضا رسائل لم يمكن لنا اليوم ان نقف منها الا على ما وجدناه في خواتم الالفين ، وهالك ما تيسر :

1

كتب الى الاستاذ محمد بن عبد الله الالف مؤسس مدرسة الف ، وهو اذ ذاك بمدرسة بومروان :

« ازكى التحايا وانماها ، وابرد البركات واشهاها ، على من هو بمنزلة الروح من الجسد ، ومن استحکم واستمسك في الصدر بحبل من مسد ، مظهر من مظاهر الحق ، وينبوع من ينابيع الصدق ، ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن صالح البومرواني ، هذا :

سلام على الاخوان والصحب والرهط	يفوح شذاه بالعنابر والقسط
رزقنا واياكم سلامة ديننا	ودنيا من الاهوال والمكر والسخط
فان تسالوا عن حالنا بعد بعدكم	فانا بحمد الله في غاية البسط
وصحة جسم واغتنام قراءة	بلا كلفة ما بين صحبي ولا شرط
تركنا الهموم كلها من ورائنا	فلا شغل غير الرفع للشوق والحط

على ان محبتكم قد استولت على القلوب ، بشهادة علام الغيوب ، ونحن على ما قال سيد العشاق عمر بن الفارض في قوله :

اخذتم قوادى وهو بعضي فما الذي يضركم لو كان عندكم الكل
واحوالنا بخير والحمد لله ، بيد ما ينزل بساحتنا من الاوغاد
الاجلاف ، والحثالة الخفاف ، اصحاب التكالب على الدنيا عصمنا الله من
هذه القرية .

وما غربة الانسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكـل

والخير لا يفهم الا بالمشاهدة ، وقد وصلت اليها هديتكم على يد
التومانياري فمكثته من الاجراء الثلاثة الكائنة ههنا ، والنسخة البخارية
اخذها من لدنا سيدي سعيد بن عبد الله لكونه مشارفا برضاة ، والثاني

منها قد استولى عليه من كان هنادنا من التلاميذ ، - الى ان قال -
واصبح اليها معك شرح المحقق ابن زكري على الفريضة ، والسلام .

2

وكتب اليه ايضا :

« نحمد الله على ان هادانا واياكم للايمان ، حتى امتدت منا اليه
الايمان (1) ونشكره على ما انعم به من صحة وعافية ، واروى من نطفة
صافية ، واسلم على الفقيه الاجل المحترم المبجل ابي عبد الله سيدي محمد
ابن عبد الله ، وعلى والده الرجل الصالح الطيب الجوانح ، وعلى جميع من
ضمه المجلس السعيد ، من كل من منه يستفيد ، اما بعد :

فقطب نفسا وقر بذاك عينا فسوف ترى الامور كما تمنى
فلولا الدر منتقل بكسف لكف ما راى عزا وصونا
ولا مس النحور من الفواني ولا تاجا يرصع فيه زينا
فان الماء يأسن في غدير الى ان يفتدى حمأ فسنا (2)
اذا لم يجر او تضربه ريح مطيبة له ذوقا ولونا
فدا مثل الرجال فمن تجده اخا نقل تجد عزما مسنا (3)
واما الداجنون فمثل شاء عجاف هزل فالقوم زمنى
فهم جسم بلا عزم وحزم وان تبصر لهم عينا واذنا

اجل لا تبتئس من مدرسة ابي مروان ، فان تصريف الاقدار ليس
للمرء في تحويله كما يريد يدان ، وسوف ترى انك بخروجك من بلدك ،
وانتيائك للمعينين لديك ، تكتسب عزما ، وتعرف كيف تتحمل وحدك هما .

وانما رجل الدنيا وواحد لها من لا يعول في الدنيا على رجل
فالتجارب مسن العقل حتى يحبك ، وان فارقت التجريب في شرح

شبابك فافزع على محرك سلك ، ولو اطلعت على الغيب لما شككت في حكمة
الله تعالى ، ويجب على المؤمن ان يبرن نفسه على الرضا بكل ما قدر ، يسر
في نظره او سر ، فالامور عند مواردها تشابه ، ولكنها عند مصادرها
تبين حتى يستحسن احدنا ما كان اولا عابه ، (فالله يعلم وانت لا
تعلمون) ، (وهو احكم الحاكمين) ، حفظك الله بما حفظ به الذكر الحكيم ،
واخذ بيدك حتى لا تنزلق فيما تاتيه فتليم ، بمنه وكرمه .

عد رشحك لامر ان فطنت له قارباً بنفسك ان ترعى مع الهمل

• • • • •

فكن رجلا رجله في الشرى وهمة هامته في الثريا
فان اراقه ماء الحيا ة دون اراقه ماء الحيا

ولا تنسنا من دعائك في كل وقت »

3

وكتب اليه ايضا :

« اخونا الفقيه النبيه الارضى سيدي محمد بن عبد الله الالفى ثم
الوسرواني وعليك السلام ورحمة الله ما تنبه وسنان ، ووسن يقظان ، هذاء
فله فرخ روعك (1) ، وليلثم صدعك ، فما انت اول محسود ، ولا انت اول
مسد ينفض اليه (2) راسه المسود ، فلتغبط بما جرى ، فلولا نعمتك ما
مرالك ما عرا ، وذلك افشى للسمعة ، والقطك اضوا للسمعة .

اذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وقديما قيل : لا يرمى الا شجر له ثمر ، والله در ابي حيان اذ قال :

عداني لهم فضل على ومنة فلا ابعد الرحمان عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

(1) اي فليسزل فراستك .

(2) انفاض الرأس : نهركه .

(1) الايمان الاول بكسر الهمز ، المعتقده ، والثانية بفتحها : جميع يمين اليد .
(2) حمأ - محركا - الطين الرقيق ، والمسلون المنير .
(3) المسن : دالة الشكك ، بكسر الهمز وفتح السين .

وبعده النوايب ، تخصب التجارب ، ولي الاكدار ، تظهر الاحرار ،
وعلى البصائر فشاوة لا تنكشف الا بالطلوب ، ولخوس الكروب .

جرى الله الشدائد كل خير وان كانت تفصصني بريقي
فما شكري لها مدحا ولكن عرفت بها عدوي من صديقي

ومعلوم في كل عصر في التاريخ حسد الفقهاء بعضهم لبعض (1) ، لان
كل واحد منهم لا يريد ان يكون غيره سماء وهو له ارض ، حتى نصوا على
عدم قبول التجريح بين المتعاصرين ، لانهم غالبا غير متناصرين ، غير انك
وان بليت يجب عليك التجلد ، فقد يغنى احيانا التبلد .

ولقد امر على اللثيم يسبني فاعف ثم اقول لا ينبغي

• • • • •

لو كل كلب عوى القمته حجرا لاصبح الصخر مثقالا بدينار

والنهاية في ذلك للمومن قوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) فالمخالقة اصل معاشرة الناس ، فيها
يتقي منهم كثير من الناس ، وانما اكرت عليك لتغتنم شبابك ، وتعرف
كيف توصل وتفتح بابك ، فلك علينا حق النصيحة ، والنفوس اليوم بمحض
النصح شحيحة ، ثم ان هذه الرسالة لا احل لك ان يقرأها احد ، لئلا يفسد ما
هو بيننا وبين ذلك الفقيه ممتد ، والحزم اس الامور ، والله يلطف بنا فيما
جرى به المقدور »

4

وكتب ايضا الى الاستاذ علي بن عبد الله الالفي ، واحسب انها مكتوبة
في نحو 1306 هـ .

نسمات السلام والبركات كاريج الحقائق العطـرات
تتوالى على مقامك في كل زمان لديك ملتزمات

(1) في كتاب العلم لابن عبد البر بساط واسع في ذلك .

الفقيه الذي له في قلوبنا مودة راسطة الاسول ، واخوانا الذي له فينا ما
يقون للاسول والفاسول ، من هو لدينا مكين الاخاء ، شجرة مورقة بالعلم
والادب والسقاء ، ابو الحسن سيدي علي بن عبد الله ، امام التدريس ،
والعالم والحمد لله من العلوم ما حازه محمد ابن ادريس ، الى عقل غادرته
الاجارب مصقولا ، وكيف لا يزداد عقلا من حاز الى المعقول منقولا ، وبعد
دارنا الله واياكم سلامة الدين والدنيا ، وجعلنا من الذين بايعوا الله ثم لا
يحبب بيهم ثنيا ، اما احوالنا هنا بعد انتقالنا فيظهر انها سائرة على وفق
الارام ، ربما تكون احيانا في عنفوان البشر كأنما نحسن على تعاطي المدام ،
وربك يخلق ما يشاء ويختار ، وهو الفعال وكل فعله مختار ، فقد وصلنا
ما ارسلته اخلف الله عليك ، وجعل كل ما تامله منساقا اليك ، على انني
لا احب منك ان تتكلف ، لاننا بصفاء القلوب لا بما في الجيوب نتعرف ، لكنك
الله درك ابيت الا ان توفي للمروءة حقها من كل جانب ، حتى تكون لكل من
له بك اتصال اكثر اداء للحقوق واعطف من الاقارب .

« رات على آل المهلب شاتيا غريبا عن الاوطان في زمن المحل
فما زال بي احسانهم وافتقادهم وبرهم حتى حببتهم اهلي

فلا تنسونا يا سيدي من دعواتكم ، لاسيما بعد ان تقرؤوا في الاوراد
« فانكم ، فراكم الله من اولادكم قرة الاعين وبهجة الصدور ، وخذ من
العامل ما هو شبه هدية واعذرنا فمثلك من يعذر يا ابا الحسن ، والسلام
عليك وعلى الشيخ الحاج علي والاهل جميعا » .

« ففرنا بهذه الرسالة عند من لا يحسب ان تكون عنده ، والحمد لله
على ذلك ، وبالله كيف يفرط في آثار ادبائنا الكرام .

5

وكتب اليه ايضا :

« الاخ في الله الفقيه العلامة الاديب سيدي علي بن عبد الله الالفي ،
الام عليك ورحمة الله وبركته ، اما بعد ، فنعن علي خير نجر الدليل مما
« في الله منا من الخير العميم ، ومن الحروب النهم ، والانسان اذا فكر

في احواله يجده يرفل في نعم الله العظيمة ، من السمحة وهي اجلها ومن الامن على نفسه وعن ماله وولده ، ومن سمحة له هذه النعم ثم لا يعترف انه يسبح في نعماء الله فانه لنكود شديد المحال . واما انتم فكيف احوالكم وكيف انتم مع ذلك الانسان الذي اخبرتموني باخباره قبل اليوم ، فهل انفصلت الدعوى بينكما بخير ، او طاف الدهر على عادته في الكرام بضير ، واوصي سيدي بالمخالقة ، فان المخالقة في هذا العصر بل في كل عصر من احسن الحصون ، فمن احتذى بها فسيكفي من ان يتناول اليه الدون ، وفي الحديث انا لنبش في وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم ، وفي القسراء (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) كفلك الله بما كفل به اصفياه المحفوظين ، وجعلك سيد اقراك وان كانوا غابطين او محفظين (1) ، وقد مر بنا الشيخ سيدي علي بن احمد فاخبرنا عنكم بخير ، والسلام .

6

وكتب الى صاحبه في الطريقة ، الفقيه السيد عبد الله التامانارتي اليزيدي واصحابه هناك :

« اخونا في ذات الله عز وجل ، المقدم البركة السيد الحاج عبد الله ابن محمد التامانارتي الجكرضاوي وجميع الفقراء التيجانيين من تلك الناحية ، امدكم الله برضاه الاكبر ، وافاض عليكم من الفيوض الختمية ، والاسرار الكتمية ، ما يفنيكم في الدنيا والآخرة ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هذا فلا تنسوا حق الاخاء ، اما بعد ، فاعلموا من هذا الكتاب انكم ظفرتم بفضل الله والحمد لله بسبب متين من السعادة فتمسكوا به ، فانه يكفيكم جميع المهمات الدينية والدنيوية ، وهو عهد سيدنا الشيخ التيجاني رضي الله عنه ، فقد افاض الله عليه وعلى اتباعه فيضة عظيمة من السعادة ، فقد الحقت اهل هذا الزمان بمن قبلهم بلا مشقة ، لما علم سبحانه عجزهم عن سلوك الطريق على الوجه المطلوب المصطلح عليه ، اخذ بايمانهم فاوقفهم بالباب ، وطوى لهم المسافات التي لا تقطع في الاعمار ، جعلنا الله واياكم ممن شملتهم هذه الرحمة ، واظلتهم هذه المنة ، وايضا اعلموا ان بحر الذنوب قد

طما وكثرت امواجه ، وتراكمت ظلماته ، حتى عجز الخلق عن الخروج منه الا سديقا او اجل منه او من يقارب مقامه ، وما عدا هؤلاء فقد تمكن العجز فيهم عن الخروج من الذنوب ، وان الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لاحد عن الانفصال منها ، فانها تنصب على الناس كالطرر الفزير ، لكن اكثر من مكفرات الذنوب ، واكد ذلك صلاة الفاتح لما اغلق ، فانها لا تترك من الذنوب شاة ولا فاة ، كصلاة التسبيح الواردة في الحديث ، فاوصيكم ونفسي بما اوصانا الله به وامر به من حفظ الحدود ومراعاة الامر والنهي على حسب جهدكم واستطاعتكم ، فان هذا زمن انهدمت فيه قواعد الامر الالهي جملة وتفصيلا ، وانهمك الناس فيما يضرهم دنيا واخرى ، بحيث لا رجوع ولا يقظة لما يرد القلب الى الله ، وللوقوف على حدود الله امرا ونهيا ، ولا طاقة لاحد بتوفية امر الله من كل وجه في هذا الوقت الا لمن لبس حلة المعرفة بالله تعالى او قاربها ، ولكن حيث كان الامر كما ذكر ، ولم يجد العبد مصرفا عما اقامه الله فيه ، فالابقع خير من الاسود كله ، فاتركوا مخالفة امر الله ما استطعتم ، وقوموا بامر الله على حسب الطاقة ، واجعلوا لانفسكم عدة من مكفرات الذنوب في كل يوم وليلة ، وهي امور كثيرة ، اكدتها (الفاتح لما اغلق) كما تقدم ، ومن ذلك المسبغات العشر لمن اتخذها ورذا صباحا ومساء ، ومنها (الفاتح لما اغلق) ، واقلها مائة في الصباح والمساء ، فلا يلحقها في هذا الميدان عمل من اي عامل ، ولا ينتهي الى غايتها اصل من اي آمال ، والسلام .

وكتب ايضا شبه ما تقدم الى شخص يسمى محمد بن القرشي ، واحسبه القائد الاوربكي .

« اخونا في ذات الله تعالى ، خديم الاعتاب الشريفة السيد محمد بن القرشي ادام الله توفيقكم واغناكم عن الناس ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، عن خير مولانا ادام الله نصره ، اما بعد فاعلم ايها الاخ ان بحر الذنوب قد طم وكثرت امواجه وتراكمت ظلماته ، حتى عجز الخلق عن الخروج منه الا سديقا او اجل منه ، او من يقارب مقامه ، ومن عدا هؤلاء فقد تمكن العجز فيهم ، ولا قدرة لاحد على الانفصال عن الذنوب في هذا الزمان ، فانها تنصب على الناس كالطرر الفزير ، فليشتغل العاقل بعد جميع صلاة فرضه بمكفرات الذنوب وليكثر منها ، واكد ذلك صلاة الفاتح لما اغلق ، فانها لا تترك من الذنوب شاة ولا فاة ، وصلاة التسبيح

الواردة في الحديث ، وان كل معصية لابد لها من عقوبة ، عقوبة دنيوية وعقوبة اخروية ، اما العقوبة الدنيوية فلا ترفع عنه الا باحد امرين : الاول اخراج صدقة لله يعدها من مال حلال او كالحلال فيما يرفع بلاء المعصية ، والثاني من الامرين الرجوع الى باب الله بالضراعة والابتغال ، والسذل والانتكاس ، والتضرع بالدعاء بطلب العفو منه سبحانه وتعالى وبطلب رفع بلية تلك الذنوب ، فانها ترفع بسبب ذلك عنه ، واما العقوبة الاخروية فلا ترفع عنه ولا بد منها الا ان يعفو عنه سبحانه وتعالى اما بسبب واما بغير سبب ، واسباب العفو كثيرة ، تطلب في كتب الحديث ، ومما هو من المكفرات ملازمة الانسان كل يوم ثلاث مرات :

« اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ، ورحمتك ارجى عندي من عملي » ،
والذلك تعين على كل عبد ان يسعى فيما يخلص مهجته من النيران بالتوبة الصادقة من ذنوبه ان قدر ، والا فبالاكثار من الذكر وغيره من الاعمال الصالحة كما قال البوصيري :

فتزود التقوى فان لم تستطع فمن الصلاة على النبي تزود
صلى عليه الله ان صلاة من صلى عليه ذخيرة لا تنفد

فان الاعمال الصالحة تخففها او تجعلها مغفورة عملا بقوله تعالى :
« ان الحسنات يذهبن السيئات » الآية ، وبالجمل ، فاكثر ايها الاخ من مكفرات الذنوب راجيا المغفرة ، معتقدا ان الله لا يخيب لك املا ، ولا تقنط ولا تيأس من روح الله (انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون) ، (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) ، هذا وعليكم بالاكثر من الفاتح لما أغلق فانها الكنز الاعظم في هذا الباب ، والسلام ، 6 من جمادى الاولى عام 1327 »

عمدا نوعنا بين آثار الأستاذ المترجم ، فاتينا بثائره الادبية وغيرها ليطلع القارئ على ما امكن من نواحيه المتعددة ، لاننا نعد أنفسنا جانيين على حياته اذا لم نشد الا بناحية واحدة منها واغفال غيرها مع امكان ايضاحها ، والمؤرخ ينبغي ان يكون كالنور الذي يجلي الالوان كما هي ، والا فانه مقعسر ما دام ذلك ممكنا .

ان بين ايدينا رسال له اخرى الى الالفين ليست لها في نظر الاديب تلك النظرة التي يلقبها على ما تقدم من الرسائل الاولى ، ولا للمؤرخ المتبع لحياة المرحوم فيها ما يراه في الاخيرة فطويها .

كبراء اصحابه في الطريقة

للشيخ الحاج الحسين كما ترى مقام محمود في كل ناحية ، فايتمما وجه يخدمه السعد ، ويقتاد راحلته التوفيق ، ولعل اعظم منقبة اشتهر بها اصحابه كونه سببا لانتشار الطريقة التيجانية في كل جوانب سوس ، فاننا نعرف من اصحابه من تقدموا فيها فكانوا اطناها واوتادها وعمدها اليوم ، ومقدمتهم الفقيهان الالفان الاستاذ محمد ابن عبد الله واخوه علي بن عبد الله ، فقد اجازهما في ذلك اجازة محفوظة عند اولادهما اليوم ، ولم يتيسر ان نعرضها على القارئ ومن اصحابه ايضا الفقيه ابراهيم بن محمد بن حسن الطاطائي ، فقد اخذ عنه الحديث والطريقة واجازه فيهما معا - ولعلنا نذكر تلك الاجازة متى تعرضنا لترجمة هذا الفقيه بين الطاطائيين بين تراجم المجددتين - ومنهم الاستاذ محمد بن علي المعروف بـ « ينجي » (وتعريبها الرعد) ، ومنهم العلامة استاذنا الشاعر الطاهر بن محمد الافرائي ، وناهيك في كل وصف من اوصافه ، ومنهم سيدي سعيد بن الطيب الاجماري ناشر هذه الطريقة في ذلك الوادي ، ومنهم الشيخ محمد - فتحا - النظيفي نزيل « رائس » ، فانه من اشياخه الذين اعتمد عليهم في الطريقة وقد قال في ذلك من « ... »

اسم اجازني بها الرباني حسين نجل احمد الافرائي
بسر زخير كرما وعلمنا لله دره ابا وامنا
« ... » من الشبيه والنظير في قطرنا السوسي من غير تكبر
واسه في عالم الاموات وقال لي مالك عندي ياتني
ارب فاحفظه من الشيطان وحزه من انس او من جان

ومن اصحابه الفقيه سيدي ابراهيم من اخني المضا من رسموكة
« ... » ان شاء الله بين اهله المضائيين في هذا القسم نفسه .

ومن اصحابه سيدي الراشي خليفته في زاويته بتيزنيت من بعده ،
« ... » مدكور بشهر عند هارقيه ، توفي ، بعد ان واطب على ذلك زمنا ، في

8-10-1348 هـ ، ومنهم سيدي أحمد بن محمد بن (عربيها الأفرغ) الفقيه الماسي الذي ذكر في عداد العقوبيين ، ومنهم سيدي علي الأيسحي الذي تصدر في هذه الطريقة ، وقد رايت له تأليفا في كرايس حول الشيخ المترجم ، مررت عليه مرورا بلا قراءة ، فلم أدر كيف هو ، وإنما أحسبه لم يوف للشيخ ما يستحقه مقامه ، وأنه معذور في ذلك ، ومن أصحابه أيضا الاستاذ الحاج الأحسن بن أبي جمعة الباعقلي الذي تصدر أخيرا بالبيضاء - يقول أنه من أصحابه ، ولكنني سمعت من استاذنا الثقة الطاهر الأفراني أنكار ذلك - وهناك من أصحابه آخرون منتشرون في الجنوب يحملون الوية تلك الطريقة أعان الله الجميع على ما فيه خير .

وقد كان المترجم يعرف كيف يساير ، حتى أن الذين حاولوا مجادلته كالاستاذ أحمد بن محمد الألياسي الماسي الذي انتقد بعض أمور في الطريقة لم يعد أن أجابه بحوار حسن ، وسيرى القاريء ذلك في (القسم الخامس) في ترجمته ، وكذلك الشيخ ماء العينين إذ وقعت بينه وبينه مرادة ، لأن ماء العينين كان يلقي أورادا عدة من جملتها التيجانية ، وذلك مما لا يقبل عند أصحاب هذه الطريقة لأنهم يرونها أعلى من أن تجتمع مع طريقة أخرى وأنها تشبه مما سواها من الطرق ، ولسعة صدر المترجم لم يعد أن بين للشيخ ماء العينين شروط الطريقة في ذلك ، ولم يتأثرا بما وقع بينهما ، حتى أنه أثبت للشيخ ماء العينين أحسن تأيين لما صلى عليه يوم توفى كما ستري ذلك . ووقع مثل ذلك أيضا بينه وبين الاستاذ محمد بن العربي الادوزي ولكن كل ذلك لم يخرجهم عن وقاره .

« تزيان القلوب »

للشيخ الحاج الحسين الأفراني مؤلفات منها فيما يتعلق بالتصوف كتاب سماه (تزيان القلوب) وقد قرطه شيخنا الاستاذ أبو محمد الطاهر بن محمد الأفراني بقوله :

إذا أضنى الحجا داء الذنوب	فلذ بكتاب (تزيان القلوب)
كتاب حاز من تحرير علم الـ	طريق الأحمدي أوقى نصيب
فنظم من (جواهره) عقودا	أبانت (بغية) الفطن اللبيب
وسدد نحو منكزه (رماحا)	بلبل لوقعها انف المريب (1)

(1) في ذلك تورية بكتب في الطريقة سميت بهذه الأسماء

من الأدب والسر القريب من التحقيق والنصح العجيب يروي كل ذي قلب جديب بلبسة غادة خود لعوب يروق كما تنفس نفح طيب يوشي قدامة وابن الخطيب رمى القرطاس بالسهم المصيب لاهل العصر شبان وشيب بها مسرى شمال أو جنوب أفاض له بدلو بل ذنوب (1) من أحمد صاحب الباع الرحيب وأخلاقا كما الروض الخصيب لجانبه له حكم الوجوب بكنه ثنائيه الفض الرطيب مديح أبي نواس في الخصيب نلاذ به لتفريج الكروب إذا ما اكثرت نوب الخطوب شفاعته لدى اليوم العصيب نسيم صلاة علام الفيوب وكل فتى الى التقوى قريب على قطب الهدى غوث الكئيب به عنا غيابة كل حوب من مشتاق الى لقا حبيب

وقرطه أيضا بعض الالفين ، ولعله الاستاذ علي بن عبد الله ، بقوله :

هكذا لعمري سيد الكتب	فأنه التزيان للقلب
فيه كل ما يتفسي	صاحب قلب بالهدى صب
فيه (الرماح) و (الجواهر) و (الـ	منفعة) يروي الكل في الجيب

(1) التزيان بالفتح : السداد الملائم .

(2) يشير الاستاذ الأفراني الى القصائد الرائعة التي مدح بها أبو نواس الخصيب بن عبد الحميد الحميري الرازي عامل العباسيين على مصر .

ما شئت من أدوية وصلت
أبى على شيخ سوس ومن
نطاسي القلوب يعرف ما
يدعو إلى الله فيقصده
أدامه الله لنا هاديا
بجاه شيخ الكل أحمد شم

من ساد في علمه طب
أنجب من أكابر نجيب
يحبها من حضرة الرب
صديان يقصد إلى العذب
ومنقدا من عمق الجب
س الدين في المشرق والغرب

أحب أن هذه القطعة للاستاذ الذي نسبنا إليه ، وقد نقلتها من
أوراق التيسيتي .

وفاة المترجم

إذا تم شيء بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم

دخلت سنة 1328 هـ . على الشيخ السيد الحاج الحسين ، فوجدته
في شغوف وعظمة ومقام سام إلى الغاية ، وقد وافته السكنى بتيزنيت
فاستراح من التانكرتين ومن مجاذبتهم الجبال ، فأقام في تلك البلدة الطيبة
محترما من كل طبقات الناس ، وكان له أصحاب من الرؤساء كالباشا أحمد
ابن علي الكابا باشا تارودانت ، ورؤساء تيسيت الدين صارت بعد ذلك
الوقت قيادة جانب كبير من سوس إلى السيد محمد بن إبراهيم منهم ،
وامثالهم ممن يتسابقون إلى خدمته بكل ما تتوقف عليه الحياة ، فاستطاب
شيخوخته التي أوفى فيها على الثمانين ، ثم مالت شمس إلى الأفول
اعظم ما كانت اشعاعا واستنارة واشراقا ، فقد ختمت أنفاسه رحمه الله
يوم السبت رابع شوال عام 1328 هـ ، فكانت له جنازة حافلة ، وكان أمام
الصلاة عليه ضيف تيزنيت إذ ذاك الشيخ ماء العينين ، ثم أئنه بخطبة
ارتجالية بين يدي جنازته ، مضمناها الإشادة بقدر الرجل وتنبيه التيزنيتين
على هذه النعمة المعنوية المسبلة على مدينتهم الجديدة حيث ينتابها أعظم
العلماء ساكنين ، ثم يثوون فيها مقبورين ، وكأنه رحمه الله يتكلم حول
نفسه ، لأنه التحق بمن صلى عليه بعد أسابيع قليلة ، وكانت تلك السنة
والسنة التي قبلها مدرجة لعلماء كبار من هذه الجهات فقد رحل الشيخ
أحمد بن عبد الرحمان الجشيني في سنة 1327 هـ ، وفي هذه 1328 رحل

المترجم لهؤلاء الشيخ ماء العينين فالشيخ الحاج علي بن أحمد الألفي ، وذلك
ما حدا شاعر سوس أبا محمد الأفراني إلى أن يقول في مرثيته للشيخ
ماء العينين :

ناه فقد الشيخ أهلة الـ أسلام ماتوا فاستطال الفيهب
نائب المعين وغاضت الأمواه قل لي كيف نبقى بعد ما هي تنضب
ذهب إلى اكتسب الهدى بوجودهم عزا فأصبح خائفا يترقب

كذلك راحت من الشيخ الحاج الحسين غزالة وهاجة في أفق الجنوب
سنوات كثيرة ، وعقبى كل شمس وإن اشرقت أن يكون منتهاها الأفول .

مرثيته :

قال فيه أبو محمد الطاهر الأفراني :

اليك فقد أودى فتى العلم والندى وبدر الهدى الشيخ الحسين بن أحمد
أرى فتوى فرد هو الكل همة وعزا وأقداما وعزما وسوددا (1)
فقل لعفاة المكرمات تحيروا فقد ذهب المعروف وانقشع الندى
وللكتب قرن في القماطر حسرة وللحبر مات الحبر فلتبهدا (2)
والدين والدنيا وكل رئاسة مضى طبك الآسي فصبرا لكل دا
هو البدر لما حاز وصف كماله بهاء رمته بالسرار يد الردى
فتبا لدهر ما رعى إل سيد تآزر بالعلياء والمجد وارثدى
وأنفق في كسب الفضائل جاهدا مدى عمره حتى غدى غاية المدى
وهار من المجد الموثل ما يقى له لو أن مجدا خلد الدهر سيدا
فكم هجر الأوطان في طلب العلا وكم خاض من بحر وكم جاب فدقدا
وكم من هجير صامه متعبدا وكم سحر قد قامه متجهدا
وكم هاس بحر العلم يبغي (جواهر الـ معاني) فحابت به ما ملا اليدا
وجهاد بـ (ترياق القلوب) فلم يدع صدى قلب من قد جاءه يشتكي الصدى
وكم زاد عن ورد الطريقة من قدى رمت به كما تكدرها العدا
وسل القلب يغري هلاسم ذي العنا د فريا ويردى من تعدى والحددا

(1) نوى : هلاك .

(2) الحبر الأولي بالكسر ومعناها المداد ، والثانية بالكسر والفتح : المراد بها العالم
الصالح .

الى ان غدا والحمد لله وردها
وحار ورأى الخلافة فاستوى
الى همة تلو على زحل فلم
وهرة نفس لا تليق قناتها
ورهد واعراض من العرض السدي
وجد وحلم واحتمال وعفة
وخلق كما هب النسيم معطرا
فله منه عالم طالما هدى
وانقد بالعلمين طرا ذوى عمى
وحل عويص المشكلات وقيد الـ
الى ان دعاه الله للفوز بالرضى
فخلف وجدا لا يريم وحيرة
فما رزوه الا كرزء سميء الـ
فلو قبل الموت الفدا لاشتهى جميع
فقدس رب العرش فى الخلد روحه
وهازاه فى الفردوس افضل ما جزى
وارضاه عنا من خزائن فضله
بجاه رسول الله صلى عليه رب
وجاه ابي العباس قطب الوجود شيد
عليه سلام يملأ الكون طيبه

وقال تلميذ له اسمه محمد بن عبد الله - كما نقلته من كناية بعض
اصحابنا - ولا ادري الآن من هو محمد بن عبد الله هذا ، والقصيدة اكبر
مما اوردنا ، وقد اخترنا منها ما يظهر انه مقبول :

كسف البدر فى السما والنجوم
اطلم الليل بالدياجي فاين الـ
اصحیح ان قد توفى شيخى
كان لى والصحاب طرا كظل

قدموع الاجفان طرا سجوم
بدر يا ناظرون اين النجوم
يا لعزن بين الضلوع يدوم
وارف تشقى لدنه السجوم

رئوى فى المعين بين يديه
عسل المجهلات وضع اشكا
ما هو الشيخ قد مضى فمن الها
من يبين لنا المقاصد من ير
يحيا كيف يحمل الشبر طودا
اسم عيون مفتحات به ، كم

من طريقنا عليه نجوم
لا نرانا فى جانبيه نهيم
دي لنا فى طريقنا يستقيم
وي اذا جاءنا الظماء الهيم
كله همة الهدى والمعلوم
مهج اخطيت بما قد تروم

هاتان المراثيتان ما اعرفه فى الشيخ سيدي الحاج الحسين الافرائي
وام نقف للادباء الالفين فيه على شىء ، ولعلمهم رثوه فلم نقف على مراثيهم فيه .

اولاده :

رزق الاستاذ بنات متعدّدات ، تزوجت اثنتان منهن فى تانكرت ، واخرى
عند القائد سعيد المجاطي ، واخرى عند القائد مبارك البيراني ، واخرى عند
الشيخ البركة سيدي احمد بن محمد المزوارى الرسمى كى نزيل تازموت
بهاحية تارودانت ، واخرى فى ماسة ، وهناك اخريات ، اما ذكور اولاده
والهم من السراري ، فأكبرهم سيدي محمد الذي هنا الاستاذ الطاهر
الافرائي والده يوم ولادته بقوله :

هنا بنجم زار افقك يا بدر
وقد بعد ما عالت رسوم العلا الى
فارت به عين السيادة واشتفت
وامت شوادي السعد تشدو خطيبة
وايد الى من بعد ما قد تشوقت
فما فاجاب الله جل جلاله
فما ايها البحر الخضم ومن به
بدر ، وذلك النجل حتى يقال فى
ولا رالت الدنيا وانت امامها
ولا زال كل الكون يشي لسانه

تضىء به الآمال ما بقي الدهر
عفاء فدام الانس واتصل البشر
صدور الهدى واهتز انسا به الفخر
تقول هنيئا قد بدا الولد البر
اليه العلا شوقا يضيق به الصدر
دعاهما كما شاءت ، له الحمد والشكر
يزان اذا ما حبر النظم والنثر
كما لكما شمس الظهيرة والبدر
توايك برا لا يحيط به حصر
عليك كما يشي على الوايل الزهر

فما هذا الاستاذ ابو الحسن علي بن عبد الله الافري باخرى هي :

هبت يا شيخ المشايخ بالتقى
وبكر كل فضيلة ومزية
وبهر أمته وبحر زاخر
وبقية العجلان والندب الذي
وبقرة العين النجيب محمد
ان كان زهرا ناضرا فمقره الر
او كان عينا فهو عين العلم او
او كان درا فهو من بحر التقى
ابقاك من ارقاك اوج سيادة
حتى تعابنه بعين مهابة
وترى الزمان واهله في خدمة
باجل خير الخلق صلى ربه
وعلى مجادة عاله الشم الذرى

وبني على اعلام علم مرتقى
وبطل السر المسون الملقى
بنهس علم والعلا متدفق
لغو لغزه وجوه السبق
مضى المجادة والكمال المونق
وض الاريض وفصن ايك مورق
بدرا ففي برج السيادة يرتقى
او كان بدرا فهو من افق رقى
يا عون عان عفو عان مملق
من جمع اخوته الكرام اللحق
لواء نعمته كمولى معتق
ازكى الصلاة عليه ما دهر بقى
وعلى صحابته الكرام الصدق

وكان سيدي محمد هذا قد التحق بالاستاذ سيدي الطاهر يأخذ عنه
ومن ولده سيدي محمد، ولكن لم يتمش كثيرا في معلوماته، ثم رجع الى دار
ابيه فوجد من الاحترام ما قد يفتر به امثاله، ثم لم تزل به بركة والده الى ان
استقام فكان عميد زاوية والده في تزيت ولم يزل على ذلك الى ان توفي يوم
السبت سادس عشر من صفر الخير عام ثمانية وستين وثلاثمائة
والف (1358 هـ).

قال فيه المؤرخ ابن الحبيب السكراي فيه :

« ومنهم الفقيه العلامة المرشد المقدم المفيد ابو عبد الله سدي محمد بن
الحاج الحسين الافراني، جلس على كرسي ابيه في التعظيم والوقار،
وصادق المحبة والوداد للناس كافة، مع رسوخ قدمه في الطريقة التيجانية،
احد فضلائها، ذا جد واجتهاد في سلوك طريقة الرشاد، سخي كريم مقبل
على شأنه تارك ما لا يعنيه ».

ثم اخوه احمد الذي كان رفيقنا بمدرسة تانكرت ما شاء الله، الا انه
ايضا لم يتمش كثيرا، وكان من الغلب الناس اخلاقا ومعاشرة، ثم ان الباشا
الحاج التهامي الاكلوي صاحبه معه لما كان في تزيت عام 1335 هـ الى مراکش

على لية ان يستلم تعلمه في مدرسة الخليج، لهر ان ذلك لم يقدر له، ثم خالط
لباشا تانكرت الرؤساء وصار يحضر مجالس انهم فجره السيل في مجر
البطالة والملاذات ما شاء الله، الا انه يحافظ على صلاته وعلى ورد والده
كثيرا ما يزورني بمراكش فيجديني مقمورا بالدروس فيقول لي هنيئا لك
ما انعم الله به عليك، واما انا ففي حماة، ثم يحكي متأسفا ما يراه من اولئك
الرؤساء، وكان من اجود الناس، لا يبقى ولا يذر، فلا يزال محتاجا، مع
ان اولئك الرؤساء يعينونه دائما، وله صحبة مع الباشا الحاج التهامي
الاكلوي فمن دونه كثال الحاجي من الشياظمة، ووال قائد تكانفة،
والوريكين، ثم تزوج في مراکش، وكانت له جولات مع القائد محمد بن
ابراهيم التيوتي، الى ان عزل الحاج حماد بن حيدة بن ميس عن باشوية
تارودانت على يد القبطان الفرنسي بوركينتون، ثم لما مات اخوه محمد
انقل الى تيزيت حيث استقر، وتحسنت سيرته الى ان توفي منذ
سنتين.

قال المؤرخ علي بن الحبيب السكراي في حقه :

« ومنهم اخوه الفاضل والسيد الكامل ابو العباس سيدي احمد بن
الحاج الحسين الافراني، لما ترعرع تحول الى مراکش واقام بها :

ان الكريم اذا اقام ببلدة سأل النصار بها وقام الماء

ثم اخوهما الاديب السيد محمد الحبيب، قد قدر الله له من بين
اخوته ان يضم الى ما ورثه عن والده من مكانة سامية متوارثة ما لا يقل
ما سموا مما اكتسبه بالنزوح للحواضر ومخالطة افاضلها، فقد تمكن
من اللغة العربية واطلع على ادابها، والم باللغة الفرنسية، فمن اجل ذلك،
من اجل ما هو مطبوع عليه من حسن الخلق وخفة الروح واليقظ وصفاء
الطوية والنظر البعيد الصائب، استطاع ان يجعل لنفسه مكانة في الحواضر،
اذ استطاع ان يكون مسيرا للناحية الداخلية في معهد جسوس الذي اسسه
السيد الحاج احمد بلالافريج بالرباط، فسيره على احسن ما يكون مما
يرطلبه المدارس العصرية بنظام وحزم وصرامة واستقامة، الى ان كانت
حوادث سنة 1937 م التي اعتقل فيها السيد الحاج احمد بلالافريج وغيره
من الوطنيين ونفي الى كورسيكا فاحتل الجند الفرنسي المدرسة، فخرجوا

منها السيد محمد الحبيب بعد ما ناله منهم ما لا يد منه لامشاله من الاهانة في تلك المواقف ، فانتقل الى الدار البيضاء ، فتيسر له ان يشتغل فيها بالتجارة ما شاء الله ، وكان فيها من الاريحية وحسن الخلق والنشاط كما كان في المدرسة . حتى اذا خلت دار والده من اكابر اخوته انشغل اليها فعمرها . ولما من الله على المغرب بالاستقلال وعاد معهد جسوس نشاطه من جديد ، كان من اول من فكر المعهد في استرجاعه ، فاستقدم من تيزنيت لهذا الغرض وما يزال هناك الى الآن 1379 هـ ، اعانه الله ووفقه .

قوله المؤرخ ابن الحبيب فيه :

« ومنهم اخوه قطب الدائرة ، وعليه مدار فلك الفضل وبه الامثال السائرة ، الفقيه الاجل ، العالم الامثل ، سيدي محمد الحبيب بن الحاج الحسين الافراني ، صدر الاسرار ، ومركز دائرة الفضل في تلك الاقطار ، لم يفتخر بشأبائه ، ولم يبتهج بنضارة اصله ونمائه ، اذا نسج حلله على منوالها فهو من الطراز الاول ، او نظم الشعر فهو مهلهل ، ولم يزل مقيما برباط الفتحة وقد امتطى فيه ظهر المجد ، ونزل فيه ببطن تهامة ونجد واوى لها حيث لا عاصم اليوم من الخطوب ، الا ذلك الحصن المحبوب ، (1) ولا زال به يدرس دروسه ، ويحطب في حباله بطبع الذ من محادثة الحبيب ، واعذب من مفاكة الصديق الاريب ، فلم تزل السعود في خدمته قائمة ، ويعيون النوايب عن معاليه نائمة .

اشرب هنيئا ان فهمت حديثنا انت الكليم وذلك الميقات

اقوال المؤرخين فيه :

قوله الرفاكي في المترجم سيدي الحاج الحسين الافراني :

اذا كنت ايها القارئ لهذه الترجمة التي سنحت من قلم من لم يعرف الاستاذ ولم يعاشره ، وانما كان معتمده على ما تلقفه من الالسنه ، والتقطه من بين الاحاديث ، فلذلك ترجمته ممن عرفه حق المعرفة وعاصره ، وهو مع

(1) يظن ان من في الرباط ناج من احوال الاستعمار التي اجتاحت المغرب كله حتى وصلت الى امثال هؤلاء في مخاباتهم في الاكواخ والقصور السوسية ، مع انهم ربما كان من في المدن اكثر تصورا بها من غيرهم ، خصوصا من كان في انشاس الوطنية كالسيد محمد الحبيب

ذلك مولع بالقضاء الحقائق مكشوفة كما هي لا يرحم احدا ، ولا يبالي بالمجاملات والمداريات ، فاسخ اليه لعلك تجد في كلامه ما يؤيد ما ذهبنا اليه ، بل ربما انسي بما لم نلم به ، قال :

« ومنهم شيخ الطريقة الشيجانية ، المربي بالمنح الصمدانية ، الشيخ الفقيه ، المحدث النبيه ، الراوية المسند ، الثقة المرشد ، المفتي الحكم ، الشايط الناطق بالحكم ، النسابة الذي يحق له اللقاء ، والبحر الذي لا تكدره الدلاء ، معظم الشرفاء ، المعدود من الظرفاء ، سيدي الحاج الحسين الامراني ، الذي ليس له في الكرم ثاني ، مجلسه روض ذو ازهار ، وحديثه اسهى من ضرب الانوار (1) ، لا يمله جليسه ، ولا يستثقل فكاهته انيسه ، يطلع الغدو والاصيل ، بمجالسة كل فاضل جليل ، لا يخلو من عالم يوضح الحلك ، او صالح يحتلب منه الحشك (2) ، ايامه من غفلات الدهر مختلصات ، وانتظام فيها شمل طالما منى بالشتات ، سوقه ممتلىء بالافاضل ، يملئون الحقب بالفضائل والفواضل ، الى كتب غريبة ، وانتقال مصيبة ، الا ان الدهر المانت ازاله من مقره ، واحاله عن محل نفره ، اكلت داره بافران ، ومزق ما فيها مما لا تعد له اثمان ، فاخذ في مدينة (تيزنيت) المقر ، وبها بنى رايته واستقر ، وحاله ينشد ، بقلب حرد :

اسألني عن مزعجي عن وطني ما ضاق بي جنباه ولا نبا
لست القضاء مالك امر الفتى من حيث لا يدري ومن حيث درى
لا تسألني واسأل المقدار هل يعصم منه وزر او مدرى
لا بد ان يلقي امرؤ ما خطه ذو العرش ، مما هو لاق ، ووحى

بينه وبين سيدي محمد بن العربي الادوزي منافسة ، قال فيه الحاج الحسين (ان ابن العربي لمن حكّمه كتيست (تعريبها العنكبوت) اذا صادت ذبابا ، فانها تاكل كل ما في جوفه) ، وقال الحاج الحسين (ان الحاج الحسين من قال الله فيهم : ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ، ولم تكن طاعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين) وهذا مثل قول ابي زيد الجشتيمي في التيفينجيد شتي :

(1) الشرب بطح الراد : العسل ، ومعروف انه من الاسوار .
(2) الحشك حشرة : حشرة الدرة في الشرع او سوسة نجيده .

يا من يرد في الناس اداس كثر لابي

مقامه عند الاله اميري

(يعني يا من يريد من الناس ان يرحلوا له ، ان مقامه عند الله صغير) .

فقال فيه التيمجيدشتي :

يا من يرد في الناس اداس احكم

مقامه عند الاله اميري

(اي من يريد من الناس ان يحكم لهم ، مقامه عند الاله صغير)

او كما قال ، لقد طال عهدي به ، وهذا من باب (من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) رحم الله الجميع وسامحه ، فكلهم على هدى من ربهم ، ومع ذلك فنعم الله على صاحب الترجمة تتري ، اينما حل فعليه تطرا ، تاتيه الوفود من كل وجهة ، من فاس ان تنظر وجهه ، فيعطي لكل زائر حقه ، ويمده بما يملأ حقه ، ولو انه احتل بين الفرقدين ، لادى للمساكين ما له عليهم فضلا من الدين ، مائدة الله في ارضه ، ومقر الاضياف في طولته وعرضه ، لا ملك له على الحقيقة ، وانما يفرق للنزال المفروض سكره ودقيقه ، وعلى ذلك استمر اعوام ، الى ان اتاه ملك الختام ، فناداه على رؤوس الاعيان ، فاجاب النداء من غير توان ، فترك الاكباد في احتراق ، والانصار لا فتراق ، فانفض الجمع الذي لا يخال ينفض ، وانحل سلك فرائده ومجلسه اقتض ، ولم يعقب الا من عمره بالبرابط (1) ، وبكاه الشريف والمرباط ، ولا يعقب الجمرة الا الرماد ، ولا التفاق الا الكساد ، ولا النوم الا السهاد ، ولا سيما اولاد الاموان (2) ، فمضاطيس السواد يجرهم للهوان ، والناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ، قضى نحبه ، واجاب ربه ، في الرابع من شوال ، ودفن بعد الزوال ، يوم السبت ، الدال على السبت ، عام 1328 هـ ، وصلى عليه الشيخ ماء العينين ، ودعاه لمجرد صلاته عليه للحين ، فلبث بعده الى الثاني والعشرين من شوال ، فحضر الدعوة عند الكبير المتعال :

يا صاحبي لا تفرر بتنعم
واذا حملت الى القبور جنازة
فاعلم بانك بعدها محمول
فالعمر ينفد والنعم يزول

(1) جمع بربط : مود الطرب
(2) من جموع كلمة امه .

فمن المسلمون عليهما في البكاء ، وايقنوا جميعا ان لا منجى من الفناء ،
فانكسرت الرايا على المسلمين في هذا العام ، وانكسرت شمس الاعلام ، وانقض
البحر والظلام ، فراح رحمه الله على شيخ الجماعة سيدي العربي الادوزي ،
المعروف بابي العباس الجشتي ، ثم انتقل لفاس ، فاخذ عن علمائها ، وسلب
الاثر من سيدي محمد بن احمد اكنسوس المراكشي وعليه عمدته ، قال له
بعض اصحابه ان هذا السكر فيه اتلاف المال ، فلو اقتصرت على شربه مرتين
في الاسبوع ، فقال له : ان الله عودني التفضل علي ، وعودته التفضل
علي من لجا الي ، فخفضت ان قطعت العادة ، قطع عني المادة ، وأصل هذا الكلام
ابن الله بن جعفر رحم الله الجميع بمنه ویمنه ، الى ان قال : فلما مات ابي
رحمه الله عليه في ذي القعدة عام 1326 هـ ، عزاني الشيخ الافراني برسالة طير
بها من القلب زناير الهموم ، وفض عنه الغموم ، فكلامه اكسير الفرح ، ونور
الهدى ، وجوب الشرح ، فنبه القلب من رقدته ، وانقذه من غمائم غفلته ، وابى
رحمه الله من جملة احبابه ، يعده من اصحاب ركابه ، وان كان حزبه مفارقا
لغيره ، بحيث لا يعده من سربه ، فكتبت اليه هذه الابيات ، والقلب
في الغيتات :

يا سيدي حسين ان حبك ذاهب
والدمع له مستمطرا من ربه
لا تسبه وقت الانابة في الدعا
الذي منيته وحبوته
فلا اذك كنت خديته وعريفه
فمنه وشكاته تصفى لها
عذبة الرحمة حياته ان قطع
والفلس بل منى اليقين بانكم
مرسلي وازلت شجوى يا لها
لم اقرا من احد سواك نفائة
فمرارك مولانا العفى فمرركم
تلقاه يوم العرض والحبان
اتحافه بالعفو والفقران
لينال امنة ضفطة القبران
بالبشر والاعطاء والاحسان
وقرينه في النوم واليقظان
اصفاء من سادوا من الذكران
تها في المات ففاية الخسران
لا تبخلوا بالروح والدمعان
من منة تتلى على الازمان
انفى بها ما حل في القلبان
يشفى ، اطالك ربنا العمران

ذلك ما ذكره عنه الرفاعي ، وقد نقلنا كلامه كما هو بالفاظه (وجموعه)
قولة المؤرخ علي بن العفيف السكراوي فيه :

« ومنهم شيخ الاسلام ، وعلم الاعلام ، صاحب الرياضيات ، المتبحر عليه في سائر العبادات ، من تظاهرات الآيات والاخبار ، وتواتر الآثار ، وتطابق الدلائل الصريحة ، وتوافقت على فضله الالفة الفسيحة ، الفقيه الامام ، والشيخ الهمام ، مربى المريدين ، وتاج العارفين ، قطب زمانه ، وواحد اوانه ، الشريف سيدنا ومولانا الحاج الحسين ابن سيدنا ومولانا الحاج احمد ابن سيدنا ومولانا الحاج بلقاسم الافراني قدس سره ، قد جمع الله في هذا السيد مجامع السعادة ، العلم والدين والعقل والادب وحسن السمعة والتودد الى الناس ورفع الكلفة عنهم ، ولاشك انه من وراث الشريعة وحملة احكامها يعلمها الناس ، وبه وصل الواصلون الى الله تعالى ، ولي الله على الحقيقة ، وحرمة محفوظة عند الخليقة ، اعلم الناس وافضلهم ، اعز الله به مقام الدين في القطر السوسي وشيد به اركان الملة المحمدية الاحمدية ، وجمع الله به وبانجالة وراثته شمل الدين ، وارشد به اهل الفلاح واليقين ، امد الله روحه بفيوضات رضاه ، وبمشاهدة وجه مولاه ، هذا السيد رحمه الله ورضى عنه ، مناقبه ومعاليه ومزاياه اشهر من قفا نيكى ، واعين المعاهد بوطنه تبكى ، اذ هو الدرة المكنونة في الجيوب ، ومفناطيس القلوب ، مروى حيازم القدوم ، حتى طاوخته المعاني والفهوم ، واني وان لم ارو من مزن علمه الهتان ، فان الاذن تعشق قبل الاذن في بعض الاحيان ، المكين حقا ، المحسن للمعاني دقا ، فاننا نستمطر من بحر جوده حلوة فضفاضة ، وشربة مفاضة ، ادركناه وعاصرناه وفاوضناه في بعض المسائل العلمية ، ونحن في ذلك الوقت بصدد العلم مشغولون ، وبتيقيد اوابده متهيثون ، حتى فاتنا الري من معين اسراره ، مباشرة وان لم يفتنا والحمد لله من ورائه وانصاره .

كان اماما في الفقه والتفسير والحديث ، متبحرا في العلوم النقلية والعقلية ، ادبه حدث عن البحر ولا حرج ، وله تصانيف منها المؤلف المشهور (ترياق القلوب) ، كتاب جليل في مجلدين في التصوف ، و (الخواتم الذهبية) في سفر ، وشرح عجيب لقصيدته التي رد بها على المنتقد الماسي ، وكان رحمه الله عالما باللغة والاصول والانساب ، صبورا جوادا ، بلغ في الجود غاية المدي ، عارفا بالله ، حاملا للواء النور الاحمدي التيجاني ، اذ هو رضي الله عنه من خاصة اولياء الله الكبار ، واصفيائه الابرار ، وجدير بمن ردد اخباره ، واستمع آراءه ، ان يدخل دبره ، وينال بره ، والتعلق

بأهل الله ، والانحياس اليهم تعلق بجناب الله ، فاخبارهم وسيرهم هدى ونور ، وشفاء لما في الصدور ، ودواء للقلوب ، وجلاء للكروب ، اذ هم اسحاب النبي صلى الله عليه وسلم الصحبة المعنوية ، ومعجزاته الباقية ، افنى عمره في طاعة الله ، وحج بيت الله الحرام ثلاث حجج .

ومن مناقبه القريبة رضي الله عنه معرفة اسم الله العظيم الاعظم الاطن الخاص بالمحبوبين من اوليائه الكبار ، وقد اخبرني بعض العلماء من خاصته انه استفاد منه انه تحصل له المشاهدة لذات عين الرحمة صلى الله عليه وسلم يقظة ، وغير مستغرب في هذا الزمان ان يهب الله لاسحاب القطب المكتوم مع قليل من العمل ما لا يدركه غيرهم مع كثرة الاجتهاد لانها طريقة الفضل .

وما هو الا البحر بالسر قد جرى
احاط بأسرار المعارف كلها
« هاز من العرفان كل لطيفة
اه نظرة يشفى بها كل معضل
ومهما تبدي بين قوم بمحفل
له تخضع الهام العظام مهابة
اذا ذكر الحكام بالعدل في الوري
فما شب لم يعدل عن الحق والتقى
« بين يديه في العلا نشرت له
ولو ان ما يأتي ببعض مديحه
« انسي عن ايفاء مدح جنابه
وحسب اعتذاري عنه بالعجز دائما
وفي كل روح في الوري ينث السرا
فصار يرى من بين اهل الهدى بحرا
فاضح لنا في كل داج يرى بدرا
وعن كل قلب بالهدى يكشف الضرا
تراهم كأن الطير في رأسهم قرا
وان يره ليث طفى في وغى فرا
لعمر ك تلفيه هو الآية الكبرى
ولم يقض الا بالهدى للورى طرا
من العدل رايات تقلده الفخرا
وابدى من المدح المحالات ما اطرى
ارى عاجزا لا استطيع له حصرا
وظني فيه انه يقبل العذرا

وقائعه مع شيخه السائحى لا يحاط بها كثرة ، فانظر مناقبه فقد جمعها تلميذه البركة ، المحمود في السكون والحركة ، الفقيه علي بن احمد الاساجي امتع الله به وجعل النفع بعلمه وادبه ترى العجب العجيب .

والفران قبيلة واحة قديمة ، يقال ان وادي الفران هو قبل زمن موسى عليه السلام ، والمترجم رضي الله عنه الشريف النقيب ، افرانسي

الشيخ ماء العينين الصحراوي

17 - 8 - 1246 هـ = ليلة 21 - 10 - 1328 هـ

سبب:

ماء العينين بن قاضل بن مامين بن الجيه ، الى آخر سلسلة النسب المألوفة .

هذا الشيخ من الشيوخ العظام الذين تمت لهم شهرة فائقة عظيمة من سنة 1270 هـ . فقد اسعده الحظ فنال ما ربما اذا سمعه من لا يعرفه من سفره او بعده من البهتان ، وشهرته تتركز على اربعة امور بل خمسة . اولها . ان ذلك وراثة عن ابائه الشم الفطريف الذين تسلسل فيهم العلم والسلاح ابا عن جد ، منذ اجيال متعددة . ولا شك ان الاحفاد العظاميين اذا ما افلقوا على اسس الاجداد فبنوا عليها فان بناءهم يكون امتن واشرف من ماء غيرهم من العصاميين .

ابن السري اذا سرا قبنفسه وابن السري اذا سرا اسراهما لان من كان عصاميا عظاميا لا يمكن ان يساويه من كان عصاميا فقط ، وثانيهما انه ادرك من المشاركة في العلوم ادراكا عظيما تدل عليه تاليفه التي ما غادرت علما من العلوم الا اقتبست منه حديثا وتفسيرا وعريية واصولا وبيانا . والى التصوف الذي هو عش ذلك البيت ، فعليه تأسس من اول يوم ، وبه السخر بناؤه . ولا اقرب من الشهرة للعلماء المشاركين الذين نفلوا في العلوم ، متى واتاهم الحظ واسعدهم الدهر . وثالثها انه شيخ من شيوخ الصوفية الذين لهم يد عليا في ذلك الفن علما وعملا ، ولا ادل على ذلك من ذلك الحجم الفخير الذين تعلموا له من فطاهل الصوفية والعلماء الكبار من الصحراويين فقد بلغ اخيرا من حلقوا حوله في (السمارة) عشرة آلاف بين ذكور واناث . يتدارسون العلوم ، ويعمرون الاوقات بالاذكار مع حصول

الدار ، وبها ولد عام ثمانية واربعين ومائتين والف ، وولاه يوم السبت الرابع من شوال عام ثمانية وعشرين وللاعماله والف .

وكان رحمه الله كثيرا ما يكتب في اول رسالته لبمض احبته هديتين البيت :

ماذا ترى في محب ما ذكرت له الا بكى او شكى او حن طربا
يرى خيالك في الماء الزلال اذا رام الشراب فيروى وهو ما شربا (1)

وقد زار الاديب سيدي محمد سيداتي زاويته فانشد عند ضريحه ، وهو غير سيداتي برودانة :

حلت بمشواك المحل الا رفعا زاوية فيها الكمال تجمعها
حسنتها حيا وميتا ايها ال ندب الحسين بما شذاه تضوعا
بالعلم والتقوى وحب المصطفى ولحب آل المصطفى كنت الوعا
بالعلم والايثار تفبط دائما وببذل حكمتكم وحكمكم معا
وخصصت من سر التيجاني بالذي يخفى وبالنور المبين تشعشعا
بالله يا اهل المكارم والعللا منوا على من جاءكم مستشفعا

وقال الفقيه سيدي محمد بن عبد الله الالفي يصف تيزنيت ، ويضمن قوله وجود المترجم (2) فيها :

انظر الى تيزنيت في قاعها كأنها الجوزاء وسط السما
كيف وحسن حسين حفاها وملك سوسنا بها قد سما

ذلك ما تيسر لنا في ترجمة هذا الشيخ الجليل ، العلامة النبيل ، سيدي الحاج الحسين الافراني ، الذي غرب ذكره وشرق ، واتهم واعرق ، واستولى مقامه على السبع الطباق ، وهو بعد ذلك ما زال ينشد بلسان الحال :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرنا

- (1) من قصيدة لابن سهل
 - (2) توفي محمد الالفي قبل ان ينزل المترجم في تيزنيت ، والقصود المعروف هو الحسن الملاك بانيها . وهكذا البيت الموزون :
- كيف وحسن حسين حفاها وملك سوسنا به قد سما

النفع التام لهم به . وكل من احسنت له علماء قطره هماماتهم من اشباح الصوفية فانه ظافر وراء ذلك باستتباع الدهماء التي لا تعرف غالبا الا تقليد الجم الفقير من العلماء ، ومتى سالت الاباطح بالخاصة والعامة الى انسان فان هناك من الشهرة الطنانة ما يملأ الخافقين ، ويفر السامع . ورابعها انه اتصل من قديم بملوك المغرب فكان يفد عليهم باصحابه من الصحراء ، فقد وفد على مولاي عبد الرحمن سنة 1274 هـ في طريقه الى الحج فمولاي محمد بن عبد الرحمن ، فمولاي الحسن ، فمولاي عبد العزيز فمولاي عبد الحفيظ اخيرا ، فكان يصدر عن تجلة عظيمة واکرام لا نهاية له ، خصوصا في الدولة العزيرية ايام الوزير احمد بن موسى ، فكانت الدولة تهتز له متى ورد الى المغرب . والناس اتباع الملوك ، واصداء لاصواتهم ، فمن تقرب اليه الملوك شبرا تقرب اليه الناس باعاً . ومن كانت اليه منهم لفقة ترى الرعية تكاد تسجد لجهته ، فقد كان السلطان مولاي الحسن منذ لفت وجهته السياسية الى الصحراء يوالي عليه الاعانات التي لا انقطاع لها ، ويقصد بذلك ما يقصده السياسيون في امثال تلك الاحترامات ، ثم جاء احمد بن موسى فوصلت درجة احترام ماء العينين في الحكومة بسببه الى مقام لا مزيد عليه ، وبكفيك ان السفن المغربية تتوالى الى الطرفاء اعانة للشيخ بالحبوب وبالكسا الفاخرة وبكل ما يكتسى به كل من مع الشيخ ، حتى انهم كلهم يتمخطون لا في الكتان فقط بل وفي الملف ايضا وفي الثياب العليا . واما اذا توجه بركابه الى مراكش فان المغرب يقوم ويقعد في الاحتفالات به . بايعاز من الحكومة وبغير ايعاز منها . فان للرجل مكانة مكيئة في القلوب كلها قلوب الخاصة والعامة . لدينه وعلمه وشرفه وسنه . حتى اذا اطل على الحمراء تركب الحكومة عن اخرها لملاقاته . ثم يتسابق الناس في الاهداء اليه . كما تتسابق الشريفات من دار المخزن للفوز بفصل ثوب من ثيابه تبركا . واما احمد الوزير فانه يظل قائما على رأسه اعتقادا له حسنا في الشيخ . ثم لا يرد له طلبه قدمها اليه . فهذا الامر الرابع اجل الامور التي اشتهر بها الشيخ ماء العينين تلك الشهرة الغربية . حتى صار من انقطعوا اليه من المريدين الافا كما قاله الامين الشنكيطي في مؤلفه (الوسيط) ، وخامسها تطاول سنه وتعميره عقودا كثيرة من السنين . ومجده مطرد . وحظه في ازدياد ، ودهره يتقرب اليه في مطلع شمس كل يوم بحظوة جديدة . مع كرمه الجم وزهده في الاقتناء . الا ما كان من الكتب فان له نهما غريبا في تحصيلها . والشيخ ممدوح كثيرا من الصحراويين ومن

الحضريين الفاسيين فمن دولهم . وقد جمع الشيخ النعمة في مجلدين (1) هذه الامداد من زهاء 520 شاعر فبهذه الامور الخمسة التي تالت للشيخ ماء العينين طارت له تلك الشهرة الهائلة في اواسط المغرب كله ثم لما اختتم عمره بالهجرة امام المحتلين الى سوس . كان ذلك كطفرة اخرى في ميدان شهرته . ولكنه ما كاد يتنفس من الجنوب بمغادرته للصحراء . حتى صدمته تلك الصدمة في بسيط تادلة وهو متوجه الى حضرة مولاي عبد الحفيظ . فردته الصدمة رغم انفه . ولم يجد طريقا يجتاز فيه الى فاس . كما لم يجد ايضا طريقا يرجع فيه الى الحمراء . فاضطر ان يركب متن الاطلس ، وان يقطعه عرضا حتى نزل برأس الوادي الى مثواه بتزيت . بعد ما صالح بين قبائل هشتوكة . فهكذا ابى الله الا ان يرى في آخر عمره ما يعرف به ان الدهر قلب . وان حظه حول . وان الله ما رفع شيئا الا وضعه . سنة الله التي لا تبدل . امضى رضي الله عنه حياته كلها في العلم وفي تدريسه والتأليف في عالم الفنون حتى نظم (الزهر) وحتى تعالى الى جميع ما اتفق عليه الفقهاء فانتشرت به علوم جملة . وتخرج به فطاحل عظام من الصحراويين . وتجمعت له اعظم خزانة صحراوية فكان مثواه المتنقل في الصحراء مدرسة حافلة ، وزاوية متنقلة . لها دوي بالذكر يسمع من بعيد كما لعلمائها اشتغال بالمباحثة في العلوم ، تتعطر به السنة المحدثين ، وتطير به الركبان ، فلولا ان الله اعقب بالشتات ذلك الجمع العظيم من اصحابه ، وتلك الخزانة الهائلة التي يصاحبها معه في تنقلاته لكان لذلك تأثير عظيم بعده . ولكن هبت السياسة باعصارها الصداق على كل ذلك فنسفته فصار هباء منثورا . ونعوذ بالله من ساس يسوس سياسة ، كما يقول الاستاذ الامام محمد عبده . حدثني الباشا ادريس منو قال ورد مرة الشيخ ماء العينين الى الحمراء في الدولة العزيرية . فلقى بترحيب عظيم ، واکرام نادر ، وقد اهدى اليه كل من يجول في الحكومة من اصفر عون الى السلطان الاعلى كل بمقداره ، لان للناس فيه من الاعتقاد ما لا يكيف ، ومن لم يقدر الا على الحمالة التي يتقلد بها . فانه ينزعها من عاتقه فيزور بها منه . والاعراب اصحابه ينشرون بلا حد كرامات كنا اذ ذاك نصدقها كلها ، فيزداد الشيخ في عيننا تقديسا (اقول) . في تلك المرة شفيع في الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني فسرح من الحمراء بعد نكبته المعلومة بعد استنطاقه بين يدي العلماء حتى تاب فجاء الشيخ ماء العينين فكانت يده هي التي سرحته

(1) يوجد ذلك كله في الخزانة العامة بالرباط .

الى فاس . وفي تلك المرة ايضا تعرض له في الطريق رؤساء القبيلة السباهيم ، فاستشفعوا به ان يطلق الوزير احمد بن موسى اخاهم الفقيه محمد بن ابراهيم السباعي ، حكى لي صاحبنا ابن القائد محمد بن بلاذ الرحمانسي قال كنت اذ ذاك مسجوناً مع السباعي فدخل ولده مولاي احمد الى السجن ، فارسل الي فبشرني بان الشيخ ماء العينين شفع في الفقيه . فدخلت ابشر الفقيه بذلك فطلبت منه ان يرسل تحية الى ماء العينين يشكره على ما قام به . فثار في وجهي فقال لا والله لا اشكر الا الله وحده فافاض علي بالتقريع على حثه لشكر غير الله . حتى ندمت على ما قلت له ، ثم ان السباعي لم يطلق الا بعد سفر ماء العينين ، لان احمد قال له ان من السياسة تأخير اطلاقه الى ان تذهب ، والا فان الناس سيكبون عليك في الاستشفاع حتى يتجاوزوا الحد .

وحدثني الباشا منو ايضا قال رجع الشيخ ماء العينين الى مراكش ايضا حين كان مولاي عبد الحفيظ خليفة اخيه هناك فوجدنا هبت علينا نسمات من الحياة الجديدة العصرية . وقد تزلزلت اعتقاداتنا فيه وفي امثاله . وقد بدأت اعيننا تتفتح فكنا نتبع آثاره بالانتقاد ، فانفتح لنا ما كان مغلقا بالاعتقاد . وكان معنا بعض الشنكيطين كالشيخ محمد الخضري ، فهم الذين يخبون في ذلك ويضعون ، ومن جملة ما اثاروه انه يصلي قبل غروب الشفق . فراقبنا ذلك حتى صبح عندنا . (قلت) ان صلاة الشيخ ماء العينين العشاء قبل غيبوبة الشفق امر مشهور عنه . وقد رايت في ذلك تأليفا او تأليفين ، وذلك امر معلوم حكمه في الفقه لا نطيل به . قال الباشا ومن الشنكيطين عالم ورع الى الغاية لم اعده يرسل لسانه في احد . يسمى محمداً الاغصف وهو من الذين يصاحبهم الخليفة مولاي عبد الحفيظ ، ويؤلفون له ويذاكرهم في مجالسه العلمية ، وحين اكثر الناس في انتقاد الشيخ ماء العينين ، اقبلت اسائله عن احواله . فاشار الي ان اشتغل بذات نفسي . وان اضع رجائي في الله وحده . ولم يعد ان لوئح لي ، ولم يصرح ، بعد ان امرني ان لا اذكر ما افضى به الي لاحد ايا كان . ثم مر في تلك المرة حتى لاقى السلطان فرجع ، وذلك قبل ان ينتقل الى سوس وفي احدى هذه المرات حوالي 1314 هـ نزل امام المدرسة البونعمانية فأخذ عنه العلامة ابن مسعود . ولكنه اعرض عن ورده بعد حين . قائلا لم اجد فيه ما انطلبه من الدوق الصوفي العالي . الا ما كان من القناعة باقل طعام .

هنا ما ادركته منه . والواقع انه لم يقدر له الفتح على يده . والا فانه من اعظم المشايخ رضي الله عنه . وكانت الحكومة اقامت للشيخ زاوية في الطلعة بفاس حسنة انقطع اليها زمنا الشيخ احمد الشمس حتى انتقل الى الحجاز حيث فاضت نفسه . كما اقامت له اخرى في رياض الزيتون ويوجد هناك امام دار ابن داود ضريح لاحد اولاد الشيخ شيدته الحكومة . وهناك اخرى في مكناس ردتها حكومة الاحتلال مركز البريد في المدينة القديمة في (دار السمن) . كما توجد ايضا كتب مطبوعة على نفقة الحكومة بفاس . وكل ذلك في ايام احمد بن موسى الذي له اعظم اعتقاد في الشيخ . حتى يقال انه نال بركته في تمام كتبها له . بها نال ما نال من الشفوف . يقال ذلك والله اعلم بصحته . والشيخ معروف باتقان سر الحرف كما يظهر من كتبه وكانت مثابة الشيخ بالصحراء ملجأ الخائفين في ذلك الحين ، فهذا الكاتب ابن الاعرابية كان مسجوناً بالصويرة ثم هرب منها بأن لبس لبسة حسنة دسها اليه بعض الناس . فتمشت الحيلة على الحراس . فافلت على رجله الى ان لحق بالصحراء . فرجع الى مكانته بشفاعة الشيخ . ثم لم يزل الى ان استتب الامر لمولانا عبد الحفيظ فانتظم بين كتاب حضرته بفاس ثم سجن لزلة اخذت عنه . قال الباشا منو : كانت مني يوما نوبة الحراسة حين اشتد علينا الحصار من البربر لفاس . وقد ثار مولاي الزين بمكناس . فصرت ادور مع اصحابي فراينا اناسا يحصدون غربي فاس ، وبينهم انسان يتقدمهم كثيرا الى جهة مرتبط البربر . فاوعدت الى الاعوان فاثوني به . وشاهدته القى من يده منجلا فارثيت فتناولت المنجل فأزلت نصابه فاذا برسالة مكتوبة بيد عارف للامور ، ذرب حاضر الذهن يعرف كيف توكل الكتف . يوصي فيه مولاي الزين والبربر ويريه كيف يصنعون ان ارادوا ان يتغلبوا على مولاي عبد الحفيظ . فدلهم على غورات . وحاك لهم حيلاتهم . واوصاهم وصايات . فعل السياسي اللبق . فارسلت صاحب المنجل الى السجن ، واتيتم بالرسالة الى السلطان . فما كاد يتمها حتى قال ما هذه الا رسالة ابن الاعرابية المسجون . ثم استنطقنا صاحب المنجل . فقال اعطاها لي رجل في السجن . فاسل اليه السلطان فجاء في هيئة حسنة ووجه طلق ، يقطر بشرا ، وهو ذو وجهة تأخذ العين . قال الباشا منو فقلت للسلطان ما هذا بوجه المنافق . وبعيد ان يكون الرجل من اصطنع الرسالة . فقال السلطان سترى ، ثم ادناه اليه فانطلق لسانه يقول : الحمد لله الذي منحني ما اتمناه دائما ، ففي هذه الساعة ادركت كل مناي اذ مثلت بين يدي سلطان عظيم امتزجت

محبة بقلبي ، وتتوجت بأبهي اكليل حين التفت الي ، فانا العبد الامين ،
والخادم الطيع . فليقترح سيدي على عبده كل ما شاء ليراه قبل ان يرثد
اليه طرفه ، فيا طالما جرى الوشاة بيني وبينه ، وفي اليوم يفصون بريقهم ،
ويموتون كمدا ، فاسترسل ما شاء الله في ذلك الكلام العذب برباطة جأش ،
وذلاقة لسان . فقلت في نفسي لا والله ليس صاحب هذه الهيئة الجميلة
وصاحب هذا اللسان الرطب بالثناء الا اذا قلب سليم ، وطوية نقية . فتركه
السلطان حتى قال كل ما اراد . فقال له بملاطفة وقد اراه الرسالة اقرا هذه
وامعن فيها . فصار يقرأها بوجه غير منتقع . محافظ على سحتته ، ولم
يظهر عليه ادنى تأثر ، فكان كلما ابصر جملة من جمل الرسالة التي تحتوي
عليه ، يقول لعن الله من ينصب لسيدنا الحبال ، ومزق الله صدر من لم
يفعم بولاء لسيدنا السلطان العظيم العديم النظير ، فسكت عنه السلطان حتى
استتم الرسالة ، فقال له ايمن ان تعرف لمن هذا الخط ؟ فقال له وقد
اكثر التأمل لم يظهر لي الآن انني اعرف من يخط مثل هذا الخط ، فقال
له السلطان اولا يمكن ان يكون خطك انت ؟ فقال كلا يا سيدي معاذ الله ان
يقف مثلي الذي امضى كل حياته في خدمتكم مثل هذا الموقف . وان اصرف
بنانا طالما صرفته في ارضاء سيدنا فيما يسخطه . فكرر عليه السلطان . وهو
ينكر انكارا تاما . وهو متثبت لا يحوم حوله دهش . فقال له السلطان ،
انني امرك ان تقف بين صفى الكتاب هنالك ، وساستدعي من يزعم انه
يعرفك ويقول انك الذي مكتته الرسالة ، فان ميزك بنفسك بين الكتاب
فتيقن ان هذا اخر يوم من حياتك . وان تخطاك فاعتقد ان هذا اول يوم
من ايام سعادتك ، فتثبت ولا تظهر اي دهش . فاني برىء من دمك . يقول
له السلطان ذلك ، ثم امره والكتاب ان يصطفوا من بعيد ، فأمر بذلك الرسول
وقد كان عزل وحده في محل . ان يوتى به فأمره ان يأخذ بين الوافقين من
مكنه الرسالة ، فذهب مستقيما حتى تناول ذيله ، فأمر به السلطان فاما له
لفيف من الجند . فأطلقوا عليه . فذهب ضحية الخيانة يوم لا يجد الشيخ
ماء العينين ولا تفني عنه شفاعته شيئا . وانما طولت في قضية ابن
الاعرابية لانها غريبة ، ولانه مشهور بين الكتاب مذكور بينهم في مؤلف غريب
الجديد ، ولم يلم بهذه القضية التي بها اختتمت انفاسه .

وحدثني الشيخ سيدي ابراهيم بن مبارك البصير الاخصاصي التادلي .
قال كنت مرة انا واخي سيدي محمد عند الشيخ ماء العينين بالصحراء . فجاذبته

الكلام يوما : في حكاية سندكرها برمتها ان شاء الله في ترجمة سيدي ابراهيم
هذا في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) : فقال ان اولاد الشيخ ماء العينين
كانك بهم بين قائد وامير ، قال سيدي ابراهيم فلم يمض غير قليل حتى
رايت ذلك فصحت مكاشفة اخي سيدي محمد وكان معروفا بالكشف ، له
فيه غرائب ، وحدث القائد حيدة ان الذي حداه اولا حتى كان من اول
المستجيبين الى الهيبة ، ان الشيخ ماء العينين قال له . وقد بات عنده سنة
1328 هـ مرجعه من تادلة مرزودا عن فاس وقد نزل على داره من قمم الاطلس
الكبير ان سمعت عن ولده الهيبة خبرا فكن له خير معين ، وحدث ايضا
القائد موسى الوجاني ان الشيخ ماء العينين قال له ايضا ان توقف عليك
اولادي بشيء فلا تفرط فيهم . فكان ذلك هو السبب حتى اواهم اليه
يوم اخرجوا من تيزنيت . ومن هنا يعرف القاري ان فكرة الثورة على العرش
المغربي ليست بنت وقتها سنة 1330 هـ بل كانت مما تدوول قبل ذلك
العام وان كان كشف الشيخ لا يتهم فيه بشيء . الا انه اخبر بالواقع ، ولا
شك ان هذه الثورة محمودة لانها دفاع عن الوطن ضد الاجانب ، ولا اكاد
اصدق ان الشيخ ماء العينين يميل الى مثل الثورات المعهودة ضد
الحكومات . ويبعد ذلك عنه كل البعد ، وانما الذي يشرئب الى ذلك بادىء
بدء هم اولاده . فان صح عن الشيخ انه تلفظ باشارة من ذلك . فانه يحمل
على ان ذلك كشف بالواقع لا تطلع اليه . وشتان ما بينهما .

الشيخ الالفى وماء العينين

حل الشيخ وطائفة كبيرة تناهز بكل من انضاف اليها من غير المتجردين
150 بتزنيت في ربيع الاول سنة 1328 هـ ففي يوم ذهب هو ومن معه من
الفقراء ومن انضم اليهم من فقراء (تزنيت) والوافدين عليه من الضواحي
وبينهم العلامة ابن مسعود الذي امره الشيخ ان يقول قصيدة يخاطب بها
الشيخ ماء العينين ، واخرى في مخاطبة كبير اولاده مولاي احمد الهيبة ،
كان امره بذلك في الهاجرة فأمره ان توجدا قريبا . فقال قائل للشيخ او لم
يضق هذا الوقت عن قوله للقصيدتين فقال ان النظم اسهل على ابن مسعود
من شرب الماء ، او كما قال . ثم خرج الشيخ قبل الزوال من محله الذي
نزل فيه من دار سيدي محمد بن الفقيه احمد بن مبارك الطاحوني وامامه
هذا الجمهور العظيم من الفقراء فاعلموا بذكر (الله الله لا اله الا الله) على

عادتهم بصيغة يقولونها جهرا بلسان واحد ، فترجع الجوى بذلك ارتجاجا هائلا ،
ولذلك الذكر بتلك الصيغة تأثير هريب ، فعلى هذه الكيفية دخلت الشيخ
واصحابه على الشيخ ماء العينين الذي كان في انتظارهم ، وقد جلس لهم في
مستظل كبير هياؤه من الطنافس والحنابل على اعمدة طويلة في براح متسع
لكثرة الناس جدا . وقد احتشد اليه تلاميذه هو ايضا ، فاصطف الفقراء
بين يدي مجلسه فدخل الشيخ وولده سيدي محمد ، والعلامة ابن مسعود .
فسلموا على الشيخ ماء العينين ، وهو مستند لكبر سنه . فرحب بهم .
ثم تلا الشيخ الالفى عليه هذه القطعة من انشائه :

اقول نجوم بل بدور سواطع
بافق خلافة الرسول محمد
فزالت غياهب الضلال عن الورى
وذاك مجدد وغوث وقطبنا
لكونه ما العينين عين شريفة
فقد وافق اسمه المسمى فرد زلا
فجمع وفرق والفنا والبقا معا
ومن هبة له تقبل نجله
علي المديح من علي الى المكي
سلام اله العرش منهمر على

تبصر خليلي بل شمس طوالع
فنارت بنورها النواحي الشواسع
بها اذ حوتها في الربيع الرابع
فمن مائه جرت عيون نوابع
وعين حقيقة فليس منازع
له فهو برزخ لبحرين جامع
فعنده للكمال كله طابع
وفي شبه له اباه بدائع
عال فريضة ومل الاصابع
سيادتكم فادعوا فربي سامع

ثم القى عليه الاستاذ ابن مسعود قصيدة لم يحضر عندي منها الا
ما ياتي :

سرى في الدجى فالتاح من وجهها بدر
فهام بها قلب الخلي بنظرة
فكيف بمن غذاه من سكرة الهوى
متى لاح برق او سرى طيب نسمة
لاتواره توارت الانجم الزهر
علاه بها من الجوى السقم والضر
لبان ولم يقطمه عن حبه صبر
من الجزع هاجه لكازمة الذكر

ثم خرجوا من عنده فاعلن الفقراء ذكرهم عائبين الى منزلهم . وقد حدثني
بعض اصحاب ماء العينين انه قال لمن معه بعد خروج الشيخ من عنده ، من
سره ان يرى احد المشايخ الكمال وفردا من افراد الصوفية الافذاذ . فليسر
الشيخ سيدي الحاج علي . يقول ذلك . وقد راي من اصحابه حياة صوفية

قديمة . ترجع يدهنه الى ما يذكر صاحب (الرأية) . ادب جم وسكون
ومراعاة وسبحة ومكارة وتهدب وفناء في الطريقة . فكان ذلك ما حمله على
ما قال . او ربما ظهر له شيء اخر . فلا يعرف الصوفي الا الصوفي وحكى
ايضا بعض خالصاء المترجم انه قال لهم لو كشف الفطاء عن حال هذا
الشيخ السوسي لما تبعنا احد . فان له لهمة عظيمة وليس الشيخ الالفى هو
الالفى الوحيد الذي اتصل بالشيخ ماء العينين فقد كان الحاج بلقاسم الالفى
اتصل به في الصحراء قبل هذا الوقت بكثير ، وببركة اشارته تيسر له ما
يسر هنالك كما ذكرناه في ترجمته من القسم الاول . وهو شيخه في التصوف
ولهذا ذكرناه هنا تبركا .

في ذلك الوقت حض الشيخ الالفى مال تزيت على الاحتفال بهذا
الشيخ النازل بين ظهرانهم ، المهاجر من بلده الى بلدهم . وكان له بين
التزيتيين صاغية ، فنفعت تلك الوصية في الضيف ، فقبول بكل تجلصة
زائدة عما كان له . فرضى الله عن الجميع .

نبذة اخرى مما يتعلق به

قال شيخنا سيدي سعيد التناي لم يكن في عصر الشيخ ماء العينين
من له مثل تصريفه في الارواح ، فان له يدا طولى ، ويوجد من بين كتبه مثل
انعت البدايات ما يدل على انه اتقن ايضا ما يسمى بسر الحرف . وهو علم
قديم ذكره ابن خلدون ، ثم لم يذكره ايضا فريد وجدي في (دائرة المعارف)
فحكى حكاية غريبة حضرها الجم الفقير ، تدل على ان لذلك عارفين لا يزالون
في مصر احياء . واما نزعة المترجم في الطرق فانه لما راي تشاكس اصحابها
وتناطحهم وتفاخرهم فيما بينهم اراد ان يمزج ما بينها وان يواخي بين
اصحابها . فكان يلقي اذكار كل الطرق قاطبة حتى الاحمدية المعروفة بأنها
وحيدة لا تقبل الشريك . فبذلك ثارت مكالمة بينه وبين العلامة الحاج
الحسين الافرائي ، ولكن الشيخ سائر في طريقه غير باعل بكل من ينتقد عليه
ذلك .

ثم ان لاصحابه ايضا فيه اعتقادا ربما يتجاوز عند بعضهم الحد كما
يقع من اتباع كل شيخ ذي شهرة مشرقة ومغربة . ولما سمع من اتباعهم عند
ذكره الا (شيخنا وشيكم ماء العينين) فجعلوا شيخا لكل احد . على رغم

الأنوف . وعادة أصحابه ان يلوكوا سببهم على معاصمهم ، ولما يتقلدون بها . ولهم ولوع برفع الصوت بلا اله الا الله وحدها فلا تمر بمنزل ينزلونه الا سمعت لهم زجلا ممزوج الاصوات بذلك . وهال بهم الناس تظهر عليهم سيمى الخير ، والاشتغال بما يعنى ، والاقبال على ما هم بصدد من مدارس العلوم ، او الاشتغال بالاذكار . والحاصل ان لهم احوالا في باب العلم والاذكار انفردوا بها .

ومن عادة الشيخ ماء العينين انه مزواج كثيرا . فكان كلما ولدت له زوجة يفرد بها بخيمة ويدر عليها مئونتها . سواء بقيت تحته او طلقها . فبذلك ترك كثيرين من الاولاد ذكورا واناثا ، وكثرة الزواج والطلاق عند الصحراويين غير مستهجن ولا قاذح في المروءة . بل هو عندهم امر عادي . فقد رأينا من اتباع الشيخ ومن ءاله حين انتشارهم بسوس كثرة التزوج والطلاق . فقلما ينزل احدهم في قبيلة بالسكنى الا تزوج فيها . ولو لم يتو المقام فيها الا قليلا - ثم انه ان واتته الزوجة صاحبها معه . والا طلقها . فربما يفادر اولاده ثم ينسأهم فلا يعود للبحث عنهم .

وللشيخ ماء العينين كرامات كثيرة ياترها أصحابه . واخبار كثيرة واختيارات في مسائل علمية والحاصل انه كان شخصية عظيمة الى الغاية في عصره وفي مصره . واخوف ما اخاف بعد ان تشتت أصحابه . وانتهت خزانته ان يبقى غفلا من تاريخ خاص مسهب يستوفي من اخبار حياته الطويلة ما لا ينبغي ان يحرمه التاريخ . فقد كنت رأيت لبعض أصحابه تراجم له في بعض مؤلفات فيه وجيزة . ولكن مثل ذلك غير كاف في مثله . ولا ادري ايجاد اليوم من بين أصحابه الباقيين من يقوم بمثل هذه المهمة . ام افقرت الخيم . وطويت الهمم . وطرح القلم . وقد سمعت ان لبعض اهله كتابا في كلماته المأثورة وءاخر في كراماته . ولم ارهما وذلك ناحية فقط من نواحيه واعظم ما سيعرفه به المستقبل انفته الاسلامية من الانضواء الى الاجانب . فكان هو الرقم الاول في اعادتهم في الصحراء . وطالما حاول مقاومتهم هناك على يد مولاي عبد العزيز ولكن اتى الوادي فطم على القرى .

بعض اعماله في الصحراء

حدثني بعد ما كتبت كل ما تقدم الحاجب السيد محمد بن ادريس بن يعيش الذي هو من اتباع الشيخ قال :

ان والدي القائد ادريس بن يعيش . هو الذي كان اخذ عن الشيخ هو والوزير احمد بن موسى في ولادته الاولى على الملك مولاي الحسن نحو 1304 هـ . وذلك في مراكش والثانية كانت في سنة 1314 هـ على مولاي عبدالعزيز وكان الشيخ بارلا على والدي في دارنا في القنارية . باذن من الملك . ثم اتصلت المواصلات بين الملك وبين الشيخ بالهدايا والمؤن بكل انواعها دقيقا وحبوبا وسكرا . فحصل ذلك على القوافل من الصويرة الى الساقية الحمراء . ثم لما تهيأت المرافاة للسفن . بعد ما اخرج منها الانكليزي الذي كان بنى فيها دارا انزل مولاي عبد العزيز فيها القائد حميدة الديلمي الشراذي ومعه جند . وامين . سمي الطاهر بن عبد الملك - وهو الذي يسمى بعد هذا العهد الطاهر الخطية . وقد تولى التدريس في ابن يوسف الى ان توفي - فاذا ذاك صارت السفن تعمل من الصويرة رأس كل ستة اشهر هذه المئونة الى الشيخ والى من هناك من الجند ومن هناك تنقل على جمال الشيخ الى الساقية الحمراء . قال حدث اصحاب الشيخ ان الشيخ تحمل من الساقية الحمراء . ليفد على الملك مولاي الحسن . وبعد ان سار ليلتين امر بالرجوع . فتعجب من معه . ولم يقدر ان يسأله هبة له . عن السبب . ثم تبين ان الله اطلعه على وفاة الملك وقد كان مولاي الحسن حين كان في اكلميم سنة 1303 هـ كتب الناء رسالة الى الشيخ :

واسرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ثم لما استقر مولاي عبد العزيز بمراكش مرجعه من فاس 1314 هـ ، وقد عليه الشيخ . فاهتبل به الملك اهتبالا عظيما فاتخذة شيخا . فتلقت منه ورده بايعاز من احمد . فامر ببناء ذابيتين له في مراكش وفي فاس . وبنى أصحابه اخرى في سلا . ثم تكررت وفادات الشيخ على مولاي عبد العزيز . ثلاث في عهد احمد بن موسى . والرابعة بعد موته قبل ان يتوجه الملك الى فاس . ثم ثلاث مرات وهو في فاس . والذي يحفره على كثرة هذه الوفادات نفسية الاحتلال الذي يهدد تلك الناحية الصحراوية .

قال : ان الشيخ لم ينزل من (الساقية الحمراء) في (الصمارة) الا في عهد مولاي الحسن . ثم احدث 1316 هـ دورا في (الصمارة) فأرسل اليه مولاي عبد العزيز حين كان يبنها ما يحتاج اليه البناء . وأما ما قبل ذلك فلم يكن سكن الا في الخيام يوم كان في (الساقية الحمراء) قال : كانت امي

حاملا بي حين ولد ولدته عام 1304 هـ فساله والدي كيف يصنع . فقد
خاف على امي ان ياخذها الطليق في الشاء الطريق الى مكناس . والملك اذ ذاك
متهيئ للسفر اليها . فاشار اليه الشيخ ان يصاحبها معه . فسلمها الله .
فولدت بعد دخولهم مكناس بليلتين . ثم تبركت بالشيخ عن اذن والدي في
احدى وقاداته على مولاي عبدالعزيز بمراكش . وكان ينزل في رياض احمد بن
موسى . وقد كان والدي سماني محمدا الحسن اقتداء بالشيخ حين سمي
احد اولاده بهذا الاسم . والمسمى به مات في فاس . ودفن في الزاوية في
الطالعة . وله مكانة في الورع . قال : كنت يوما امام الشيخ وانا صغير .
فقال لي يا محمد الحسن اين وصلت لوحتك . فقلت له حزب (ومن يسلم
وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) فوجدت بركة
الشيخ من بين اخوتي فحفظت القرءان وحدي . وقد كانوا حضروا حين
سألني . ولم يسألهم عن شيء قال ثم اننا شاهدنا من احترام المخزن كله
للشيخ عجا . فقد كان الوزراء يخرجون عن اذن الملك لملاقاته . فخرج في
عهد مولاي الحسن محمد الصغير الجامعي العلاف - وزير الحرب - والفقير
علي المسفيوي وزير الشكايات وفضول غريط وزير البحر - وزير الخارجية -
وابن العلام قائد المشور . فيخرج الكل في المسكر فيلاقون الشيخ في باب
الرب . ثم اذا اصطف الناس امام الشيخ يدعوا معهم . ثم يمال به الى
محل النزول . والكل معه . والنفقة على خزينة الدولة ثم تكون الملاقاة مع
الملك يوم الجمعة بعد الصلاة . والشيخ يصلي ازاء الملك . وهذه هي العادة
في عهد مولاي الحسن وفي عهد مولاي عبد العزيز . وفي عهد مولاي عبد
الحفيظ اثر ما بويغ في مراكش . وقد صادف الحال الشيخ عاتيا ليزور مولاي
عبد العزيز ومعه كبار الصحراء من بين القبائل ، فاذا بمولاي عبد الحفيظ
يباع فارسل مولاي عبدالعزيز محمدا الفاضل بن يعيش - اخا هذا الحاكي -
الى الشيخ ان يمر بمولاي عبد الحفيظ لعله يرجع عما ادعاه . وله الامن .
ولكن لما وصل الشيخ الى هذا . وجد الامر قد تم . فكان احد انصار هذا
الامير عند الناس . فلم يمكن الا ان يكون احد الناس . فرجع وقد اكرمه
الامير الجديد غاية الاكرام . وقد كان مولاي عبد العزيز اشار على الشيخ لما
ضاق به الصحراء . واتسع فيها الخرق على الراقع ان ينتقل الى تزنيت .
فاقطعه دار المخزن هناك .

قال : واما تفصيل ما وقع في الصحراء فانه كثير . وملخص ذلك

ان الشيخ لما سال به وبكل ما هنالك الفلاس على انساه بديبب الاستقلال
الهم من الجنوب . صاروا يتطلبون السلاح من مولاي عبد العزيز في حياة
احمد بن موسى . فنوى الملك ان يرسله ليطلع به رجال القبائل . فاندرت
في اذن الملك انه ان ارسل السلاح وهجم علينا هناك مهاجمون فاننا سنعتبر
ذلك اعلانا للحرب مع المغرب . فسئلكم بالمثل في جميع النواحي فحين رأى
احمد بن موسى الداهية ما يجره ذلك صار يماطل اهل الصحراء مع الحاج
الشيخ عليه في ذلك . ثم لما مات احمد بن موسى وتولى غريط . كان عبد
العزيز بن سليمان وزير الخارجية فتجاذب مع جيار قنصل فرانسبة في
قارب الصحراء . فادعى جيار ان قبائل الصحراء لا يد للمغرب عليها .
وارادت الحكومة ان تكذبه . ف وقعت المكاتب مع الشيخ في ذلك . فاعلن الشيخ
ان جميع قبائل الصحراء بايعت الملك مولاي عبد العزيز الى ما وراء شنكيط
والا لا بد ان يجيئنا خليفة السلطان مع ظهائر القواد الذين يتكلمون عن
الامثال الكبرى . قال الحاكي : فاذا ذاك في سنة 1323 هـ ذهب مولاي ادريس
ابن عبد الرحمن حفيد مولاي سليمان . ومعه الفقيه الفري وزيره .
والشيخ المسحراوي كاتبه . ومعهم هذا السيد الذي يحكي لنا . وفي يده
ظواهر فصل اربعة عشر . لكبار القبائل بأنهم قواد على قبائلهم . قال :
« في سرا 500 بندقية مع ذخيرتها في باخرة اسبانية ركبناها من الصويرة .
« ثم وجدنا السيد عبد الرحمن بركاش باشا هناك . فخرجنا في الطرفاية .
« وقد مساحبنا معنا كل شيء يتوقف عليه الحي . حتى الماء الذي يفقد في
الطرفاية (1) . وقد اكرينا وحدنا الباخرة على ايدي الامناء من الصويرة .
« ثم اعدنا الباخرة لتقلنا في الرجوع موقتين لذلك وقتا معيننا . ثم التقينا
« مع ثلاثين جملا مع خيول . وبعد ستة ايام وصلنا الصمارة . قال :
« كان الرسول خرج قبلنا من فاس الى الشيخ ليوجد لنا ما نتوقف عليه
« ذلك . فذهبنا من فاس الى العرائش ثم الى الصويرة بحرا .

وصلنا منزل الشيخ فاجتمع كبار القبائل فتوصلوا بظواهرهم . فقال
اهم الشيخ ادفعوا لخليفة السلطان ما في ذممكم من الزكاة فاجتمع من ذلك
اكثر من مائة من الابل . فارسل الى (ندار) فبيعت هناك . ثم ذهب مولاي

(1) فالحمد لله الذي يسر لنا هذا بعد استرجاع الحسن من اسبانية بعد الاستقلال
عنني نعماني عليه اهلته .

ادريس الخليفة الى المحل المسمى (بجنگجا) . قال : واذا ذاك انكف
الفرنسيون عن مهاجمة تلك القبائل . بعد ما ابلغوا رسميا طاعة اهل تلك
الجهة لخليفة السلطان . ولم يزل مولاي ادريس هناك الى اواخر ايام مولاي
عبد الحفيظ . ثم رجع فسكن في مراكش الى ان توفي نحو 1340 هـ . ولا
يزال ولد له يسمى محمدا حيا الى السنوات الاخيرة .

ثم ان الشيخ نفذ اشارة مولاي عبد العزيز فتحول الى تزنييت . وقد
تمكن مولاي عبد الحفيظ ودخل فاسا . فسافر الشيخ الى فاس . محاذيا
سفنح الاطلس . لانه لا يأمن في السهول فارسل الفرنسيون المحتلون للبيضاء
وما اليها الى الملك بفاس يندرونه بانهم يعدون كل من يمد يده الى ماء العينين
عدوا لهم يعلنون عليه الحرب . فاما ان يعتقل في فاس ان جاء اليها . واما ان
يرد على عقبه . فأوعز الملك الى عبد الله بن يعيش اخي الحاكي بان يتلقى
الشيخ في الطريق برسالة من الملك ليرجع عن فاس . ثم لما وصل الشيخ
تادلة . اراد الفرنسيون ان يتسربوا اليه ليلا ليستحوذوا عليه . ولكن الله
حفظه منهم فنشأت عن ذلك حرب بين اهل تادلة وبين الفرنسيين اصطلت
فيها هؤلاء بنار مستعرة في يوم مذكور . ثم رجع الشيخ متوقلا للاطلس فطلع
من ايت عتاب الى ان نزل على راس الوادي بسوس فحط رحله في تزنييت .
حيث لفظ نفسه الاخير وشيكا .

ملخص حياته

بعد ما كتبت ما تقدم ظفرت بكتاب كبير في حياة الشيخ وفي كل ما
يتعلق به لمريه ربه فتلخصت منه ما ياتي :

ولد الشيخ ماء العينين في الحوض في القبلة يوم الثلاثاء 27 شعبان
1246 هـ . ثم لازم والده ملازمة المريد لشيخه لا ملازمة الولد لابييه ولا التلميذ
لاستاذه فبذلك نال ما نال من العلوم العجيبة ، وتآليفه الكثيرة المختلفة في
الفنون تشهد له (وقد عدها مؤلف الكتاب) فلما كان له 28 عاما توجه الى
الحج وقد فارق اباه الذي هو شيخه الوحيد في العلوم وفي التربية يوم
الخميس 12 جمادى الاولى 1274 هـ خرج من الحوض فمر بشنقيط
وبأدرار الى وادي نون فالى الصويرة فمراكش حيث ولي العهد سيدي محمد
ابن عبد الرحمن فلاقاه واكرمه . ثم دخل مكناس ليلة 27 رمضان من السنة ،

فلما مولاي عبد الرحمن ملك الوقت بگسل اجلال . ثم امره ان يركب من
طبعة بعد ما اكرمه هائل طنجة بعثل ذلك . فدخل مكة عند الفجر يوم
الاحد 22 من ذي القعدة . فوجد هناك شيخا كبيرا من الصوفية يسمى
عبد الرحمن الحندي . فآكرمه غاية الاكرام . وحدثه بانه كان يعرف مكانة
والده قبل بل اعطاه اوصاف جسمه كانه عاشره . وقد حرص الشيخ ماء
العينين في حجته ان يتتبع كل الاثار في الحرمين معا . فقيده كل ذلك بتدقيق
في ارجلته . وقد خرج من مكة يوم الخميس 18 من ذي الحجة الى المدينة
ودخلها يوم الاحد 5 المحرم 1275 هـ . فلم يبق هناك الا ثلاث ليال . ثم
غادر المدينة 8 المحرم فتوجه الى مصر . فحين حل في الاسكندرية اصابه
الحمى . فبقى هناك ازيد من خمسة اشهر . ثم ركب البحر الى طنجة
ودخلها في 24 من شعبان 1375 هـ . ثم مر بمكناس حيث امر الملك ان يكرم
عاهه الاكرام . وان يكتري له ولن معه الى مراكش بعد ما لبث في مكناس
خمسة ايام . ويوم دخوله لمراكش يوم الاثنين 28 من رمضان فصلى صلاة
العهد مع ولي العهد . وقد رحب به . فزار الشيخ اثار المدينة كصومعة
الكنية . وذرعها . ثم بقى في مراكش الى ان غادرها 12 من ذي القعدة .
ثم دخل الصحراء فمر اولاً بمدينة (تندوف) . حيث عالمها محمد المختار
الجاكابي . فطالع من خزانته . وتشرف به مسجد المدينة الذي كان بانيه
محمد المختار يتمنى قبل اليوم ان يحل به الشيخ . ثم صار يتقلب في قبائل
ذلك الصحراء فتلقيه بكل احترام . وفي شوال من سنة 1276 هـ . كان في
وادي نون وفي رجب 1277 هـ . فارق تاجاكات . وقد زار ايضا أدرار كما
اما زار الرئيس احمد بن عايدة . وزار احمد بن علي في آل الفاغ الخطاط
وزوج منهم والدة مريه ربه في شعبان 1277 هـ . وعدد من تزوجهن الشيخ
مائة وست عشرة امرأة . وفي ذي القعدة من هذا العام مر بالسيد محمد
الذني . وفي ذي الحجة قدم على العزوسيين بالساقية الحمراء . فأسكنوه
بماركوه في اموالهم . وقد تزوج منهم وخدمهم اثنتى عشرة امرأة وفي عام
1281 هـ . زار اباه بعد سبعة اعوام فارقه فيها ثم ودعه بعد ليلتين فرجع الى
الساقية الحمراء . وفي 1286 هـ . توفي والده . وفي 1294 هـ . ولد له احمد
الهيبة في مفتاح رمضان . وزار اذ ذاك والدته . ثم رجع الى تيرس . واذا ذاك
ولدت هروة في نصاري الداخلة . وقدم عليه احمد بن محمد بن عايدة في
شبان العدو . وحين كان مولاي الحسن في وادي نون 1303 هـ . استدعاه
الى . فمكثان من جملة الرسالة :

وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ومنها :

ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعاينة الكليم

ثم سافر سنة 1304 هـ الى مراكش . فتلقيه الملك بالاجلال . فحين جالسه الشيخ قال له : اني زرت جدك مولاي عبد الرحمن فجعلني ابنا . واباك فجعلني اخا . فقال له مولاي الحسن وانا اجعلك ابا . ثم رجع وسكن في الساقية الحمراء حيث كان قبل . واذ ذاك ابتدأت المعارك والمجاذبات بين العدو وبين اهل تلك الجهة . والشيخ يصمد في الكفاح . ويضمد الجراح . وقد أسند له الملك النظر في تلك الناحية في الطرفاية والداخلية وما بينهما . وفي سنة 1311 هـ . تاهب لزيارة الملك . ثم رجع في الطريق فظهر ان الملك توفي . وفي سنة 1314 هـ . ارسل اليه ايضا فرار مراكش وتلقاه المولى عبد العزيز واحمد بن موسى بكل اجلال . كما كانت القبائل تتلقاه في الطريق من وادي نون الى مراكش . وقد قدر ما اجازه به الملك هو ومن معه بمليون درهم قديم زيادة على المئونة الدائمة التي تصله الى الصحراء . وفي هذه السفرة سرح الشيخ محمد الكتاني والفقير السباعي على يده . وعدة اسفار الشيخ الى الحكومة في العهد العزيزي سبعة . اربعة الى مراكش وثلاثة الى فاس . ثم واحدة الى مولاي عبد الحفيظ اول ما بويغ . وفي السنة التي سافرها 1322 (رحلة) كتبها مربيه ربه . وقد سافر معه في هذه الاسفار كلها التي كانت بعد 1314 هـ . وهناك ديوان من القصائد تلقى الادباء الحضرية والشيخ بها . وقد ركب البحر مرتين في رجوعه الى الصحراء من الصويرة الى الطرفاية . وفي سنة 1326 هـ . كان الجهاد في ادرار ونواحيه . وهناك اسماء غزوات كغزوة دامن . وغزوة ابي خرس وغزوة اكجوجت . وغزوة ابو الرجميمات وغير هذه .

وفي سنة 1327 هـ . ارسل الشيخ ابنه احمد الهيبة الى مولاي عبد الحفيظ بفاس . واذ ذاك اطلق على يد الهيبة الشيخ عبد الحي الكتاني من السجن بعد قتل اخيه الشيخ . وبعد رجوعه الى الشيخ ابيه هاجر الى تزنييت فدخلها اوائل ربيع الاول 1328 هـ . وذلك باذن الحكومة . ثم تابع سفره بفصد فاسا فاذا به منع من وصولها الى طريق تادلة فرجع على طريق الاطلس

الى ان نزل في سوس بموضع يسمى بوجمناز . فمر بدار القائد حميدة في اوائل شوال فوافاه اجله ليلة 21 من شوال وقد كان صحيحا صلى المغربين مع الناس على العادة . وهو نشيط منبسط . ثم نام قليلا فقام لتهجده المعتاد . فخرجت من عنده خادم . ثم رجعت فاذا به التحق بالرفيق الاعلى بفتة وهو وحده .

هذا مختصر حياة الشيخ لخصته جدا من كتاب لابنه مربيه ربه . رحمه الله ورضي عنه وقد اعتنى فيه باخباره وكراماته ، وهناك كتاب آخر يسمى (مجمع البحرين) في اخباره ايضا ، ويظهر ان اهله اعتنوا بكل ما يتعلق بالشيخ ، فذهب عنا بعض ما كنا نخافه - كما ذكرنا قبل - من ذهاب الشيخ واخباره في غفلة الناس .

تأيينه

لانتعرض هنا لتأيينه من اصحابه الصحراويين . فذلك غير داخل في مهمتنا . ولسنا مسؤولين عنه . على اننا لو تطاولنا اليه لما وجدناه الان بين ايدينا . وانما مقصودنا ان نذكر ما عسى ان تسمح به قرائح سوس . فقد قام العلامة الافراني بهذه المهمة . والقى بعد وفاته هذه القصيدة . من غير ان يكون بينهما معرفة الا لحملة العلم . وكفى بها رحما . قال :

المجد يعول والسيادة تدب
قال العواذل ماله فاجبتهم
لما توى شيخ الشيوخ وعالم الا
العالم العلم الامام المرتضى
بحر طماغيث همي ليث حمى
هادي الانام مجدد الاسلام
رب التأليف العديداً التي
كم قد رءاها جاحد ففدا على
مدد سري من فيض سر الله لي
تلك المكارم والمفاخر لا كما
ارث النبوة اشرقت انواره
فلذلك اذعن كل جبار له
والعلم ما عينه حزنا يسكب
والحزن يخرس والمدامع تعرب
سلام ما العيين نواح المغرب
بدر الهدى وسراج المذهب
دين الهدى ناب له والمذهب
وى الفضل والنور الذي لا يحجب
صار الركاب بها تقاد وتجنب
رغم يطيل بمدحها او يطنب
س يناله بجهاده متطلب
يعني بجمع حطامه من يلعب
فيها فصار بها يحيى ويذهب
مهما بدا وهنا له المتطلب

حتى دعاه الى المقابر الاممية
ما كان الا مثل علق تاهبته
قل للعفاة اولي الحوائج مات رك
مات الامام المستضاء بنوره
مات الذي امواله وعلومه
عجبا لقبر ضم سودده وقد
ايضم شبر القبر بحرا ما له
ءاه على فقد الشيوخ اهله الاسـ
نضب العين وغازت الامواه قل
ذهب الالى اكتسب الهدى بوجودهم
مات الامام ابو علي اليفرنسي
ذو المكرمات الفر والفضل الذي
وبائره في شهره شوال قد
شمس وبدر منيا بالخسوف في
حقا لانهما قريبا سوؤدد
قاله يجبر صدع ملة احمد
ويرد كيد عدوها ويحوظها
بنبيها صلى عليه الله ما

لما جباب مسرورا بما يتطلب
به يد المصادف والنفائس تنهب
من الدين ما العين فابكوا وانحبوا
مهما دجا ليل الضلال المكرب
لدوي الخصاصة والجهالة توهب
ضاق الفضاء به وضاق السبب
حد يقدر ان ذاك لمعجب
سلام ماتوا فاستطال الفيهب
لي كيف نبقي بعد ما هي تنضب
عزا فاصبح خائفا يترقب
المرتضى غيث العلوم الصيب
ما ان يحيط به البليغ المسهب
اودت بدا الشيخ الامام النوب (1)
شهر معا فليعجب المتعجب
ماتا فوالدة العلا لا تنجب
بالفضل منه فصدعها متعجب
ويسد ثلثة دينها او يراب
هاجت كمين الشوق ورق تندب

وكان العلامة الحاج الحسين الافراني توفي قبل المترجم بايام فصلى
عليه كما تقدم في ترجمته ثم لحق به . وذلك ما ذكره في اثناء القصيدة ،
ولشاعرنا ايضا بيتان في هذا المعنى ارخ بهما وفاة العلامتين . وهما :

مات الامام الشيخ ما العينين بعد وفاة اليفرتي الحسين
وكان ذاك عام - حظ الشرف - فاصبحت عين العلوم تلدف

وكانت وفاته ليلة الجمعة 17 شوال 1328 هـ وصلى عليه سيدي عبد
الله التمراري امام مسجد ترزيت اذ ذاك كما وجدته مقيدا بخط احد
المعتنين ، وهذا ما تيسر من ترجمة الشيخ .

(1) النوب كثر بتخفيف الواو ، ولكن الشاعر قد شاعها .

اولاده

ان الشيخ احمد الهيبة واخوته مربيه ربه والشيخ النعمة والشاعر
الفعل محمدا الامام وابن العتيك والمحفوظ سبطا ماء العينين ليدخلون تحت
شرط كتابنا هذا في (القسم الخامس) لانهم من اصدقاء اهالينا عند تصدريهم
في الرياسة ، فاحببت ان اجمعهم هنا في ظل ترجمة والدهم الكريم ليجمع ما
اعرفه عن هذه الاسرة العالة في صعيد واحد . فلذلك مزية لا ينكرها المطالع
واسف كل الاسف حين لم اتصل الآن بما يفيدني كثيرا عن النواحي التي
تراءى مجهولة من هؤلاء الافراد . ولكن يجب ان لا يقف ذلك امامنا حجر
عشرة . فلنقدم على ذلك مكتفين بما وجد . فلعل ما نستقله الآن فيما نذكره
منهم ربما لا يجده القاريء مجتمعا في كتاب اخر عربي قبل هذا . من هذه
الناحية التي نعتني بها (ثم اني اتصلت بهم بعد فاقبتست منهم ما اريده
باختصار) .

احمد الهيبة

ولد ليلة الاثنين الاولى من رمضان سنة 1294 هـ كما حدث به بنفسه .
وقد وجدت انا بخط والده في طرة نسخة من الاستقصاء كانت في ملكه ازاء
ما ذكره المؤلف احمد بن خالد من ان ولده محمد العربي ولد مختونا ما معناه
كذلك ولد لي ولد سميت احمد الهيبة مختونا ايضا) هكذا عبارته او ما
يقارب ذلك . وقد طال العهد برؤية ما رايت .

تربى احسن تربية . وحصل على ابيه وعلماء حضرته في العلوم تحصيلاً
سنا ، خصوصا العلوم الادبية فانه من افاضل الادباء . يقول في النسيب وفي
اسره فيحسن . وربما يتناول احيانا الى الاجادة ، وفي ملحقات كتاب
(نعت البدايات) المطبوع اشعار له يظهر منها نفسه . وقد سمعت شيخنا
العلامة سيدي الطاهر الافراني يثني احسن ثناء على ذوقه الادبي .

كان يفد مع والده الى الحواضر . فهناك تعرف بالناس وتعرفوا به .
فقد حكى لي الباشا منو انه كانت له به معرفة اذ ذاك ربما كانت خاصة
(ومنو من حاشية مولاي عبد الحفيظ من صفوه الى كبره) فبسببها كانت
له دالة عليه يوم احتلاله الحمراء وقد عرف الهيبة من بين اخوته بدماثة
الاخلاق وبالكرم . ويتطلع الى ان شغل مركزا تشهر اليه به الاسابيع ،

كما كان أيضا لوالده نحوه عاطفة خاصة فهم منها أصحابه انه خليفته من بعده . رغم ان هنالك من يكبره سنا من اخوته .

حدثني سيدي ابراهيم ابن البصير الاخصاصي ثم التادلي . وكان ممن يفد كثيرا على الشيخ ماء العينين بداره التي بناها في وسط الصحراء في (الصمارة) فعرف من احوالهم ما لا يعرفه الا من له بهم اختلاط . قال ان كثيرا من اولاد الشيخ لمقبلون على التمول من طريق والدهم بسبب ان والدهم الشيخ يجود بكل ما عنده . حتى لا يبقى عنده شيء فيستدين بوساطة اولاده . وكانوا يسلفونه من عندهم . فيخيلون له انهم تسلفوا من الاباعد . ثم اذا رد السلف يزيد الشيخ كثيرا من عنده فيستقلون كرمه في ذلك . فيمعنون في تائيل الاموال . قال وربما كان احمد الهيبة ممن نجا بينهم من ذلك . فاحبه والده لهذه الخلعة المحموده . فكان يؤثره بالنفائس وبالعطايا . فيخلف الله عليه . فيبارك له فيما تحت يده ، مع فوزه بالشفوف على اخوته . فقد رايت عند زيارة الشيخ الالفى اياه وحده دون اخوته ان الحامل على ذلك هو شهرته من بينهم .

بعد وفاة والده

اغمض ذلك الشيخ الجليل عينه في (تزنييت) فصلى عليه اصحابه المئون مع الناس الحاضرين ، وكان الشيخ احمد الهيبة هو امام الصلاة فيما ذكر لي بعضهم عن ظن ولم يتحقق او كان الامام الشيخ الحضرمي زوج بنته ، او الفقيه سيدي عبدالله التماروي - كما تقدم - اقوال لم نمحصها ، ثم ووري ازاء دار المخزن هناك . حيث سكن مع عاله في حياته . وقد نزلوها باذن من مال السلطان عبد الحفيظ اقطاعا كما في رسم ذلك عندهم . فنصبوا خيمهم وفساطيطهم في براحتها ، ثم التف اصحاب الشيخ على ولده احمد الهيبة . فقدموه بين اخوته . وقد قاموا له بكل ما كانوا يقومون به لوالده من الاجلال والاعظام . فلا يقوم الا اذا جاء اعرابيان يكتنفانه من جنبه . فيضع ذراعه على عاتق كل واحد منهما . حسبما كان يفعل بالشيخ ماء العينين المسن الضعيف الجسم في اخر حياته . ولما كان لتلك الهيئة من التجلة لوزمت ايضا في مجلس ولده الهيبة ايضا . وان كان لا يزال شابا جلدا قوي العضلات . ثم اذا وصل يوم الجمعة يخرج بين اصحابه وقد اكتنفوه بجمع كبير . حتى يصلي . فيرجعون به على تلك

الهيئة . وتلك الباكورة التي اجتنهاها الر وفاة والده من اخر سنة 1328 هـ ثم صاروا يتدرجون في ذلك شيئا فشيئا حتى كانوا يحملون السلاح الى المسجد . فيتمشون امامه صفوفا احيانا . على هيئة مخزنية . ليست بمعتادة عند الناس في تلك البيئة . وقد حدثني ابن عمنا الفقيه عبد الله بن مسعود ان الهيبة كان في جهة (تامانارت) 1329 هـ فمر بأدائي في ثلاثين راكبا .

ارهاصات امارته والحوافز اليها :

لاشك ان سنوات 1328 هـ سنوات قائمة الجو من ناحية السياسة المغربية . فهناك احتلال البيضاء وهو حادث عظيم الواقع على المغرب . ارتجفت له كل الفرائص . وتشنجت له كل الاعصاب ثم ثورة مولاي عبد الحفيظ ، فكان الناس يبنون عليها آمالا عظيمة ردت بعض السكون والطمانينة الى الافئدة . ولاسيما حين انتصر على ابي حمارة الزرهوني . فظن الناس ان الدولة الحفيظية دولة راسخة . يمكن ان يعتمد على سياجها الذي يحسبه الناس منيعا سميكا لا يتخطى ولا ينقل فيه . ولكن سرعان ما انهار ذلك يوم طوقت فاس بالحصار البربري المشهور ، فازدادت ارجاء المغرب واوصاله تفككا ، فرجعت المخاوف جذعة الى النفوس ، فساد القلق . فصار الناس لاحساسهم بموقع المغرب بين الدول العظام التي تتجاذبه يقلبون ابصارهم في الافق . لعلمهم برون بارقة جديدة يمكن ان ترد السكينة الى القلوب ولو الى حين . ثم زاد الجو اعتكارا بدعاية سيئة ينشرها المفرضون المندسون من جواسيس العدو عن شخصية مولاي عبد الحفيظ ، من انه - وحاشاه - ذو جبروت والحاد واستهتار ونبد لشرائع الدين . فآثرت تلك الدعاية الكاذبة في الشعب الجاهل الغر المتدين بالجهل ، الغافل عن سنن الكون . وعما يتطلبه هذا العصر من القوة والعقل الحصيف ، وكأنه يجهل ما لرجال الدولة العلوية من الفيرة على الاخلاق والدين والمغرب . فتحت هذه الدياجي الكثيفة الظلام صار الاعراب يتناجون في اخبيتهم في (تزنييت) فيرون من انفسهم مقبرة على انقضاء الموقف . ويتصورون انهم يقفون في ميادين الابطال وانهم اهل للبروز بجمع كلمة الامة ببركة الشيخ الذي ينتمون اليه رضي الله عنه . ولهذا الايمان العميق في القوم امكن استغلالهم من حيث لا يشعرون ، ولم يكن اهل النظر البعيد من السوسيين يرون لهؤلاء السادة الافاضل هذه المكائنة ، فقد رايت عند

كيف بوسع

اول ما بدا به احمد الهيبة هو ما يبدأ به عادة كل من ينوي نيته ، فقد كان اصحابه يستميلون القلوب . ويثبون بوساطة من يختلف اليهم من السوسيين وفي طليعتهم بعض آل تزيت الدعاية المتسعة ، وتامل الناس في الثمرات التي سيجنونها من وراء ذلك زيادة على تثليج الصدور بنصرة الدين والاستماتة في سبيل الله وقد كانت هذه الدعاية تدعم بفهم قناة امراء الوقت بتفريطهم . فصادفت الدعاية من عياد خليفة القائد عبد السلام الجراري وهو المعروف بانحياشه الى الصحراويين دائما . ومن بعض اناس قليلين اذانا صاغية ، وكان الفقير مبارك ابو الباكور من التزيتيين هو الذي تولى كبر هذه الدعاية ، واعظم المتحمسين لها . وقد صار من الخاصة المنتقاة لدى ابناء الشيخ من الشلحيين - ابناء مماس - كما يدعوهم به الاعراب في مداعباتهم معهم - ثم دخلت سنة 1330 هـ وقد صارت الدعاية تتسرب الى الجامع وصارت بين قبول ورد . فاما من يسمون اذ ذاك العقلاء - وقليل ما هم - فانهم يعرفون ما وراء الاكمة ، وما سيجره ذلك على سوس ، وان السياسة سلسلة بنت سلسلة ، لا يطبق اصطلاها ابناء سوس الضعاف القليلوا الخبرة بمزاولة ذلك الذي هم عنه بمعزل . لا يعرفون فيه كيف يرمون ولا كيف ينقضون . وفي ترجمة شيخنا عبد الله بن محمد الالفي في (القسم الاول) رسالة تدل على ما لاصحاب هذه الفكرة . وهم الذين يسميهم اهالينا العقلاء . واما من لا يفكرون في العواقب (كما يسمونهم اذ ذاك) . فانهم اصاخوا لهذه الدعوة واستجابوا لها . على ان الحمية الدينية والغيرة الوطنية هما على كل حال الاصل الاصيل في ذلك . والحافز للدهماء ، حتى اندفعوا اندفاعا في 18 جمادى الاولى فانعقد اول مؤتمر من المستجيبين لهذه الفكرة . وهم افراد من بعض القبائل . منهم من يعبر عن رايه الخاص ، ومنهم من يعبر عن راي قبيلته . فبعد اخذ ورد . انتهوا الى ان مولاي احمد الهيبة يكون مقدما للناس فقط ، ان اتفق الناس وقاموا للجهاد ، ولم يتجاوزوا اكثر من ذلك ، ولكن بعد تفرق المؤتمر نادى ابو الباكور من عند نفسه جهارا بان الهيبة امير المؤمنين كما أعلن بذلك الاعراب افتياتا على المؤتمر . حتى ان الاعراب يوم الجمعة مختتم جمادى الثانية قاموا الى الخطيب الفقيه سيدي محمود التزيتي فاوعدوه ان لم يعلن بذلك في الخطبة ، فاستاء كثيرون ممن حضروا المؤتمر ، حين وقع هذا الافتيات عليهم ، بعد ما أعلنوا ما أعلنوا ،

الاخ سيدي محمد رسالة كتبها اليه العلامة ابن مسعود يوصيه انهاءها ان لا يستجيب الى دعوة ان وجهت اليه من آل ماء العينين بتزيت . والرسالة مكتوبة اواسط سنة 1329 هـ فاما ان يكون ابن مسعود تسربت اليه خفية نبأ من ذلك السر الذي يشاخي به بين آل الشيخ في تزيت وذلك هو القريب . واما ان يكون ممن نفذت فراسته اليه - وما هو عن مثل ذلك بمدفوع (اتقوا فراصة المومن) - وكيفما كان فلا نشك في ان الخطوط الاولى لتلك الحملة التي برزت اواسط سنة 1330 هـ كانت تهيأ من اواسط سنة 1329 هـ وايضا ان للسياسة الخارجية تأثيرا في بعث ذلك الامل . فمنذ حادثة اكادير الشهيرة وهي التي جاءت فيها البارجة الالمانية فكادت الحرب تندلع بسببها . ومنذ قرب اعلان الحماية الفرنسية على المغرب وقد تزعر جيش مولاي عبد الحفيظ ، دخلت اصبع المانيا الى تلك الجهة تفتش عن جديد تشغل به افكار الدول - فرنسة واسبانية ومن ورائهما انكلترا التي تنافسهما في المغرب - فنحن نوقن ان ثورة مولاي عبد الحفيظ نتيجة لهذه المجاذبة الدولية ، وعندنا من ذلك اخبار محققة - لسنا الآن بصدد ذكرها هنا لانها اجنبية عن الموضوع (1) - وحين اخفقت تلك الثورة في النتيجة التي يأملها من اججوا نارها ، اقبلوا يفتشون عن ثائر اخر لعلهم ينالون به غرضا من اغراضهم ضد الدولة التي فازت فتهايات لاعلان حمايتها على المغرب . ثم كان ما كان فاحتلت فاس . فقضى الامر . وتمت لها الصفقة خصوصا بعد المدبحة الفاسية المشهورة وقد كان آل القائد سعيد الجيلوليين الحاحيون لهم اتصال بالشيخ ماء العينين تبركا به فامتد ذلك الاتصال لاهله الى ما بعد حياته ، كما كانت لهم حماية من دولة المانيا . وكان القائد مبارك منهم هو الذي وصل بها حلقة . فكان الخبراء الالمانيون السريون يجوسون نواحي اكادير الى تارودانت بسببه ثم لما توفي 1329 هـ خلفه اخوه القائد عبد الرحمن في تلك السياسة فكان هو الذي وصل الاسلاك بين آل ماء العينين وبين هذه الدولة الاجنبية . فبذلك تكونت الجرثومة الاولى التي نبتت بها دولة الهيبة . وتقوت به فكرة ثورته حتى خرجت من حيز الفكرة الى حيز العمل وكثير من الناس في المغرب يجهلون هذا السبب ولكنه موجود بلا ريب .

(1) وهي مذكورة في كتاب (حول مائدة القداء)

وفي تلك الايام اجتمع في (تالعينت) مؤتمر آخر من القواد الرسميين
والمستئين المثبتين الذين لم يسلسوا قيادهم الى ما اسلس له اصحاب
المؤتمر الاول . كالقائد عبد السلام الجراري قائد اولاد جرار فانه كان
يخالف خليفته عيادا في التشييع لتلك الفكرة بشك السرعة . وبينما المؤتمر
الثاني يتداول في ذلك الحادث اذا بركب من علماء هشتوكه قدموا السي
تزيت في 36 بقلة ، يقدمهم الفقيه سيدي الحاج عابد والاستاذ سيدي محمد
اغنبو . وقد اجتمعوا اولاً في هشتوكه ، فصالحوا بين الرؤساء هناك في
مخالفة يجتمعون اليها بالجيوش ، ثم اقبلوا برياسة سيدي الحاج عابد
بحماسة زائدة ، اثارها منه النخوة الدينية المشهور بها في الناس ، المنسوبة
له ولصالحين بين من وفدوا معه من اصحابه ، وقد جمع همته ، ونزل من
الجيل ، فاعلن دعاية عريضة طويلة للهيبة فكان اول بطل من الابطال اذ ذاك .
ولما كان له بين الهشتوكيين من عظم الحرمة ، وشفوف المتزلة ، لم يتخلف
احد منهم عن قبول ذلك . فاقبل يقتاد اصحاب الطيالييس من العلماء في
ركبهم المهيب حتى حطوا ركابهم في تزيت . وقد اعلن الاعراب وابو الباكور
والخطيب سيدي محمود ما اعلنوا ، فاشاد ذلك هو اشادة اثار من
السامعين موجة من الحماسة الدينية ، والنصرة الوطنية ، فاهتز ازغار
كله لذلك ، فلم يسع المؤتمرين بتالعينت الا ان ينضموا الى الناس ، وقد
جرفهم السيل الطافح الذي اتى فطم على القرى ، وما السيل العرم
الجارف الا جيشان الافكار ضد الاحتلال . هكذا تم الامر . وصار كل من
تاخر كالقائد الحاج محمد الاغبائوي الماسي والحاج ابراهيم الايفشائي
الافلي ، والشريف سيدي محمد بن الحسين التازاروا التي وامثالهم امام
الامر الواقع . ثم تهاطل الناس في ذلك الاسبوع الى تزيت . فقرأ القرءاء في
مجلس عام غاص بالحاضرين قوله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا) فدوت
مدافع كانت هناك موجودة . فارتج بدويها الجو ، فقلت الدماء في
الشرايين ، وتصور الحاضرون كأنما مدت دولتهم سرادقها على كل
المقرب الاقصى ، ثم تفرق الحاضرون على ان يعقد مؤتمر عام آخر يستدعي
له الجفلى كل الرؤساء والعلماء ورؤساء الطرق لاجالة قداح الرأي فيما
هو المعمول الآن . وقد تم الامر وقد نودي في صلاة الجمعة بالامير الجديد
في آخر جمادى الثانية بعد ما انعقد مؤتمر آخر بتزيت تحت رياسة الامير
الجديد . فبعد ان تمت الصفقة من اتفاق الحاضرين . اعلن ان الزحف
الى احتلال مراكش هو الذي سيكون باكورة الاعمال ، فاجرى النظام

فهيئت الرؤساء على القبائل . وكان ذلك سادجا ، لان الرؤساء هم هم
بانفسهم وانما اجري ذلك كعادة لتوطد قدم الامارة ، وحين كان للفقهاء يد
طولى في هذه الحركة برزوا الى الميدان . فكانوا اصحاب الشورى . على
حين ان القواد الرسميين الذين كانوا اولاً هم تبع ، وان قدم بعضهم اليوم
قائدا على اخوانه ، وفي ذلك اليوم تعين القائد المدني على الاختصاص .
واحمد بن الطالب على اخوانه ايت عبلا . والقائد سعيد البعقلي في وزارة
الامير . ثم عين عدد الفرسان الذين سيرافقون الحملة الى مراكش ، فكان
ذلك على حسب كبر القبائل وصغرها ، فالكبيرة خمسون فارسا .
والصغيرة بقدرها . ثم تسابقت القبائل تهدي الى الامير الجديد والهدايا
هي عربون اعلان الطاعة . والهيبة يقابل الجميع بطلاقة الوجه ، وبوعود
اوسع من فيافي بني اسد في صحراء العرب . وللبعقلين جد في هذا الامر .
فلذلك استولوا على الوزارة ، ثم عينوا مائة رجل او اكثر مسلحين يكونون
الحرس الخاص في جوانب الامير . حكى لي حاك انه كان اذ ذاك هناك ،
فاشتاق الى ان يرى وجه الهيبة ، فقبل له اجلس هنا على راس عال بعد
صلاة الجمعة . حتى ترى امامك رجلا قصار القامات ، متسخي الثياب
متسلحين . يقدمون كبكية من الخيل ، عليها غرابيب سود ممن لبسوا
الالبسة السوداء ، ومن بينهم واحد عليه مظلة يرفعها عبد يسمى صنباً .
فاعلم انه مولاي احمد الهيبة في حرسه الخاص ، قال وكان اول من اهدى
اليه طلبة بعقيلة في نحو 100 كيسين من السكر . فاضافهم فاجازهم
بثلاثة اكياس ، فانقلبوا مفتبطين .

القبائل تترى الى تزيت

بين عشية وضحاها اصبح اسم مولاي احمد الهيبة على طرف كل
لسان ، وقطب الاحاديث في كل ندوة ، وحضرته في تزيت قبلة كل امال .
فسالت الطرق اليها من رؤساء القبائل وطلبتها والمتفقرين منها . حتى
عبدت اليها السبل في رجب وحتى اصبح المثل بين يدي الامير الجديد
مصدرا للشرف يتناول به السابقون . وحافزا عنيفا لمن هم بعدهم
لاحقون حتى اصبحت تزيت كخليفة النحل . فراجت التجارة ، وفتحت
الكنوز . واستجذبت الالبسة . كأنما تستمد من الامال التي استجذبت في
الناس بنجاح فكرتهم هذه بهذه السهولة . وقد انهش هناك من العلماء
والرؤساء الاستاذ علي بن عبد الله مع الاخ سيدي محمد الالفيسين ،

والشاعر شيخنا الافراني وسيدى البشير بن المدنى الناصري وسيدى المحفوظ الادوزي وسيدى ابو بكر الايجيوآزي الاقاوي . والاديب المانوزي وسيدى احمد بن الحاج عبد الحميد الايلاتني . وكل من يحمل بنانه قلما . ولم اعلم ممن تخلف عنه من العلماء المشهورين الا العلامة عبد العزيز الادوزي . والا الاستاذ احمد بن مسعود البونعماني . وسيدى سعيد بن الطيب الاجماري وسيدى الهاشم التيميچيدشتي وامثالهم من القليلين الذين عقلتهم الفكرة الصوفية . ففنعوا بما بين ايديهم . فلا تجد ميكروبات الطمع من الشهرة متعششا في ادمغتهم . وفكرتهم ان وقت الدفاع عن البلاد قد ازف . ولكن يرون ان اهل سوس ليسوا بمثابة تولي العرش المقربي . وقد كان الامير الجديد يسيطر يده لهؤلاء العلماء الذين لبوا دعوته . ويعدهم ويمنيهم . ولا اسهل من اتقياد علماء الدين اذا عظموا ووعدوا بالمقامات السنية . فكان الهبة حقا يمثل دورا مجيدا من الكرم . فكل ما يتوصل به من الرؤساء الذين يقدمون الهدايا ، يعطف به على الطلبة والمتفكرة ، وامله بذلك ان يستولى على القلوب في اليقظة ، وعلى الاحلام في المنام فتم له ذلك . فما شئت من كشوفات واحلام تدوي بها النوادي ، وتتموج بها الاحاديث ، حتى ليصدق من كانت له وقفة . ومن يسمع يخل . خصوصا من امثال العلامة الصالح سيدى الحاج عابد المسلم المخلص . وقد كانت قبائل بعمرانة والاحصاص وافران ومجاط ووليتة وجبال جزولة واقا وازغار كلها من السابقات بالهدايا . ثم لا يكتفى في ذلك بالهدية العامة التي تقدم باسم القبيلة . بل كثيرا ما يجتمع اناس فيقدمون باسمهم الخاص هدية تزلفا وتعرفا بالامير الجديد ، وتبركا به . وهو في نظرهم هبة من السماء لانقاذ البلاد . وهدى العباد . وكذلك ارباب الروايا . قدم الجميع هداياهم واعترافاتهم بالامارة الجديدة . فلم تتأخر منهن زاوية . وربما كان من المهدين هؤلاء ما يضحك الشكلى . ويصير طرفه يتندر بها الناس . فمن ذلك ما حدثني به بعضهم قال جلست في تلك الايام فاذا باناس قصار من ايت صواب ، على رأس كل واحد منهم خنشة صغيرة من الكتان خلقة فيها حفنات من التين اليابس . اتوا بذلك هدية . ثم انهم اعلنوا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . يتقدمهم بضعة اقزام . فلم يبق هناك من لم يقلبه الضحك . ورايت ايضا آخرين قدموا باسم قبيلة ايت والياض في شبه ذلك . وقد قدموا ايضا هدية تافهة بصورة مزعجة تستثير الضحك من الحزين ، وجاء ايضا رجل قامىء القامة اهوج من قنن الجبال ما نزل منها قط الا اليوم . فأخذ

بيده حفنة من اللوز ليقدّمها بيده الى الامير . وهو مستو على اريكته في فسقاط . فحاول الاعراب ان يحولوا بينه وبين المثل بين يدي الهبة . ولكنه جاذبهم حتى ترك في ايديهم خرقا من قميص كتان عليه . فوصل بين يديه ونصفه مكشوف . فلم يبق هناك من له عينان الا غلبه الضحك . واقبل ايضا طالب يقدم طائفة من الطلبة بيده علم احمر جميل فوق مقرسه من العلو جامور صغير من نحاس . ومثل ذلك غريب في سوس - فأسر بعض الحاضرين من شياطين الطلبة الى بعض الاعراب ان لا يرجع الطالب بعلمه . فان السلطان بمثله اولى . فازيلت الراية من صاحبها مرغما وهو يبكي . فكانت هي الراية الكبرى على رأس الامير الجديد ، كانها (الندركس) الراية الفارسية المشهورة . واخبرني بحكايات تشبه ذلك . ولو تتبعنا ما يهديه البسطاء لاميرهم الجديد لوجدنا حتى الجراد المشوي ، لانه مما يتهداه الناس في وقته . وقد تذكرت الآن ما كنت اسمعه من ان بعض القواد الشلحيين السوسيين كانوا يقدمون الى المشهور ايام مولانا الحسن في مراكش فيعلنون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وعليهم خنشيات (1) مخطط ما وراءها . فيكونون كالسينما الحية هناك ما شاء الله . ولكن مولاي الحسن يقابلهم بما يستحقون ويعذرهم . ويصبر على جفوتهم . وكذلك يفعل السياسيون الدهاة . وما مقصودي بسوق كل هذا هو الاحماض فحسب بل تصوير الحالة . ومقدار اهتبال الناس بمن جاءهم كمنقذ للامة بعد ما مد اليها الاحتلال مخالفه .

تحية الادب السوسي للامير الجديد

لا فض فوك يا ربيب المدرسة الالفية ايها الاستاذ الشاعر المفوه سيدى الطاهر الافراني . فقد خلدت الادب الالفى بنفثاتك الرائعة . وقضيت للمدرسة التي خرجتك بانها مدرسة ادب اندلسي حي . قبل ان تكون مدرسة بيوع الاجال . ومناسخات الفرائض . وجدول الصفة المشبهة .

وقد الاستاذ الطاهر في اول الوافدين مع صاحبه الاديب البشير ابن المدنى الناصري واخيه القرشي فكتب الى الامير يستأذنه في الدخول . بهذه الابيات :

(1) الخفيف : ثوب ابيض غليظ من كتان . كذا في القاموس . وهو يطلق في سوس على سلهم اسود غليظ من الصوف

يا خير من مسدت له الاملام
واجل من ياوى اذا ما راعه
بالباب وفد حثهم شوق الى
ولدا ابن ناصر الامام وطاهر
فعليك يا تاج الملوك ودره الـ

وتعطرت بثائه الاقلام
سرب الضلال لرثنه الاسلام
رويا سنا يجلى به الاظلام
من لم ينلهم في هواك ملام
شرف الاصيل تحية وسلام

ثم لما مثل بين يديه القى على مسامعه هذه القصيدة الرنانة التي لاشك
تنبه ادباء مال ماء العينين الى ان في سوس ادبا رائقا جزلا يستمد من نفحات
اشيلية يوم كانت لاشيلية آداب :

بنود بريح النصر والعز تخفق
وروض المنى غص الازاهير مونق
وكوكب سعد الدين باليمن طالع
بيعة نصر احكم السعد عقدها
وابرمها امر من الله شده
خلافة سلطان الهدى شمس هالة الـ
محيط رجاء القصد مأوى لراغب
اجل الرء مدت له راحة الرجا
رضيع المعالي درة الشرف الذي
خليقة رب العرش احمد من علا
سليل الكرام الصيد اقطاب داره الـ
اهلة انلاك الحقائق من هم
فمن مثل مولانا ابن مامين انه
ومن مثل در التاج وارثه السدي
هو الشمس ما العيئين مولاي خير من
عليهم تحية الرضا ما شدا على
هم العرب الغر الميامين ان دعوا
وان عاهدوا وفوا وان قدروا عفوا

والسن بيض الهند بالفتح تنطق
ووجه الهدى طلق الاسرة مشرق
وبرق تبشير الرجا متاللق
واسسها يمن وراى موفق
على الطوع عهد المومنين وموثق
سيادة بحر بالندى يتدفق
امام هزبر العزم يقرى ويخلق (1)
واكرم من تحدى لجدواه اينق
نماه الى ادريس عزو* محقق
محياء انوار الهدى تترقرق
مكارم من راقوا وارج العلا رقوا
اذا سويقوا في حلبة المجد سبق
لدين الهدى تاج به ازدان مفرق ؟
هو المنهل العذب الزلال المصفق (2)
لحضرته يهدى الثناء المخلوق
غصون النقا وهنا حمام مطوق
اجابوا وان هموا بامر تحققوا
وان ملكوا عفوا ومنوا وارفقوا

بدور لدى النادي بهور لدى الندى
اذا سئلوا اهتروا ارتياحا الى الندى
من القوم اما حبهم ففريضة
بها ليل اما عرضهم فمظهر
نجوم سماء المكرمات تشابهوا
سوى ان مولانا الخليفة فيهم
لقد زادهم فخرا خلافته كما
فيبيعة جأت على خير طائر
بها افتر ثغر الدين وانشرح الهدى
لقد طلعت في مشرق العدل شمسها
تولت يد الايمان واليمن عقدها
فدلهم النور المبين عليك فاست
فانت امير المومنين المظفر المـ
وانت احق الناس بالملك من يرد
فخل مقولات الملاحم جانبها
وقاتل عدو الله فالله ناصر
وسر ظافرا بالنصر سفيك حيثما
فكفك مفتاح الاقاليم لم تنزل
هنيئا امير المومنين ببيعة
جمعت بها شمل الهدى بعد شته
واسقيت روض الملك فاخضل عوده
وذدت الردى عن سرح ملة جدك الـ
سيجزيك يا خير الملوك كما جزي
فانت لدين الله احوط كافل
بقيت بقاء النيرين مظفرا
اليك امير المومنين زففتها
فان تك من حلى البلاغة عاطلا
وان قصرت في قدر مدحك انه

سويك اذا جدوا اسود اذا لقوا
وان مدحوا غصوا حياء فاطرقوا
وبفضهم الكفر الصراح المحقق
واما ثنائهم فهو خمر معتق
فخارا فكل في السيادة معرق
كبر حوالبه الكواكب احدثوا
يزيد جمال الفصن والفصن مورق
والدين والذنيا اليه تشوق
واعلن بالتكبير غرب ومشرق
وقد كاد ليل الظلم والكفر يطبق
واجمع اهلوه عليه واصفقوا
سدلوا وهل يخفى من الصبح رونق ؟
سطاع واهل الله جند وفيلق
نواءك فهو فاسد الراي اخرق
وسل ظبات السيف فالسيف اصدق
وحاب بمال الله فالله يرزق
توجهت والحفظ الالهي محقق
ترقبها مصر ونجد وجلق
انتك على شوق تفد وتعنق (1)
ورقت ثوب الدين وهو ممزق
وهبت صبا اسحاره وهي تعبق
سني وعقبان الضلال تحلق
ملوكا على دين المهيمن اشفقوا
وانت بعهد الله اوفى واوفق
وعقدك مشدود ومدحك مطلق
مهنة لا عن صبح ترقق (2)
ففي اذننا قرط الثناء معلق
لبحر وهل ياتي على البحر منطلق ؟

(1) الاسداد والاضال : من السواع الجري

(2) الترفيق من الشيء : التكية عنه . والصبح بالفتح : ما يشرق صباحا . وذلك مثل
والملصود انه لا عرض له ولا حاجة

(1) انراى الجندر : قطعه . وخلقته : قدر كيف يقطعه ، وهو مثل يهرب ان يعرف كيف يسوس
الامور

(2) اصيبق الشراب : تصليته

كفاها التفخارا بالحلى ان جدها
اذا ما جلاها المنشدون تفرست

وقال ايضا يخاطبه:

هذي مراتب ليلى قاقض ما وجبا
واربع على الربع واذكر جيرة رحلوا
وارو بالدمع ان شح الحيات منا
ايام نلهو بوصل البان لاعذل
من كل غيد اءان شيمت فبدر دجى
اذا اثنت غار غصن البان او بسمت
لله ايامها الاى سلفن كما
مرت كما مر طيف زار مكتثبا
ما ان تذكره وان سلا زمنا
فيا مراتب ليلى هل تعود لنا
ويا مراتب ليلى لا برحت كما
ويا مراتب ليلى لا عدك حيا
نفع بلا ضرر . صفو بلا كدر .
عين الشريعة بل عين الحقيقة بل
غيث الارامل بل غوث العوالم بل
شيخ هو التاج والاكيل في رتب
فهو المقدم في كل المظاهر لسم
بد السوابق في علم وفي عمل
اما العلوم فيجرطم زاخره
سل عنه تلك التأليف التي برزت
له عنا كل من عانى الفنون فان
ان قيل فقه فمالك وان ذكروا
وان جرى الشعر والنثر المحبر فال

بمدحك يا اندى الملوك مطبوق
كما ضاع من دارين مسك مفتق

ونث من سر (ما العينين) ما احتجا
وخلفوا الوجد والاشواق والكربا
ساعد فيها على اللذات شرح صبا
يخشى ولا كاشح واش ولا رقبا
وجها وفرعا وان شمت فنشركبا (1)
غار بها الدر او رنت تغار ظبا
هبت بنفع اللوى والرقميتين صبا
فسره نائما فحين هبا صبا
(الا شكى او بكى او حن او طربا) (2)
فيك الليالي بامثال الذي سلبا ؟
عهدت ملعب غزلان مريع ربا
كما همي سر (ما العينين) منسكبا
امن بلا حذر ، فيض فما نضبا
هامى الانامل بل بحر ندى عذبا
انسانها بل سناها الكاشف الحجا
العليا فزان جمال فضله الرببا
تلحق بغايته الابدال والنقبا
فلم يصله مجل لا ولا كريبا
لذا رمى جوهر الابحاث منتخبا
ازاهر الروض بل زواهر اشهببا
جارى الى غاية ما احرز القصبا
نحوا فمنه الخليل يجتدى الطلببا
سديع من بحره يفترف الادببا

اما التفسير والآثار فهو ابو
لما تيمم علم القوم قاطبة
الى مناقب اجلى من ذكاء واكثر من ال
لو رام ذو لسن احصاءها لفدا
سر كما صاب يوما صوب غادية
اذا دعا لمحجب فالهناء وان
احيا من المجد رسما بعد ما دثرت
بهمة لا تنى مهما انبرت لمدي
وعزمة حدها امضى وانفد من
خط المراحل في سير القلوب الى
قلب هو الجامع الفرد الذي خضعت
نور لمقتبس جدوى للتمس
بث المعارف والاسرار محتسبا
وملاب ذاتا وسرا ظاهرا وثنا
وشاد ما اسه عباؤه وهم
نوارثوا نوره من بعده ففدا
هم الحماة حماة الدين اسد وغى
قاموا وقد خذل الانصار وامتعضوا
وقلدوا امرهم لله درهم
ليث الكريهة من لم تدبر راحته
اندى الملوك يدا اهداهم رشدا
او فاهم ذمما اعلاهم همما
اعلى بني هاشم عزا ومن فخرت
خير الخلائف احمد المظفر مند
قاله يسعد مولانا وينصره
مولاي دونها بكرا اذا برزت
همت بنشر ثناء الشيخ قدسه

بجدها واليه تنتمي نسببا (1)
في عصره كان امايرة واببا
نجم لا ياتى عليها نبا (2)
بما تواتر منها يملا الكتببا
فانبت الكلا الملتف والعشببا
دعا على ظالم فحرب ووببا
منه الطلول وكادت ان تصير هبا
الا اذا ادركت من نيله الارببا
اسنة شرعت لفرض وظببا
ان حط فيما وراء الحجب القتببا
له المراتب وانتقاد الذي صعببا
نعمى لمبتس رحى لمن تكببا
فليس يظما من في بحره شرببا
واحرز المدح موروثا ومكتسببا
ما هم وورثته ابناءه النجببا
حيا وكان براى العين قد غرببا
سم العدا انجم العليا بحور حببا
للدين اذ غيرهم خام فما انتدببا (3)
امضاهم في الوغى سهما اسد شبا
الا النداء واليراع والقنا القضببا
اعلاهم نسا اولاهم حسببا
اسماهم علما اقواهم غلببا
به البهاليل عال ما من العرببا
صور اللوا خير من اولى ومن وهبا
ما رنحت سحرا ريح الصبا عذببا
تاهت على غادة مقصورة بخببا
الرحمان حق الثناء لو تمدثببا

(1) العلوم ابن بجدة لا ابو بجدة نعم ابو عذرها . ويصلح ابو عذرها على الاصل لعله
هو المقصود اصالة .
(2) ذكاء بالقسم ممنوعا من الصرف : الشمس .
(3) خام عنه : لكفى وجيبين .

(1) الكباء بالكسر : العود الذي يتبخر به
(2) شطر لابن سهل من قصيدة له مشهورة في ديوانه الطيوع

فأقبل والغص وسامع واسترن ومن
عليكم وعلى الاطهار اسلكم الس
ثم الصلاة على اهل الوجود وعين ال
وعاله وعلى الصحب الاهلة ما

وقال ايضا هذه النونية :

دعت للهوى بعد الصبا امين العين
خرائد ابدى الخدر منهن غداة
غزالية وحشية غير انها
تميس بعطف كالتقا متأطرا
وتسفر عن ابهى من الصبح زانه
وتبسم عن احوى اللثات موشرا
خدلة ساق علبة الردف بضعة
تتبه بافراط الجمال كما زهت
امام الهدى بدر الدجنة احمدا بـ
نجوم توالى في سماء العلا فيسا
اضاءت بهم كل البلاد واشرقت
هوا كل فن من فنون العلا وفزت
هنيئا امين الله حقا بجمع ما
فانك غوث بل وغيث فاينما
وانت الامام المرتضى والخليفة
اضاءت بك الدنيا وعم بك الهنا
فاصبح جند الله بالله غالبا
فهاذي مقاليد العباد اليك عن
فقم وتوجه حيث شئت فلا ترى
بقيت لدين الله منتصرا به
عليك سلام الله ياكعبة النبى

فالعذر باد ومن للعير ان يشا لا
سراكي سلام يوفى قدر ما وجبا
حجود افضل من مشى ومن ركبا
لاحت كواكب قدر ان السما حبا

قلبيت اذعانا وطوع المهادينسى
كشمس على غصن على حقف يبرين
تتبه على الغزلان بالدلل واللين
وتسطو بسيف من ظبا اللحظ مسنون
انج كعطف القوس او عطفة النون
كدر نظيم في القلادة مكنون (1)
مهففة سلوبها كل محزون (2)
بدولة مولانا الرضا خطة الدين
من مولاي ما العينين من مال مامين
لهم من نجوم مشرقات ميامين
بنورهم الصحرا الى مشرق الصين
من بعدهم بارث تلك الافانين
تفرق من ازهار تلك البساتين
حللت فثم كل بشر وتامين
المعان بتاييد ونصر وتمكين
بعز ذوى التقوى وعز المساكين
بجدع عرائين الاعادي الملاعين
تراض وطوع يا اجل السلاطين
سوى كل ما احببت في كل ما حين
ومعتصما بامين عالف باميين
كما حل وسمى بروضة نسرين

(1) مقصوده انه مكنون في الصدف اولا . واحوى اللثات مؤخر هو الثغر وتلك اوصافه . واللثة
بالكسر : لحم الانسان ، والحوه هنا : حمرة الى سواد . والاسنان المؤشرة : اذا تساوت
ولم يتراكب بعضها على بعض .
(2) امرأة خدلة : غليظة السال مستديرتها .

والركى صلاة الله ما هبت الصبا
واسحابه الزهر الهداة والسبه
وقال لما جاءت قبيلة ابلالين للبيعة :

ابا مولاي قد وافيت هلاله
مهم جيل عن الاحكام اعصى
ولكن سعد مولانا اذا ما
ادام الله امرك في اعتزاز

وقال حين جاءت هواره بمائة فارس :

نور الهداية والتوفيق قد سطعا
فقر عينا وطب نفسا فانت بها
بشرى بدولتك الفرأ او سيرتك الـ
فالله ينصر مولانا ويسعده

وقال ايضا وهو يستأذنه في الوداع ليلى بأهله :

اقسمت بالمجد والعلواء والهمم
اوت الى ذروة العز التي فخرت
اهدى الورى رشدا اندى الملوك يدا
بدر السعادة درة القلادة حض
اجل متزر بالمجد معتجر
مولاي احمد محمود السجية مـ
فالله يكلاه حفظا ويسعده
ما غرد الطائر الشادي ضحى وحدا
هذا ورؤياك في الدنيا هي الفرض الا
فالحمد لله اذا روى بها ظمائي
فانت في دولة الاقبال شمس هدى
وقد دعاني الى توديع سيدنا
بعيت للدين والدنيا وسيفك منـ

ان الخلافة قد اوت الى حرم
بفضلها العرب العربا على الامم
اصفى الموارد ارواها لكل ظم
رة السيادة مغنى العزم والكرم
بالحمد منتصر بالله معتصم
شهود المزية بدر كاشف الظلم
حظا وينصره بالسيف والقلم
حادي السري سحرا بالانق الرسم
قصى وخير المنى وغاية النعم
والحمد للئيس بعد العزم والهمم
تاج الملوك ملوك العرب والعجم
داهي الضرورة لامس من السام
سور وسيفك يهكي وابل الدينم

هذا وقد ذكر المؤرخ الرهاقي انه كتب اذالة الى الهبة بهذه القطعة
اول ما ورد عليه :

يا بكم زور عبيد السدار
غرضه من فضلكم مفاوضة
مستحرما به بما العينين
عليك منه اطيب الاعراف
فاجاب بخط يده :

يا مرحبا بكم واهلا مسهلا
يومكم يوم سعيد سلسيل
غرضكم يقضى بفضل الله
عليكم من السلام اطيبه
ولبعضهم يوم جاءت قبيلة ايت صواب - ولعله سيدي الحبيب
السكرادي - :

لقد عاد الزمان الى الصواب
قبيل في جبال شامخات
وان بلادهم والكل يدري
امير المؤمنين اتاك كل الا
غداة هدى قبيل بني الصواب
واوداء عميقات صواب
لا منع من مبيات العقاب
نام غداة جاء بنو الصواب

وقال الاديب محمد بن محمد الثونلي التلميذ من ابناء الادب الالفى يهنيء
الامير بالبيعة وقدمها اليه في منتصف رجب بعد البيعة العامة :

شمس الهداية اشرقت من مغرب
قوت بها عين الهوى من بعد ما
ذرت ففاض شعاعها واستاصلت
يا طالما ضمن الزمان بمثلها
تيها بها يا مغرب قد حزتهبا
تيهن بفرد كامل ذي هممة
خير الخلائف احمد المولى السدي
فمحت ضياء البدر بله الكوكب
قد اصبحت تقذي بحزن مكرب
عرق الضلال فزال كل الغيب
فحكى لدى التمثيل عنقا مغرب
ايها فقد اعطيت خير المنصب
قضاء عزت ان تنال بمطلب
ما ان له في الكون ثاني المذهب

نجل الكرام السادة الفر الا لى
ماء العيون ونورها وسوادها
عقد على جسد الزمان مرصع
انحى بتيته فاصبح سابقا
بحر خضم زاخر لكنسه
ورث المكارم كابرا عن كابر
نلق كما هبت بروض خميلة
او مثل زهر فتقت اكمامه
حمدا لمن اولاهم وحباهم
مد اصبح الدين اكتسى من عدلهم
وبه افتخرت فلم ابال وان يكن
محبا لقلب لا يريد تشوقا
دم ناصرا ومجددا ركن الهدى
وارح قلوب المؤمنين فما عسى
نكائب كالسحب اما اقلعت
نذر العدا صرعى تحوم حوائم ال
من كل قرم للحروب يرود ما
يهدو ويصبح للوغى غضبان لا
ابيت للدين الحنفي معيدا
ومبطل عنه بعد لك المقبول ما
والكها حانة عذراء لم
وميس في برد الفصاحة تبثفي
منى على مشواك خير تحية

سادرا الوري طرا بسر معجب
عين الحقيقة بغيبه المتطلب
بجواهر الاحسان لا كالمذهب
كل الوري من محسن او مدلس
عذب الزلال لقصص في المشرب
لا يعتنون بغير مجد انفس
ريح الصبا سحرا بنشر طيب
در الفمام بطله والصيب
كل المفاخر دون سعي متعب
عزا ومجدا امانا من مصلب
فخر يشين فتهن اول مطلب
وتشوقا للقائه المسلوب
بسيوف بيض الهند رايح مكعب
يجدي سوى حرم وهرم اصوب
كاسود غيل القفر مهمما طلب
عبان تفري هامهم في السبب
يزري لدى الهيجا بيرق مطلب
يعنى بغير مدرع ومثدرب
وتدود عنه كل داء معطب
يفشاه من خوف البوار المكرب
تمس وتائف غير اكفا الخطب
حسن الرضا منكم بشقم اشنب
تذكو . شذاها يزدرى بالطيب

هذا وقد وقفت على قواف كثيرة للادباء السوسيين وللمترامين منهم
على الادب . وسأحرص ان اذكر في ترجمة كل واحد - متى تعرضنا له
مناسبة ما - ما يمكن تسطيره . وان كنا لا نبالي باقوال الغالب التي تعد من
سلك المتاع .

الافيون عند الهبة

اما الاستاذ علي بن عبد الله فانه وقد اليه مع العلامة الاقراني في وفد
من اول وهلة وليس هناك ما يستحق الذكر في ذلك . واما الحاج

ابراهيم الايفشاني فانه بعد ما توقف مع المتوقفين في امره فانه سرعان ما اندمج في الناس من غير ان يفد على تزنيته وانما اوفد احمد ولده . ثم رجع في هشتوكة ولم يسافر الى مراکش . فكان من ذيول الرعيل اللاحق . على ان تردده في ذلك لم اعلمه الا من كتاب (الروضة) للرفاكي وانما الذي اعرفه اني وقفت له على رسالة كتب بها الى الفقيه علي بن احمد الاستكاري ثم التهالي ونصها :

(ومن ابراهيم بن احمد الفشاني الى الفقيه البركة سيدي علي بن احمد جُستكار بمدرسة تاهالا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فلا زائد الا الخير والحمد لله هذا واعلمك يا سيدي بان جميع قبائل السهل وما جاوره من حاحة الى وادي تول بايعوا المولى احمد بن سيدي محمد ماء العينين على الجهاد وغيره من كل ما اراد فيهم . وانه سيد معظم ذو بركة فالله ينصره ويجبر كسر المسلمين به ءامين ءامين على ان يخرج اخاه خليفته مع عشرين فارسا لكل قبيلة من الحد الذي ذكرناه يريد مدينة تارودانت فالله ينصره ، وليعلم سيدي ان خبر الغرب وصلنا امس وقد استرجع المسلمون فاسا (1) . ويسلم عليكم الفقيه الاجل - الذي في سماء المعالي حل - سيدي علي بن عبد الله . ويعود سلامنا على الفقيه الشريف سيدي محمد الكثيري وادعوا لنا بخير والسلام) .

اما اخونا سيدي محمد الذي هو الثالث فيمن يمثلون الغ اذ ذاك . فانه ما ذهب الى مولاي احمد الا بعد ان توطد له الامر . وقد كان اذ ذاك صغيرا . وانما انساق مع السيل الجارف . حكى لي من معه اذ ذاك . ان الوقت وقت حصاد ، والاخ مع كل الفقراء المتجردين وينيفون على الثمانين في المعدر يحصدون زرع الزاوية من هناك . ثم طلعوا الى الزاوية . ثم نزل مع الالفين باستدعاء الامير الجديد برسالة خاصة . وقد كان الاخ اشترى فرسا قبل طلوعه الى الغ . قال ومن الغ ذهبنا الى تزنيته في اناس قليلين . فوجدنا الاعراب يقيمون الدنيا ويقعدونها بالارجاف بكل من تأخروا عن البيعة . كالقائد الحاج محمد الاغبالتويني وامثاله . فدخلنا في عشية الى فسطاط مولاي احمد . فاستدعاني اليه (يقول ذلك الاخ سيدي محمد - وهو اذ ذاك كما بقل عذاره) فصار يمسح على رأسي كما يفعله الاكابر بالاصغر .

ويرحب بي . واول ما باداني به ان قال لي قد وجدت والدك الشيخ سيدي الحاج علي كما خرج من عندي الآن . . وانت مني بمنزلة المحب المكرم . ولد من بين اولادي . فهذا الامر لا يقوم الا بامثالك . فلا بد منك وساجعل لك مقاما عليا . واسنى لك مرتبة لا تتسامى . قال الحاكي يقول ذلك لنا ونحن جالسون نسمع . فوقع في قلبي شيء بمجرد ما قال لي ان والدك خرج من عندي . ولست ممن يدفعونه عن تلك الكرامة . فانه اهل لكل كرامة . ولكن لا ينطق بمثل ذلك مثله الا مقلوبا على حاله . وهو ليس كذلك في ذلك الوقت . ثم انفتلنا من عنده فنسمع الاعراب يقولون ان المدفع الكبير يهزل يسمع نداءه بلا اله الا الله كل سامع . قال فذهبت لاكتشف هذه الاكذوبة الحديثة فوجدنا المدفع في محل بين بايين يلج الريح في ثقبته فيتكون لها صدى فيموه الاعراب بما يقولون . وربما يختبي احدهم في علية عليه . تقابل الثقبه فيهلل . فيأتي الصدى من الثقبه . فيخدع ضعاف العقول بذلك . هكذا حدثني ايضا عن هذا المدفع ثقة صدوق . وهو الشريف سيدي ابراهيم بن محمد بن اليزيد التازروالي صهري . وهو ممن لا يقعقع له بشنان ، ولا يطرق له بالعصا - ودينه يمنعه من افتراء امثال هذا . على ان قضية المدفع مستفيضة يتحدث الناس باكذوبتها . وما يتصنعه جهلة الاعراب بوساطته سمعناها من كثيرين . وانما الذي انفرد به ما حدث به اول كلامه . فكانت قريبة من احدي الفرائب الموهات التي ستسمعها امامك .

انفتل الاخ من عنده وقد انساق مع الناس . وتهايا مع كل من معه من الفقراء الى ان يصاحبو الامير الى الحمراء . فنزلوا بتزنيته فدفع لهم فسطاطين احدهما كبير الى الغاية . يحلق فيه جميع الفقراء . فكانت عدتهم 85 وكلهم من اصحاب الوالد وكبراء الطريقة الدرقاوية وفيهم من الافلاذ امثال شيخنا سيدي سعيد وسيدي مولود . ومن بينهم مبارك بن الحسين (نائر تافيلالت بعد هذا الوقت) ولا شأن لهؤلاء الفقراء في زهرة الحياة الدنيا الا انهم مجروفون بالسيل العام . متبعون لابن شيخهم فيما يأمرهم به . ولم يفارقوا مرقعاتهم وعكاكيزهم وسبجهم . وقد همروا اوقاتهم باذكارهم لا يبالون بما يموج به معسكر مولاي احمد من حين انخرطوا فيه بتزنيته الى ان تفرقوا شذر مذر في الحمراء كما ستري .

مولاي احمد الهيبة يغادر تزنيته

خرج مولاي احمد من داخل تزنيته في مختتم رجب الى خارجها فمسكر

امام باب من ابوابها . فصارت القبائل تجتمع عليه . ولى كل عشية يجلس بعد العصر المجلس العام متصدرا فوق كرسي في فسطاط . وحاجبه محمدا الامين الصحراوي . والوزير القائد سعيد البعقلي واقف . وذلك الحرس الذي ذكرناه من بعقيلة قد وقفوا سماطين من بساب الفسطاط الى بعيد . والاعراب فيما بين اولئك يموجون بلا نظام . فكلما قدمت جماعة هدية . يعلن الوزير بقوله (يقول لكم سيدي بارك الله فيكم واصلحكم) . فيبادر الحرس البعقلي عند ذكر اسم الامير فيصرخون بلهجتهم الشلحية يقولون بلسان واحد (الله يبارك في عمر سيدي) وكل ذلك تقليد من الوزير ومن هؤلاء لما كانوا راوه من السلطان مولانا الحسن . حين زار سوس المرتين ولكن الوزير والحرس يقولون تلك العبارات العربية المصحفة قديما من السن ءال السلطنة برطانة شلحية يرتطنون بها تلك العبارات العربية المسكينة التي بليت مرتين . مرة بتصحيفها على السن الاعوان في دار المخزن ، كما هو المعتاد . ومرة اخرى حين تلوكها هذه الالسن الشلحية . التي تتكلف النطق بها عن تلقين . فيكون ما يدور كذلك في تلك العشايا مهازل تستخرج الضحكات من اعماق الحناجر . كما يحكي الحاضرون العارفون المتندرون الذين لا يعتبرون بما سكر به الناس من نخوة الدين والاستماتة في الكفاح دون بيضة الامة ، هذا والمدافع في كل حين ترسل طلقاتها الى عنان السماء . فتصطك بها الاصمخة . وترتج بها الاعصاب . فتزداد بالجيشان بسالة . وان ظهر في بسيط سيدي بو عثمان فيما بعد انها من البسالة التي ذكرها النبي :

واذا ما خلا الجبان بـارض طلب الطمن وحده والنزالا

مرييه ربه يتقدم الى الامام

تموج خارج تزيت بالمتواردين من القبائل . حتى كان الناس كلهم حشروا هنالك . فما شيت من خيل ورجل وفقراء وفقهاء وطوائف الطلبة . واصحاب الالاعيب . وقد تذكر الناس ايام السلطان مولانا الحسن في المرتين اللتين نزل هناك فيهما . وان كان الحال كما قال القائل :

يا بارقا باعالي الرقتين بسدا لقد حكيت ولكن فأتك الشنوب

رايت في رسالة الحاج ابراهيم الايفشاني المتقدمة ان القبائل وظفت على نفسها 20 فارسا لكل قبيلة تتقدم مع الخليفة مرييه ربه ليفتح بهم الطريق .

وليكولوا مقدمة للجيش الذي سيقوده الامير بنفسه . وكان مرييه ربه في الرابع والعشرين من رجب . قبل ان يخرج الهيبة من داخل تزيت الى خارجها .

القائد حيدة في تزيت

رايت الناس يتسابقون الى الاتصال بالامير الجديد . وقد كانت حاجة من اوائل الناس المعترفين به . ولكن لم يات احد منهم . ولا قدم قائد كبير من مشاهيرهم . وانما سرب القائد عبد الرحمن الجيلولي الى الامير كل ما يحتاج اليه من المال . والفساطيط والاثاث ومثل ذلك في شبه سر وقد نسج الرأي على ان يكونوا اخر من يتصل به ظاهرا . وان يكون ذلك بمراكش وان تسلك الى مراكش طريق (أمستكروض) لا حاجة . ولب ذلك كله من تلك اليد الخفية التي تحرك هذا الامر من وراء ستار . تحاول ان لا ينكشف امرها الى ان يتوطد الامر كما يراد وقد اتخذت المانية كل الاحتياطات لهذا السر ، حتى انها استخدمت في ذلك ايضا مولاي عبد الحفيظ نفسه فقد جاء اذنه برسول خاص الى الهيبة ، ينهي اليه انه مغلوب على امره في فاس فليفعل هو واهله ما يقدرون عليه (حدثني بها ابن يعيش الحاجب . وسمى الرسول) وذلك غير بعيد واما رؤساء رأس الوادي فانهم بعد ما عرفوا ان قبائل الجنوب استتب امرها صاروا يتسللون الى تزيت فكان جميع القواد والرؤساء فيها . وقلما تخلف واحد منهم . كالشيخ الحسن التيوتسي والقائد العربي الضروري . وصفار قواد الجهة وكذلك الشيوخ المشهورون لم يتخلف منهم احد . ثم لما جاء ولد كائبا باشا تارودانت في هيئة مخزنية «روعة تبهر الابصار باللباس والخيال الفارحة والرجل المتظم والقباب الرائقة . اهتزت تزيت لقدمه . فكانت بيعة باشا تارودانت الممثل الرسمي لحكومة السلطان عبد الحفيظ خير بشارة تحمل البرهان الناصع الى الهيبة بأن امره في سوس قد رسخ . وان امارته قد ضربت اطنابها .

وقد قال الاديب سيدي الحسن بن عبد الرحمن الاكراري يوم ورد ابن كائبا :

الحمد لله قد اشرقت الشمس وخامر الناس من اجمعهم انفس
وخامر الناس بشر لا نظير له فاتهال منهم الى اميرهم طيس (1)

أقبل بهامتلك العلياء بيعتنا
هذا رئيس ردانة اتاك وما
الناس سكري ببيعة الامام فكم
بقيت للدين حصنا لن تشير الى
فالجبن قد هزله لنصرك الانس
تنظره بعد وهو للملا الراس
يعتاده من سكره الميس (1)
سواك في غربنا اصابع خمس

واذ ذاك احس الناس بان القائد حيدة قد تخلف عن البيعة وامر
راس الوادي لا يتم الا به . فاما العقلاء ممن يتشيعون للهيبة . فبقوا في
انتظاره على احر من الجمر . واما بعض الاعراب فمال على عادته الى
الاراجيف ، فيزعم ما كان يزعمه في القائد الحاج محمد الاغباليوي . فيقول
ان الضفادع والذبابة قد تسلطت عليه كان الجراد والقمل والضفادع التي
كانت في اول الزمن معجزة نبي الله موسى ما انسا الله في اجال نسلها الا يجعلها
في اآخر الزمن كرامة تلوكها السنة هؤلاء . ثم بعد ان سافر مرييه ربه
تواردت الانباء بان القائد حيدة قادم . وكان الهيبة على اوفاز ليتبع خليفته .
ولكنه تلكا حين سمع بقدم حيدة حتى يأتي .

في يوم طلع القائد العظيم في زينته وعلى اصحابه رونق انسى الناس
الرونق الذي ءانسوه من اصحاب كبا . فكانت الخيول المطهمة ، والسروج
الموشية ، والبغال الموقرة . والرجال الاماليد الاقوياء والفساطيط الجديدة .
مما امشى الابصار يوم جاء حيدة واصحابه . وقد كان اهل ازغار يعرفون هذه
العظمة لحيدة يوم زحف مع القائد انفلوس سنة 1318 هـ فجمعوا ذكرى امس
الى ما يشاهدونه ايضا اليوم . فكان القائد حيدة مثلا اعلى للمخزني التليد
الذي اوتي من العظمة ما اوتي من منظر يستوقف الابصار . ووقار في
المجالسة يستمد من الخيال . فجلس له الامير في العشية مجلسا احتفل له .
فقدم القائد خيولا مطهمة من نوع الجنائب التي تختار للملوك لتكون زينة
لموكب الامير ، وهل يعهد الناس اميرا بلا جنائب تقاد امامه ؟ ثم تقدم بعض
الشعراء (ولعله سيدي الحبيب الجراري) الى الامير يهنئه بهذا النصر التام
ببيعة القائد حيدة قائد قواد راس الوادي :

ليهنيك يا مولاي نصر مؤزر
تواردت القواد حتى اتاك من
اتى الضري مع كئيب لكن حيدة
وفوز بكل القائدين معزر
اذا لم يجرى فالملك اجدم ابتسر
به وحده النصر العظيم المؤزر

فحيدة راس الكل والفير ارجل
له الراي حقا والسياسة لا يرى
الا ايها المولى الذي تم امره
لقد نلت هذا اليوم عزا ومنعة
فقم لترى مراكش منك ضيفما
فانت لنا المهدي لا شك ويح من
وحيدة قاموس وغيره انهر (1)
سوى ما اللبيب الحاذق العقل يبصر
ولما يجمل رأي ولا جال عسكر
وملكا عظيما شأنه لا يسطر
عن المغرب الاقصى جميعه يزار
لذلك من بعد البراهيس ينكر

ذلك ما قاله هذا الشاعر الذي لم يكتف ان يكون صاحبه اميرا حتى
صيره المهدي المنتظر . وهذا غريب من هذا الشاعر لاننا ما كنا نعرف هذه
الفرية يلوكلها الا بعض الاعراب . وقد اخبرني مخبر ثقة . انه اجتمع مع محمد
الامين الذي كان حاجبا للهيبة . ومع ماء العينين الذي اشتهر بعد ذلك في
كتابة القائد المدني الاخصاصي . فقال الاخير منهما اننا لا نشك في ان هذا
السيد هو المهدي المنتظر . وان الدنيا برمتها ستفتح له ابوابها عن رضا في
اخبار حكاه لي لم استحضر تفاصيلها كيف هي . واخبرت ايضا ان بعض
الاعراب هبوا الى رباط ماسة حين مر هناك في مسامته مولاي احمد الهيبة
يستخرجون مسجدا مردوما هناك بالرمل . وفي الملاحم ان ذاك المسجد لا
يستخرجه الا المهدي . واحسب ان هذه الاحاديث هي التي بعثت شيخنا
ابا محمد حتى قال في القافية المتقدمة :

فخل مقولات الملاحم جانبا
حقا قال ابو تمام :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
واخبرني سيدي التهامي بن احمد الايليقي انه كان اذ ذاك صغيرا .
فسمع الكبار في الفاتحة يقولون ان المهدي قد خرج في تزيت وسيقطع راس
كل من لا يصلي ، قال فنذهب نحن الصبيان الى المسجد للصلاة خوفا من القتل .

ثم ان القائد حيدة نال من الامير في اللحظة مقاما ساميا عظيما . حدثني
الاخ احمد رحمه الله ان رجلا ممن يداخل القائد حيدة ومن بطانته الخاصة

(1) انهر يقصد به جمع تهر مع ان المعروف ان انهر جمع نهار . وانما يجمع نهر بانهار
وجمعوع اخرى ليس فيها انهر فيما نعلم .

حدثه ان الذي حمل حيدة حتى كان من المتأخرين في بيعة مولاي احمد انه كان يعرف اهل سوس ضعافا من كل جهة . فلا يقومون بهذا الامر ، مع معرفته اذ ذاك لاحوال المملكة المغربية وما يتهدها من الخارج . وقد ادرك ما هنالك من قوة وعتاد لا يمكن في العقل ان يقوم امامهما قائم . قال ولكن لما اكثر الناس في الهيبة . واثالوا الى بيعته من كل جهة . وصار الواردون والصادرون يقولون ما يقولون . حاك في نفسه ان الرجل ربما كان ذا سر رباني . وذا قوة خارقة للعادة ، وربما يكون قوله وما يدعو اليه صحيحا . وما اثر فيه ذلك التأثير الا كثرة اقوال الناس فيما يحكونه عن مولاي احمد . ولذلك عزم اخيرا على ان لا يبقى وحده من بين قواد رأس الوادي خوفا على نفسه اولا . واغتناما للدخول في المسلمين ثانيا . وقد كان الشيخ ماء العينين حدثه حين مر به في سنته الاخيرة . انه ان سمع بشيء عن ولده احمد فليكن له خير معين . قال الحاكي : فبهذه الامور جمعنا انفسنا واصحابنا فذهبنا معه في قوة قل من اتى بها قبلنا من القواد . وفي عشية وصولنا استدعاه مولاي احمد في الليل . فبعد ساعة رجع الينا بغير الوجه الذي ذهب به . فقال انا علينا وعلى انفسنا وعلى اموالنا وعلى اولادنا . فقد اشرقتنا الرجل واغسرق نفسه . قال الحاكي فقلت له ايه احك لنا ما دار بينك وبين الامير . فقال تعرفون اننا نفتش عن نتشبت باذياله لينقذنا مما نحن فيه . فاذا بهذا الرجل قال لي اول ما لاقيته مرحبا بك يا فلان . فانك منذ الآن والذي . وامري كله بيدك . فسقط في يدي . فنحن نفتش عن نستند اليه . وهذا الرجل يفتش عن يستند اليه . وذلك دليل على انه صفر من كل ما يقال فيه . فماذا عسى ان اصنع به انا . وانا ارى نفسي محتاجا الى من اسلم اليه امري . قال هكذا حكى لنا ثم كتمنا امرنا . وقد وجدنا انفسنا امام الامر الواقع . فماشينا الامور على مقتضياتها . مساييرين للاحوال كما هي . هكذا حكى لي . والتأمل لا يفهم بادىء ذي بدء مما قاله الهيبة لحيدة الا كلمة طبيعية . فانه لو كان هناك سر خاص . ايمنع منه الاستناد الى ما قل مجرب لينفسح الميدان ليظهر السر واضحا . ولكن حيدة الجاهل القبي فهم ما فهم .

الهيبة يتهيا للخروج من تزيت الى مراکش

كان اهل تزيت اول من ابرم امر الهيبة وقد اقطعهم من الوعود ما اقطعهم اجمالا وتفصيلا . منها ان جميع سروج خيولهم ستستبدل بالجديد

بمجرد دخول الحمراء . ومنها انهم هم المقربون واهل الشورى وعيبة الاسرار . وقد خلف اخاه النعمة على تزيت فاوصاه باهل تزيت خيرا . وقد نظم هناك القضاء . فكان الفقيه سيدي علي بن عبد الله الالفسي . وسيدي الحبيب السكرادي البوسليماني . وولده الفقيه سيدي علي . والفقيه العربي بن محمد بن العربي الادوزي . وسيدي المحفوظ الادوزي . وسيدي الزبير البوعمراني ، وسيدي الحسن بن عبد الرحمن الاكراري . والفقيه الحسن العفياني ، والفقيه محمد اعمو التيزنيتيان . هؤلاء وءآخرون قضاة يفصلون القضايا الشرعية . وعلى رياستهم الفقيه المحفوظ الادوزي . وقد حكى لي الفقيه العفياني التيزنيتي انه كانت له دالة على مولاي احمد . فدخل عليه في هذه الايام التي علا فيها كعبه . فقال له كيف انت ؟ فقال في امر عظيم . فقد نفست السيدة . ولا اجد ما انفق . فتبسم فامر له بخير كثير من كل نوع . وحكى لي ايضا انه دخل عليه ايضا . فسامته والمجلس حافل . فصار يحرك السبابة والابهام يشير الى الدراهم . يفعل ذلك في حجره وهو ينظر اليه من غير ان يراه احد . فتبسم فأعطاه ثانيا . قال وسألني مرة محمد بن عبد العزيز . وكان من انقى الناس ككثيرين من هؤلاء السادة الصحراويين ولا يكذب منهم للدعاية الا قليلون - اصحيح انك تأخذ من الخصوم في التوازل ما تأخذه ؟ فقلت له نعم . فقال ان ذلك حرام . فقلت له ان اولادي تحل لهم الميثة . ومن اين الميثة ؟ نعم ان جعل لنا اميرنا مئونة كافية فاننا نكف عن ذلك . فقال اصبروا حتى تفتح المراسي لسيدنا . فقلت له ان المصارين المتعودة للعشاء والغداء هي التي لا تعرف الصبر . فقال ساردا الامر الى سيدنا . ثم استدعاني الامير فجرى ذكر ذلك . فقال لي مولاي احمد خذ ما كنت تأخذ . فاني قد اذنت لك . ومن هذه القضايا تعرف نواحي من سياسة هذا الامير الجديد ، من المساهلة للاخذ بزام القلوب .

في طريقه الى الحمراء

جاء القائد حيدة فتسمى كبير المحلة . والقائد العربي الضروري فتسمى العلاف . وكان اعوابي يسمى الطيب هو الامين الكبير . وقد خلف الهيبة اخاه الشيخ النعمة على تزيت وعلى كل القبائل الجنوبية . فخرج مولاي احمد اواخر يوم من رجب او اول شعبان فكانت منازلته الى ان دخل مراکش 14 منزلة وفي كل منزل يمون اهلها المحلة . والعام مخصب والخير

كثير - والناس في فرح وبهجة مملوئين وقد انتشروا بنشوة الدفء عن الوطن ونشوة الملك الجديد الذي في أيديهم . وقد تراءى لهم العالم كأنه في أكفهم مطوية ، وفي كل مبيت تفرق المئونة حتى يكتفي الناس . من كثرة ما يقدم الناس عن خواطرهم بلا ازعاج . وكثيرا ما يأتي الناس باواني مطبوخة من خبز وطواجين وكسكسو وادام والجيش جراد منتشر . وقد انضم اليه كل من اراد ان يعيش تحت ذيل الامير الجديد . ثم سار الناس في امن وطمأنينة ونظام في الجملة ، لان من وكل اليهم حفظ النظام قد مروا على ذلك في المعسكرات المخزنية . فكان الناس لا ينزلون الا حيث انزلوا . تتقدم الاثقال والفساطيط فتزول اولا . ثم يأتي الناس بخيلهم ورجلهم بعد ذلك وقد نظم حيدة ذلك بقدر امكانه . وقد سألت بعض من هناك اذ ذاك فقلت له الم يكن لصوص ؟ فقال ان الناس لهجوا بكرامات مولاي احمد حتى انه لمخوف في شربة ماء . لو نهى الناس عن شرب الماء . فقد كانت تلك الايام كأنها ايام نزهة . من كثرة الخير والامان والاماني المعسولة التي يتذوقها الناس . سمعت من شيخنا سيدي سعيد الثنائي رحمه الله يقول اكثر الناس اذ ذاك في كرامات مولاي احمد . واما انا فلم ار من ذلك الا واحدة ان كانت تعد له كرامة . وهي فقدان الدباب في المعسكر من لدن خروجنا من تزيت الى ان دخلنا مراکش . مع ان الفواكه واسباب الدباب موجودة .

اما اسماء المنازل التي نزلوها اذ ذاك فهي هذه كما املاها من يعرف الطريق وكان في الجيش اذ ذاك - وعليه المهددة ان وقع فيها غلط ما - .

- 1 - اتبنا في ضواحي تزيت .
- 2 - فوق وادي ماسة . وهنا وقعت واقعة . وذلك ان بارجة ظهرت امام اكادير فارسلت قنابرها عليه . الا ان الله حفظ اكادير ، ولم يصب فيه الا صبيان اثنان ، فبادر الهبة فارسل نحو اربعمئة من الفرسان الى اكادير تحت قيادة الحاج مسعود بن ابراهيم البعقلي ثم لم يحاول من في البارجة الخروج فرجعت . ثم تابع الملك الجديد سيره . ولا ريب ان الخوف من مهاجمة البواخر في ساحل حاحة هو احد الاسباب حتى تنكب طريق حاحة الى طريق امستكر وض .

3 - ادا ومنحمد بهشتوكة .

4 - الاثنين باولاد التيمة بهوارة فوق وادي سوس . وهناك استاذن عليه شاعر حضرته ابو محمد سيدي الطاهر الافراني بهذه القطعة . لقضاء غرض يحتاج اليه :

يا خليفة ربه يا مجير الدين يا خير من الى الوفد بابه
ان بالباب عندك الخادم الطاهر يرجو اللقا لينهي خطابه
عليك السلام يا ملك الارض وبحر الندى وبدر القياصة

وكان يوالي عليه من القطع والقصائد في طول الطريق وفي وسط الحمراء لكن غالب ذلك ذهب مأسوفا عليه يوم الهزيمة . فالقى السوسيون كل مامعهم من متاع وزاد . حتى القى الاديب ما معه من مسودات ادبياته ، وهذه القطعة اسمها مما ذهب لولا ان واحدا من رفقاء الاستاذ يسمى (أومحمد) قد كان حفظها فاملاها في الرجوع . فكان (اومحمد) سبب تخليدها فليخلد اسمه معها . قال الاستاذ سيدي محمد بن الطاهر ابن شاعرنا هذا انه ذهب في ذلك نحو 500 بيت وفي بعض هذه المنازل جاء باشا تارودانت وهو كاتباً من العبيد المخزنيين .

5 - امستكر وض . وهناك امر الامير القائد سعيد بن محمد المجاطي بأن لا يرافقه تنازلا عند رضا المجاطيين الذين اعلنوا انه لا يمكن ان يضمه معهم مجلس . ولا يقرنه معهم قرن . وهناك ايضا استدعى الامير الاخ محمد فطلب منه ان يتخبر مع قبيلة اداوزيكي ليفتحوا الطريق للجيش . طلب منه ذلك لما اخبر به من ان تلك القبيلة كان عندها الشيخ الالفي مقدسا . ام قال للاخ انك رئيس تلك القبيلة منذ الآن . فجرت المخابرة فأسرعوا الى الاجابة . وظهروا كل النصيحة حين سمعوا انهم افلتوا من قبضة القائد المتوكل وخلفائه الذين كانوا منهم في مغارم اثير مغارم .

6 - اسيف ييج ويحسب من ادا وتنان وقد بادرت ايضا هذه القبيلة التي ما كانت تعرف الا العصيان دائما للمخزن الى الدخول فيما دخل فيه الناس ، وكذلك كل تلك الجبال من ادا ومنحمد وغيرهما . وقد اخذ الناس شبه سحر فتهافتوا للمثول امام الامير الجديد ولم يتخلف احد . للهمزة الوطنية التي تحركت في كل القلوب وللنخوة الدينية وكرامة الاستعمار .

7 - تيمزجناديون في اثناء قبيلة ادا وزيكي . ثم اهتز الحوز كله باخبار الهبة وقام الناس وقعدوا ، واستطال المحكومون على رؤسائهم من القواد الكبار ، وقد طرق اذانهم ان هذا الامير ينادي ان لا قائد على احد . فتفتحت عيون العامة . وجاشت قوى القواد ، ولولا خوف القائد المتوكل من العاقبة ولولا انه يخاف ان ينزل بغير الاسلام ، وهو ما لا يرضاه لنفسه بعد ان تظاهر بالصلاح وحب الخير ، وعلان شان القرءان والعلم وذويهما . لولا

8 - لم في قبيلة التبتسيران

9 - ثم في امي تتانوت .. وهناك قدمت قبائل حوزية طاعتها منها قبيلة كدميوه وقد قدمت للاخ فرسا فتقترح ان تكون منضمة اليه كاد اوتريكي فمن تلك الثنية اطل الهبة وجيشه الى السهل الافيج في الحوز وما وراءه . وهيئات ان يطوى تلك البساط ويستولي عليها من لم يجل جولة الابطال . ونحن نتذكر الآن تلك الرسالتين اللتين كان الثائر ابو محلى والشيخ يحيا الحاحي تراسلاهما في (امي تتانوت) . ثم فصلت القضية بعبارات الاسنة . وصفائح الصمصام ، حيث لا تفني العبارات المنمنمة بالاقلام . فان كان ثائر اوائل القرن الحادي عشر الشجاع سقط في احواز (چليز) فسرى من ثائر اوائل القرن الرابع عشر ذي السبحة والتميمة كيف يكون في احواز (چليز) . وليس بيننا وبين 25 من رمضان الا شهر فقط فنشاهد الواقع ماثلا بين اعيننا - ولا جديد تحت الشمس . فالوقائع تتشابه ان كانت اسبابها ومقوماتها من وتيرة واحدة .

10 - في السباعيين ازاء دار القائد ارعنا . وقد كان تقدم بطاعته الى الهبة ، وقد استبشر هو وقبيلته بهذا الامير الصحراوي الذي سيجدون به رغما انف المتوكي الشلحي الذي هو عدو السباعيين الوحيد . وقد كان لهذه القبيلة تعارف كبير مع آل الشيخ ماء العينين . وكثير من العلماء السباعيين قد اعتنقوا الطريقة المالعينية من قديم . ولذلك ابتهجوا من اعماق صدورهم حين تلقف ولده الهبة الصولجان ، وتسلم الامارة . يرون من ذلك امانى معسولة كانوا قبل يتدوقونها من بعيد تخيلا ، ولهذا مال الامير وجيشه فنزلوا في ذلك البسيط . وتنكبوا طريق القاهرة فمروضة . مع انها اسهل واظل باشجارها ، والوقت صيف شديد الحرارة الى الغاية ، وقد ارسلت ساقية ماء من وادي القاهرة نحو منزل الجيش ازاء دار القائد ارعنا ولكن لم يصل الماء الا بعد ما مضى هزيع من الليل . وقد قاسى الناس من عدم الماء شدة ولاقوا عنتا . وقد سمعت ان الخليفة ابو السلام المتوكي تلقى الامير مبايعا في هذه الدارة .

11 - في مزوضة . تيامن الامير مع جيشه في اليوم الثاني الى الدير الذي يوجد فيه الماء . حتى نزلوا دار القائد هناك . وفي هذه الليلة رئي هلال رمضان وقد هنا شيخنا الامير بدخول رمضان بقوله :

ذلك ما امكن للهبة ان ينحدر من ثنية امي تتانوت ، ولكن رأى الناس كلهم قد التفتوا الى تلك الجهة . فلفت عنقه معهم مرغما . ولا يعرف ما يصنع الا ذلك ، وهو يرى عيانا انه لا يمكن ان يعتمد الا على قبيلته متوكة وحدها ، واما سواها من القبائل التي استولى عليها فقد اشرابت الى الانفلات من يده . ورأى ان السياسة تقضي مماثاة الحال الى ان يظهر كيف هذا السيل المتموج من جهة سوس . وقد سبقه صدى هائل مقيم مقعد من الاخبار عن قوة ملحوظة ، وغير ملحوظة . وقد راعه ان يتفق كل آل سوس هذا الاتفاق الغريب . ثم هو ايضا بدوره من الذين يرون ما يرون في الدار البيضاء وفي غيرها من الاحتلال ثم الحماية . وقد رجع وشيكا من فاس بعد ما عانس من ضعف الدولة الحفيفية ، وخصوصا بعد توقيع الحماية . فبهذه الاسباب وعشرات من امثالها رأى ان لا يقف صخرة الوادي في وجه هذا السيل الطافح لئلا يكون اليوم عرضة للالسن ، وغدا عرضة للفتنة التاريخ . وللرجل حقا غيرة اسلامية لا تنكر . وقد كان ارسل اولاً جواسيسه الى تزيت حتى كان على بيثة من امر الهبة ، وذلك على يد مولاي احمد من آل الشريف الهشتوكي . ولذلك تريت فانساق مع الواقع . فاوهر الى خليفته العربي فلاقى الهبة في هذا المنزل - تيمزجاديون - فقدم الهدية . وادى الطاعة . ثم وقف مع قبيلة اد اوتريكي ليكون هو الدافع للمثونة . لانها محسوبة من قبائلهم . فقاومه رجالا منهم . فصار حوه الشر فالكش . ثم ان هذا الذي صنعه المتوكي غاية ما عليه . وكل ما يطلب منه . فهو ثاو بمراكش مع اقاربه من اساطين قواد الجنوب . ولا يمكن له الا ان يرسل احد خلفائه . فها هو ذا الخليفة العربي قد ادى عنه الطاعة . فكان يجب ان يهتبل به . وان ترمى له حرمة . وان ينزل منزلته التي ينزلها . ولكن بعض الاعراب الفوضويين الذين لا يعرفون الا ان يسكروا فيعربدوا من الرشقة الاولى من هذه الكأس . قد ساموا العربي باهانة عظيمة ما كان ليخنع لها لو كان يجد الى غيرها من سبيل . فقد صار السفهاء من الاعراب يقابلونه بالشتم وجهها لوجه . وينادونه بلقب (التصوبن) اي الراضي بدمه غير المسلمين مع سب عتيق ، والزكيون والتبتسيران ينظرون ويسمعون فيستمعون به . لانهم قاسوا على يده ما قاسوا حين كان يحكم عليهم خليفة تحت يد القائد عبد الملك المتوكي . والخليفة العربي اشجع رؤساء متوكة وما كان ليطرق اطراق الشجاع لو رأى مسافا لنايه . وهل هذه السياسة من الاعراب الا سياسة خرقاء فاسدة ؟ وهب ان ذلك من السفهاء فقط فاين السلطة العليا اذن ؟ او ليس ذلك من الادلة الواضحة على الفوضى ؟

ايا شمس الضحى يا بدر لم
ويا ملكا اعز الدين عمرا
ويا من جوده جود ورؤيا
هنيئا بالفتوح اتتك عفوا
هو الشهر العظيم القدر تعط
فكم من رحمة تنهل فيه
وكم من جنة تجلى وجن
فشهر الصوم حصن الله يغني
ومن ينهك حماه ولم يصنه
فما رمضان في الازمان الا
يفيث بفضلله قوما لنصح
ادام الله سعدك يا امامنا
تطيع لامره الميمون طوعا
ولا زالت صوارمك المواضي
عليك من التحية ما يباهى

ويا ثور الزرى يا سيف مرم
الفاق به الهدى من غشى هضم
محياء المنور خير غنم
على قدم الرجاء وشهر صوم
الى المنى فيه ويمحى كل جرم
وكم غيث من الافصال يهوى
يفل وكربة تكفى وهم
ويقنى من يعظمه ويحمي
رمته اسنة تدمي وتصمي
كمولانا لى نفع وحطم
له ويحل ثقتته بقبوم
اجل الدين عزا فوق نجم
وكرها فرقتا عرب وعجم
تصيب شياطين الاعداء برجم
ذكى الورد والمسك الاحم

وكذلك هناك الفقيه الرفاكي بقافية اخرى توجد في ترجمته بين
الاجرايين في (القسم الرابع) .

وحكى لي القائد محمد المزوضي الذي هو القائد هنالك اذ ذاك . ان
الهيبة ما كاد ينزل من امي تناوت حتى تمشت الفوضى ، وتتابعت المناداة على
الرؤوس انه لا قائد ولا رئيس . فلا تسل عما وقع في الناس . واما كل من
كان قبل ذلك رئيسا فانه اصبح في حرج شديد . وخوف على نفسه وماله .
وهذا هو الفساد بعينه . ولكن مقصود الهيبة ان تفرح به العامة وان تكون
في صفه فيبقى الرؤساء وحدهم . وقد صح له ذلك اياما . ثم تعجلت بلوى
الفوضى فأصبح الناس في خوف ونهب . الى ان جرف ذلك من مع الهيبة
نفسه .

12 - في فروجة . نزلوا هناك في هذا اليوم الاول من رمضان .
واما مربيه ربه فقد وصل مراکش . وفتحت له ابوابها . فدخلها .

13 - تاصتصافت . هناك لاقاه رؤساء مراکش . والقواد الكبار

منها كما سلبونه . وهناك سمع من مع الهيبة ان المراكشيين بايعوا احد ابناء
مولاي رشيد . فقال رايهم قريبا . فقال شاعر الحضرة الافراني .

قد قام ليجل رشيدهم
ماقام يوما او اقل
مذكورت بيتا مفردا
(ما قام مفرد) وفي السولا
لكن تفضلناه الرشيد
فلم ينل ما قد قصد
فيما تقدم قصد ورد
ية قائما حتى قصد

وهذا الذي سمعه الشاعر ومن معه كذب لا اصل له قطعا . فلم تحاول
بيعة احد في مراکش اذ ذاك وانما حاول عسكر قليل مقاومة . ثم انهم الى
الهيبة بعد ما ثار على رؤسائه .

14 - صهرج البقر

15 - مراکش .

هذه هي المنازل التي نزلها الهيبة من تزيت الى مراکش كما حدثت بها .

كيف فتحت مراکش ابوابها بهذه السهولة ؟

حكى لي باشا مراکش اذ ذاك سيدي ادريس منو . قال : كان القائد
المدني الاكلاوي هو الصدر عند السلطان مولاي عبد الحفيظ منذ بويج . وكان
عمسى العبدى وزير الخارجية . والمتوكي وزير كذا - ولم استحضره على
النعيين واحسبه المالية - ثم سافر السلطان . فوقع ما وقع حتى نزل
بفاس . وقد هرب منه القائد المتوكي من وادي ام ربيع . وبعد زمن جاء القائد
المدني الى مراکش ليشرف امورها ، وليطلع على الباشا الحاج التهامي رئيس
الحمراء . ثم لما اندحر الجيش العزيزي في الرحامنة وتمهد الجنوب . وقد
راجع المتوكي الطاعة الحفيظية بعد ما صاحبه القائد المدني الى فاس . فمسد
ما بين السلطان وبين الوزير المدني بسبب ثورة البربر على السلطان . وقد
نسب له سببها لما يسومهم به بعض كتابه من المغارم . فرجع القائد المدني
معزولا الى مراکش . ثم تدبني انا السلطان لاوصل بسلطة الحمراء كلها .
وقد جعلني باشا الحمراء وكبير القواد في الجنوب وفوس الى . ومسل
الباشا الحاج التهامي . ثم وقع السلطان العمارة . وهذا السلطان ان يرجع

الباشا الجلاوي الى رئاسة الحمراء بسبب وساطة بعض رجالات الحماية .
فقاومت انا ذلك . لانني لم اتوصل برسالة سلطانية الي . وقد
عرفت ان السلطان مغلوب على امره . ولما بيني وبين الوزير المدني وصنوه
الباشا من شئنان قديم عادت في الامر معاندة المستميت المخاطر . وفي يوم
جمعة اعلمت بأن الباشا سيقرا ظهير توليته على الحمراء . فاستعددت
واوعزت الى المساجد ان لا يقرأ فيها شيء . فبقينا في هذه المشادة الجنونية .
ونحن نسمع بأن السلطان يتزلزل عرشه ، ولما بيني وبين السلطان عبد الحفيظ
من الاخوة وحق التربية ءاثرت المغامرة حتى اسقط كسقوطه . قال وفي اثناء
هذه المشادة قام قنصل الدولة الحامية ضدي واعترف انني كنت اعامله
معاملة غير حسنة . على حين ان ما بينه وبين الاجلاويين متلائم الى الغاية .
فكنت اتردد في ارجوحة الله اعلم بها . وكنت مع انضمام قواد الحوز الي .
والقائد الناجم الرئيس على بعض قبائل الحوز غصدي الايمن . وهو ما هو
بسالة وقوة . والجند السلطاني تحت يدي . اشعر بضيق شديد . وقد
اكفهر الجو في المغرب كله . حتى لا يدري امثالي ممن لم يتخذوا قبل بدا عند
رجال الحكومة الحامية . ما ياتون ولا ما يدعون . ثم انا - ونحن في هذه
المشادة الجنونية . ومراكش كأنها سفينة نوح - شيع متنافرة . فهناك الاجلاويون
في جهة . وانا ومن الي في جهة اخرى . والقائد المتوكي من جهة اخرى يتلون
تلون الحرباء . ونحن كمن على الارجوحات المتعددة . وقد بدأت الفوضى في
القبائل الحوزية . ودب الخوف الى كل قلب ، وفي اثناء تلك الدياجير طرقتنا
ما طرقتنا من ثورة الهيبة . فكان امره اولا مما نستهيئ به . ولكن لم يمض شهر
حتى ملا كل قلب . وغمر ذكره كل اذن . ثم سمعنا انه قادم . فبينما نحن
ينظر كل واحد في نفسه وفي شيعته . اذا بالقائد المتوكي قدم اليه خليفته
العربي بالطاعة . فكانت اول خيط في الاحبولة التي سنسجها
بارادتنا وغير ارادتنا . وقد كنت مرة وراء باب في داري . فسمعت اصحابي
يقولون : ابحسب الباشا اننا نقاتل معه السوسيين المجاهدين ؟ فلا والله
لا نمد اليهم يدا . ثم دخل الفشل في شرذمة عسكر كان تحت يدي . فتملص
من ربة النظام . ولما كان بيننا نحن الرؤساء الساكنين بمراكش ما بيننا من
التفاقم صار كل واحد منا يتربص بالآخر حفرة يلقيه فيها اية كانت . فاشتد
فيما بيننا الحذر . الى ان وصل بنا ذلك الى الوسوسة . ثم لما نزل مربييه ربه
في الصفصافة في باب مراكش تلاقينا معه في يوم شديد الحر . ونحن لا يمكن

لنا الا ان نعيشي الوقت لما بيننا اولا من الخلاف . ولما لابس العامة كلها من
الدعاية الحافزة الى الجهاد والى الثورة . قال : ثم ان مربييه ربه طلب ان
يدخل الى القصبة . فاشرت عليه ان يبقى خارجا . ومقصودي انا في ذلك
شيئان اولهما نصيحة له ولامره ان اراد ان يمشي بها في طريق مستقيم .
وثانيها ان كل الديار المخزنية بالقصبة السلطانية قد امتلأت بالشريفات
وبخدمهن ، وامرهن موكل الي . ولم يدعني ضميري ان يبتذلهن مبتذل .
ثم لما رجعت من عند مربييه ربه . ارسل الي الخليفة السلطاني مولاي ابو بكر
شقيق مولانا عبد الحفيظ . فوجدته والبندقية في يده غضبان يزفر نارا .
فيقول ان هذا الانسان اراد ان يدخل داري وانا فيها فلا والله لا يطأها حتى
يطأ على جثتي . فقد ارسل الي الآن بذلك . وقال انه قادم ، فهدات ابا بكر
فخرجت فاذا بمربييه ربه قد دخل في خيله . فقلت له ان هذا غير لائق
فالرجل الآن في داره . ولا بد له من وقت ينقل فيه امتعته . ثم قلت له مل
بنا الى هذا المحل . فادخلته الى قبة فارسلت اصحابه فأتوا بسرعة من
داري بالفراش وبما افطر به من الحرية والاطعمة المهيأة ، والمغرب قد اظلت .
فتركته هناك نازلا . ثم جرت على الخليفة ابي بكر فأمرت به بعد ان يفطر ان
يتبها لدار عينتها له جميلة فارسلت اصحابي فنقلوا متاعه . ويعلم الله كيف
مضى عنا ذلك النهار . وقد سبق في وسط النهار ان جرى الي جار .
فأخبرني بان خيلا دهمت اجدال للنهب لان الفوضى التي اثارها الاعراب قد بدا
قرنها . فيتراعى اللصوص على الناس في وضح النهار . فاسرشنا الخيل
انا واصحابي في حمارة القيط . فاسرعنا حتى رددنا بعض النهوب . والنهار
من الحرارة اتون مسجور ثم لم تكد نستريح حتى جاءنا شافل ءاخر ممض .
وفي العشي جاءنا امر هذا الاعرابي الذي يحلم بالمبيت على ارائك الملوك . ثم
لا يسمع ولا يبصر ، وهو مع ذلك لا يعرف للسياسة معنى - هذا ما قاله
اخيه محافظا على عبارته - .

قال ثم لما نزل الهيبة في تاصفصاقت . اجتمع من بمراكش من القواد
الكبار على ان يخرجوا دفعة واحدة مجتمعين . بعد ما راوا الناس كلهم عن
ءاخرهم لم يتخلف احد منهم بالمدينة . فقلت لهم يا اصحابي انني سألقي
اليكم كلاما فيه منفعة عامة . اياكم ان دخلتم على هذا الانسان ان تقابلوه كما
كنتم تقابلون الملوك باداء التحية الرسمية - التبندقة - وانما تصافحونه

لا غير قال : فخرجت مع القائد المدني ، والباشا الحاج التهامي ، والقائد عبد الملك والقائد العيادي ، وآخرين في موكب كبير عظيم ، فلما وصلنا اذن لي بالدخول لان لي اذ ذاك التقدم بمركزي . فمددت يدي اليه . فقلت اهلا بسيدينا الشيخ الهبة . ناديت كما كنت ءالف ان اناديه به . وصافحته كما كنت ءالف ان اصافحه . ففرح بي ثم صار يتكلم معي . واصحابي القواد واقفون خارجا . فقلت له لا ينبغي ان نجلس هكذا . وهؤلاء كبار الحوز . وعظماء مراکش . واكابر الناس واقفون خارجا . فاذن لهم في الدخول . فراعني منهم ان يندقوا كلهم . كما كانوا يحيون الملوك العلويين . فرأيتني يلحظني شزرا ، وقد ادرك انني من بينهم المخالف لما ينتظره منا ، فعلمت انا اذ ذاك ان هذا امر تدبر لبيل ضدي ، ولكنني لا ابالي . لانني ما قدمت عليه حتى ارسلت لاخواني الهشتوكيين . ومن بينهم الحاج الحبيب الفقيه الشهير . فقلت لهم انني لا ادخل في يد صاحبكم الا اذا ضمنتم انتم ان لا ينالني منه سوء . فحادثوه في ذلك . واعلنوا له انني واحد منهم . فان مست مني شعرة ولو باهانة او كلمة تسوء . فان كل الهشتوكيين سينفضون منه ايديهم . ويناصبونه العدا . صارحوه بذلك علانية . فأعلن انني لا ازداد عنده الا مقاما عليا ، ومكانة فوق مكانتي التي انا عليها فهذا تمكنت في نفسي ، فلم اخف منه . ولا اوجست من نفسي نحوه شيئا وانا اعرف الناس بخوار عزائم امثاله من ابناء الزوايا في ظل السبح والاحترام المصطنع — هذه عبارته احافظ عليها . وهو يتحمل عهدها — قال ذلك اول ملاقاتنا بالهبة . وقد حثنا على الجهاد ونفض اليد من الاجانب . وقد كنت انا ارسلت كل الاجانب التجاريين وغيرهم الى ءاسفي قبل وصول الهبة بيوم ، ولم يبق الا سفير الدولة الحامية . اوعزت اليه دولته ان لا يخرج من مراکش . وان كان ما كان وقد ابى ان يسافر معهم . فتأواه مع اصحابه القائد المدني واخوه الباشا الحاج التهامي — وسنرجع الى اتمام ما وقع حول ذلك — ثم ان قائد المعسكر الاعلى القائد حيدة حدث انه حين عاين هؤلاء الاكابر في حضرة الهبة اتصل به ، فقال له انني الآن سأبدل لك اعظم نصيحة عليها وحدها يتوطد امرك . فاما ان تقبلها واما ان ترددها . ان اهل سوس حين اوصلوك الى هذه البلاد تمت مهمتهم . ولم يبق من قوتهم ما ينفعونك به . عرفت ام لم تعرف . فانهم امام اهل الحوز كالدجاج في السلة . لا يبدئون ولا يعيدون . فان اردت تمام امرك . فعليك الآن بهؤلاء الذين رأيتهم . فتغد بهم قبل ان يتعشوا بك . فقد رأيت ما صنعوا باولاد مولاي الحسن . فكيف تأمنهم عليك بعد ذلك ،

فوس الى فيهم الامر ، فلا تعرفهم الا معتقلين تفيدتهم البغال الى قنة من قنن الجبال الشامخة بسوس . فاذا ذاك يمكن لك ان تصطنع من هم اقرب الى نصحك . فاعز اليهم متى جاءوك ان يبيتوا عندك ، ثم لا عليك وراء ذلك . فقال الهبة (امان الله عليهم . هم مسلمون ، وما كنت لاغدر المسلمين . وهذا ختل وخديعة) هذا لفظه رحمه الله نسجله كما هو للتاريخ . قال حيدة فقلت له في نفسي . لو اردت ان تسلك هذه الطريق لما ولجت هذا الباب الذي ولجت . وهل تتم الامارة الا بالحزم والعزم . وبكل ما يقتضيه الحال من ختل وقتل — وكأنه ينشد له :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

قال سمعت منه ما قال ، فعرفت ان الرجل على وشك الوقوع في الحبال ، فنفضت منه يدي النفض الاخير . فصرت اطلب لنفسي المخرج فاتصل بالجانب الآخر ..

قال الباشا منو : فاوضني الهبة في الدخول الى القصبة فقلت له لا والله ليست هذه بسياسة . فان كنت جيئت الى الجهاد في الشاوية فسر اليها . واياك ان تدخل فيفسد امرك . وتسمى في عاقبة وخمة . فقال لا بد لنا من الدخول . وكان مقصوده ان يدخل ليقع على بيوت الاموال ، وانا ادري ان لا بيت مال هناك . فرجعت فدرت بالديار التي فيها الشريقات فاغلقت ابوابا بالبناء عليها من الخارج وسددت النوافذ . لئلا يجد طلاب الفسق اين يطرقون . فاوعدت عبيد الدار ايعادا شديدا ان وصل الى من في الداخل احد . ولو كان ما كان الا من ادني . كرت عليهم ذلك مرارا .

في وسط مراکش

رأى الهبة ما رأى من تفجر كل من بمراكش اليه يقضهم وقضيضهم . وهو رحمه الله لطيب سريره اذن لكل ما يقال له . فاما آل سوس الذين كانوا الحجر الاساسي في امره . فقد تناساهم منذ اتصل بالقواد الحوزيين الذين يوالون اليه من الهدايا ما يبهره . فقد كان السوسيون يآلف منهم هدايا قليلة كالتين اليابس وحففات اللوز ، وربما مثل حفنة الجراد . والآن وصل لبلاد الثروة ولرجال الاطماع . فصار كل قائد او شيخ متطاول الى قضاء غرض يغمره بثالاف من الريالات بله الخيل المطهمة . والسروج

الغالية . وهو يعد كل واحد بقضاء غرضه كالقائد اراما مثلا يتطلب مركزا عظيما في امارته يعلو به شأنه شأن المتوكي والاجلاويين ، وكالقائد عبد السلام البوربوشي يزدهل اليه لنيل القيادة على كل الرحامنة . وكرجالات كثيرين امثالهما يفيضون عليه سيلا مفعما يتطلبون الانتقام من القواد الكبار . كالمتوكي والاجلاويين وامثالهم . على ان القائد المدني الاجلاوي سلك ايضا ذلك المسلك ، فكان في كل يوم يقدم هدية خاصة للامير ولحاجبه ولحاشيته حتى ملك القلوب . فاستطاع ان يتصل بما ينوى فيه وفي امثاله من الاسرار . فبهؤلاء وبملاقاتهم والتوصل منهم بثالاف مؤلفة من الدراهم اشتغل منذ نزل من امي نتانوت لبسيط الحوز فبقى كل من وراء تلك الشية الى وادي نول نسيا منسيا في باله - على ما يقوله الناس - الا ما كان من الاعراب الصحراويين فهم الكرش والعيبة وارباب الشورى . واهل الامر والنهي ، والمتقدمون في كل شيء . والمنعم عليهم بنعم دارة لا تنقطع . ولو كان الاعرابي حديث العهد بالاتصال به ، هذا ما يحس به السوسيون ويدركونه من الهيبة . منذ نزلوا من امي نتانوت . ولا يوجد منهم من يعذره ويحمل اعماله هذه على محامل حسنة . وسترى مغبة هذا الاهمال . وعقبى هذا التفاقم بين الامير والسوسيين . فما هو ذا قد اتصل بعد السوسيين بمثل ادريس منسو والاجلاويين والقائد المتوكي والعيادي ومن اليهم .

قال الباشا منو هكذا عزم الهيبة على ان لا يبقى خارجا . وهو يصيح لمن يقولون له . انك ان لم تستحوذ على مراکش بدخولها فلا يومن عليك خارجها . وقد القى ظهريا ما اشرت به عليه حين قلت له يجب عليك ان تبقى خارجا ومعك اصحابك . وقد انتظم كل من معك في جيشك ازاءك حيث تراهم ويرونك . اما اذا دخلت فستكونون متوزعين في نواحي المدينة الواسعة . فتفرقون فيها . حتى لا يحسب لكم حساب . فيمكن ان يتلاعب بكم جميعا من حيث لا تشعرون ، ولكن لم يتبع ما اقول له لانه يهتمني وهو - وان اهتمني بحق لانني ما دافعت الا عن الدخول على الشريفات في دار المخزن - لقد القى مع ذلك وراءه من رأيي ما هو الاجدر له ان يتبعه لو كان مفكرا يقرأ العواقب من العناوين . ولكن الرجل فائض الايمان . غائض السياسة .

صاح صائحته فتحمل الى القصبة فازدحمت الابواب باصحابه يدخلون ايضا الى ظلال الجدران الوريقة ، والحرارة شديدة الى الغاية . والشهر

شهر صوم . فاحتل الهيبة القصبة . فسال حسن مخزن الزرع فدلتته على (امراس) القمع الهائلة التي بقيت من ايام مولانا الحسن مصونة . فجعل عليها اصحابه يفرقها في الناس . ثم نزل اصحابه في جميع الديار الخاوية المنسوبة للمخزن . حتى تجاوز الاعراب الحد . فيريدون ان يستخرجوا الناس من ديارهم ليسكنوا فيها . ولكنهم ازاء تصلب الناس قد يقنعون بدراهم معدودة ثم يرجعون . وكذلك ظهرت منهم امور في منازلهم غريبة . وقد نزل التزمتيون والاخ محمد واعراب كثيرون في الباهية . وقد حاول الاعراب مد فساطيطهم في باحات قصورها . كما اتخذوا منها القباب المزخرفة مطابخ يوقدون على الفسيفساء . ويسودونها بالدخان . ونزل القائد المدني الاخصاصي في الدار التي كانت دار البلدية اخيرا في جامع الفناء . وسواد الناس في الفنادق وديار الكراء في اكدال . ونزل سيدي الطاهر مع سيدي البشير الناصري في زاوية الشيخ ماء العينين في (رياض الزيتون) وهم السوسيون الذين لا يعرفون مثل تعدي الاعراب . وجل الاعراب في فساطيطهم في اكدال وتلك الباحات الفسيحة امام بو الخصيصات وحوالي دار المخزن . هكذا دخل الكل المدينة . ففرقوا فيها . كما يقع لنهر هائج السيول اندمج في البحر المحيط . فانه يفقد حتى لا يحس به . ولا يحسب له حساب .

قواف جديدة في الامير

قال شيخنا سيدي الطاهر يهنيه باحتلال المدينة :

منيت سعاد فئذنت بوصال	وشفت فؤادا باللواعج صال
ووقت بما وعدت وكانت قبل ذا	موصوفة بتمنع ومطال
وانت اليك خريدة تسبي النهى	مختالة بجمالها الخصال
عسداء ان سفرت فبدر طالع	حسنا وان لفتت فجيد فزال
فد كخوط البان رنحه الصبا	قد صاغه ماء الشباب الحالي
فبذ النواظر عقلة المستوفز الـ	شحشاح وسواس الفؤاد الخالي (1)
بهنائة مهظومة وردية	الوجنات مسكية اللمي والخال (2)

(1) الشحشاح : فسر بالواظ وبالفير .
(2) البهانة : الصحابة الخليفة الروح

أما سعاد فوصلها سعد كما
بقيام مولانا أمير المؤمنين الهيب
سر العلا ابن الشيخ ما العينين من
الفاضل ابن الفاضل ابن الفاضل
شرف كما اتضح النهار وسودد
في همة تغنو لها شم الدر
ورزاة لا يستخف جبالها
وشمائل كالروض صافح زهره
وسعادة تحميه او تكفيه او
وندى كما صاب الحيا لا يختشى
وثبات جاش في الهزاهز لا يرى
يحمى الحقيقة عند مشتجر القنا
ما هم يوما همة الا وشد
لم يثنه عما يهم بنيله
لما رأى دين الهدى سامته ايدي
ورأى الخلافة ضعفت اركانها
نهضت عزيمته فدارك ماوهي
وسرى الى الحمراء لامتهيبا
فتزيت بقدميه وتيمنت
لم انس يوم دخولها المبدى سنا
كم ضم من عز لدين الله او
جيش كمدول الدجا وقواره
في موكب ضاق الفضاء بجمعه
والمالك البطل الهمام كانه
مهما دجى ليل القنم جللاه من
وجه كما طلعت ذكاء وعزة
يا ايها الملك الهمام اللذ بدا
المجد مجدك والسيادة قبة

سعدان من يدولة الاقبال
سنة البادي السنا المتلالي
آل ابن مامين بدور كمال
ابن الفاضل ابن الفاضل المفضل
متناسق كنظام عقد لثال
لا ترضى الا عزيز منال
ماهب من ريح صبا وشمال
كف النسيم معطر الاذيال
تقتاد كل معاند بقذال
فقرا ولا يغفل عند سؤال
متزلزلا لرعازع الاهوال (1)
ويبين عند تقمقم الابطال (2)
مصمما تصميم سهم نضال
ملل ولا يعروه من كلال
الكفر بالاذلال والاضلال
توب الردى وتتابع الزلزال
منها بعزيمة ماجد صوال
وكلا وليس بعاجز مكال
بوروده الموفى على الامال
دين الهدى الجالى ظلام ضلال
فخر يجلى علاه عن تمثال
ككواكب تحت القنم العالي
تموج بكباكب الابطال
وسط المواكب تبغ الاقيال
اشراق غرته شروق هلال
كالسيف يجلى متنه بصقال
متوشحا بجلالة وجمال
لك والوقار كساك ثوب جمال

(1) الهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس .

(2) التقمقم : الفرق في الماء .

هنتها مراكشا وطولها
فامدد يمينك نحو فاس وبعدها
واخلط جميع ممالك الدنيا تنل
وارم المشارق والمغارب كلها
واليكها من خاطر متبلد
يفشى ثناءك عنبرا نمت به
فعليك يا ملك الملوك تحية
ماحن مشتاق وما هبت صبا

متلها منها بخير ظلال
مسر فسعدك كافل بمنال
منها القبول فانت اعظم وال
تاتيك عفوا دون نصب قتال
حصر رمته يد النوى بنبال
نسمات فكر في رياض مقال
موصولة الفدوات والاصال
فاشتاق نازح غربة لوصال

وقال بعض السوسيين ايضا في ذلك

مراكش تحنى امامك هامها
ومنصة الدين الحنيف تسل من
فالحق رفرف بنده في حالق
دم صيب الحمرا وصارمها لكى
فالله عونك دائما في رتبة
ما انت الا النور مهما لحت في
فالله ينصر سيدي ويحوطه

وتمد نحو يدي رضاك زمامها
عزمات ملكك يا امام حسامها
شمخت ذراه فترتضيك امامها
ينسى الانام جهامها وكهامها (1)
سعد السعود وراءها وامامها
جنبات آي نحا ازلت ظلامها
نصرا يزيد من الجيوش لهامها

وربما كان القائل هو الاديب سيدي محمد التونلي المتقدم لانه
ان في صحبة شيخنا سيدي الطاهر اذ ذاك وللقيه الرفاكي فيه ايضا
سيدة تذكر في ترجمته ان شاء الله في (القسم الرابع)

عمل الهيبة واصحابه في مراكش

اهتز العالم بدخول الهيبة لعاصمة الجنوب . وكان لصدي ذلك في
الجرائد السيارة ماله ، فصارت الجرائد الشرقية تستكنه النتائج
وتستبشر خيرا ، وقد رأت الامر من بعيد بالمرءة الكبيرة . وقد زاد
المفرضون من الاجانب الذين كانوا من الحوافر لهذا الامر . طينا غربيا
لوقى ما كان في الواقع . والبسوا فعل الهيبة هذا حلة اخاذا تستحوذ على

(1) السحاب الجهم : لا ماء فيه . والسيف الكهم : لا يقطع .

المشاعر ، وتحسب لهذا التأثير الجديد ألف حساب ، بذلك تصرخ الجرائد على اختلاف لهجاتها ومبادئها . فاولئك المفرضون في فرح وسرور يعلنون للعالم ان مسألة المغرب عادت جذعة . وانه هاج هيجان البركان ضد الحماية المضاة بفاس . واما الدولة الحامية . فقد قامت بدورها توغز الى جيشها الرابض في ضواحي البيضاء ان يبادر لخنق هذه الثورة في مهدها قبل ان يندلع لهيبها اكثر مما اندلع . فصار الجيش يستعد للوثوب الى ما وراء نهر ام الربيع . فيتقدم اولا لكبراء مراکش بالمخابرة الاخيرة لانجاز الوعود . ووصل الايدي وصلا لتتحقق به الحمراء بالبيضاء . وذلك على ايدي الكلاويين بمراكش وامثالهم ، ذلك ما يدور في العالم حول الهيبة . وهذا ما يروج حوالياه بين الحمراء الى البيضاء . وسننظر ما يدور هو فيه . وما يجول فيه هو واصحابه . لنذكر اهو من الرجال الذين خلقوا للسمير والبيض . ام هو من الرجال الذين خلقوا للمناغاة فوق المنصات للقيس البيض ؟

دخل الهيبة القصبة . فصار ياديء بدء يفتش عن مخازن الدراهم عله يجدها ، فلم يقع منها على شيء . فلم ير الا اثاثا ومتاعا وخرثيا وفرشا . قد جعل كل ذلك مصونا في الاصونة مودعا في مخازنه . كما هي عادة آل المخزن من المحافظة ، وجعل كل شيء مصونا كما ينبغي . وللعلويين في ذلك يد غريبة في الصيانة ، كثيرا ما يتحدث بها ربيب نعمتهم الباشا منو ذلك كل ما وجده الهيبة مع الالهراء المملوءة بالسلاح في الامكنة التي دخلها . لانه لم يدخل الى الدار الكبرى . ثم بهره ماناله بسهولة من تسنم العرش . وقد رأى اهل الحضر على اختلاف طبقاتهم يمثلون بين يديه في خضوع . والقواد الكبار الذين ملا صيتهم مسامع السامعين ، يؤدون له التحية الملوكية ، فاراد ان يلبس لهذه الحالة لبوسها . فأول ما شوهد منه غلظ الحجاب . وقد قام بذلك الدور محمد الامين الموسوم برسم حجابته ، فكان يتجر بالاستيدان . فلا يلتقي مولاه الا من ادى صرة متدفقة ينوء دون حملها ، فوجد من القواد المثرين كالباشا الحاج التهامي وصنوه المدني والقائد المتوكي والعيادي والقائد ارعنا وبعض قواد دكالة شرطه على ماهو عليه ، فكانوا وحدهم من يفوزون بملاقاة سلطانه . واما السوسيون المدقعون كلهم بقوادهم ورؤسائهم وفقهائهم . فأتى برونه ؟ ام كيف يخلصون اليه من تلك الابواب المكتظة بالاعراب المسلحين الذين يرتكثون

الجميع . وقصدهم ان يشيدوا هيبة في الصدور مقلبة ، وذلك حقا ما في يقتضيه المقام ولكن ذلك عند السوسيين رأي فائل سيء المعاقبة ، هذا ما يلاقيه السوسيون . واما الاعراب فبالعكس . فسرعانين ما يذهب اليه منهم ذاهب فيشافهه في الحين ، وقد فتح له ابوابه الاغراب الابواب على مصاريحها . حكى لي حاك من كبراء السوسيين انه تردد كثيرا لاعتلاق الهيبة حتى تيسرت له . فاراد ان يساره . فالتفت الهيبة الى بعض من معه فخرجوا ، فبقى بعض الاعراب امام الامير وخلفه وعن جنبه . حتى ان احدهم استدبره واحنى راسه حتى كاد يمس قذال الامير . انى هذا الجو تكون المسارة . كما يفهمها صافية الامير ؟ مع ان الذي يذكره له الرجل يتعلق بامر القواد الكبار الذين يوالون اذ ذاك مؤتمرات السر مؤتمري الله يتراءون كيف الخلاص من هذا الكابوس النازل عليهم ففقدوا معه املا في نفوسهم وفي اموالهم وفي اعراضهم . وبعضهم مثل الممدني الاكلاوي لا يزال كل يوم يتصل به . فصار هذا الحاكي يبلغ كل ذلك الى الامير . فاجابه الامير بانه منصور بامر الله وباذنه . فلا يبالي بهم ولا بالملكات من املالهم . ولا شك ان ما قيل هناك يباع لمن يتجسسون تلك الاخبار بسبعة دراهم من الطامعين الحاضرين . وذلك عنهم متواتر . وحكى التزنيثيون الذين سافروا معه وقد كان وعدهم بما وعدهم به من السروج الانيقة يوم يدخل مراكش ، انهم ملاقوه قط منذ توارى في القصبة عن الانظار . وانهم بعد ان تهيأ لهم ان ينزلوا بالباهية . كان هناك اعراب يختلفون الى الامير فيلاقونه في الحين . فتقضى حاجاتهم . والتزنيثيون لاملاقة ولا قضاء حاجة . وفي يوم ورد اعرابي صحراوي عريان يتكفف . فناوله احد التزنيثيين كسوة . وفي اليوم الثاني رجع الاعرابي في لباس فاخر . وقد لاقى الامير ففعلت منزلته بسرعة . فقضيت له كل حاجة - فذهب الى التزنيثيين الذين تناول منهم الكسوة امس ، يجازيهم خيرا . ويعدهم بقضاء حاجتهم بواسطة عند الامير . فقال هؤلاء بعضهم لبعض . ارايتم كيف منزلتنا اليوم من اميرنا هذا . فقد جاء هذا الصحراوي امس وبين عشية وضحاها صلا كعبه . وشفت رتبته . ونحن الذين اسسنا لهذا الامر من اول يوم . قد عدنا فيه الانبا بعد ان كنا نحن الرؤساء ، ونقضى نحن فيه الحاج ، اذ اننا في موقف ينف علينا فيه مثل هذا الاعراب الحديث القادم اليمن علينا ان يقتضى هو حاجتنا .

فبينما نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة تنصف
فلا والله لانرضى بهذا . ولا نتقاد بيرة الخسف . فاجفل غالبهم
عائبين بغير اذن الامير من الحمراء الى ديارهم بسوس ، وليس التزنيون
وحدهم من وقعوا في ذلك فانكفأوا الى بلادهم ، بل غالب السوسيين وقعوا
في تلك المهانة . فخرجوا من ابواب الحمراء ينشدون ديارهم . ولم ينتصف
شهر رمضان حتى خرج كثيرون من عامة السوسيين ، ولم يبق الا الرؤساء
ومن لا يزال يطعم في الخير امام . لان الكل هناك في دار غربة . وما كانوا
يستندون الا الى اميرهم . فاذا سقط بهم مستندهم فماذا يصنعون هناك
بعد ؟ حقيقة يتوصلون من امراس المخزن بالوْن على مراتبهم في الطريق الى
الحمراء . ويتوصلون بعد ذلك ببعض اعانات اخرى ضئيلة ما داموا يترددون
الى الامين الطيب الصحراوي - وهو الامين العام من تزني - ولكن حين
فقدوا وجه اميرهم . وارتطموا في الحضر وما هم من الحضر ولا الحضر
منهم . وحين صاروا يسمعون ما يسمعون من اعتكار الجو من ناحية
الشاوية . وقد راوا ان لافائدة يرقبونها بعدما خاب الظن في الامير . تفككت
وحدتهم . وانحلت عراهم . فتتابعوا زرافات ووحدا الى سوس . فامتلا
طريق (امي تتاتوت) بالراجعين بل بالفارين ان اردت صفتهم الحق .
حتى شيخنا ابو محمد الافرائي قد سئم . ونوى الرجوع . وهناك رسالة
ظفرنا بها كتبها اذ ذاك من الحمراء الى الاستاذ اللفي المقيم بتزني ، يذكر
فيها انه ضيق الصدر . يستاذن في الرجوع ، ولو وجد ما يربطه لارتبط ،
ونسى سوس وما اليه . وقد وقع له ذلك في الاسبوع الاول . فكيف بما

بسببكم . ثم سلامة الاهوال وعموم الامن ، وشمول العافية للاهل والاولاد
والجيران ، متعنا الله بدوامها . ثم ليكن في كريم علم سيدي ان السلطان
المنصور بالله دخل مراكش يوم السبت 3 رمضان (1) من غير دفاع بعد ان
خرج من بها من العسكر والكبراء للقتال ، بعدد وعدة . فالتقى الله الفشل
في قلوبهم ، فاختلقت كلمتهم . وخذلهم الله بما اسروا من حب الكفر .
ناهيت قسالي العسكر . ودور التصاري وهدمت . وامتلات ايدي العامة
من متاعهم . وفرح اهل المدينة فرحا لا يكيف . وتلقوا بزيئة وابهة . ودخل
السلطان في جيش لا يعرف كنهه الا بالمشاهدة . فاستقر به القرار ، واطمأنت
الدار . وذل انصار الكفار . وفر جميع من بها الا 5 كمنوا بدار التهامي
الاكلاوي الى يوم الثلاثاء ، فاضطر الى اخراجهم . فقبضوا وسجنوا بدار
الخزن . وسرح السلطان يوم الخميس المساجين الذين في السجن اجسمين ،
ثم ان العدو الكافر اذله الله اقتحم بلد الرحامنة ، فاحرق بعض دواويرها .
فاستغاثوا بالسلطان فاغاثهم بنحو 1200 فارسا مع خليفة . واقتحموا
ابدا بلد دكالة ، فاكلوا دار القائد محمد التريعي وكان ممن يجاهدتهم في
الله . ولا يقبل امرهم ، وسلمه الله وخلصه براس طمرة ولجام . وهاهو
في القدم على الحضرة . كما ان حركة حاحة والشياطمة منتظرة ، وقد
نعم اولد لمولاي الحسن يقال له مولاي يوسف بفاس . ونصبه العدو
درسه . وقد قيل انه وصل الرباط ، وبالجمل فاعدو قد كلب والله يقى
شوره . ويكفي المؤمنين امره . والتجئي والاكلاوي لم يظهر نصحهما
المسلمين الا انهما مسلوبا الحيلة . مبضان الى قلوب الرعية ، ولا كيد
لهم اسلا واما العبد فمذ دخلنا المدينة ، ضاقت صدورنا . وغلب شوقنا .

ايامنا سلكا سلكا بفضل والفضل
عليك سلام من خديم احله
تنوسي لا قوت ولا منزل فحل
يريد لقا المولى لينظر حاله
وينشد شعرا ضم تهنة بما
فقد جاء مرات فحجب لم ينل
على انني ما حلت عن سنن الهوى
فعذرا امير المؤمنين فانما
وازكى صلاة الله ثم سلامه

ولفاق بجود واسع الدليل هطال
ترامى النوى ركني خمول واهمال
منزل هون في قضاء باجندال
ويكشف شكواه بفضل واقبال
تيسر من فتح ومن سؤدد عال
وصالا سوى ما نال من هدأ اوصال
ولا كنت خوان العهود ولا السالى
تضايق بي امري فبحت باوجالى
على المصطفى المختار والصحب والال

تلك رسالة شيخنا وتلك قطعته اللتان فيهما ما فيهما . فاما ما ذكره
من ان مقاومة حصلت من عسكر خرج بمراكش . فلا حقيقة لذلك . والامر
كما تقدم . وشيخنا يعذر لانه كتب ما سمع وقد رايت انه كان سمع ايضا
بيعة ابن للرشيد . وكل ذلك غير كائن . واما اختلاف كلمة من بمراكش
فحقيقة . وقد ذكرنا ذلك واسبابه كما هي . واما وقوع النهب في مراكش ،
فان ذلك من الفوضى التي تماشي هذا السلطان المنصور بالله - كما سماه -
على ان الفوضى لم تكن حتى احتل مراكش . فقامت ببعض الاعراب
الخطافين النهائيين . فوضى غريبة لم ينسها تجار مراكش الى الآن .
فالحبازات يقف عليها اعرابي فيجمع ما يريد في رذن قميصه الفضفاض
الاسود ثم يذهب ويقول لربة الخبز اتبعيني الى دار المخزن تاخذين الثمن
فقد تذهب وتجول ما تجول حتى تعيى فترجع . وقد تفض فتذهب لحال
سبيلها باكية بكاء من لا يرجو نصيرا . ويرد اعرابي على تاجر في دكانه في
القيسارية ، فيريه تلك السلعة وتلك وتلك . وهو يتناولها منه حتى يملأ
ذراعه . فينقل من باب الدكان . فيقول له الاعرابي ما يقول ابن عمه للحبازة
تكرر ذلك مرات كثيرة ، حتى تناذر التجار . فاعلقوا دكاكينهم . ويقع هذا
لكل ذي مبيع وهذا امر مستفيض ان لم يكن كله حقا ، فلا بد ان يوجد غالبه .
زيادة على ان من الاعراب من ياكلون في نهار رمضان . ويقولون اننا مجاهدون
وبعضهم يميل في وسط النهار الى ديار الفساد . والناس ينظرون فيرغم
الساقطة التي تألف احترام رمضان ، فيرجع بائمه واثمها بحجة انه يستحل
ذلك بجواز تكاح المتعة . الذي كان مألوفاً عندهم . او ما يقرب منه . وقد
حدث كثيرون ممن نعرفهم ثقات ان الاعراب يقفون في ابواب دورهم . فيعلن
احدهم انه جاء لينزل في هذه الدار باذن من السلطان . ثم يراده رب الدار

سكن يتناول منه شيئا فيذهب . وقد حدثني سيدي هشام المسنيوي وهو
لسان صدق انه انفصل مع اعرابي طلب منه ذلك بنصف ريال لا غير اخيرا .
وعلى هذا فليقن الانسان . هذا ما يقاسيه العامة . واما الخاصة فان
القواد الكبار ما طلع احدهم الى دار المخزن حتى يستدير به سفلة الاعراب
يسرخون به (بالنصير) يا كافر يا عدو الله . وربما رشقوه بحجارة . او
خدقوه بالحصى . حكى الباشا منو انه شاهد ذلك يوما على القائد عبد
الملك المتوكي . وقد اكثر عليه سفهاء الاعراب . قال فدخلت على الهيبة .
فقلت له وانا غضبان والله ما هذه بحالة المسلمين . فالقائد عبد الملك كبير
مومه . ورجل ذو شيبة في الاسلام . وقد ادى الطاعة . افجميل ان يسام
جهارا بهذه المهانة المخزنية ؟ فخرج الامر ان لا يعاود بذلك من الامير الحسن
النية . الذي يظن به كل خير . ولكنه لا يستطيع ان ياخذ بزمام الامر .
وما هناك الا المواعظ الحسنة . فتلك كل ما كان . في حين انه كان يجب
التكبل برعاع الاعراب الذين يمثلون تلك الادوار الشائنة . ولكن ابن السلطة
فما هناك الا الفوضى . قال الباشا منو : وقف ببابي مرة اعراب يريدون ان
يلموا حولي مثل ذلك الدور ، فحملت فيهم . واشرت لاصحابي ان يهشموهم
ان لم يذهبوا بحال سبيلهم في الحال . فحين راوا ما راوا انخنسوا فذهبوا ،
فانك هي الفوضى الحقيقية التي قامت في الحمراء بعد دخول الامير الجديد .
واما ما ذكره من انتهاب ثكنات الجند فهو حقيقة . لان الجند قد انتشر
نظامه . وتمرد عن الطاعة . ومسته ايضا الفوضى . فصار كل واحد امير
نفسه . فخلت الثكنات - وتفرق من فيها شذر مذر . الا قليلا لا يستحق
الذكر . وذلك ما حكى الباشا منو الذي كان الجند تحت يده . واما النصارى
الذين ذكرهم فهم الذين تقدم لنا ذكرهم قنصل فرنسا ومن معه . فقد
اودوا الى دار الحاج التهامي اياما . ثم اراد ان يسر بهم سرا الى اسفي .
فوقى بهم واش - قيل انه القائد المدني الاچلاوي وقيل غيره - الى الهيبة .
فالتقى عليهم القبض خارج سور مراكش . فسجنوا في دار بالقصبة . فكانوا
سجنى في احلاق قواد مراكش الذين يعلمون ما يتهددهم ان مست شعرة
من احدهم . وما قضية الطبيب الفرنسي القليل بين ظهرائهم بمنسية
هندهم . وقد احتلت وجدة بسببها . واما الاعراب ومن اليهم من الجهلة
الانصار الذين لا يعرفون ما وراء ذلك . فانهم يتهددون بقتلهم . قال الباشا
منو ذهبت انا بنفسى الى الهيبة ابين له الموقف . وان هؤلاء اسرهم اعظم

مما يتوهم ، فصرت ارفيه في تسريحهم بما يقتضيه من القديرة (1) . ولكنه تصامم امام ما اقول . واما الحاج التهامي فانه جمع عنده في داره باستدعاء خاص غالب رؤساء سوس . فاقام لهم حفلة كبيرة . فصار يمت اليهم بالاخوة وقال انه من آل وچاج - زعما منه - فيرجو بهذه الرحم ان يتوسطوا عند الهيبة ان يطلق الاسرى هؤلاء . وقال لهم انا اضمن له عقد معاهدة بينه وبين الدولة الفرنسية ان تبقى رابضة في مكانها اليوم خمسين سنة . فاجابوه الى التوسط في ذلك . ولكن الهيبة ابى كل الالباء . وكأنه لم يرد ان يبت في امرهم بشيء انتظارا للقائد عبد الرحمن الحاحي . فان كثيرا من الامور العظام اذا نوقش فيها يقول لا نبت في شيء حتى يأتي القائد عبد الرحمن الحاحي ، وحين خابت هذه السياسة التي تأسست على المخبرات . مال الحاج التهامي ومن اليه الى الجد في الامر ، وعلموا ان القضاء في ذلك للحوادث التي لا بد ان تقع قريبا . واما ما ذكره شيخنا في رسالته من امر التريعي فانه وعال دكالة وكذلك اهل تادلة قد بايعوا الهيبة اجمعون . واما بيعة مولانا يوسف فقد وقعت 29-8-1330 هـ وقد تنازل السلطان مولاي عبد الحفيظ عن العرش . فابحر من الرباط الى طنجة . وقد القى بعد ابحاره طابعه الملوكي الخاص في وسط الامواج . فخلفه مولانا يوسف الرجل الصالح الذي لا يليق في ذلك الدور الا هو . فاستطاع ان يحافظ على العرش لمن بعده فارسل رسله الى جميع البلدان . ومن بينها مراكش . حدثني الباشا منو قال جاءت منه رسالة البيعة . وقد ندبني الى اخذ البيعة له من قبلي . فقلت للرسول وقد وصل بعد ما احتل الهيبة بمراكش ، ها انتذا ترى الحالة . والجواب هو ما تراه بعينك . فان الامر قد خرج من ايدينا . فدفعته له 20 ليبرة ذهبية ، ولكنه ذهب الى السلطان مولانا يوسف فاقتري علي . وقال انني قلت فيه ما لا تنطق به شفتاي . فكان ذلك احد اسباب تكبتي - وحدث الباشا منو ايضا انه دخل مرة على الهيبة ففتح معه التساؤل عن الشريقات . فصار يسألني عن ايكار منهن وجدت بعض العبيد قد القى اليه اسماءهن واحدة واحدة . فصرت ابين له ان الجميع متزوج . وقد عقد النكاح ولم يبق الا الرواح . فالح في السؤال عن اية واحدة منهن ليتزوج بها . فقلت له ليس منهن واحدة بلا عقد نكاح . ولكن ان اراد سيدنا الزواج فالافضل له دار الشرف والحسب والنسب والجمال والعفاف . ودار البركة . ودار العلم . ودار الولاية . فهي افضل له . فقال ما هي هذه

(1) ذكر ان البدول فيهم مائة وخمسون الف ريال .

الدار لا فقلت له دار اولاد مولاي عبد الله بن حسين بشانمسلوحت . فقال اوهم هنالك لا فقلت لا اعلى من دارهم ، ولا اروع ولا ابرع حسنا . فاقتنع وحدث ايضا انه وجد يوم دخول الهيبة الشرفاء ابناء مولاي الحسن قد لبسوا لباسهم الحسن الرسمي ، فجاءوا مجتمعين ليلسوا على الهيبة . قال فاخذتني انفة . اريت عليها كشحي . فقلت في نفسي كان يجب على امثال هؤلاء ان يكونوا اخر من يسلم على من نزا على عرشهم المغربي . لا ان يكونوا اول من يبادر لاداء التحية الملوكية له . ولكن ليس عندي ما اقول .

كان مربيه ربه الخليفة الاول للهيبة من البارزين بمراكش . فيخطبه الناس . ومن خاطبه شيخنا الافراني بقوله :

هو الشوق يديه من الدمع سكب
اذا برقت من متحني الضلع برقة
وان عذل الاحي فأكثر زاده
وما الوجد الا ان يدين بطاعة الم
وما المجد الا ان يخاطر في العلا
ولا الفخر الا ما توشح برده
همام سما للمكرمات بهمة
ورير امير المؤمنين شقيقه
مايفته الارضى وساعده وان
مقدمة الجيش جهادي من به
شجاع يبيد المعتدين حمامه
ندب عن الاسلام بالسيف جاهدا
ورد الى الهيجاء كل غضنفر
نظر به عقبان خيل سلاهب
هو المرء لا حزما اضاع ولا هوى
سما في عن اللذات في جانب العلا
م فيمضي كالسنان مصمما
يدوي ما جنى الدهر حوده
شملت شمل الفقير بلبل نواله
وان كان يخفيه اللسان وقلبه
من الوجد لبنتها من الجفن سحبه
لجاجة واغراء الى الوجد عتبه
سلاح فتصبيه ويعسر طبه
فيغنو له العاصي ويسهل صعبه
محمد الغيث المربيه ربه
طموح وعزم لا يقلل غربه
وخير وزير من تمكن قربه
توقد نيران الوغى فهو غضبه
يبيد ضلال الكفر ان جاش حزبه
وبحر ندى يغني المقلين سيبه
كما ذب جفن العين عنها وهديه
ابى يقيه العار في الحرب ضربه
مذاكر كما انقضت من الليل شبهه (1)
اطاع ولم يخلد الى اللهو جنبه
الى ان علا فوق السماكين كعبه
ويسطو على صلد فينباع صلبه
فدا ابدا داب الزمان ودأبه
فيذهب في كسب المكارم كسبه

(1) السلاهب كجفجر : ما عالم وطال مقامه . والمذاكر من الضيل : التي اتي عليها بعد الروحها سلة او سلتسان .

يبلغ اذا انشأ وشمسى واذا مرى الس
 له السبق فى شأو الفضائل كلها
 اذا اسود جنح الحادثات فوجهه
 فىا ايها المولى الذي كان من حيا
 اليك عروسا بنت فكر عد اعلى
 تهنى مولانا وتشفى وترتجى
 عليك سلام الله يا كعبة الندى

سبيان براجمات الحبيب ليح طلبه
فمن امه يبقي العلا فهو حسبه
سناها وان دار الهدى فهو قطبه
المعارف والسر الالهى شربه
قريحته الهم الميرح كربه
قبولا يغطي عيبها الجم ثوبه
وغيظ العدا ما آنس الصب قربه

ثم ان مربيه ربه خرج الى الرحامنة في جيش يضم الالف ليدافع جيش الدولة الحامية الذي يزحف شيئاً فشيئاً نحو الحمراء بعد ما سبقه جيش صفير تحت قيادة الاغصف بن مصباح ابن عمهم في اثني عشر مائة فارس الى اربعاء الصخر ، فاندحر .

ذلك كل ما ظهر من الاعراب في موقف الدفاع ، واما الهيبة فقد جلس يتمطى في قصور السلاطين وفرشهم ، ويسرح انظاره في بساتين آجندالهم ، وقد صلى هنالك ثلاث جمع يخرج في العربية المعهود ان يخرج فيها مولاي الحسن . تجرها الخيل ، والموسيقى تصدح على رأسه الى ان يصلي ، ثم يرجع ثانيا الى حيث يتملى بالمدينة الحلوة . وقد حدثنا شيخنا ابو شعيب الدكالي الذي كان قاضيا على الحمراء حين احتلال الهيبة انه دخل عليه يوما . فجاذبه القول في الحالة الراهنة ، فقال له شيخنا ان هذا العصر عصر القوة والمغالبة . فأجابه الآخر بديهة وقد هز سبحته ، فيقول وقد مد بها كفه بهذه السبحة افتح القاهرة ودمشق . واجتمع مع محمد بن عبد العزيز في حضرة مربيه ربه ، فقال له ابن عبد العزيز : انكم كفار لرضاكم بقلبة الكفار عليكم . فقال له الشيخ : رويتا في كتاب كذا عن فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : اذا قال الانسان لاخيه يا كافر فقد باء به احدهما . والامور التي يقع بها الارتداد كذا وكذا قال الشيخ خليل فتلا النص من متنه - فبأي شيء تكفرون المسلمين ؟ فصال عليه بحفظه حتى اسكته . وحدثني ايضا الباشا منو بمثل ذلك عن الهيبة . فذلك هو فكر الهيبة الساذج الفكرة ، الحسن النية ، وتلك امانيه ، وقد اوعز يوما الى المراكشيين ان يطبخوا كلهم دار الدار اثناء اثناء من الاطعمة ، اعانة في اطعام المجاهدين ، فرأى اهل المدينة ما لم يعرفوا له نظيرا . فكان ذلك ايضا مما استثار الناس .

ذلك هي اعمال الهيبة في مراکش ، وذلك هي اعمال اصحابه
السحراويين ، لكتبها كمؤرخين . ولا نتمدد ان نكون لا له
ولا عليه . ومهمتنا ان نوضح لن بعدنا ما يتحدث به الينا كثيرون
ما حضروا اذ ذاك هناك من السوسيين والمراكشيين . ننقل ذلك عنهم امانة
مودة كما هي . فادركنا حق الادراك اي رجل هو الهيبة . واي رجال هؤلاء
الذين جاشوا معه . وقد تفككوا ينتشرون من حواليه ، فظهر انهم كانوا
اسمعون ذهبوا الى هذا السفر بلا مقصود ينوونه ، فكيف يمكن ان يفلحوا ؟

الحاجيون في مراكش

في اليوم الرابع والعشرين وهو يوم خميس من رمضان - أو في اليوم
الخامس - دخل القواد الحاحيون ، القائد عبد الرحمن الجيلولي ، والقائد محمد
الفلوس ، وقواد حاحة الآخرون ، مراكش في خيل كثيرة ، وقد قدموا ليفوا
الومد الذي وعدوه للهيئة يوم يحتل الحمراء . حلوا يوم الخميس .
فأرادوا أن يستريحوا يوم الجمعة . ثم قدموا هداياهم يوم السبت حين
جلس لهم الهيئة مجلسا عاما . يظهر لهم فيه مكانتهم عنده . كما سيظهرون
ذلك مكانتهم بين الأقوياء . ولكن لم يصبح يوم السبت حتى أصبح ما
كان في الحساب ، وما لم يخل أنه يأتي بهذه العجلة .

نزل القائد عبد الرحمن دار ابن داود باشا مراکش القديم ، كما
نزل الفلوس وءآخرون فى منازلهم التى يملكونها ، وفى امكنة اخرى ، وقد
اهربت بهم مراکش . فلا تسمع الا من يذكر الابهة التى ورد بها الحاحيون .
فدراى القارىء ان هذا الامر افتتح بايدي الحاحيين يوم نسجوا على مناويلهم ما
سجوا من اول يوم . ثم ها هو ذا يختتم يوم يطأون بأرجلهم حضرة
الملك . يوم يظنون انهم اليوم سيجنون ثمار ما فرسوه أمس ، ويحلم
القائد عبد الرحمن بالصدارة ، كما يحلم كل من اليه بالمقامات العليا فى هذه
البلاد التى هم اسسها واركانها وشرفاتها كما يزعمون .

الصفحة الاولى

لانت القبيلة الرحمانية هي باب مراکش من الشمال . وكان لها قواد
ممدون كانوا كلهم في مطلع الدولة الحفطية منهم القائد عبد السلام
البرقي والقائد ابن الطاهر ، والقائد العياضي وآخرون وكان لآخر
منهم جميعا من نواح شتى . وقد برز برورا عظمتها في الدولة

الحفيلية - ثم كان له مقام عظيم حين انهزم الجيش العربي وبعد الحرب المتوكية الشهيرة ، فعلا اسمه ، وصار يذكر بين الاجلاويين والمتوكيين والكنتافيين . فهذا مركزه الذي وجدته فيه عام 1330 هـ ثم لما احتل الهبة مراکش - والتفتت وجوه القواد الكبار للاخذ ببيعة المولى يوسف . وقد تأيد بالدولة الحامية . كان القائد العيادي اول من بادر الى ذلك بالعمل المنجز بعد ما لاقى من الهبة تقريبا - فيما سمعت - وقد استدعاه مرة فسأله عن الباب المفتوح من داره بجانب السور الخارجي الى جهة الرحامنة . فربما كان ذلك احدى الحوافز التي ازجته الى مد اليد عيانا للجيش الذي يقطع وادي ام الربيع ليزحف الى الجيش الزاحف من مراکش وقد تقوى ببعض الرحامنة الذين مع العيادي . فأرسل شؤبوبا من القذائف على رأس مربيه ربه - فلم يقف هو ولا اصحابه يوما كاملا يعذرون فيه ، بل انهار جدارهم بسرعة غريبة ، فتسابقوا نحو الحمراء . وتسمى هذه الواقعة بواقعة سيدي بوعثمان وقد تقدمتها اخرى في اربعاء الصخر تهشمت الحملتان . فانقضى الامر . وكان ذلك يوم الجمعة 25 رمضان . فطار الخبر الى الاعراب فصعقوا صعقة عظيمة هي اول ما نبههم مما هم فيه سادرون .

كيف هرب الهبة من مراکش ؟

رأيت ان الحاحيين قد دخلوا مراکش يوم الخميس الرابع والعشرين بقوة كبيرة . وشارة مرموقة وابهة مخزنية اخاذة ولا يعلم الا الله ما كانوا ينوونه وما يحملونه في حقائبهم من الاوامر الجديدة ممن يوحون اليهم . ولا ريب انه لو انفسح المجال اياما لا بد ان يقوموا بدور عظيم في القواد المراكشيين الكبار على الاقل . فتتم فكرة القائد جيدة . ولكن بينما الهبة والقائد عبد الرحمن الحاحي في ابرام ما يصنع نهار الجمعة . اذ دهمت اخبار الانكسار التي لاشك سترتجف بها فرائص الهبة ارتجافا تنسيه مرارته كل ما كان يتملى به من حلاوة الامارة . منذ نادى ابو الباكور التزنيتي بأنه سلطان وكل من تربى تربية الهبة ، ولم يشاهد قط مواقف المجاذبات في عمره ، فلا يخال وقد طرقه ما وقع لاصحابه من الرحامنة الا ان نفسه تطير شعاعا ، وان سحره ينتفخ حتى يملأ صدره ، وان نفسه سيتوالى لها ، وقد جحظت عيناه . ويسقط في يده . فلا يدري ما يأتي ولا ما يذر . وللبغفات روعات .

كان الشيخ الاماززي البعقلي احتل هو ورجل من اخوانه صومعة الكتبية ، يراقبون دار المتوكي تحتهم . وذلك مما يدل على ان الهبة واصحابه

كانوا على خوف شديد من المتوكي وامثاله . ولكنهم الآن وقد دهمهم السيل الطافح من الخارج . قد ينسون كل ما في داخل الحمراء . وحين لم يأمنوا لا داخلا ولا خارجا . فلا سبيل لهم الى الامن الا باجفالهم الى ما وراء الاطلس . لعلمهم ينجون من مخالف الاسود ، وبرائن الصقور ، والايمان وحده الذي انصف به الهبة غير كاف ، والا لما نزل قوله تعالى (واعمدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) فالمخاطبون بذلك اكثر الناس ايمانا .

كان الباشا الحاج التهامي الاجلاوي ومن معه قد ابرموا مع الجيش الراحف ما ابرموا بغاية الدقة . وجعلوا بينهم ما جعلوه امارا ، ثم تقوم في الحمراء شيعتهم بثورة ضد الهبة بمجرد ما يقرب جيشهم . وقد حدثني الباشا منو انه توصل عشية الجمعة برسالة من قائد الحملة كتبها اليه والى المراكشيين يخبرهم فيها انه ان مست شعرة من الأسرى الذين عند الهبة . فان مراکش ستفادر عبرة في وسط افريقيا ، - بهاذ اللفظ - قال منو مست مهموما في ليلة ليلاء ما بت مثلها في عمري لا ادري ما اصنع .

بات الناس ليلة السبت وغالبهم لا يزال في امله سادرا . وقد طرقت الاذان ما طرقتها من الانهزام من سيدي بوعثمان . ولكن لا يحسب غالب الناس ان الهبة سيهرب بهذه السرعة . وانما كانوا يحسبون انه سيجدد جيشا اخر لمناجزة الجيش القادم ومدافعتة . ولكن القائد العربي الضروري ان قرا الرسالة من عنوانها . فخرج قبل الناس ، فتسرب في وادي النفيس . وان يخاف ان يسد طريقه دونهم فيوخذ الكل باليد . كان الاخ محمد وصله من عند الهبة رسول في الليل . فأمره ان يبكر اليه بمجرد ما يتسحر من غير ان يبين له شيئا . على ان الهبة اذ ذاك كما طرقه خبر الانهزام . ولما استقر قراره على الهروب لان ذلك ما عزم عليه حتى وصله مربيه ربه . ولم يدخل مراکش الا نحو نصف الليل ، ثم ان الاخ ذهب مع بعض رفقائه قبل ان يصلوا الصبح . قال واحد منهم خرجنا من الباهية قبل الفجر . وقد كان سيدي محمد بن احمد التزنيتي طلب من محمد الامين حاجب الهبة ان يمنحه سلاحا على عدد الفقراء كلهم . وعددهم اذ ذاك 85 ، لان اصحاب النية الحسنة ينوون ان يخرجوا لمدافعة الجيش القادم . وقد طفحت عليهم طيرة الجهاد الدينية ، ونوى الناس المخلصون ان يموتوا في سبيل الله ، قال الحاكم فذهبنا فوجدنا الطريق ما بين الباهية وبين (ابي الخصيصات) ملوثة بالناس . ولكن لم نعلم من ذلك الا ان الناس يفسدون ما تقصده .

قال فوصلنا امام دار المخزن فوجدنا الاعراب يتجمعون بشيولهم . وقد وقفوا هنالك . وقد طلع الفجر وبدا الاسفار فصلى بعض الناس بامامة بعض الاعراب قال فالتفت فاذا بالرئيس سيدي محمد بن عبد الرحمن الجسيمي قد خرج مع كل اصحابه ببغالهم وخيولهم واتقالهم . وزعم الحاكي انه ما اتى حتى احرق فساطيطه التي لا يمكن ان يحملها . قال فسألني عن سيدي محمد الخليفة - يعني الاخ - فقلت له ها هو ذا واقفا . فأرسلني اليه فأخبره ان الناس يهربون . وانه هو بنفسه قد جمع متاعه . ثم قال له اما انت فلا تفارقك منذ الآن . فانفتل سيدي محمد بن احمد الترنيتي . وهو على فرس عدا ، يجري بها من هناك حتى دخل الباهية . فوجد طائفة الفقراء قد صلوا الصبح ، فاشتغلوا بالذكر على عادتهم فصاح فيهم . قوموا قوموا . فان الناس كلهم هاربون . فأجفل الجميع . فصار اصحاب البهائم يجمعون الانتقال بسرعة ، وقد قيض لهم انسان حاذق مارس الجيوش والاسفار مع ساداتنا الملوك العلويين (وهو الفقير محمد الحجار المراكشي من اصحاب الشيخ) فقال لهم ان اول ما تعتنون به هو الزاد . فانه اول ما يتوقف عليه المنهزم ، فامتثلوا ذلك ، فملأوا البغال بالزاد ، واواني الطبخ . ثم مال الفقراء الماشون الى الاواني والامتعة الباقية ، فوضع كل واحد منهم يده على شيء ، وكان سيدي سعيد الثاني اثبت من هنالك جاشا . واربطهم قلبا . يدور عليهم ويحثهم ان لا يبقوا شيئا . فكان آخر من خرج من الباهية بعد ان لم يبق شيء من المتاع ، وقد حكى لي رحمه الله انه بمجرد ما خرج من هنالك مشى بثؤدة . فكانه أحد الحضريين . وكانت سعنته وهيئته تشبه اهل الحضرة . فبقى هنالك عند بعض الفقراء الفاسيين وهو الحاج العربي برادة . ثم انتقل الى الزاوية الزميلية الى ان سكن الحال بعد ايام . فخرج مع القائد جنرما . واما غيره من 85 من الفقراء فقد خرج الكل في ذلك الصباح مع الناس فارين مبشرين في الطرق ، وقد تشبوا . وكان ذلك اليوم اول يوم تمزق فيه شمل تلك الطائفة المباركة التي كانت تضم رجالا صوفية كبارا مهذبين . قد ثألفوا على الاذكار وعلى الاشتغال بالله . وانتظموا فيما هم بصدد انتظام العقد الفريد . وقد كانوا نسوا الدنيا بما هم فيه من الاجتماع والتألف الذي كانوا عليه منذ ايام شيخهم . فها هم اولاء اليوم يتفرقون . فاذا كان بعضهم تراجع الى ما كانوا عليه من الانتظام ، حتى كانوا ايضا نحو ثلاثين . فانما ذلك مثله كمثل اضاءة المصباح قرب انطفائه الانطفاء الاخير ، وممن هرب يوم ذلك مبارك بن الحسين نائر تافيلالت بعد هذا الوقت وقد ذكرنا اخباره (في القسم الرابع) .

ثم ان سيدي محمد بن احمد الترنيتي تناول ما هنالك من الدراهم فجري حتى لحق بالاخ كما لحق به اصحاب البغال بعد خروج الاخ من الباب . وقد قال ذلك الحاكي وجدنا الباب مفعما بالجمال الساقطة الاحمال والبغال . حتى انني ما خرجت الا بين ارجل جمال قائمة في زحام .

هذا ما جرى لهؤلاء اتينا به ليعرف القارىء ما قاساه الناس . واما الهبة . فقد حكى لي الباشا منو كيف وقع له . قال بت ليلة السبت في كرب عظيم الى الفاية من اجل اولئك الاسرى . وقد تقوى عندي ان الهبة اما هارب واما ماخوذ باليد ، ففي اثناء الليل ارسلت عبيدي هذا ، وأشار اليه ، وساحبي رحلا وءاخرين ، فقلت لهم اذهبوا حتى تطلوا على الدويرة التي فيها الاسرى . فان وجدتموهم احياء ، فاقتحموا عليهم . وابقوا واقفين وحولوا بينهم وبين كل من يريدهم بسوء ايا كان . وارسلوا لي واحدا منكم بسرعة اكن عندكم . وان وجدتموهم مقتولين فارجعوا الي . قال وكنت على عزم ان اهرب الى سوس ان وقع فيهم واقع . لانني اعلم نية الجيش الراحف . وقد ادركت ما يقصدونه خصوصا مني ، ولا يعصب ذنبهم بسوء رأسي . وان كنت بذلت ما بذلت للهبة في مقابلة تسريحهم . قال فجلست في دهليز داري واجما انتظر رجوع من ارسلتهم . فاذا باحدهم يجري السبي يبشرني بسلامة الاسرى فطرت فرحا . فخرجت اليهم مع اصحابي . فجاءني احد البوابين يقول : ان مرييه ربه يدق الباب الخارجي وذلك في اثناء الليل وامرته بفتح الباب فمر مرييه ربه جاريا بفروسه يدق باب دار المخزن دفعا عنيفا ما شاء الله . فكان الهبة قد نام ، او كانه اعرض باحدى بنات عال . ثم الله بن حسين التامصلوحتي التي يسأل عنها وعن امثالها - ثم التقيت الهبة فقال يا فلان ما هذا ؟ فقلت له هذا ما كنت احدثك على اجتنابه يوم بود ان تدخل المدينة . فقال ما هذا الا عمل (المصنوبرين) فقلت له ان الواقع لا يرتفع . فانج بنفسك الآن . ثم خرجت فوقفت جانبا . والاعراب يخرجون يستخرجون البغال والجمال والاحمال الموقرة دراهم وغيرها . ولو كنت اردت اذ ذاك ان احتوش كل ما بأيديهم لاحتوشته مع اصحابي الكثيرين بسهولة . ولكن حاشا ان امثل ذلك الدور المخزي . ثم عند الاسفار خرج الهبة مع نسائه ومن انثال اليه من اصحابه . فتوجهوا لجهة سهريج البقر . فقلت لانسان منهم اياكم ان تسلكوا طريق ارمي تتانوت فلا تنجي لكم الا في طريق وادي النفيس . فمررت ازاء دار باب المخزن بشريفة من مال مائة النفيس ، قد مالت بها البفلة ، وقد غادرها اعرابيان شابان . فمرت انا بهما

وارجوهما ان لا يتركاهما ، ثم امرت احد اصحابي فاعانها حتى ركبتم ثم رجع الاعرابيان اليها فساقا بها البفلة . ثم دخلت دار المخزن فوجدت طرطور الهيبة وفيه من التماثم حواليه كثير ، وكأنه نسيه من الفزع الذي استحوذ عليه . ثم ذكر ان الطرطور توصل به الباشا الحاج التهامي . فكان مثاله الى المتحف الوطني بباريز . قال : كان كل هذا مع شروق الشمس ، وانا استحث كل من القاه ان يعجل لخوفي ان يدرهم الفرسان الاجلاويون والمتوكيون والرحمانيون فيوقعوا بهم . وقد رقت نفسي على هؤلاء المساكين السوسيين الذين لا يعلمون شيئا . قال : واذ ذاك وصل الجيش الزاحف ازاء (تاتسيقت) فأرسل قذيفتين مرتا فوق الحمراء . ترسلان والهيبة ومن معه في خيل كثيرة يجتمعون حول صهريج البقر . فوقفوا نحو ربع ساعة ، ثم رايتهم مالوا الى جهة وادي النفيس ، فأسرعت اذ ذاك الى الدويرة التي فيها الاسرى ، فبمجرد ما راوني تعلقوا بي . وطاقوا حولي . وهم في ثياب فضفاضة اهلية خلقة . وقد طالت شعورهم وابطأوا عن الاستحمام ، فكانوا من اعجب ما تراهم العيين شعثا ووسخا ونشأ . فصار القنصل منهم يجازيني خيرا على ما فعلت حين ارسلت اصحابي في الساعة الاخيرة محافظة عليهم . والا فلا يومن ان يميل احد سفلة الاعراب فيقضي عليهم من غير ان يتأمل في العواقب . ولا يقصد الا ان ينكا بهم من كانوا يتطلبونهم من القواد الكبار . ثم عقد لي راية بيضاء من خرق . وكتب كلمات في ورقة فأمرني ان ابادر بذلك الى قائد الجيش الذي ينزل في ذلك الوقت في (چليس) فانفت بيني وبين نفسي ان اكون اول من سلم من اهل مراکش . وخفت ان يؤثر عني ذلك في التاريخ . فأبيت عليه . ثم دخل في الحين القائد المدني والباشا الحاج التهامي . فتناول الاول الراية فادأها الى قائد الجيش بيده . فشاع انه هو الذي انجى الاسرى بعد ما ايده بعض الاسرى انفسهم كذبا وبهتانا . هذا ما حكاه الباشا منو بتفصيل ، واما القائد عبد الملك المتوكي فقد حكى عنه القائد محمد جرما الحاحي انه حضر عنده تلك الليلة . وهو يقدم رجلا ويوخر اخرى . فلا يدري اخرج مع الخارجيين من المسلمين . ام يبقى مع الباقيين المعروف مثاهم ، وقد حمل على بعض بقاله . واسرج خيله . واحضر اصحابه . قال الحاكي القائد محمد جرما ، انه جلس ما شاء الله ورأسه بين يديه يوازن بين ما يكون اذا خرج مع الناس . وبين ما يكون اذا جلس مع الاجلاويين . بقى كذلك يتردد الى ان طلع الفجر ثم تقوى عليه ان يجلس . فأمر اصحابه بالركوب والجولان حول الكتبية الى ما حوالى باب الرب . وقد كان الحاحيون سبق خبر الهروب عندهم في الشطر الاخير من الليل . فجمعوا كل ما عندهم .

وبجمعوا جميعها فكسروا قفل باب من ابواب القصبية ، ففتحوها نهوا (المنارة) وذلك عند مشرق الشمس . وفي ذلك الوقت خرجت خيل القائد المتوكي ، حكى القائد محمد جرما قال : كنت في فرسان المتوكيين فصرنا بطارد خيل الاعراب حول صهريج البقر . فدفعنا الى اثنين منهم على جعل فسرهم ما ابركاه . ثم امتدنا على بطونهم . فصارا يرمياننا فلا يفلتان هدفنا . فاجفنا عنهما مرغمين . فاذا بالقائد عبد الملك يصرخ علينا مالكم وللاعراب المساكين . فعليكم بالعدو الازرق . عليكم بالحاحيين . فشئنا عليهم هاربة الى جهة (المنارة) وهم منضمون جعلوا ائقاهم بين ايديهم . فنظموا كشائب فرسانهم وراءهم . يتناوبون في الدفاع . فطاردناهم الى ان ابتعدوا فرجعنا واما القائدان الاجلاويان المدني والباشا التهامي فانهما كبشا الكتبية . والمجرم اكل ما كان بالمخابرات السرية . فقد نظما امورهما في جوف الليل . فسرنا الى بعض الابراج رماة خفية . ثم في السحر صارت خيلهما تتعادي في الارقة . وخرج البارود بعد الاسفار . ثم امتلات الابراج كلها برماهم . فخرجوا من الابراج الموالية لباب الرب . فلم تشرق الشمس حتى استولى الاجلاويون على ناصية الامر . وقد انقضوا على كل ما قدروا عليه . ينهبون ويستولون على البهائم والاثاث ويدورون على الفنادق . فلم يفلت الا ما لم يمسروه . ثم شاركهم المتوكيون وغيرهم في ذلك . وقد كان القائد الناجم ممن يناوئ الاجلاويين منذ استولى على قبائل الجيش الدائرة بمراكش . فكان طلبهم في ذلك الصباح . ولكن لم يقدر ان يلتقوا به حكى ذلك بنفسه قال : خرجت عند الاسفار . وقد سمعت بعض الشيء لاكتشف ما كان . ولم اركب الا الى البفلة لا غير ، ومعى افراد ممن خف الي من اصحابي . وخيلي وسائر اصحابي في الدار . وهي في جهة الرميعة . فمشت الى جهة القصبية ، فلاقيت القائد ارعا فقال : يا ابن الامة والله لئن ابصرك الاجلاويون الآن لا تبصرون من ان الشمس بعد اليوم . اسرع ويحك واهرب مع الناس ، فقد هرب الهيبة وال من معه . فذهبت قدما . ولم احمل معى ادنى شيء الا ثلاث ريبالات . فاتفقا في جيبى . فذهبت قدما كذلك . وقد خلفت ما خلفت من ديار طائفة باحسن اناث . وافر به بال تصل الستين ، واجود خيل ، الى ما لذلك مما جمعت في طول حياتي . ثم صار رزق الاجلاويين فعلى ذلك الحال خرجت (1) . وهذا الذي جرى للقائد الناجم جرى مثله للقائد ارعا .

(1) انظر ترجمة القائد الناجم في (القسم الخامس) فقد ذكر من التفاصيل ما ليس هنا . بل يجب ان يكون كل ما هناك تنمى لاخبار الهبة كلها ولاشبه عربية ربه . لانه شاهد عيان معهما .

فقد هرب أيضا . لكنه حمل معه ما أمكن مما تحت يده ، فتصاحب مع الناجم إلى داره في أولاد أبي السباع ، ثم إلى حاحة فسوس . ووقع مثل ذلك للقائد ابن الطاهر الرحماني والقائد التريمي ، وبضعة قواد آخرين وقد جرف الخوف الجميع . فلم يعرفوا في الوقت منجى إلا أن يتسربوا إلى فسوس . وساعة الخوف ساعة ضيق لا يمكن معها التفكير في المثال . هكذا خرج غالب الناس . فسلك بعضهم مسلك الحاحيين ، ومعهم مال (أساك) (أبلاغ) وآخرون ، وقد لاقوا في طريقهم شدة ، لأنهم في مدافعة الذين يطاردونهم في كل ذلك النهار ، وسلك بعضهم طريق (إمي تانتوت) ومن بينهم بعض خيل الوفاقويين وبينهم الشيخ إبراهيم بن داود الألفي . فلاقوا كذلك عنتا ومشد يد من يملكونهم . إلى أن وصلوا (إمي تانتوت) . ثم اغاثهم الله بالخليفة بوسلام الذي أوعز أن لا يمس أحدا ماس . فمروا في هناء . وأما الذين بقوا وراء الناس ممن ليس عندهم الخبر . فممنهم من أسرع بعد متوع النهار ورجوع المطاردين . وقد اشتغل الناس بالخروج لملاقاة الجيش النازل في (جلين) فهؤلاء قد لحقوا بالمتقدمين بعد جهد جاهد . كفرسان من إيفير ملوئن . كانوا نزلوا في ناحية من أجدال ، وقد ابتعدوا عن سماع الهيعة . فخرج أحدهم بعد طلوع الشمس بكثير . فعابن الواقع . فجرى إلى أصحابه . فأسرعوا بالركوب . فتأني لهم أن يلحقوا بمن سلكوا وادي النفيس بجريئة الذن . فنجوا وهم لا يحسبون أنهم ناجون . ومن الباقين أيضا نحو 100 فارس من رؤساء هشتوكة . قال الباشا منو كانوا نزلوا في دار عندي في القصبة ، فلم يتأت لهم أن يخرجوا حتى طلع النهار ، فشاهدت أزقة القصبة تطفح بخيل الإجلويين ، فخفت أن ينهبهم وأن يفتكوا بهم كل الفتك . لما بيني وبينهم . وهم يعرفون أنهم أخواني . فلم أجد مفر من أن أمرهم بالانتظار إلى الليلة القابلة . ثم أنني ذهبت إلى منزلهم بعد الظهر . وقد هدأت المدينة . فنادى المنادي بفتح الأسواق . فرجعت الحالة بالمدينة إلى المألوف من السكينة والهدوء . قال فأخذت بيد الفقيه سيدي الحاج الحبيب . فطلعت معه إلى علية . فصرنا نطل على المدينة الهادئة . فقلت له أرايت كيف يكون الأمن ؟ وكيف يسود الهدوء ؟ وقد سادت الطمانينة . فباع الناس واشتروا . ثم قلت له ابن هذه الحالة الآن من حالة المدينة في هذه الأيام التي كان فيها الأعراب . وقد أثاروا الإشمئزاز من النفوس . وافقدوا الأمن في الأسواق مع أن الأعراب يزعمون أنهم مجاهدون مسلمون . وهذا الأمن اليوم من العدو الكافر الذي فتح المدينة . ومن هنا ينبغي لك أن تعتبر وتعرف الفرق بين الناس والناس . والملك لا يمكن أن يتأني إلا لمن يصاحبه

الأمن . والماشية الطمانينة ، مسلما كان أو غير مسلم . قال وفي الليلة القابلة زودتهم أحسن زاد وأركبت راجلهم ، وسلحتهم . فخرجوا في باب من أبواب القصبة خفية مع دليل يصحبهم إلى وادي النفيس حيث يأمنون ويعرفون الطريق . ومن بقي أيضا سيدي محمد أعبو الفقيه الهشتوكي مع صاحبه المؤرخ الرفاعي الجراري . وقد التجأ إلى الزاوية الناصرية حتى خرجا بخفارة أهلها . كما بقي هناك أيضا شيخنا الشاعر الإفرائي وقد نسيه أمره ، ونسي قصائده الطنانة . فقد بقي هناك مع الأديب سيدي البشير الباسري . وقد نهبت بفالهما وامتعتهما فيما نهب للناس . فوقف معهما القائد عمر المنصور السرخيني مع قائد يسمى أعراب حتى خرجا ناجيين إلى (نارودانت) فاذ ذاك ذهبت القصائد والمقطعات الكثيرة التي له في الهيبة مأسوفا عليها . وقد قال في الكنتافي لما مر به وأكرمهما قصيدة وهي :

أبارقا لحمي الفوئر تالقا
أسريت وهنا فاستثرت لوعة
وأعت قانهملت جفون زارها
سرق كأن سناه غيرة طيب
من طيب الأفواه نفح ثنائيه
العائد البطل الهمام اللذييه
رحل الحقيقة واحد العلياء ب
أدت لدى الهيجا برائيه السيد
هناك من الخائفين فمن لجأ
أم شارد عاوى وكم عاف همت
أعاب الاخلاق والاعراق يا
أنا أساكم على بعد المدي
السلام ما بدر الكمال احق من
الأول ذكرك يزدرى بشدا صبا
وي السلام على مقامك ماشدت

ومن بقي أيضا القائد عبد السلام الجراري والقائد حيدة والقائد كاتا
أنا نارودانت . فاتصلوا برجال الحماية فأعلنوا بنفوس أيديهم من أمر الهيبة

فاقتضت السياسة ان يبادروا بالرجوع الى سوس ، وقد زودوا بالتعاليم المطلوبة في الوقت . فأسرع الباشا كتابا يسبق الهيبة الى تارودانت ولكنه وقع فيما سنذكره . والاخران سلكا الى ديارهما . فكان ما كان مما ستراه . هكذا لفظت الصحراء الاعراب والسوسيين واميرهم . فبقيت من تلك الساعة في قبضة الجيش الذي نزل في هذا الصباح في جليز . وقد رأيت افعال القواد الكبار بمراكش . واما العامة فانهم دهموا بما لم يحسبوه . فمالوا الى اللطيف على عادة المغاربة من قديم كلما حز بهم امر شديد . وقد اجتمعت كل طائفة في ضريح ازاءها . يطلبون الله ان يلطف بهم . لئلا تهدم قدائف المدافع عليهم ديارهم . فاستجاب الله الدعاء . فلم يمر في جو الصحراء من قدائف المدافع الا القديفتان المذكورتان فقط صباحا . ثم وصل الخبر اليقين الى الرئيس الاعلى قائد الجيش بان الهيبة قد فر . وان المدينة مفتوحة الابواب له . قال الباشا منو : خرجنا بعد ان طلع النهار انا وكل القواد . ومن القضاة الشيخ ابو شعيب الدكالي ومولاي المصطفى الذي كان عزل من القضاء على يدي بأمر من السلطان عبد الحفيظ في موكب كبير . وغالب من فيه يستطير فرحا ، خصوصا القاضي مولاي المصطفى الذي رأى اشارة برجوعه الى منصب القضاء . فمثلنا بين يدي (مانجان) قائد الحملة فحييناه وحيانا فهنأناه بالوصول . فأجاب خير جواب . ثم خطب القاضي ابو شعيب خطبة طنانة اثنى فيها على فرسة وعلى رحمتها المشهورة فيمن وقعوا تحت يدها . يريد الشيخ بذلك ان يبرد مما عسى ان يغلي من صدر القائد . فائركلامه في القائد فسأل عنه فسمي له فصافحه ، ثم أجابه بكلام احسن مما قال . ثم قال للواقفين : انني اليوم في غاية تعب شديد . فسامحوني الآن . وانما اعلن ان باشا المدينة منذ الآن هو الحاج التهامي . وان القاضي هو مولاي المصطفى . ثم اوصى بتهدئة الناس ووعد بخير . قال : فرجعنا وقد قضى الامر الذي فيه تستفتيان . فتم احتلال عاصمة الجنوب ، وقد دخل امر الهيبة وایامه في مراكش في خبر كان . وذهبت تلك الحركة التي قامت لتناوىء الاحتلال هباء منثورا . حين لم تجد من اعراب الصحراء من كانوا للقيادة اكفاء . مع ان الشعب التف حولهم بسرعة للغيرة الوطنية الملهبة اذ ذاك في الصدور .

الهيبة الى تارودانت

حكى لي احد من معهم اذ ذاك من رفقاء اخي محمد قال : خرجنا مع الهيبة ، والناس بغير انتظام . فكان كل واحد حيث تضعه قوته وضعفه

في الطليعة او في الساقة . والهيبة قد خرج بكل الخيل التي اهديت له . وغالبها من الجنائب المظلمات السمان . فسرعان ما لحقها الحر الشديد فترسل السنتها فتسقط . ولم يصل واحد منها وادي النفيس . ولم ينفع ذلك النهار الا الخيل العادية . والبغال التي تألف الاستخدام . فبها وحدها قطع الهيبة تلك الجبال . واما سواها فقد سقط الكل لغبا وعطشا فمات . قال وقد كنا نحسبنا اول من سلك تلك الطريق ذلك الصباح . ولكن وجدنا من الامتعة الساقطة حفا في الطريق ما يدل على ان كثيرين سبقونا . خرجوا ليلا قبلنا . فيلقون كل ما يعدونه ثقيلًا . فكم احمال مفعمة . وكم شواريات (جوالق) بصناديقها ، وكم فرش وكم فساطيط وكم ءانية نمر بها عن يمين وعن شمال . والناس ذاهلون عنها . وقد عزمت حين ان انزل انا ورديف لي عن بغلة ترادفنا عليها لنحمل شواريا فيه صناديق جميلة . فابى ورديفي ، وملكه الخوف الخائق . فصرخ بي . اتحسب ان اربابه الذين رموا به زهدوا فيما فيه . وانما راوا ان لا نجاة بسببه . قال : وحسين وسلمنا مسامحة دار القائد عمر الامناسي في سكتانة قبل ان ندخل في الجبال . وجدنا هنالك خيلا من اصحابه يتعرضون لمن يستضعفونهم من جماعات الناس المتتابعة . فينقضون على بغالهم ، فيميلون بها الى دار هنالك . ولكن الامن على كل حال هو الغالب . وقد سلم جل من مر معنا هناك . وخصوصا من كانوا في رفقة الهيبة . فانهم ما مسوا بأذى شيء ، حتى تسلقوا الجبل حيث يتنفسون . ثم لم يزل الناس ماشين حتى وصلوا تحت (تاجاديرت البور) عشية بعد العصر بقليل فنزل الناس . فبادر القائد الكتافي ، فأرسل اصحابه يعلنون لمن مع الهيبة الامن التام ، وقد اباح كل الاشجار التي يمر بها الناس فاكهة وجوزا ولوزا . فحمد الناس الله . فنزل الهيبة مع نسائه تحت اشجار فوق اكمة ازاء الطريق . وقد ادير على الاشجار بثياب . فانتشر الناس نازلين . كل ينزل حيث شاء . قال الحاكي ادرك الناس الامن هناك . فاستطاعوا ان يتنفسوا ، ولكن المصيبة في عدم الزاد . ولم يجد احد من غالب الناس ذواقا ، فاما نحن الذين مع سيدي محمد فقد نفعا ما على بغالنا مما اقرها به ذلك الفقير صباحا . فأكلنا واكل من عندنا سيدي محمد بن عبد الرحمن الرئيس وكل من معه . لانهم ايضا لا زاد معهم فبتنا نعصد من السميد . حتى تعشى الجميع . وكذلك في اليوم الثاني . وقد كفانا ما معنا في اليومين اللذين قضيناها في وادي النفيس . الى ان نزلنا من ثنية (ورشدان) . واستويينا في رأس الوادي . فحط الهيبة في (التكجوتت) وهناك وصل الخبر بان الباشا كتبنا قد خرج من مراكش

وسلك ترهات الاطلس على طريق (امي نثانوت) بمشي ليلا ونهارا ليسبقنا الى (تارودانت) . فانتدب اليها اناس منهم مريه ربه، وسيدي محمد بن عبد الرحمن الكسيمي، وسيدي محمد يعني الاخ ليحتلوها قبل ان يدخلها فيمتنع بها . فرحناها ليلة 28 رمضان ، فاذا به بات هو تلك الليلة في المنيزلة ففتك به اهلها . ثم راح الهبة يوم 29 الى تارودانت بعد ما بات في (تالكجوتت) ليلتين . فبكر عليه صباح العيد براس كابا فمال الى دياره فاتى على كل ما فيها .

في تارودانت

هذه فاتحة الهزيمات التي تقلب فيها مولاي احمد الهبة . وها هو ذا الآن ينزل رحله في تارودانت . وهؤلاء بعض الرؤساء السوسيين الذين انهزموا معه ياوون اليه . في حين ان غالبهم يثوب الى داره تَوْأ من غير ان يمر به ، وقد سهل الآن حجابيه ، ولانت قناته ، وذهب عنه اولئك الاثرياء الحوزيون الذين كانوا يملأون الكأس فيمدونها له دهاقا ، فاففلوه عن نفسه وعن السوسيين الذين قاموا بأمره . وها هو ذا راس كابا منصوبا بين عينيه فيرجع اليه ومن معه بعض امانى فيطمعون في استرجاع ما راوه وفي قطع رؤوس اخرى ممن سقوهم الحنظل المذاب . اجتمع بعض فل الجيش في تارودانت . فاطافوا بأمرهم من جديد . يمسحون دموعه . ويربطون على جاشه . ويلقون في روعه ان النصر مع الصبر . وان الدنيا دول . وان سهمه فالج اخيرا لا محالة . فلم ينشب ان رجعت اليه الآمال جذعة . وقوى ايضا الطمع منه فهذا بعينه ما يقوله الافراني شاعر الحضرة بعد ان وصل قريبا من الحمراء . في هذه القصيدة التي القاها بين يديه . في آخر شوال .

هو الدهر ان يمرر فغن عجل يحلو
مع العسر يسر ، والعنا بعده الفنى
فلم يشن المهر الجواد جماحه
فقد تنجلي الفماء بعد اعتكارها
فصبرا امير المؤمنين فانما
ولد بحمى الحزم الحصين ولازم الـ
ورو سيوف الحق من دم من بقى
فلا ملك مالم يحم عزته القنا

ويحمل عن قرب اذا اتضع الرحل
وبعد الجفا العتبى وبعد النوى الوصل
مراحا كما الحسناء ماشأنها الدل
ويقطع ضربا بعد نبوته النصل
بحر الرضا والصبر يتضح الفضل
تجلك وادع السعد بهم وينهل
فداء جنون البغى ترياقه القتل
ولا حلم ما لم يحم جانبه الجهل

وكن والقا بالله فالله ناصر
فيوم ويوم هادة الدهر والوعى
ولبث نداء المؤمنين وعُد الى
ملا صار من هذا التحيز انه
ففى السلف الماضى لنا خير اسوة
ملا عز الا فى مقارعة العدا
والمرارات الحروب مريئة الـ
ونسل عويصات الامور الى رخا
هم يا امين الله للحق ناصرا
ولا تكثر بالحادثات وصرفها
ومن رام نيل المجد يحتمل الاذى
ملا جليل دون ذاك هين
لدين الله ياوى الى حمى
ودمت ودام الملك فيك معززا
ملك سلام الله يملك الهدى

والكنها الايام شيختها المثل
سجال وعقبى عقدة الشدة الحل
جهاد الاعادى ثانيا فالهدى يعلو
لحزم ولكن الخضوع هو النذل
فكم مرة فروا فكروا وما ملوا
وارسال خيل تقتفى اثرها خيل
عواقب مهما لم يشب جدها هزل
اذا صدق السيف المهند والنبل
وجاهد بحزب المؤمنين وان قلوا
فكل عناء فى سبيل العلا سهل
(ومن خطب الحسناء لم يفلح البذل) (1)
يسير فان تسلم فقد سلم الكل
ذراك كما ياوى الى امه الطفل
مشيد ببناء ركنه الدين والعدل
وبحر الندى ماجاد روض الربا ويل

وقال ايضا بعض ادباء تلك الجهة كما وجدته من غير ان يذكر اسم القائل ، ولو كنت ممن يطرق بالحصى لقلت انه نفس سيدي محمد ابن الحاج الافراني . وربك يعلم :

لما با امير المسلمين لعا لعا
ملا تبثس مما رايت فطالما
سالت على الدهر الحسود بطلعة
اسام بخسف لو سواك اصابه
ولذلك الصخر الاصم عزيمة
لما تلك الا سجدة بعدها القيام
فانت لهذا الامر وجدك بين من
لسعدك سعد المفلحين يقود ما
نادرك جراك الله بالخير امة

ستبصر عن قرب لنصرك مظلعا
يقلم نبت الروض ثمت امرعا
معدية الللاء ابهى واسطعا
لزلزل منه الجانبين وضععا
وليث الشرى وثبا وفرسا ومدفعا
فانهض واعل الراس بالامر وارفعا
تراهم واولى من يجاب اذا دعا
بابى على كل الورى وتمنعا
نرى امرها بعد اجتماع تصدعا

(1) خطب من قصيدة ابي فراس ، واصلة (ومن خطب الحسناء لم يفلح البذل) .

فمثلك لا ينشئ من حياضها
فما كان اهلا للتقدم غير من
فلولا العنا ما كان نصر ليجتني
فبالصبر نيل النصر من يصطبر ينل
عليك سلام الله يا خير قائم

وقال له آخر - واخبرت انه القاضي سيدي موسى -

وانهض لخصم ليس قط بنائم
سبب الى سطح بغير سلالم ؟
منه خواف بعد نتف قوادم
في بحرہ التمزج المتلاطم
سومنين ويا ابن خير اكارم
يبدو فويل للكنود الظالم
فيه انتصار من قنا وصوارم
ان العواقب كلها للحازم
لا يرضون بغير قرم عازم
عنك الهوينى في سلال اراقم
يجنى انتصارا وسط كل ملاحم (1)
ايدى بنى الحمراء افضل قائم

صبرا فما هم الخطوب بدائم
من كان يطمع ان ينال بغير ما
الدين في خطر وقد نتفت به
والكفر جاش وازبدت امواجه
فلقد انت اوقات سعدك يا امير الم
فالليل قد ولى وهذا الفجر قد
لا تياسن فخذ لامرك كل ما
قد محص الله الحكيم لكى ترى
فانهض وشمر فالانام جميعهم
فالله عونك ما استعنت به فدع
هذى ردانة خيس كل غضنفر
فاصبر وصابر وانس ما مست به

تلك كلمات من الشعراء مرفوعة الى الهيبة تسلية عما جرى له .
واستنهاضا لهمته خوف ان ياتي عليها الخور . ولا ادري كيف يطمع امير
يلقن الحجة ، وتستنهض همته . فاین هذا من عبد الملك الذي حكى ما
جرى له في ليلة وهو يقصد محاربة مصعب بن الزبير بالعراق . ثم طرقه
الخبر بان عمرو بن سعيد الاشدق قد ثار وراءه في دمشق فلا يدري ايتقدم
ام يتأخر . ثم لم ينشب ان استبان الموقف . فاسترد كل شيء (2) .

واين هذا ايضا من تيمور الطاغية الشهير الذي قال حاربت احد

(1) الخيس بالكسر : عرين الاسد .
(2) الحكاية في كتاب (امرات الارامل) .

اودالى مرارا . فلي كل مرة يهزمى . حتى تهورت الى امرى فخرجت وحدي
منهروا من جندي . فلاحظت نملة تحاول ان تطلع بحبة في منحدر . ففى
ال مرة سقطت منه فتدحرج الى المرة العشرين فطلعت . فتعلمت من عندها
المسيرة . فعاودت محاربة عدوي حتى تغلبت عليه . فامثال هؤلاء هم الذين
يؤمنون بالعظائم . ويؤسسون الممالك . لا مثل هذا السيد الصالح الحسن
الذي سقط في اول محاولة سقوطا عظيما ، فها هو ذا قد احتل تارودانت
وقد ناب اليه بعض اصحابه . ومعه القائد ارجنا . والقائد الناجم . والقائد
ابن الطاهر . والقائد التريعي . وامثالهم من الذين يعرفون الحرب ونشأوا
فيها . وفي راس الوادي مجال غير قليل . وسنرى كيف مجر عواليه
ومعسرى سوابقه .

ومما خطب به اذ ذاك رسالة من الاستاذ ابي الحسن الالفى كتبها
اليه ، بمجرد ما سمع انه دخل تارودانت . ونصها :

(حضرة السلطان التي هي الهالة لكل المكارم المشرقة . ومقام يعسوب
الاسلام الذي يده سحاء متدفقة . الامام المعظم . والعلامة المفخم . من تكبو
دون قدره العبارة . فلا يلام من اكتفى في ذلك بالاشارة . ابو العباس مولانا
احمد بن الهبة . الذي يملأ جليسه بالهيبة .

عليه سلام مثل ما جرئت الصبا الـ . سديول على الروض البليل صباحا
واركسى التحايا يشمل الكل ذيلها . كمينط عن المسك الفشاء ففاحا

اما بعد فلا زائد عندنا الا ما كدرنا غاية التكدير ، من تلك الروعة التي
جاءنا بها نذير وبيس النذير ، مما امتحن الله به سيدنا واصحابه المجاهدين .
من الفراد المراكبيين المستندين الى الكافرين . فكانت محنة . واعظم فتنة
ولكن ينبغي ان يتلو في هذا المومنون (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
واما وهم لا يفتنون) ففي اناء ذلك تعزية . حتى يتحول القول ان امعن
المرء بنظره الى تهنية . والله لا يفعل الا خيرا . ولا يسوم الله المومنين على
كل حال مما يكون في الحقيقة شرا . ففي لروة احد وما وقع لسرية الرجيع
وبسر معونة . تسلي عظيم لنا ولكم واكبر معونة . فلنا ولكم في رسول الله
واسحابه اسوة . وهو في كل تطورات الحياة خير لدواء . على ان العشرة
الا نام عنها الانسان بسرعة فاستوى . نالعة اذا جمع ايضا كل ما له من
العدوى . وسيدى ابصر بذلك واعلم بذلك المسالك . ولا نبيه منه شائلا . ولا

ندمده منه ذاهلا . واما هذه القبائل فقد عراها دهش بما يتقوله من لا يتقي الله في الكذب ممن قدم من مراكش . ولكننا نشجع الناس بقدر الطاقة ونكاتب في ذلك كل من بيننا وبينه صداقة . ونرجو من الله تلافى الامر وحفظ الملة . على ما في المسلمين من شتات الكلمة والفاقة والقلّة . ولكن (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) وقد سمعنا بان الفقيه العلامة خليفتم الذي احسن الينا بعدكم . جرى بينه وبين آل تزيت شئان . فأحب من سيدي ان يتدارك ذلك قبل ان يتلاحم الفريقان . فان صدور القوم ملئى باشياء ظنوها في الخليفة السعيد الامين . وهم مع ذلك احلاس الفتن وشياطين الاهواء وعند جهينة الخبر اليقين . فقد عاشرنا من طلبتهم ورؤسائهم من راينا منهم عجبا . وقلنا لقد راينا عجبا قبل ان نعيش رجبا . وسنقدم على سيدنا ولا بد متى تيسر عن قريب . والله ييسر كل صعب عصب . والسلام .

اعماله في تارودانت

رايت الآن ان كل ما وراء الاطلس من الشمال قد امتنع عن الهيبة بعد ان احتلت مراكش . فصارت حدود من لا يزالون متشبثين بأمره بعض التشبث - قولاً لا فعلاً - من حد (ترچانت نيت موسى) بين قبيلتي ادا وزيكى وارتينسيرن ثم اداوتنان وما وراء ذلك من سوس . ومن حد ثنية وشندآن . لان الكتافي سرعان ما انضم الى الحمراء . ولا يمكن له الا ذلك . واما رأس الوادي فبمجرد ما دخل القائد حيدة داره مرجعه من مراكش . بعد احتلال الهيبة تارودانت بايام . قلب ظهر المجن . فقاوم الاعراب ومن اليهم . وقد كان اولا راود الهيبة ان يدخل مع حكومة (مولاي يوسف) ومع الدولة الحامية في مصالحة . وقال له حيدة عن اخلاص . ان الحق الذي لك علينا ان تقف معك حتى تأخذ معاشنا حسنا وتسكن فيما تختاره في الحواضر امن السرب . والا فلا يمكن الا ان تلتحق سوس بمراكش طبعاً . ومتى قدرت سوس ان تمتنع عن الحمراء من قديم . وهي قطبها بل قطب كل الجنوب . فتصامم الهيبة ومن معه عن ذلك . فأعلنوا له ما اعلنوه من المقاطعة . وقد كان في جوار القائد حيدة اولاد ابن عيسى رؤساء كبار . فاخذ الهيبة بمناصرتهم على جارهم فحين رأى حيدة ان لا مفر من مناصبة الحرب . وان هذا السيد المسلم الفيور القانع فيما يطعم فيه الناس لم يدرك ما ادركه حيدة من ان قوة الحكومة قوة عظيمة من المستحيل مقاومتها والطمع في الانتصار عليها . صرح بعداوة الاعراب وقد عرف انهم ضروا

برأس كتاباً . وتعلموا لو يجدون اراءه رأس القائد حيدة . هكذا جال حيدة في المعامع مرفعاً وهو مكره .

اذا لم يكن الا الاسنة مركب فلا رأي للمضطر الا ركوبها

كذلك يزعم الاخ احمد . ويقول ان هذه الاخبار استقاها من المداخلين لحيدة المظليين على سريرته . وذلك كله ممكن . وانما المعروف المشهور انه رجع من مراكش . وقد قبلت الحكومة توبته . فأرسلته ليكفر عن سيئته المتقدمة بمناسبة العداء للاعراب حتى يجليهم عن تارودانت . فقام بذلك خير قيام ، سياسة ومخاطبة ثم محاربة . هذا ما يعلمه كل احد . واما ما تقدم قلن بعد وما يتقدم دائماً المشادات العنيفة من محاولة الصلح ، لان الصلح على كل حال خير . ولا ينبغي من حيدة العاقل - كما يقول هاربر - ان يحاول مع الهيبة تلك المحاولة التي هي طبعاً ما يظهر لامثال حيدة الناس تحت كنف الحكومة . من المدركين لقوتها .

اما الهيبة فأول ما صنع بعد ان تنفس في تارودانت ، وثاب اليه الفضل من اصحابه ، ان ولى باشوية المدينة للقائد محمد بن حميدة الهواري . وكان معروفاً قبل اليوم بالشجاعة وصلابة القناة ، وهو ممن كانوا في جيش انفوس عام 1318 هـ في احتلال قبائل مجاط وما اليها . وقد جال وحاشي وخالط حتى حنك فراه اصحاب الهيبة افضل من يعتمدون عليه . وقبيلته هواره اعظم القبائل التي تقطن ضواحي المدينة . فصار ابن حميدة واولاد ابن عيسى والشيخ الحسن التيوتي في آخرين شيعة الاعراب ومعهم القائد الناجم والقائد ارجنا ، فيقاومون الشيعة الاخرى التي يرأسها القائد حيدة وهو يجد في استمالة قلوب القواد هنالك كالقائد نصر صاحب فريجة . والقائد العربي الضروري والقائد علي التالامتي وامثالهم . يجد في استمالتهم اليه رغبا ورهبا . وهو عميد الحكومة الوحيدة في رأس الوادي ، ندمه بكل ما امكن . وكان هو نفسه رجل الكريهة ، مغوارا مدافعا مهاجماً ، كانما خلق من غير الحرب الزبون ، فيها يترقى ، ومنها يطلع سعده . فدخل مع الاعراب ومن اليهم من جيرانه في حرب شديدة ، قرع فيها النبع بالنبع وتكسرت النصال على النصال . وقد تكررت المعامع وتوالت الغارات . وحيدة يزداد بذلك قوة كل يوم . وانصارا وراء كل مععة وقد البع كل انواع السياسات في تقوية مركزه . حتى التفرقة بين الأخوة . لهذا محمد ابن ابراهيم التيوتي والشيخ الحسن من هاله . تاني له بالهرفه بينهما

ان يستحوذ على تيوت وما اليها . كان محمد بن ابراهيم طالبا يشارط . ثم ظهرت منه فتوة ورأى وتناول الى المعالي . فلم يجد مع الشيخ الحسن ما يصنع وهو يكبره . حتى اتصل بالقائد حيدة ، فتدبر الرأي في الليل . فغمرت شيعة محمد بن ابراهيم شيعة الشيخ الحسن في ساعة ختلا . والليل مكفهر الجوانب . وكان مما انتهب من عند الشيخ الحسن القائد محمد التريعي الدكالي - المتقدم الذكر في رسالة شيخنا الافراني - وقد كان ممن جلا عن وطنه فسلك طريق حاحة . فحل بتارودانت على الهيبة ، كما فعله القائد الناجم والقائد ارعاه ، فساقته الاقدار الى تيوت تلك الليلة . اما مصادفة واما استنصارا به وباصحابه . فأيا كان فقد ذهب اثنائه وما يحمله من الدراهم . فكان ذلك آخر ما اعرفه الآن عنه ولا ادري في اي واد من اودية شريان يعوي حوله الديب (1) ان كان هلك في بعض نواحي سوس او هلك في جهة ايت عتاب في قبيلة ايت بوزيد على ما طرق اذني كما اظن ، ذلك ما ربما يكون عند غيري جلية خبره . ومن تلك الليلة ظهر محمد ابن ابراهيم التيوتي الذي صار القائد الكبير بعد . ولشيخنا الطاهر قطعة لعله خاطب بها الهيبة في تارودانت حين جاء اليه هؤلاء القواد :

امولاي ياسيف الصرامة والعزم ومن جوده يغنى عن الويل في الازم
هنيئا باتيان الشريد وطاعة العصي واقبال الابى على الرغم
فسعدك يامولاي يغنى عن الظبي ويأتيك من غاباتها بالظبا العصم

هذا ما يعمله الهيبة في تارودانت . وقد وجد هنالك اهراء مفعمة بحبوب الحكومة فيها يتقوت مع اصحابه ما شاء الله .

ثم ان الحاج عابدا الهشتوكي الذي ذكرنا انه موطن دولة الهيبة في فجر يومها . قد عاود النزول من جبله الى تارودانت ، بعد ان سمع بان الهيبة احتلها . فشكا اليه كثيرون ممن لاقوه من حجاب الهيبة الشديد في الحمراء . وقالوا ان ذلك اصل هذا البلاء كله . فقد حيل بذلك ما بيننا وبين اميرنا . فلم نعلم شيئا مما يقع . ولا يمكن لنا ان نوصل اليه ما عندنا . حتى فاجانا ما فاجانا صبيحة السبت 26 رمضان . فاجفل الجميع بلا نظام ممكن .

(1) قال الشاعر القديم :

ابلق هديلا او ابلغ من يلفها عنى حديثا وبعض القول تكذيب
بان ذا الكلب عمر اخيرهم نسا بطن شريان يعوي حوله الديب

فرلزل ذلك الفقيه فقام وقعد . فمال على الامير . فقال له ان الحاجب محمدا الامين هو الذي تسبب عنه كل هذا الانخزال . فنزل الهيبة عند هذا الرأي . فأمر بالحاجب فنكل به ضربا وسجنا - وقد تقدم انه الذي كان جاسوسا للمدني الاجلاوي على الهيبة - وقد وجد الهيبة من رد كثافة حجابها الى ذلك الاعرابي . وعصبه برأسه . عذرا يتقرب به الى الناس . فكان الحاجب فداء الامين (بجبهة العير يفدي حافر الفرس) .

حكى لي الرئيس سيدي محمد بن عبد الرحمن الكسيمي انه كان اذ ذاك في قبة كبيرة مفعمة بالرؤساء في تارودانت ، ومن بينهم الفقيه الحاج عابد . فظل ايضا يبدي ويعيد في الحكايات المنهضة . وان كانت مؤسسة في الغالب على المنامات والكشوفات ، وهي كلها ترمي الى ان امر الهيبة من عند الله . فانه لا بد تام رغم كل ما وقع . فصار يتدفق بذلك ما شاء الله . والكل ساكتون . قال : حتى فاض ما في صدري . فلم اقدر انا ان اسكت . فقلت له ايها الفقيه . هذا بعينه هو ما كنا نسمعه منك قبل ان نذهب الى مراكش . وكنا جميعا نصدقك . فذهبنا ولكنك انت تخلفت عنا . فوقع لنا ما وقع ، فتمزقت امتعتنا . وهتكت اعراضنا . ثم بعد ذلك كله لم نزل اليوم على ما نحن عليه . ولكنك انت لم تصب معنا بمس شوك . فقد انقطعت عنا يوم نتسرب وراء امنسكرووس . فذهبت مرتاح البال والبدن الى دارك . وفي اليوم جيئت ايضا تقول ما تقول . فلا والله لا نصدقك ما دما لا نرى منك الا اقوالا فقط لا تدعمها افعال . قال : قلت له ذلك . ففرح بقولي كل من حضر . وجزؤني خيرا لانهم ملوا من اصحاب الاقوال ، والوقت عصيب يقتضي اصحاب افعال .

كانت امثال هذه الحكاية ذكرت في ترجمة الحاج عابد . بمثل هذا المعنى وانما اعدناها هنا لمناسبة المقام لها . لنذكر ان الهيبة واصحابه ومن اليهم . قد بدلوا مواقفهم بعد الانهزام . فتنهوا من ذلك التنويم المغناطيسي . فأدركوا ان الذي يتطلبونه لا يمكن الحلم به الا لذي قوة ومجاذبة . لعله ينال بعضه . فاما سبحة الهيبة التي مدها لشيخنا الدكالي ، وقال له بهذه افتح القاهرة ودمشق . فقد غودرت ازاء الطرطور المغادر في قصبة مراكش . فان لم تبق ازاء الطرطور حقيقة . فقد بقيت معانيها حقيقة . ثم ان الهيبة ارسل الاخ مع اصحابه الى قبيلة (اداو زريكي) . فربط هناك ، وقد جلس اعراب مع اصحاب الاخ في نازلة (تارچانت تينت موسى) يتوصلون برسم

النازلة . وهي ما يؤخذ من كل سار في الطريق . هذا ما يعمل الهيبة ومن في تارودانت وما إليها . فلنرد بصرنا إلى الزغار وجبال ولتيتة وما إلى تلك الجهات لننظر ماذا يصنعون بعد أن رجعوا من الحمراء .

جنوبي سوس اذ ذاك

تفككت اوصال القبائل من مراکش . وتفرقت طرائق قديدا . قد اجفل كل من هناك فلم ينظر القادي الذي هو رائج . وقد رجعوا وجلين مما عراهم وكل امانيههم ان يصلوا ديارهم . ويتسربوا في شعاب جبالهم . وقد تساب غالبيهم من كل امنية كان يتمناها وراء الاعراب . فلم يكادوا يصلون ثبات ووجدانا إلى ديارهم . حتى تنفسوا تنفس من نجا من دهية داهية كادت تأتي عليهم . ثم ان بعضهم كالرئيس الشيخ احمد الاماززي البعقلي قد خامره ما خامره من ذلك الحين ، فلزم وجاره . ولا يكاد يعدو ارض قبيلته الا إلى ازغار . او إلى القبائل المجاورة لا غير ، وكذلك كثير من الفقهاء ، فقد نفضوا اليد من هذا الامر ، كالفقيه اعين الهشتوكي والفقيه المؤرخ الرفاقي ، ثم لم يكن يتزحزح عنهم شيئا فشيئا الا بعد هذا الحين ، فقدروا ان يتسردوا بعض شعورهم . والفضل في ذلك راجع إلى بعض الفقهاء . كابي الحسن الالفي وابي محمد التامانارتي العاضيين بالنواجذ على هذا الامر . وقد رأيت في رسالة ان ابا الحسن ما كاد يسمع ببعض انتصارات الهيبة على حيدة ، حتى قام ينادي في الاسواق بالنفير العام . وقد قرأ القاري في القسمين (الاول والثاني) انه ذهب هو والحاج ابراهيم الايفشتاني إلى تارودانت اذ ذاك ، في اوائل 1331 هـ كما ان للقائد المدني الاخصاصي ايضا يدا طولي في زحزحة ذلك الكابوس المخيم على الناس في الجنوب . ولكن قصده هو معلوم عند كل احد . لانه انما يسر الحسوف في الارتفاع . وما قصده الا ان تثبت قيادته على الاخصاص وما إليها . وقد منحها اياه الهيبة في تزيت . فكان بذلك على الضعفة مستاسدا . فأعان بكل قواه عروض ملك الاعراب . لعل قبته تتوطد باطنابها واوتادها ليتفيا هو من تحتها . متمتعا بذلك الدر الذي يرتضعه من القيادة هو وامثاله في ذلك الطور في مناصرة الاعراب اثر ذلك الانهزام . ولم يستتب الامر الا بعد ذلك كما ترى بعد .

اما القائد عبد السلام الجراري فانه بعد مجيئه من مراکش بعد ايام من مفر الناس . اوى إلى داره . فصار هو وجاره سيدي محمد بن الحسين التازاروا التي الذي لم يرضخ قط للاعراب ولا اوى اليهم . يتناحيان فيما

يكون . ومع الشربط التازاروا التي الذي لعله يقول في نفسه انا اولى بهذا المنصب من هؤلاء الاعراب . وقد كان اجدادي فيه . ولكن لا يصرح بذلك . فلا يسمع منه لا ان الامر للشرفاء العلويين ، كانه يقول ذلك تسترا وذرا الرماد في الامسين . هذا ما يقول الناس . وقد وقفت على رسالة بعض الطلبة امله حامدي . يكتبها لبعضهم في آخر سنة 1330 هـ يذكر فيها ما يلقي للقاري ضوءا على ما يريد ان يستنكه من حالة الجنوب السوسي اذ ذاك نهبها .

الفقيه الذي بوداده انتعش - وبحسن اخائه التحيف واقترب . من اه في سويداء قلبي مكانة لا توازي . ومن هو مني حقيقة لا مجازا . ابو عبد الله سيدي محمد بن احمد البعقلي ، سلام تام عبق النفحات ، وتحية اعظم من كل التحيات . اما بعد فقد وصلني كتابك الاعز . فكانت منته عندي منة الله جل وعز ، فلا تسأل عما استفسره مني من الاشواق . وما الاقيه عند اراك مما لا تحمله الاطواق . وقد سرني انك مثلي في ذلك . سالك ايضا مثل ما سلكت من المسالك . فالحمد لله الذي خلقنا على قلب واحد . موحدين في كل المقاصد . ثم انك سألتني عما رأيته في مراکش مع السلطان . فطلب مني ان اخبرك كأنك على عيان . كما طلبت مني ايضا ان اخبرك بما طهر لي في قبائلنا بعد ان رجع الناس . وما رجعوا جميعا الا بالافلاس . فاعبرك يا اخي ان تحمد الله حين لم تذهب معنا إلى تلك المدينة المنجوسة . التي يكون كل من نزلها لاصحابها فريسة ، فمنذ نزلنا فيها . لم نلق من يرحب بنا في مناحيها . وكل من تلقاه لا يريد منا غير الدراهم . فصرنا على القداء والعشاء حتى اوشكنا ان نبيع السلاهم . واما الاعراب فقد مروا لنا منذ دخلنا المدينة . فكان كل واحد منهم اسد ولج عرينه . فاعطونا لثامنا في المونة قمحا اسود يعلم الله كم بقي في المطامير من سنين . ثم اشبعه ونشترى الخبز من الخبازين . ولكن نبيعه برخص كثير . ثم اشترى الخبز بفلاء هناك في كل شيء شهير . فتم ما عندنا من بضعة دراهم معدودة صاحبنا معنا من ديارنا . فلولا التاجر محمد بن حمو الذي امانني بشيء لكنت اليوم تخبر بعارنا . فويل لمن يتكل على الاعراب بعد الروم ، فانهم لجدير ان يقال فيهم بيس القوم ، ثم اننا بقينا في فندق وقد امرنا فيه بيتا . فلم نعرف ما كان حتى قام الناس وقعدوا بالنهب فصرنا حمر زيتا . وانما اسرعت إلى بعض اهل بلدنا سكن هنالك فاختبأت عنده اما حتى دخل النصارى المدينة ، وقد تمكن الاجلاري كما شاء . ولكن

النفساني ما نهى مشاع احد ولا اساء . فخرجت مع رفيق لي على ارجلنا في طريق حاحة نمشي شيئا فشيئا . حتى وصلنا ديارنا . فحمدا لله على السلامة . بعد ما رأينا كيف تقوم القيامة . والسلطان قالوا انه رسا في تارودانت ولكن لم يبق عاقل يصله بعد ما تكبر على الناس في مراكش . ثم لاقى مغبة فعله الشنيع - وعجبه الفظيع - وقد مررت بالفقيه شيخنا سيدي محمد آغبو في داره فسألته عن امر المسلمين . فقال ان الاعراب افسدوا امر الناس . ويا ليتهم تركوه كما كان مع التباس . فقد قادوا اهل سوس كلهم ففضحوهم اجمعين ، وعزبوا عما كان مستترا من عار السوسيين . ويظهر منه انه يتبرا منهم فلا يصلهم بعد اليوم . ولا يسومهم ادنى سوم . واما قبيلتنا فالذين ذهبوا معنا قد رجعوا بهذه النية ايضا . وقد راوا الكفر فاض فيضا . فعلموا ان لا راد الا الله وحده . وهو الذي يقدر ان يمنع عبده . وقد سألتني عما ظهر لي من امر القبائل . فاقول لك ما المسؤول باعلم من السائل . فكل الناس رجعوا الى ديارهم الا ما كان من القائد سعيد بن المقدم الكردوسي فانه لا يزال مع مولاي احمد . وربما لم يبق في قبيلتكم سواه . وانت تعلم انه ما لازمه الا ليجد ما يمضغه شذاه . والقائد الجرازي صالح على نفسه بلا شك فلم يخرج من مراكش حتى اعطى العهد . وارسل الى سيدي مولاي يوسف ابن مولاي الحسن بنصره الوعد . وقد قام حيدة ليحارب مولاي احمد . فالناس ينتظرون ما يكون بينهما . والحاصل ان كل من رأى ما رأينا من الاعراب فانه يعلم انهم لا يليقون لشيء ، ولا يصلحون لنشر ولا لطي . والله يعلم كيف يكون امرهم . بعد ان افتضح سرهم . واما الحاحيون فلا يزالون ينصرون مولاي احمد . فالله يجبر السفينة ويأتي من فضله للمسلمين بالمعونة . واما انت فاحمد الله على لزومك شرطك . فلم تتعب ولا حصل لك ما حصل لنا والسلام ولا تنسنا من الدعاء كتبته اليك محمد - كذا - الحسين 21 من - كذا - في ثالث ذي الحجة عام 1330 هـ .

هذه الرسالة ظفرنا بها هكذا في بعض طيات الكتب . ولا ادري الان المرسل ولا المرسل اليه ، وتوقيع المرسل غير بين . فلا يدري اهو محمد بن الحسين الحامدي ام العبارة هكذا محبك الحسين الحامي . او المامي . وذلك على كل حال غير ظاهر ، وقد اقلت الرسالة بعض الضوء على ما يخامر بعض الناس اثر رجوعهم من انهزام الحمراء كما بينت لنا بعض ما يتعلق بحالة السوسيين والاعراب بمراكش . وقد اخرناها عمدا الى ما هنا

المسلمين في هذا الفصل على ما تريد . وبالله لا مثال هذه الرسالة التي هي خير ما يستعين به المؤرخ . يغرب فيها فتفتت وتطير بين الاوراق غدر مدر . فكم طالب في تلك الجبال امثاله درجوا تحت الفاقة ، فانمحت آثارهم . مع انهم لو كان السعد لاحظهم افضل من كثير من فقهاء يرشقوننا برجال كالجنادل . وقبح الله البادية التي تضيع اهلها ومعارفهم وجهودهم . ورحمهم الله مالكا الذي صرح بذلك .

الشيخ النعمة يطرد من تزيت

ان هذا الشيخ من افاضل اولاد ماء العينين . يخدم والده في حياته خدمة المريد لشيخه . ويحافظ على كتب كل ما يتعلق به . فحين ظهر اولاد الشيخ في الميدان خلفه اخوه الهيبة خليفة له في تزيت ، وقد كان شيخنا سيدي الطاهر قال فيه هذه القصيدة اول ما لاقاه :

والتي وهبا برق نعمان يلمع
عهد الفتنها لدى زمن الصبا
ناب لنا فيها الاماني وساعد
فلم يبق بعد الهين الا اذكارها
لي الله كم اهدى بسلع وحاجر
وما حاج هذا الشوق الا صابرة
هو الشيخ نعمان بن ماء العين من غد
فقلت وحادي الشوق يحدو تطربا
امد ذكر نعمان لنا ان ذكره
هو العلم العالي هو العالم الرضا
هو الروضة الفناء كم نباتها
هو العالم التحرير يفرى بص
المرء بالتحقيق في العلم سابقا
سما في سماء المجد بدرا اذا بدا
سرى سينه في الخافقين وذكره
سمعت به قبل اللقا فهويته
دام ما حداني شوقه للقبالة

فشاق الى من ضم سلع ولعلع
تقضى لنا منها مصيف ومربع
الفواني ولد بالوصال التمتع
بانفاس حزن حثهن التولع
فاكنى ولا القى القناع فاصدع
بندب لاوصاف المكارم يجمع
اه صوب المعالي والندى وهو مرضع
مقالة صب ذي هوى ليس يقلع
هو المسك ما كررته يتضوع
هو الطود طود الحلم لا يتضعض
ففيها لرواد المكارم مرتع
سارم الحجا كل اشكال يعن ويقطع
فما لامرء جاره في الدرك مطمع
سناء فاعناق الكواكب خضع
مسير السبا يذكو شداه ويسطع
سماها وقد يثنى عن العين مسمع
رايت سبابا فوق ما كنت اسمع

رايت امراء اما الجمال فيوسف
فيا سيدا اوفى على كل غاية
اتيتك ضيفا والنزيل له على
دعاني لك المجد الذي انت اهله
ومثلك من يولى الجميل ويكرم النـ
فدونكها من صادق الود مخلص
عليك سلام الله نعمان كلما

واما جلالة الوزار فتبع
من المجد فهو اللوذى السميع
الكرام حقوق في العلا لاتضيع
وان على الالفها الطير وقع
زبل ويحميه ويعلى ويرفع
له منكم ركن وثيق ممنوع
تالق وهنا برق نعمان يلمع

كما قال فيه ايضا في شوال 1334 هـ بعد هذا الوقت وقد سماه محمد
القيث - كما في المنقول منه - مع ان المعروف بهذا الاسم هو مربيه ربه .

الا قل لقلب هذه الدهر بالقيث
هو النعمة المهداة ان اخلف الحيا
امام هدى اهدى من النجم في الدجا
واوضح منهاجاً وابين حجة
عليه سلام مثل نائله الذي
انح بفنا المولى محمد القيث
وان ناب خطب جاء بالقيث والقوث
واجرا ان شبت لظى الحرب من ليث
لدى البحث من سفيان في الدرس والليث
يسح فلا يمنى ببطء ولا ريث

وهذا الشيخ كان ممن اکتوى بما اکتوى به الهيبة . مع انه لا يشتغل
الا بالعلم والادكار واول ما وقع له في ذلك ، ما سيأتي :

حكى رئيس كبير من رؤساء تزنيث اذ ذاك ان الهيبة في المجلس الاخير
الذي يودع فيه اهل تزنيث وصى بعض الناس على اخيه النعمة . وقد اسر
اليه ان النعمة رجل مففل انهكته العبادة . فارشده واهدوه الى السياسة
وطرق الصواب . هذا ما يقوله الرجل في اخيه فلنحمله على هذا الوصف
فان الحوادث اظهرت انه كذلك .

كان الامير الهيبة وعد - كما تقدم - التزنيثيين بالاهتبال بهم ،
واستبدال سروج كل فرسانهم بالسروج الجديدة . وتقريبهم واعلاء شأنهم
لسبقهم ولكونهم اول من رفع راسه بهذا الامر ، واشاد بالبيعة . ثم انه
وصى اخاه النعمة عليهم ان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم .
هذا ما كان في اوائل شعبان ، ثم سافر الهيبة . فبقى النعمة في مركز الخلافة
على جميع جنوبي سوس اجمع . وقد كان للخليفة عياد السابقة ايضا في

القيام بابرام امر الهيبة . ولما له من اخلاق الصحر اوييس ومخالطتهم
ومصاهرتهم . والتزني بزيهم . والتخلق باخلاقهم . كان اخف الناس عليهم .
فكان يعرف كيف يصيب منهم الهدف . فما كان يطيش له فيهم سهم .
ولا يغفل له فيهم راي .

دخل الهيبة الى مراکش في خامس رمضان . وقد خدّر عياد الخليفة
الجراري وامثاله الشيخ النعمة . فامكن لهم في تلك الايام ان يستولوا على
رماسه ، ويقلبونه كيف يشاءون . ولا بد ان يعرف القاري ان ما بين الجراريين
والتزنيثيين غير متلائم . لاسباب اعظمها وامضها عين تزنيث . فقد كان
انسان يحفر بيرا في ايت جرار ، فاذا به وقع تحت الارض على سرداب يجري
ماء . فقام الجراريون حتى سدوا المجرى . فطلع الماء فوق الارض . فاذا
بالماء ماء عين تزنيث بنفسه . وكان ذلك في منتصف المحرم في اول هـ سنة
السنة 1330 هـ فاسود ما بين الجراريين والتزنيثيين . وانتفش ما كان
بينهما من سنة 1325 هـ من خلاف مسلح حين قامت حرب بينهما . وكادت
اليوم تقع ايضا ، لولا ان القوم اشتغلوا بامر الهيبة . وما جدد التزنيثيون
حماية الجد . الا ليجدعوا بسببه انف الجراري ونظرائه ، ممن بينهم وبينه
سفائن واجبن . ثم تم امر الهيبة . وقد بدا ايضا فيه الجراري بيد مكينة .
فربضوا ينتظرون الفرص . وقد اندمجوا في غمار الناس . فحرفهم ما
حرف كل السوسيين . ففسوا امورهم الشخصية او تناسوها الى حين .
ولكن الجراري ما كان لينسى او ليتناسى ما بينه وبين آل تزنيث ، فلم
يخلو يجد من النعمة اذنا ضاغية . حتى التقمها ينفت فيها السموم الناقعة
سد آل تزنيث اعدائه الالاء ، فلا يرى فرصة الا استغلها غير غافل ولا مال .
وملأ تقوله ان التزنيثيين قد مروا على هتك الحجب ، وضروا على
المخالفات فلا يومن جانبهم . واعظم ما يكونون موزين اذا احترموا . فلا يليق
بهم الا الاذلال والاستخدام .

بدت لآل تزنيث امور من الهيبة توسموا فيها ان قلب الخليفة النعمة
سارت مرآته تصدأ من جهتهم . فكانوا يشككون ثم يغلبون حسن الظن
به يذهبون قدما . حتى وصلهم من مراکش بعد ان دخلها الهيبة ما يلاقيه
اخوانهم من اهمالهم وتنهيتهم جانباً . فبدأ هش الاشمرار يتكون ، ثم وصل
الواسط رمضان بثلث (1) منهم جاءوا يشككون امر الشكوى من الهيبة

وانهم ما هربوا مع الهاربين من مال سوس حتى لم يطيقوا ان يبقوا هنالك يوما واحدا . وفي اثر وصول هؤلاء بيوم ونحوه . ارسل بعض التزنيثيين قمصانا لاهله . وبينها رسالة كلّف بايصالها من الهبة الى النعمة . فذهبت زوجة الرجل بالرسالة في غلافها لطالب اعمش العينين يسمى سيدي عمر وهو رجل صالح محترم ملازم لتعليم كتاب الله . امام في المسجد من ادّ اكفنا . فطلبت منه ان يقرأها لها . وما تحسب الا انها رسالة من زوجها اليها . فادركت الطالب بعد اذان المغرب وقد اقبل الى المسجد . وهو فيه الامام الراتب . ولسرعته ولضيق الوقت وللظلام الذي بدا يسود الافق . ولعمش عينيه . لم يستوف قراءة عنوان الرسالة . او لم يتأمله اتكالا على قول المرأة . فكفك الفلاف . فاذا بالرسالة رسمية من الهبة الى النعمة . فسقط في يده . فذهب بها الى الاعراب معتذرا ، وملقيا اليهم بالحقيقة كما هي . فقام الاعراب وقعدوا . يقولون ابلغ بالتزنيثيين ان استخفوا برسائل السلطان هذا الاستخفاف . فلا الرسول اتى بها بنفسه كما امر به . وقنع ان يلويها في قمصان اهله . ولا القارئ احترم العنوان فأدى الرسالة كما هي . فقد هتكت ائثار السلطنة . ونسف سياج حرمتها ، فتوسط اناس من تزنيث يبينون للنعمة الواقع كما هو . وهو لا يلوي عنانه . وقد اوعز بمائة من الفرسان ان ينزلوا على الطالب عمر . حتى يغرم الف ريال حسني . فبدات خيل الاعراب تجتمع لذلك - وقد بنوا قبة على حبة . وظهروا بمظهر الصرامة . فتداخل في الوساطة اخيرا من لا يقدر النعمة ان يردده كل الرد خوفا منه فرد المائة فارس الى عشرة والالف ريال الى ثلاثمائة . فاجتمع الجيران وذوو رحم الطالب عمر فجمعوا 300 ريال في الحين فدفعوها في صرة للنعمة - فكانت هذه القضية مرة المذاق عند جميع التزنيثيين . ويقولون لم نعهد قط من السلاطين والقواد الكبار الا من ينزل فارسا او فارسين او ثلاثة ونحو ذلك على اهل الاجرام وان بلغ اجرامهم ما بلغ . واما انزال العشرة فضلا عن المائة فسنة اعرابية سنتها قلوب قاسية لا ترضى ولا تشفق . فثار بذلك نائر كل تزنيثي . ثم ان النعمة اوعز الى التزنيثيين ايضا ان ينقلوا مزبلة عظيمة ازاء منزله الذي كان فيه . وهي مزبلة هائلة تتراكم هنالك منذ احقاب . فيرغمهم على ذلك اهانة لهم . وتصفيرا لمقاماتهم . فصبر هؤلاء على مضيض . وقد اسروا ما اسروا . وفاجأت ايضا رسالة من عند الهبة تخبر النعمة بان جند مال تزنيث قد فر غالبهم الى اهاليهم . فالزم كل من هرب بالاياب الى مراكش رغما على انفه . فاستدعى النعمة رؤساء تزنيث ، فامرهم برجوع الفارين من مراكش اليها في الحال . وتناول قداة بيده

في قوافل قطيفة جلس عليها . فقال القسم بجلال الله لئن بقي منهم اليوم واحد مثل هذا - واشار بها في يده - لانزلن عليه مائة من الخيل . فخرج الرؤساء فجهروا حتى لم يبت واحد من الفارين الا في طريقه الى مراكش ولكن في حجة احدهم رسالة مطوية يبينون فيها لآخوانهم ما يلاقونه من اضطهاد النعمة بمساهاي عياد الجراري - وفي اخرها اننا هنا وانتم هنالك . فليفتش كل واحد من الفريقين عن المخرج من هذا المأزق الحرج الذي انجحرنا فيه . ثم ان موسم عند الجراريين . فاراد عياد ان يزيد التزنيثيين اذلالا . فطلب من النعمة ان يشرفه بخليفة من اهله مع التزنيثيين . فاستدعى النعمة الرؤساء في وسط الهاجرة الحارة المستمرة والشهر رمضان . فامرهم بالخروج مع اخيه ابي الانوار لحضور موسم الجراريين . قال الحاكي فطلبنا من اناجيل الى صباح الفد فنبكر في البرودة . فاسعفنا . فخرجنا غدوة مع الرؤساء التزنيثيين في 60 فارسا من الاعراب . فوصلنا الموسم فنزل الاعراب عند عياد . فذهبنا نحن الى مقيل نستريح فيه . فقال عياد للاعراب ابي المألوف ان يشتري التزنيثيون الدبيحة التي سيقدمها الخليفة الى شريح الشيخ الذي حوله الموسم . فجرى اليها اعرابي فاخبرنا بذلك . فادبرنا نسيئة ثورا فذبح . وفي العشي ذهب احد التزنيثيين من اصحاب الخيل فاحتمل على عياد حتى ادى ثمن الثور . وفي العشي لم تيسر الحلبة المعادة في الموسم لصيام الناس ولغيبهم وشدة الحرارة . ثم بات الجميع في دار عياد . فانزل الاعراب في محل ، والتزنيثيون في محل . فمر بعض التزنيثيين فاذا بعياد يبدى ويعيد في نحت ائلة مال تزنيث على عادته ثم اخرج عياد النار فانخنس . وفي الصبيحة عابوا الى تزنيث . وفي وسط الطريق سمعوا يارود الحلبة عند الجراريين . فقال احد التزنيثيين هذا اوان الكيل لعياد بمكيال واف - فقال الى الخليفة ابي الانوار ابن الشيخ ماء العينين . فقال له اسمع ؟ فقال نعم اسمع يارود الحلبة . فقال اندري ما يارود عياد بهذا ؟ قال . لا . قال اهانتك وحدك . والا فلماذا لا يفرح مثل هذا الفرح امس وانت عنده ؟ وايضا هل قدم لك هدية كما هي العادة لمثلك في الراسم ان حضرها ؟ قال لا . قال فمن هنا يعرف مقصد الرجل من الاهانة المظلمة . فوقف موكب الاعراب . يتساءلون عما يليق ان يصنع بهذا المهن لخليفة السلطان . فقلت لا يليق الا ان يرجع اليه الآن عشرة من الخيل يعزل عليه حتى يقدم الهدية . ويؤدي مع ذلك هرامة حين تعمد الاهانة . فقال الرسالة في الحين ، فرجع الفرسان . ولم يلبث ان جاء عياد الى عياد . فقدموا لكل ما يطلب منه . فقال له قال اندري اي لمن ادبت ؟ قال

أديت ثمن ما قلته للأعراب من التزنيين وقد سمعتموه مني . ثم شرع ينسب الأعراب . ثم في ليلة 27 رمضان استدعى النعمة بعض علماء تزنييت . فسألهم عما يصنع في تلك الليلة . فقال له أحدهم يستكثر من أخير الأطعمة . وتحيا الليلة بالصلاة والاذكار . فقال : لكننا ما صنعنا إلا عصيدة بدهن . قال الحاكي : فعرفنا أن مقصوده اهانة العلماء أيضا . ثم دهمت طلائع الانهزام من مراكش . فصارت أولا تقولات ثم صح ذلك . وقد وصل المنهزمسون التزنييون أنفسهم . وقد تلاقوا مع من أرسلناهم قبل عن اذن النعمة في اثناء الطريق . وفي يوم جمع النعمة رؤساء تزنييت . فقال لهم ان الاجلاوي والمتوكي والرحماني قد غدروا السلطان . ولكن نجاء الله الى تارودانت . قال الحاكي وهو ممن حضر . فشمطنا بما وقع غاية الشماتة من اجل ما قاسيناه من الاعراب من الاهانات . ثم سأل النعمة احد التزنييين ماذا ينبغي ان يفعل في امثال هذه الظروف ؟ فقال : اظهار التجلد . واخراج المدافع . واجراء الحلبة . فأمر النعمة بذلك . قال ذلك المسئول ومقصودي انا اظهار فرحنا حقيقة بما وقع . لان تلك الهزيمة وقعت على قلوبنا بردا وسلاما .

رجع النعمة الى ملاينة اهل تزنييت وملاطفتهم . وقد راود بعضهم ان يسافر الى تارودانت . ولكن الرؤساء صاروا يعضون على حكومات اللجم . ويحزنون امام اوامره . وقد رجع من مراكش فصاروا يتداولون فيما بينهم ما يصنعونه . فراوا ان يذهب القليل الى تارودانت ويبقى الغالب ليصنوا تزنييت . فوقع ان بعض الرؤساء القادمين من مراكش . راوده النعمة بمباششة وملاطفة زائدة على ان يرجع الى تارودانت . فقال له انني قد كنت ذهبت الى مراكش فخلفتموني في اهلي بمساءة . فاستوضح النعمة عن جلية ما يقصد . فقليل له ان الطالب عمر الذي غرمته من اهله . وقد استاء بذلك غاية الاستياء . فخجل النعمة . فاستدعى في الحين بالصرة بعينها كما ربطت . فناولها للرئيس بعقدتها ، فرجع الى سيدي عمر ما كان غرمة ظلما . هكذا انكسرت شيرة الاعراب . فانهزموا في صلابتهم التي ابدوها منذ احتل اميرهم مراكش . كما انهزم اميرهم انهزامه الشنيع في مراكش . ففتح الباب للتزنييين . فصاروا يوالون مؤتمرات سرية . يكتبون فيها الحكومة - ويوالون اليها الرسل - ثم كشفوا سرائهم بين شوال واولل ذي القعدة . وقد اعتقل ابو الباكور في تارودانت . فجازاه الهيبة مجازاة المنصور العباسي لابي سلمة الخلال . وابي مسلم الخراساني .

او مجازاة عبد الرحمان الداخل لولا يد الذي قاسى معه ما قاسى حتى الهبة فاداه . واستنجد امره . او مجازاة المهدي الفاطمي لابي عبد الله الذي وظف له . فالتفتان ابو الباكور اول من نادى بهيبة الهيبة جهرا كما تقدم . ثم لان اول من ذاق الوبال على يده من التزنييين . صرح الشر بين النعمة والارباب . فبان السرائق اولا بالكلام . ثم ادى الى امتشاق الحسام . فاداه النعمة برماة من البغلييين . فقاطعه التزنييون كلهم من يسهل واجل . فادوى الرساس ما شاء الله ، حتى تساقط موتى في الجبالين . وقد - ثم قال تزنييت على اجلاء النعمة من بلدهم . فكان اولا يابى كل الاباء . واخر ما وصل هذه الاشجى حتى راي ان هذه المشادة الشديدة ليسى من حالها . فسعى سماع في المصالحة . فتمت على ان يخرج النعمة الى حيث اواه . فارسل هباد الجراري بغالا وجمالا كثيرة . فجمع النعمة ما يسر من متاعه . فخرج رابع الاشجى الى وجان . وقد بقي وراءه متاع كثير له ولا يوتيه ولا سحابة . قد اودع كل واحد منهم متاعه عند من يهرسه يسمى البرابيين . فمدت الايدي على ذلك نهبا . وقد كان الاعراب أنفسهم الشهورا لاراء من متاع مال ماء العينين ، فكم كتاب بيع هناك قبل هذا الجلاء . واما هذه الجلاء فقد صار اعوان الاعراب واماؤهم وشدادتهم ينتهبون كل مسا ومنات اليه ايديهم . ثم باعوا ببخس ما باعوه . واودعوا ما اودعوا . ثم عالت الايدي ايضا في الودائع . فتبعثر من المتاع والنفائس والكتب ما كان باعرا للاسواق زمنا غير قليل . ولم تبق خزانة لم تدخلها كتب ماء العينين في سوس بله . فكانت مصيبة مزدوجة . مصيبة النهب ، ومصيبة تمزق تلك الخزائن النفيسة التي جمعها الشيخ ماء العينين واجداده في قرون . ثم هافتوا عليها . بذلك تمزق متاع مال ماء العينين . وليس انه نهب عام ، واما انتهبه اهله وحدهم . فامسكوه الى الايدي بيما بخسا . او وديعة لم يصرم فيها الامانة . ولم يسلم من كل ما دخل تزنييت من متاعهم الا ما اواه النعمة الى وجان . وهو قل من كثر . وقد ذاع حتى تواتر عند التزنييين ان كل من اعتدى على تلك الودائع قد اجتاحت ماله جائحة ينظرها كل ذي عينين . يتحدلون دائما ويرون ان ذلك من اعتدائهم على الودائع من ايدي هؤلاء السادات الذين من بينهم صالحون وسالعات . وقد كانت القبائل اليهودية جمعت في هذه السنة امصارها في تزنييت . فكان ذلك كثيرا الى الداهية . فتمطى فيه الاعراب ما تمطسوا . لم يفتي منه بعد ذلك كثير يوم له لهم . وقد كان النعمة المسترط عند اعلان المهادنة بدهن وبشر مال تزنييت

ان ينقل تلك الامشاج معه . ولكن ما كاد يخرج من الباب . حتى استبد
التزيتيون بما بقي من ذلك كله . فانزل النعمة رحله على آل القائد موسى
الوجانيين . وقد تلقوه بكلتا اليدين . وقوفا مع الوصية التي يقول القائد
موسى انه تلقاها من الشيخ ماء العينين . اذ قال له : ان وصل عليك اولادي
بشيء فاعنهم فكان انزالهم في داره اعظم اعانة .

هكذا كانت تزيت اول بلد اعلن امر الهيبة . ثم كان ايضا اول بلد نفذ
منه يده . مع ان يد الحكومة اذ ذلك لم تتجاوز بعد مدينة الصويرة . والغريب
ان آل تزيت لم يروا الا ذلا وفقرا واعناتا منذ ذلك اليوم الى الآن 1379 هـ .
فقد ذهب مأوهم . وكادت بسايتهم تعود قاحلة . فلا تجارة ولا حرث .
ويرى بعض الناس ان ذلك اتاهم من هذه الناحية . والله اعلم .

القائد الحبيب باقا يفرق في طريقه الى تزيت

توالت الرسل من تزيت الى الحكومة تتطلب منها ان تغيثها ، لانفرادها
وحدها بين قبائل الجنوب التي لم تدخل بعد فيما دخلت فيه . واهلها لا
يزالون ينصتون الى آل الهيبة . وقد بدأت القبائل تتحرش بتزيت . ولا
تجد مستندا الا ما كان من قبيلة اچللو فانها تظهر ميلا الى قبيلتها .

كانت مراکش بعد ان احتلت في اواخر رمضان مركز الجنوب . كما كانت
دائما منذ اسست . فكان قائدها الاعلى الفرنسي والباشا الحاج التهامي
الاجلاوي يسيران بسياسة تقص اجنحة الهيبة ومن اليه ، فصار الاجلاوي
يكاتب الشريف التازروالتي ، والقائد عبد السلام الجراوي ، مع القائد حيدة
الذي كان اذ ذلك بدا يجاذب الحبال مع تارودانت . وحين تيسر الآن مركز
تزيت . وهو مركز حكومي امين . ومعقل حصين . صارت مراکش تجيل
الآراء فيمن توليه على تزيت . ليحافظ عليها . فوقع اختيارها على القائد
الحبيب بقنا . وهو الذي كان يعرف تزيت من قديم ثم كان فيها سنة 1325 هـ
فتم على ذلك رأي الحكومة . واسست الاسس لذلك .

حدثني الشيخ احمد ابن القائد سعيد المجاطي . قال كنت عند الحاج
التهامي في اواخر صفر . فافضى الي بما تنويه الحكومة . وقال انني سأقود
جيشا بعد عيد المولد النبوي الى تارودانت لاجراء منها الهيبة . وهذا (بقنا)
سيركب من الصويرة الى اچللو ليكون القائد الاعلى بتزيت . ثم دفع لي

وسالني الى الشريف التازروالتي . والى القائد عبد السلام الجراوي . والى
القائد سعيد المجاطي . قال فخرجت من مراکش . وقد تركت الجيش
بجميع اراء سهرج البقر . وهو الذي سيقوده الاجلاوي الى تارودانت ثم
جاء الى الصويرة ليقبض ما شاء الله . فركبنا مع القائد بقنا حتى نزلنا
في الروارف من الباخرة امام (تمندا اكللو) . فقدر ان انقلب الزورق بالقائد
ومني . ولكن نجوا جميعا الا ما كان منه فانه وجد ميتا قد لفظته
الأمواج . وكان امرقه في الثالث من جمادى الاولى 1331 هـ .

القائد ابن دحان في تزيت

ان هذا الرجل من الاعوان في الدوائر العزيرية . ثم في الدوائر
الطرابلسية ، واصله من قبيلة عبدة . سمعت شيخنا الدكالي يقول استدعاني
بما القائد الاعلى للجيش . فسألني اعرف انسانا مخزنيا يليق ان
يكون قائدا في تزيت . فان الحكومة قد ارسلت القائد بقنا فهلك غريقا .
فقلت لو كنت على رجل حازم باسل سياسي . والامر يقتضي السرعة . قال
فانصرفت في الحين ابن دحان . واول ما اعرفه انني مررت به وانا قافل
من المشرق بين طنجة وفاس . وقد حرس الطريق في اصحابه . فأعجبني
بما سمعته . فذكرته للقائد . فقلت له انه الآن حاضر . ثم خرجت فأرسلت اليه
لنقاء في لياب ليست بذلك ، فأفضيت اليه بالخبر . ثم حثته على تجميل
مركبه في الحين . ثم لقي القائد الاعلى فتم الامر باستعجال .

ركب ايضا ابن دحان الباخرة فمر باجادير ، حتى خرج في اكللو
الطرابلسية ، ثم مجل الى تزيت في قليلين . ولم يصبح الناس حتى دخل دار
القيادة . وذلك نحو شعبان بعد ما تم في تارودانت مما سيأتي . ثم ان
الحكومة والت على ابن دحان الدراهم بلا حساب فصار ينظم الجند حتى
كان مئات . ويشترى الخيل ويستعد ، وقد مد يده بالكرم فلم يلبث ان كان
اعظم قائد له صيت وصدي رنان في سوس . ثم صار يمد نفوذه الى المعسكر
الطرابلسي . وقد اخذ يعاونه فيها القائد الحاج محمد بن محمد بن هشو
الاعشالوي . وهو الرجل الذي لازم الحيات في بيعة الهيبة . فلم يقر بها .
ولا صدق بشعاع امرها . ثم تعطى ايضا ابن دحان وهكذا الى ان كان
ما . فذكره بعد حين من تراجع نفوذه الى داخل تزيت . يوم حاصره الاعراب
من العلبيين . ثم كرهه حتى كان ما كان .

بقي الهيئة في (تارودانت) من يوم دخلها الى ان خرج منها سبعة اشهر وسبعة عشر يوما . وقد كان من سياسة الفرنسيين في مبدا الاحتلال مبنية على التآني والملاينة . وهذا بعينه ما رايت انهم عملوه مع مولاي احمد الهيئة في مراكش . على لسان اصحابهم من الاجلاويين وغيرهم . ولكن لم يجدهم ذلك شيئا ازاء تصلبه . ثم انهم كروا ايضا بذلك بعد ما كان في تارودانت وهاك ما حكاه لي الحاجب محمد الحسن بن يعيش الحاجب الذي كان الواسطة بنفسه قال :

(بعد بيعة مولاي يوسف في الرباط استدعيت . وانا قائد المشور الى الإقامة العامة فوجدت المقيم العام (ليوطي) فتكلم مع قبطان بلفته وهو يشير الي . ثم تركنا . فقال لي القبطان هل بينك وبين احمد الهيئة تعارف ؟ فقلت له نعم من قديم . فقال اتكاتبه ؟ فقلت كنت اكاتبه قبل وضعه الاخير . فقال ان عندنا الخبر بكل ذلك . والآن نطلب منك ان تكتب اليه وهو الآن في تارودانت لتمنيه حتى يسلس قياده للحكومة . فيلبي دعوتنا . فقلت له كيف اكتب اليه ؟ فصرت اكتب فيزيد وينقص . ثم لم يرض ما حررته الا في المرة السادسة . فكتبت الرسالة بقلمى امامه . ووقعها باسمي . ثم دفعت الرسالة له . وبعد نحو اسبوعين استدعيت . فقبل لي ان الجواب قد جاء . وفيه ما يدل على ان لك مكانة مكيئة في قلب الهيئة . ولكن الهيئة زاغ عن الجواب الحقيقي . ووعد خيرا . ثم اننا سافرنا مع مولاي يوسف الى مراكش . فوصلنا ليلة عاشوراء عاشر المحرم 1331 هـ فاستدعيت ايضا فمثلت امام مولاي يوسف وعنده الحاجب عبايو وذلك القبطان المتقدم . فامرني مولاي يوسف ان اكتب الى الهيئة ، استأذنه في الاتصال به . فذهبت الرسالة ، وبعد ايام ابلغوني ان الجواب قد ورد . وانه عاذر لي بان اسافر اليه . فامرني عبايو ان اضمن له كل ما يريد من كل منصب تحت السلطنة عند مفاوضتي معه . وان كان ذلك كالخلافة عن مولاي يوسف على ما وراء مراكش من جميع الجنوب . وان يكون له كل ما يريد . ففوض الي ان اضمن له كل ما يقترحه كيفما كان . ثم قيل لي ان الكتافي ينتظر كعدا في (أجورجنور) ليصاحبك ، ومعه كل ما تتوقف عليه من الفرائش والمثونة . فركبت على بغلي ، ومعى فارس وعونان بكرة . فوجدته ينتظرني . وفي ذلك الوقت تهيأ الحاج التهامي والعيادي ومولاي الزين كخليفة للسلطان على جيش

ساروا به من باب الرب في وادي النفيس . فنزلنا مع الكتافي وراء الاملس ، في الوقت الذي نزلوا فيه ارامنا . فاستدعاني مولاي الزين عشية الى بيضاوية . فوجدت عنده الحاج التهامي والعيادي والقائد حيدة . فقال لي : انك قائد مشور سيدنا السلطان . والاعراب يفكرون . فحفظنا ان يفكر . ونحن نؤجل المحاربة عدا مع الهيئة لئلا تقطع عنك الاتصال بالسلطان . فقلت له : ان مهمتي على حدة . ومهمتك انتم على حدة . فقلت له : ان حدة انه لا يريد ان تنفك العقدة على غير يده . فرجعت والكتافي . وانا في ال ايام اوالي الرسائل الى السلطان والى الهيئة اريد منه ان يبرر لي كيفية الملاقاة . فاذا بالفئدار حيدة تعرض للرسول ، فاغتاله اصحابه . بعد ما خرج مربيه ربه في خيل الى محل تواعدنا للقي فيه . فثار بالركن الثاني حين خيس العهد في الرسول الذي خرج من محله فلما لم يبق الا الاتصال بالهيئة رجعت الى دار الكتافي . فاستأذنت مولاي يوسف فامرني بالرجوع ثم لم نلبث ان سمعنا بالهيئة هاربا من تارودانت .

قال : وحدثني عبد الحي الكتاني انه كان انتهز هذه الفرصة ، فاراد ان يجري احسان قال ماء العينين باحسان آخر . لان ماء العينين هو الذي وقف حتى سرح الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني من الان الى فاس . كما ان احمد الهيئة هو الذي شفع في اهل الكتاني عند مولاي عبد الحفيظ . ولكن الهيئة اجابه عن رسالته بقوله تعالى : **لَا تَدْعُوهُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقَارِ .**

رايت فيما تقدم ان القائد حيدة وشيعته قائمون على ساق في متاجزة الهيئة . كما كان الهيئة ايضا وشيعته يبلون في محاربة هؤلاء . تركناهم على ذلك في احوال . وقد مضت شهور وهم في عنفوان الحرب . والحرب بينهم تسال . ولكن كفة حيدة على كل حال تميل دائما الى الرجحان ، بسبب توحدهم في الاهداء . والاقبال والادبار بسياسة وحكمة (وقد المنا ببعض اخبار تتعلق بهذه الحروب في ترجمة القائد التاجم في (القسم الخامس)) وبعد عيد المولد النبوي في سنة 1331 هـ وقد انشهر الباشا الحاج التهامي من ثنيه في ميدان بقود مسكرا لحييا . فتقوى به جانب حيدة . فتعاونوا على شيعه الاعراب التي سار القصور بتسرب اليها . وقد فقدت القوة المعنوية

والحسية . والراسلوا ديون الدين كانوا ينافحون في صفوف الهيبة قد تسرب اليهم الضجر . وشكوا كثيرا في اجتناء النصر ، خصوصا يوم عاينوا الاجلاوي في وجوههم وقوة الحكومة تسانده . ففت كل ذلك في اعضادهم فأقبلوا يتسللون لو اذا من صفوف الاعراب . الى صفوف الآخرين . وهم يوعدون بثامال حتى لم يبق عند الهيبة الا اصحابه واولاد ابن عيسى . فساوره في تارودانت ما ساوره في قصبة مراکش سحر يوم 26 رمضان 1330 هـ فلم يصل يوم 17 من جمادى الثانية من هذه السنة 1331 هـ حتى نجا بلطف الله من تارودانت وفي الحين وصل الخبر الى الاخ سيدي محمد المربط في اداوزيكي فاتخذ هو ومن معه الليل جملا . فلم يصبحوا الا في جسيمة . فطلع الاخ الى البلد وهالك خميس وثائق تاريخية تتعلق بهذه الفترة . وكلها مكتوبة الى القائد محمد الاغباليوي الماسي - :

الاولى

خديمتنا الارضى القائد محمد (اغباليو) وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله . وبعد فقد بلغ علمنا الشريف ما انت عليه من السعي في استقامة احوال تلك الارحاء . ونفي درن المتشغلين بايقاد الفتن . والساعين في الفساد والافساد . وذلك كله من نصحك وقيامك بالواجب عليك فيه . لان جنابنا الشريف يعدك من الخدام النصحاء . الذين يكفون المهمات بتلك الانحاء فنأمرك ان تزيد في عملك من السعي في الصلاح . وطرده الفساد . والقبض عليهم وشد عضد محلتنا السعيدة التي بتارودانت بما امكنك والعين عليك . فانك لا تعدم من جنابنا الشريف خيرا وجزاء وافيا اصلحك الله واعانك والسلام . في 29 محرم الحرام عام 1931 هـ وعليه طابع الملك الجليل مولاي يوسف رحمه الله .

الثانية

اعلى الله بمنه مجادة محل الاخ الاعز الاود الاكرم خديم مولانا الابى القائد الحاج محمد باغباليو ماسة اعانك الله وحفظك وسلام الله ورحمته وبركاته عن خير الامام نصره الله . وبعد فقد سألنا عنك وعن احوالك كل الصادر والوارد . حتى قبضنا حقيقة عنايتك على الاخوان مال تزيت . وشرحوا لنا ما انت عليه من الاعتناء . وميل غشاوة السحرة عنكم وعن بلادكم . وفرحنا لكم بذلك لاجل اخوتكم الصالحة وخيركم . وعليه زيدوا

على همتكم مع واولكم . لنخرج همتكم مكاييد الفئسان . والحمد لله حسن اطلعتم على سحره وكذبه وبعض ما زال يرى طلسمه . وهو عند غيرك شائع وظاهر . وقد تبعوه كابي حمارة الذي تذكر الكتب انه سيأتي في اخر الزمان . حتى ظننا انه هو . بل هو ساحر كذاب . ولم يستحي على كذبه . وعينه انقلب نفسك من غفلتك . ومن يسحر فلعله الله بما يتباهى به على اده وجميع ذنوبهم عليه محسوب ، وعلى اخوتكم والسلام في صفر عام 1331 هـ واعلم اننا ما ثقلنا الا لاجل ما خفنا على اخواننا من السوسية . ولا علم انهم بجدهم ردونا . وتلك الامور اخرناها حتى يفقوا . وما اردنا منهم الا خيرا . وقد اخبرنا المخزن بعنايتك من اولها الى آخرها . وقلنا له ان القائد الحاج محمد باغباليو ما عمره قبل تأثيرات هذا الساحر من اولها الى آخرها . وفي القريب ترى جواب المخزن بما يسرك والسلام واعلم ان دار القلوس هدمت واكلت بلا شك والسلام حيدة بن مائيس المنبهي .

الثالثة

خديمتنا الارضى القائد محمد باغباليو . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله . وبعد فقد اصدرنا لكم امرنا الشريف مرارا بالقيام على ساق في استيصال شافة الفتان واشياعه . وراحة الناس منه ومن اتباعه . وردناكم هذا تأكيدا لتمضوا على ما قدمناه لكم في هذا الشأن . واسمعوا ما امكنكم في اراحة ما تسبب فيه هذا الفتان من الفساد والافساد . وها نحن ههنا اخانا البار مولاي الزين ومعه ما فيه الكفاية من المدد . شدا لعضدكم . وريادة في تقويتكم . وفي الاثر تصلكم اعلامه وراياته . وتظهر لكم من المفسدين ههنا سبخانه وراياته . فنأمرك ان تنهي للاقاته . وتقوم على ساق الجند والاجتهاد في شد عضده . وتنتهز الفرصة في حصول المقصود الذي توجد لاجله . وتسعى ما امكنك فيما يعد لك مزية عند جنابنا العالي بالله انت واخوانك . فان الاعمال رايتها . وعند الامتحان يعز المرء او يهان . اعانكم الله والسلام في 18 ربيع الثاني عام 1331 هـ .

الرابعة

احباءنا الارضيين كافة قبيلة العدر والجزر الطيبة وفرقة من هشتوكة الدين مع اهل ماسة . وكذلك اهل ماسة كافة من الرباط الى وادي القاس . ممن منهم القائد محمد بن محمد بن هو الماسي واميانه علي بن احمد .

والمدني والسيد عبد الله الماسيين ، اهانكم الله وارشدكم . وسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته . نعم جميع احوالكم المرضية بالله . وبعد ، وافانا اعز كلامكم فرحين به غاية الفرح . والحمد لله على كل حال . فآله يلقينا معكم في ساعة سعيدة آمين . وعليه فمما يسركم اننا معكم في الظاهر والباطن فيما تحبون وترضون . من فضل الله وسعادة مولانا . وكذلك جميع من تمسك بكم فهو على العين والراس . وتمام الكمال . عند اظهار الافعال . وعليه فاقدموا على بركات الله بجميع من معكم . والتمسك بكم يقدم معكم في امان الله وحفظه . واصحبوا مع محب الجميع القائد الحاج احمد بمثوثكم وهديتكم . وها المحلة السعيدة المعتبرة قادمة لناحياتكم . متابعة آثار الفتان . واما سواه فما قصدنا فيه الا الاصلاح والسكينة . وها نحن نازلون مع المحلة بالجرّون . وفيه نلتقي معكم ، لتناولوا المزية كما اردناها لكم . واما خيركم فلما نسيناه . قاله يقدرنا على مكافاته . وامرنا الخليفة الاكبر بيده مولانا مولاي الزين باعلامكم حين سبق اليكم كلامه . ولا تنصتوا للقليل والقال . واما غير ذلك كما قلتم فكسراب بقية . وعلى اخوتكم ومحبتكم الخالصة ، والسلام في جمادى الثانية عام 1331 هـ وها المحلة قادمة في الاثر والسلام نعم ومكاتيبكم دفعناها للشريف خليفة سيدنا . والثانية للباشا الحاج التهامي . وامرونا ان نكتب اليكم ، وقالوا لنا كل ما اصلحت اصلحناه . وما افسدت افسدناه . وهذا ما يكون في ذهنكم . وهم قادمون نحوكم في الاثر عاجلا . وخروج المحلة لناحياتكم بكرة الثلاثاء بعد تاريخه (كتبه حيدة بن مائيس المنهجي) .

الخامسة

محبتنا الاعز الارضى القائد محمد بن محمد بن همو الماسي ، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله . وبعد وصل كتابك معلما بتصلكم من متابعة الفتان . وتبرئكم من دعوته ، وبفرحكم لقدومنا . وما امد الله به محلة مولانا المظفرة من ربح النصر على الفساد . طالبين من الله جبر حالكم بتأييد جناب الدولة الشريفة وصار بالبال . فاعلم انكم والحمد لله عند جناب المخزن من القبائل المميزين بالصلاح ، والنصح في الخدمة ، قديما وحديثا . ومقصود سيدنا ايده الله بتوجيه هذه المحلة التي كلفت بها . انما هو بث الامن ونشر الصلاح في هذا القطر السوسي المبارك . من غير لحوق ضرر لاحد . وعليه فلا بد اذا وسلكم كتابنا هذا ان تهيب جميع

اعيان احوالك . واقدم بهم علينا وعلى خليفة سيدنا المحلة السعيدة بسلا . اهانكم الله وعلى المحبة والسلام في 21 جمادى الثانية عام 1331 هـ . ثم هالك نظيرة من هذه الوثائق :

والاولى المؤرخة ب 29 المحرم 1331 هـ من الملك الهمام مولاي يوسف رحمه الله .

والثانية المؤرخة ب 24 صفر 1331 هـ من حيدة .

والثالثة المؤرخة ب 18 ربيع الثاني 1331 هـ من مولاي يوسف رحمه الله .

والرابعة المؤرخة ب 25 جمادى الثانية 1331 هـ من حيدة .

والخامسة المؤرخة ب 26 من جمادى الثانية من الحاج التهامي الاهلوي . ولذلك يعلم القارىء انها كلها كتبت في هذه الفترة التي نحن فيها . ليستفيد منها ما يستفيد .

حالة سكتانة الآن

كانت قبيلة سكتانة مجتمعة تحت يد القائد التازولتي الواعظي الفلالي الامير . ولاهله رياسة من اواسط القرن الماضي . وقد كان له ظهير الله . وقد اجتمعت تحته فرقتا سكتانة . ايت تازولت وايت سمنج . وهؤلاء غير ايت سمنج الساكنين في جوار ايت برجيل - ثم وليه ولده الحسن بن محمد رئيسا قبليا . وقد مات الحسن هذا بعد صدر هذا القرن . ثم تفرقت سكتانة على تينك الفرقتين . فتدور بينهما حروب فظهر محمد بن محمد ابن تانيسا . فكان من شيعة مال تازولت ومحمد - فتحا - ايت عبد الله من مال ابي بكر من ايت سمنج . فكان الظهور لهذا الاخير . وعلى ذلك كانت سكتانة قبل 1330 هـ ثم لما ظهرت رايات الاحتلال من البشاه . وانتشرت الدعاية للهيبة . لبويع في تزلت . ورد عليه مع القبائل رؤساء سكتانة . ومن بينهم محمد - فتحا - بن عبد الله المذكور . ثم انقسموا بعد ان رجعوا . ولم يذهبوا في جيش الهيبة الى مراكش . فاما ما وقع من معه . ثم لما ظهر القائد حيد في الميدان ، وحارب الهيبة في دارودانت . بقي السكتانيون بعيدين عن المرفعين بها . لم انبثت بين

الفرقتين حروب متعددة . استرسلت كذلك الى 1334 هـ . واذذاك استولى محمد بن عبد الله على املاك ادهم في المحل الذي بنيت فيه دار الاجلاوي في (تاليوين) . وقد فتك ابن عبد الله بابراهيم ابيهم . ثم لما توجهت همة الاجلاوي الى الاستيلاء على تلك الجهة . اتصل بمحمد بن عبد الرحمن النظام المديدي . فسهل عليه ما يريد . فجاء الحاج التهامي بنفسه يقود الجيش من وارزازات . فلاين الناس . وفتح لهم باب الانتصار به . فطمع كلا الفريقين ان ينصره ضد الآخر . فلم يزل يقتل لهم بين الذروة والغارب . حتى تمكن بعد ايام قليلة من الرؤساء . فاعتقل محمد بن عبد الله . والحاج احمد التازولتي من الاسرة الرئيسية . وابن تانينا . ومسمودا التازولتي . فذهب بهم الى مراكش فاذا ذاك انزل خليفته سيدي موح الدادسي في (تاليوين) فحاز تلك الدار فشيدها كما يريد . ودار التازولتي . ودار تادكوت . وهي لاهل الفقيه الحاج عبد السلام . فملا هذه الديار باصحابه . فاذا ذاك اشتدت وطأته على سكتانة بالمفارم المتواليية . وبالضيافات من ذلك الوقت . فبسبب الاجلاوي دخلت هذه الجهة تحت ذيل الاحتلال 1334 هـ ولله الامر من قبل ومن بعد .

ما في حاحة ؟

عهدنا بالحاحيين يوم تغلب بهم خيولهم فارين من الحمراء . وقد عرفنا ان ضلعا عظيمة من اضلاع امارة الهيبة كانت من جهتهم . ثم انهم قدموا عليه بالحمراء . ولكن ما كادوا ينزلون حتي ثاروا فارين . ولا شك في ان الدولة الحامية لم تكن ليخفي عنها الدور الذي مثله القائد عبد الرحمن مع من يوحون اليه في ثروة الهيبة . ولذلك لابد انها محاسبته على ذلك حسابا عسيرا . وهذا كله صحيح . وقد انشقت عصا الحاحيين بعد كائنة مراكش . فالتحق انفلوس اولا بالحكومة مبايعا لمولانا يوسف . وبقي الحاحيون الجنوبيون وحدهم . ثم زحفت اليهم الحكومة بجيش مع الحاحيين الشماليين . فاذا بقائد الجيش يرتكب غلطة . فقد امر بوضع علامات من الخرق الملونة على الرؤوس ، ليميزوا من عدوهم من الطيبارات فثار الحاحيون ضد ذلك . فقالوا ما هذه الا ما نعتاده مما يضعه اليهود على رؤوسهم . فمالوا الى اخوانهم . فاجتمعوا . فاجتمع رأي حاحة من جديد . ولكن سرعان ما قضى عليهم والقي القبض على القائد عبد الرحمن وعاله . وفر انفلوس . واسندت القيادة الى القائد مبارك بن عدي في مقام انفلوس

بعد ان هرب الى ادا وثنان . والى القائد الحاج الحسن في مكان القائد عبد الرحمن . وهو ابن عمه فدخلت حاحة كلها تحت يد الحكومة . بعد ان صعدوا ما صنعوا . وربما تفصل ذلك عند التعرض لتراجهم الخاصة ان شاء الله في غير هذا المحل او في كتاب اخر .

الهيبة في اسرسييف

ان سلف السعد من الامير الهيبة فان القوافي لا تزال في ركابه . فقد
 شاع : ابو زيد البرقي - كما قيل لي - يوم نزل في اسرسييف بقوله :

فأهرب لكس كى تعيد لهم وثبا	وكيما يفيد الضرب ان ترد الضربا
لها لب الا الليث فأعرف مكانة	تبواتها فالليث يفتك بالظربا
لأن امير المؤمنين فعند عن	تلكنى من يخفى الحقائق او يخبا
فهم في امان الله فالله صائن	فلا تخش لوما ما استقمتم ولا ثلبا
بذلك سلام الله يا خير من له	من الود ما قد يستحق ذوو القربى

جرى الهيبة ومن معه اطلاقا ولم يفتحوا اعينهم . ولا املوا في الامن
 حتى دخلوا بلاد هشتوكة . فامكن لهم ان يكفكفوا من ازمة نياقهم التي
 طاروا بها هلعاً . فنزلوا في (اسرسييف) من هشتوكة المائلة الى الجبال .
 فهذه هي الهزيمة الثانية . وستعلم متى تكون الثالثة والرابعة .

ثم ان حيدة الآن قد احتل تارودانت . وجمع اليه كل قبائل راس
 الوادي بحدافيرها . وقد تولى باشوية تارودانت . فحاز انتصارا باهرا
 اهنى وراءه ثمارا يانعة . رجع بها شأنه متألق النجم . صاحي الجو . وقد
 انسحب الى الاستيلاء على ما وراء تارودانت . ثم ان القائد الناجم قد فوض
 له الهيبة في هشتوكة . فالقى عليها كلاكله . فنضا عليها سيف صولته .
 ففر بها بالمفارم . فتمكن فيها . فاصطدم هو وحيدة في ازرو . فكانت الهزيمة
 على حيدة . ثم كر فكر عليه الزمان القلب بهزيمة اخرى . سلب فيها القائد
 الناجم كل ما مع حيدة من السلاح والكراع . بل جرح حيدة نفسه . ثم
 انازت ضده هواره . هكذا حدثني بعض الناس . وقد حضر اذ ذاك في هواره .
 فقلت هذه الوقائع مما قوى جانب الهيبة . وكاد حيدة يندحر اندحارا
 برأس به الى الحاضرة غير انه مغوار . فسرمان ما استجمع قوته . فترامى
 الى هواره من جديد . فاسترجعها . وهو يتناول الى هشتوكة . وفي رمضان

من هذه السنة ظهر الهبة بالقائد سعيد المجاطي الخلد أصحابه شتلا في
هواره . وقد رجع من مراكش مزودا من عند الحكومة بما يزود به أمثاله
فاعتقل الى 2-12-1331 هـ فقتله السيد احمد بن ابي الطعام الرخاوي صبرا
قصاصا باخيه على الذي كان قتله ايام قيادته في (تاجنجنالت) . كما فتك
اصحاب الهبة ايضا بالقائد عبد السلام الجراري في 8 جمادى الثانية اوائل
نزوله باسرسيف . وقد كان هذا قاصدا الى القائد حيدة . بعد ان احتل
تارودانت . ارسل اليه وقد امره - فيما قيل - بالمرور على هذا الرجل .
لعله يستفيق من غشيته . فدخل في المصالحة مع الحكومة . فاقدم
الجراري على ذلك ، ولم يقرأ عاقبة امره . مع ان محاربته مع الحكومة
وابراماته معها في مراكش لم تعد سرا . فقد عرفها كل احد . وكأنه اتكل
على التعارف السابق بينه وبين الهبة . او كأنه اتكل على ما بين خليفته عياد
مع الاعراب . وهو اذ ذاك لا يزال امره معهم واحدا . فذلك ما ربما استند
اليه . فبات عند الهبة . وفي الصباح عدا عليه اعرابي من غير امر الهبة
فسقط اثرها . ودفن هناك ما شاء الله . ثم نقلت جثته الى قبة السيدة
اجو في (تالعينت) . ويقال ان الفتك به كان بايعاز خليفته عياد . والله
اعلم . فيقول الناس هكذا رجع الهبة فاتكا . بعد ان كان يوم يستامر حيدة امام اسوار
الحمراء في الفتك بالعظام فيتورع . ولكنه انما تورع عن ذبح الكباش الكبار .
ثم رجع اخيرا الى ذبح الخرفان الصفار . ثم انه لم يكتف هو واصحابه
بالفتك بارباب الحسام . حتى تجاوزهم الى ارباب الاقلام . فذهب الفقيه
اعبؤ ضحية ذلك . ولم تراع له حرمة العلمية . ولا قيامه بالتدريس
زهاء ثلاثين سنة . وقد كان يصل يده بحيدة في الوقت الذي يحاربه فيه
القائد الناجم من هشتوكة . فقام الناس ضده فقتله احدهم برصاصة .
رحمه الله وذلك سنة 1332 هـ وفي هذه السنة 1332 هـ في شوال قال الشاعر
الافراني يخاطب الهبة ويهنيه . وقد امتد الجيش الصحراوي بقيادة مريه
ربه فاستولى على كل ازغار :

هبت صبا نجد بطيب عرار
مرت علي بان الحمى فتعطرت
هبت فأذكرت المشوق صبا
دار ثوى فيها الحجى وتوطد
حيث السيادة والسعادة والتقى
مشوى أمير المؤمنين الهبة الـ

[illegible]

عباسي يهاض الشدي الممدار
 هادي الرشيد الظاهر الاسرار
 الباسل البطل الهزبر الضاري (1)
 انسان عين ممالك الاعصار
 محيي الهدى مردي العدا الفجار
 عن كامل سام سماء فجار
 فردا فصار مجلى المضمار
 صلى صلاة رضى عليه الباري
 بلسانه وسنانه البتار
 وكلا ولا مستسلما للعار
 طائطا لغير الواحد القهار
 راسي رياح رخا ولا اعصار
 بالذعر عند تخاذل الانصار
 زادوه الا شدة استبصار
 قد اثرت في التبر جذوة نار
 ففدا حلي الاسماع والابصار
 اهل النهي بتسابق وبدار
 ح (الفحص) بعد تلكا ونفار
 هواء والشيطان للادبار
 بالبقي وانتزعوا الى الكفار
 . نار الوغى بالعسكر الجرار
 بدءا على (أجلتو) مقر شرار
 وفراه بالانياب والاظفار
 لما راوا ان لات حين فرار
 ليل ظباه كواكب ودراري (2)
 اجلت وجوههم ظلام غبار
 للمجد احرار بنو احرار
 يسوم الكريهة حافظ للدمار
 سناق العدا باسنة وشفار
 سيم العداة ودافة الاعمار

فرسان هارات وءاساد اللقى
 مهما دعوا لبوا ومهما استصرخوا
 طاعوا لامر امامهم واستمسكوا
 لم يستفزههم الحطام ولا صفوا
 لم يرتضوا بحماية الكفار بل
 صلى عليه الله خير صلاته
 لله عسكري السعيد فكم له
 جيش اذا ما جنهم ليل الوغى
 واذا تضايق مأزق فرجته
 فلك البشارة ان سعدك ضامن .
 وبأن تجيئك طائعات خضعا .
 وبأن تشرفها اقالم لم تزل
 فاستجلها غرر المنى مترشفا
 واغفر لدهرك ما جنى واقبل له
 فالملك جاءك تائبا ولئن عصى
 فاصدع بأمرك ما عليك غضاة
 واليكها بنت القريحة غادة
 تزهو بما قد قلدت من مدحك الـ
 فاقبل امير المؤمنين ذمامها
 دامت سعودك في الصعود ولا جرت
 وعليك من رب الانام تحية
 ما هز ربح النصر اغصان النقا

سواس مكرمة حماة الجار
 طاروا الى الهيجا بكل مطار
 بالدين في الاعلان والاسرار
 للدرهم الصافي ولا الدينار
 بحمى النبي المطفى المختار
 وعلى الصحاب السادة الاخيار
 بك من خصال الفخر يوم فخر
 اسروا بنورك في ضياء نهار
 بسعودك الوضاحة الاثار
 لك ان تفوز من العلا بالثار
 لعلاك كل ممالك الاقطار
 تهواك شوق الروض للامطار
 ثغر الهنا فالزند زند وار
 ما كان ابداه من الاعذار
 فاليك قد القى عصى التسيار
 واحكم بما تهوى فامرك جار
 تزري بحسن الخرد الابكار
 عالي فقام لها مقام سوار
 فالحب فضلها على الاشعار
 الا بما تهوى رحي الاقدار
 تنسى نسيم حديقة الازهار
 فرمت جنا الحسنى وعقبى الدار

ومما كتبه هذا الاديب الافراني الى الهيبة او الى مربيه ربه بعده - لان
 الرسالة مفقولة من التاريخ - :

الحضرة الشريفة العلية . والجلالة المنيفة التي هي بالاسرار والبركات
 مليه . مولانا الامام . ظل الله الممدود على الانام . امير المؤمنين المظفر .
 المؤيد جنده سعده الموقر . نصر الله علمه . وظفر بالعد وحسامه وقلمه .
 وشفى برأيه الرشيد وجده السعيد . سقيم الدين والمه . وسلام على
 حضرته الامامية . وجلالته الحامية . من مقبل عتبته السامية . وشاكر

هده الهامة الهامية . هبده الضارع الدامي . المتقلب في نعمته المخصبة
 الراعى . الناجحة المساعي . الفقير الطاهر بن محمد لطف الله به ،
 هذا وبعد الدعاء للحضرة السامية بما يناسب حقها من دوام السعادة .
 والسير المارقي للعادة . فانا كتبناها والفيت يهمنى . والسحاب بسهام
 القمار روى . ويسدد نحو شيطان الجذب نبال الضرب فينصمي ، والقلوب
 في رعدة . والوجوه مستبشرة فرحة . والافواه شاكرة . والضروع شاكرة مثنية
 لله بصدق النية . بما ظهر من كرامة امامهم وسلطانهم بما عوده الله
 عليهم من نصره ظاهرا وباطنا باجابة دعوته . وبركة حركته (1) (ولكل امرء
 من امرء ما تعود) وقد حملني صدق نيتي . وخلوص محبتي في مولانا ايده
 الله ان قلت في شكر هذه الكرامة شبه آيات تقابل بالصفح والاغضاء على
 عاداته بصره الله في اخواتها . وهي :

هده ا على غيث ازال اذى العيث
 وباله نسرا عزيزا لامة النـ
 والاية سلطان حمى الدين بالظبا
 امام الهدى المولى الذي بركاته
 يعرف الدنيا اذا ما ركابه (1)
 مولانا مضنا بعد جذب تجهمت
 الله في حكم اصطفاء (1) محمد
 المولى جلال الملك والهيبة التي
 لا زال منصور البنود مظفرا
 وهي على المولى الامام تحية

الها لطيفا كاشف الحزن والبث
 سبي على اعدائه الاكذب الخبيث
 كما تحتمي الاشبال في الخيس باليث (2)
 تفيض على العافين فيضا بلا ريث
 تبدي هناء للانام وللحرث
 به اوجه الامال في الحزن والوعث
 خبيثة اسرار تجل عن البحث
 على له سميته بابي الفيث
 صوارمه بالمارقين ذو النكت
 كنشر ثناه الغض او خلقه الدمث

ونسلم على مولانا بدء او ختاماً ونهدي لحضرة النبي صلى الله عليه
 وسلم صلاة وسلاماً .

بابي بالله قبل يديه
 من فمي كلما قدمت عليه
 واقرأ مني السلام الفا وخبـ
 سره بحبي له وشوقي اليه

1 - من هذه الجملة يظن ان الرسالة كتبت لمربيه ربه . لانه هو الذي اتخذ العادة ان يجول
 على القبائل كل سنة . ومثل هذا يظهر من جملته اخرى في الرسالة وفي القصيدة .
 2 - هيس الاسد بالكسر : عريشه وماواه

كانت اجادير في ايامه المحجوب الحاحيين - وقد ذكرنا في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) وفيها كان خليفتهم الحاج الحسن ما شاء الله . وفي جوار اجادير قبيلة جسيمة وعلى رياستها اخيرا الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن الحاج العربي - وقد ذكر ذلك في (الفصل الرابع) ايضا ، وهو الذي مر لنا مرارا . وكان من الناصحين للهيبة . ومن ابناء اعمامه اولاد الحاج الحسن الاتزجائيين طالب مفوار هو محمد بن الحاج الحسن . وكان قد فتك بأحد اخوته فهرب من القبيلة الجسيمة . قاوى الى الحاج الحسن الجولي ما شاء الله . وكان هناك سنة 1329 هـ فكان الوسطاء يتوسطون بينه وبين ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الرحمن لعله يأذن له في الرجوع الى داره . فيايى هذا كل الاء . ومما توسط في ذلك الاخ محمد . وقد نزل عند الحاج الحسن . ومعه الشيخ محمد بن عبد الرحمن . فذبح محمد ابن الحاج الحسن كبشا عند بقلة الاخ . واستشفع به الى الشيخ محمد ابن عبد الرحمن . فاعتذر هذا غاية الاعتذار . ثم ادلى بنيات ابن الحاج الحسن . وانه كالحية الرقطاء . وكيف الحياة مع الحيات في سفظ . ولكنه قبله على مضض . هكذا بقى محمد بن الحاج الحسن متاويا لاهله . ولما نجحت الفتن . بانهرام الهيبة من الحمراء . اتصل محمد بن الحاج الحسن بالحكومة . فتعين قائدا على جسيمة . ثم صار الهشتركيون يمتد جيشهم الى جسيمة . مدافعة لمن في اجادير . فرجعت جسيمة معهم . ثم ان الحكومة صممت على ان تصل اجادير بتزيت التي فيها الآن ابن دحان يتقوى ويتوطد . ففي 15 من ذي القعدة سنة 1331 هـ والت بوارج من ثبح البحر قنايرها على دار الشيخ محمد بن عبد الرحمن ، حتى هدمت ابراجا فيها عالية . فارتحل الساكنون بقرية الدشائرة - ثم في 15 من المحرم سنة 1332 هـ سرت سرية من اصحاب محمد بن الحاج الحسن ، حتى دهمت ليلا من في قرية الدشائرة ، فقتل اناس من بينهم الفقيه علي السباعي . فنجا الشيخ محمد بن عبد الرحمن بجريفة الدقن - ثم في 15 صفر تم احتلال جسيمة فهرب ابن عبد الرحمن الى اداوتنان - فتمكن ابن الحاج الحسن في جسيمة قائدا . ثم باشا اجادير الى ان كان منه ما كان - وقد فصلنا هذه الاخبار في (القسم الرابع) في ترجمة سيدي محمد بن عبد الرحمن . هكذا صفا سيف البحر للحكومة . من الصويرة الى جسيمة . ولم يبق الا وثبة واحدة فتضم هشتوكة الى تزيت واجادير . فيتم امر ازغار اجمع . هذا كله وقع واميرنا في (اسر سيف) . وزمن مكث الهيبة في (اسر سيف) سبعة اشهر وسبعة عشر يوما ، مقدار ما كان مكث في (تارودانت) .

الهدف وطاة القائد الناجم مع مربيه ربه على الهشتوكيين ، وقد اجتمع بهما المخزنية القديمة جلدة . فما شئت من مفارم وفتك واعتقال . فاجتمع اليه المائد الاغبالوي الممتنع في داره ان يلتحق بالقائد سعيد الجليلي ، والمائد عبد السلام الجراري . حكى بنفسه انه جلس اذ ذاك في داره . فاذا بصرة الشيخ مومثاد الديلمي يجري اليه . فقال له وهو يلهث فم بهما . قال ابلعني ربي . واسترح واخبرني اولا . لم هذا الاستعجال ؟ فقال له اني الان تركت القائد ارجا وزير السلطان الهيبة في داري . وقد ارجعته . احبه اليك والي ، فقال ان الامور اليوم تقتضي الحنكة . ولا يليق ان يجرها الا المهنكون ابناء البلد . قال ارجا : انني وان كنت ما كنت فالحق اني لا املك للوزارة في هذه البلاد التي انا غريب عنها . ولا يليق بها الا المائد الاغبالوي . ولكن هداه الله لا يزال متجنبا . كأننا لسنا بمسلمين . الا ان اساني ان الح على جنابك في الالتحاق به . فوعدني ان انت طبت نفسا فاني ان اتقلا ايضا قيادة كل هشتوكة . ولذلك احب منك لما بيننا ان نازل . فتقبل ما عرضه عليك . فالفرص نادرة في الحياة . قال الاغبالوي : فتركته حتى قال كل ما في صدره . فقلت له : او انت هناك ؟ فاجابني انت حتى اراك متقلدا القيادة . فاذن يمكن لي ان اتبعك او لا اتبعك . فخرج الرجل مضطربا مما قلت له . فوصل الى صاحبه القائد ارجا بخفي خفي . فراجع ارجا . ثم تبين بعد ذلك ان ارجا اوصى اصحابه بالفتك الاغبالوي وبمومثاد بمجرد ما يدخلان في الدار . فنجا الاغبالوي بحذقه وهرسه ولأنيته .

لكل هي السياسة التي تمشي فيها من مع الهيبة . منذ ان قطعوا راسها . وشرروا على الفتك . ولكن الدهر على كل حال لا يزال بهم مدبرا . فبعد ان امتدت ارجلهم على هشتوكة بسبب القائد الناجم . اضطروا من اجل هجوم عنيف قام به حيدة الى بلاد هشتوكة . الى ان يركبوا ايضا مركبهم العناد . فوقع الهزيمة الثالثة فتسلقوا الجبال . لعلمهم يجدون فيما بينها هزيمة . والذي هاج حيدة الى ان استلقى على بسيف هشتوكة . كون رجالات من هؤلاء يستنجدون به . ليرفع عنهم كابوس ما هم فيه من القائد الناجم وهم لو لم يكون ان له ايضا كابوسا هائلا . ولكنه على كل حال يوجد معه الامن دار الانسي على الاقل . واما الاغراب فلا امان على نفس ولا على مال ولا على

مرض . كالجراد يأتي على كل شيء وبهذا يصلهم الناس إذ ذاك فنقل ذلك عنهم . ولا نتحمل جريره . لاننا نعلم ان الحكومة ما زالت تعد يدها السي الهيبة ومن معه . فلولا عزة الاسلام فيهم لانقادوا . وهذا لا يشكره احد لا امس ولا اليوم . ثم بامتداد يد حيدة انقضت هشتوكه السي جسيمة وهوارة . فكان الجميع في ظل الحكومة .

عود الى ابن دحان بتزئیت

كان لابن دحان حين نزل بتزنيث امتداد سريع الى بعض القبائل
كالمعذر وبعض هشتوكة فيفرمها مفارم باهظة . ثم بعد ذلك امتنعت عليه .
وقد كنت في المعذر اول سنة 1332 هـ فوجدت المعذريين يحاربون تزنيث
محاربة شديدة . وقد نزل بعض قبائل الجبل . فاعانتها ما شاء الله .
حتى حوصرت تزنيث . وبعد ذلك انفك الحصار من القبائل الجبلية . وبين
الازغار وتزنيث حرب تدور سجالا . وقد امتد حينها القائد ابن دحان حتى
استولى على الساحل . واذ ذاك انتهب دار الفقيه سيدي ابراهيم جزور
وديار الفقهاء السملاليين . فتبعثت خزانة الفقيه احمد بن ابراهيم
الساحلي . كما انتهب ايضا بعض آل ايت ابراهيم . وفي اوائل هذه
التموجات جاء مربيه ربه من الصحراء بجيش اسود كثيف من الصحراويين .
فنزل بهم على قبائل ازغار . فانتهبوا الجمعة والزاوية الاجرارية بأجلو
وذلك في رمضان 1332 هـ - وهي التي تقدم ذكرها - وقد قاسى الناس
منهم امرا عظيما اصطلى بناره الصديق قبل العدو . فقد كانوا يبيتون عند
الناس . فيقترحون كل شيء يجري على اذهانهم . حتى الشعر لعلف
الجمال . وهو غريب لان الجمال عندنا لا تعلق شعيرا كاليفال . وعهدي
بالاعراب - وانا في المدرسة البونعمانية ياتون باحمال من الشعر جمعوها
بعذر العلف لجمالهم . فيأتمنونها عند الطلبة بالمدرسة . وكانوا متى راوا
حاجة حسنة من المتاع . كقطيفة واءاء حسن يخرجون به صباحا . وقد
كنا اذا خطروا حوالي المدرسة البونعمانية نسد الابواب خوفا ان ينتهبوا
بيوتنا . وكان بعض الرجال المغاوير يقفون امامهم . فيرد عدوانهم مرغمين .
وقد كنت في تلك السنة في قرية (الارجام) في ايت ابراهيم . فشاهدت عشية
جماعة من صعاليك الاعراب اعتقلهم محمد بن العربي . وكان شجاعا وجدهم
في مثل هذه الفوضى . فالتقى عليهم هذا الدرس . وكان كل الصحراويين لا
يسمون كل الشلحيين الا باسماء مخجلة - اولاد مماس - فكانت هذه

الجبالية والفرعوس . مما قرب الشقة لابن دحان . فصار يستميل الناس
عنه بحبيبه . ولذلك كانت سنة 1332 هـ والتي بعدها سنتي شدة على
الفرعوس المسميين . فان تقوى الأعراب ساموهم مثل هذا الخسف الذي
وقع . فساهمون وهم انوفهم الى حصار تزيت . وان انجلوا ورجعت
القبائل البوهرانية والجبالية الى ديارها . رجعت اليهم كفة ابن دحان ،
في سنة 1334 هـ . ولما لم تصف تلك الجهة التزيتية للحكومة الا في
سنة 1334 هـ . فامكن لسكان المعذر وآجلو وبعض ايت ابراهيم وما اليها ان
يذهبوا الى جهة واحدة . على ان المفارم لا تنقطع من ابن دحان وامثاله .
ففي ايت ابن الناس ولقيت القبائل عرق القرية . وقد تقوى ابن دحان كل
تقوى اخرها . فقال مقاماً عظيماً . وظهر صولة تأيد بها جانب الحكومة
فيها عظيماً . حتى امتنع ازغار عن تجار الجبليين والبوهرانيين . لانه
يطلبهم البعض . فانكفوا عن ارتياد ذلك السهل . وحين جاء مريه وبه
في ارباب بيجيش من السحراء خاطبه شيخنا بقوله :

لك البشري قدمت اجل مقدم
ونصر جل ينسي ما تقدم
تقودهم بعزم منك صمم
يرون الفر في الهيجا محرم
بيرك عازما فالعزم احزم
فانت للكه كف ومعصم
وطار الرعب بالجبناء ضيفهم
جنودهم بعسكرك العرمم
تنل بالصبر محمدا ومفتهم
ورو حياصك الظمئان من دم
فمن رام المعالي ليس يسام
وضيع فرصة لابد يندم
وان مرت من الراح المقدم
بك الكفار في هذا المحرم
يجرهم به صابا وعلقم
تلبوا بركنه العاصي فتعصم
ليالك ما هذا هاد وهينم

يا ابا عبدى السورى كفا واكرم
 عورتك وارث الاعداء خزيها
 قبل الاممدا من اسد غاب
 العرب الفوارس خير جند
 اهل اهل الضرام عجل
 النصر اذك امام عدل
 اذا التقلت نيران حرب
 شوكة الاعداء واحطم
 بهم بجنده الله واصبر
 جمعهم واقتل شباهم
 الى الراحة واداب
 من التواني في امور
 الحرب للاحرار اخلص
 بالله عز وجل يردى
 السورى الناكثين العهد خزيها
 لامة بخلافك حسنا
 ولا ريب ركناك الغنم تحدى

حيدة وابن دحان

تركنا حيدة في 1332 هـ وقد تمكن في هشتوكة حتى لم يجد الهيبة لنفسه الا ان يفر من (أسر سيف) الى (تيمنجتر) في ايت واليتاوس . ثم في سنة 1333 هـ التجأ اليه المعدريون . وقد راوا ان لابد لهم من الانخراط في سلك الحكومة . فاختاروا حيدة على ابن دحان . وان كان الكل سواء في المفارم . ولكن المعدريين لا يرضخون لهذا لما ساءهم به وساموه من مجاذبات في حروب عنيفة . ولما كان ايضا بين التزنييتيين والمعدريين من خلاف قديم شب عليه الناشء . وشاب عليه الشاب . متوارث من عهود الاجداد . فكان ذلك سبب امتداد يد حيدة الى تلك الجهة . فتضايق به ابن دحان . والحكومة اذ ذاك في ملاحظة ما يتلظى في العالم من الحرب الكبرى . لا رده الله سعيها الى الوجود . فكانت ترسل للقواد بعض العنان . خصوصا قواد الاطراف . كحيدة وابن دحان . فكان اتساع الميدان مما تسبب في اكفهار الجو بينهما باطنا . ولم يطلع عليه الناس .

في هذا العهد نال حيدة عظمة هائلة . فكما انه امتد الى ازغار فتمطي كما ترى في قبائله . كذلك تسلق الى اعالي رأس الوادي . فأشرف على بعض قبائل تلك الجبال كايلاسن الى تاجموت فكانت المفارم الباهظة التي يواليها صباح مساء . ترد عليه ملايين من الريالات . ولهذه العظمة التي نالها كلف من الدوائر العليا ان يمتد الى الجنوب ليؤدب قبائلها التي تجيش فينة بعد فينة على القبائل التي تنضوي الى ترزيت . ولمداركة سيف البحر هناك قبل ان تمتد اليه اصبع العدو . لان غواصة المانية ظهرت هناك وشيكا . فاتصل اهله بالهيبة . واذا ذاك اوعز الى ابن دحان ان يسلم له وينضوي تحت ضبته . فائف ابن دحان واستكبر فساغر بسرعة الى اجادير . حيث القيادة العليا لسوس . فاعتذر عن القبول . واقترح ان تنقله الحكومة من فضلها الى محل آخر . فكل ما تختار له يرضاه سوى الانضواء تحت ضبن حيدة . فذاك ما لا يرضخ له . الا اذا كلف به ارغاما . فراعت الحكومة خاطره لاعماله التي قدمها . فنقلته من سوس محترما . وقصد سافر توا من اجادير . ولم يرجع بعد الى ترزيت . فتبعه اصحابه بانقاله . هكذا يحكي بعض التزنييتيين المطلعين على دخيلته . في سبب ذهابه من

التي : وقد فادر وراعه عددا كثيرا من بين التزنييتيين لانه يراف بهم
التي : وقد كتب لي احدهم ان بعض شعراء ازغار - وقد اخفى عني
التي : من عند - قال في ابني دحان :

سواء ابن دحان سراج الدجنة
فنادى الا ايتوا كلكم نحو رايتي
ينيل عفاة جوده كل منية
اذا مدها للمعتفين بصرة
الا فابشري بالخير اجمع ناقتي
امانيه جمعاء تجلى بحضرة
يكون الرجال من حظوا بقيادة
او ان جاد انسى جود كعب بن مامة
اذا طعنت اراءهم بالسياسة
وما القصد الا ان تقضي حاجتي

هذه اولة هذا الشعور الفقيه . الذي وجدنا في اخفاء اسمه عنا
التي : في ان تنفس بعض التنفس بعد ما عانينا ما عانينا حين نكتبها . ولكن
التي : ان فكرنا في ان احد الادباء الكبار سيشاركنا يوما ما فيما يخامرنا .
التي : على انه ان كان القائد ابن دحان لم يرزق الا مثل هذه
التي : مدحه فقد رزق في القدح فيه شذرة من شيخنا الافراني . قالها وقد
التي : ما انه القي عليه القبض . بايدي الاعراب . فاذا هي احدي
التي : الاعراب . قال :

ويشر قمرى الحمام بالحنان
كما يتثنى من تحسى ابنة الحان
على الكفر من قبض اللعين ابن دحان
به لا بظبي في الفلاة وسرحان

لذلك ما زود به القائد ابن دحان من السنة سوس (وما زالت الاشراف
التي : ثم انه تولى قيادة الزمور الى ان مات نحو 1350 هـ رحمه الله .
التي : والمؤمن من شهر . واما اليوم فقد
التي : هذا ابن دحان قد اخطى البحر . للفائد حيدة .

فرحفت بجيش هائل من نارودانت ، حين احس به الهبة في (بمنجر) ركب ايضا جناحي نعامه موليا شطر بعقيلة بعد حروب حوالية . فصلناها في ترجمة القائد الناجم . فمضى حيدة حتى نزل بتزيت بجسر قوة هائلة . ثم اقلع في (مرغت) حتى نزل في ادخيتوف على دار للمدني هنالك . فانتهب ما فيها . وقد اختبا القائد المدني في بنوزاكارن واعد بهائمه وخيله ليفر الى الصحراء ان توجه اليه حيدة . ولكن هذا القى مراسيه هنالك اياما . وقد تجمع المجاطيون ومن اليهم . ثم جرى سلم بين الفريقين على يد مباركابي الطعام الرخاوي . بعد ما قدم هذا للقائد هدية . فرجع ونزل في طريقه الى تزيت ثم مال الى وجان . فقامت حرب عنيفة . وقد دخل الجيش الزاحف قرية اد علي ابلا التي فيها النعمة . حتى كسرت ثلاث ابواب . ثم رجع بعد مجاذبة كاد يحتل بها وجان . فلاقى الجيليون مشقة زائدة . ثم رجع حيدة . وهذا كل ما صنع . ويقال انه ما كان له ارب في خوض حرب . وانما الجاته القيادة العليا ليجول تلك الجولة لالقاء الرعب في الناس لعلهم يستكينون . والوقت اذ ذاك عصيب . وقد امتلأ جو العالم بدخان الحرب الكبرى المندلعة اذ ذاك .

القائد الحاج عبد الرحمن بتزيت

اثر ذهاب ابن دحان من تزيت . عينت الحكومة القائد عبد الرحمن المسمى حاديمان وقد كان في اجادير منذ احتلت 1331 هـ فنزل منزل القائد الراحل . ولكن الحكومة مع ذلك ارسلت القبطان جوستينار باشارة من (ليوطي) فرسا معه في تزيت . فتمشى امره بسهولة فلا ينفع ولا يضر . والساعة ساعة سكون . لارتجاج اركان العالم بالحرب . ولكل وقت ما يليق به . ولم يحدث في وقته ما اعلمه يستحق الذكر الا انه ارسل جندا فاحتل اجادير اقلا بوجان والبعقيليون يحاصرونهم . ثم تمشى الناس بصلح . وقد قال الازغاربيون ليس هناك الا ابناؤنا . فاعطى القائد عبد الرحمن دراهم ثمنا لخيول هلكت للجليبيين . فافترق الناس .

الهبة في كردوس

تبعتها اثار اميرنا الذي يصابر ويكافح ولا يرضى ان يسلم . وقد رايت منه هزيمة الذي الف ان يحافظ على فخارته لئلا تتحطم . فصار في كل وقت يمثل دور الحارث بن هشام في بدر . فلا يقابل بل ينحو براس طمرة ولجام .

واذ منته الهزيمة الاولى فالشالية فالثالثة فهذه الآن الرابعة فقد غادر ال فرحفت بجيش هائل من نارودانت ، حين احس به الهبة في (بمنجر) ركب ايضا جناحي نعامه موليا شطر بعقيلة بعد حروب حوالية . فصلناها في ترجمة القائد الناجم . فمضى حيدة حتى نزل بتزيت بجسر قوة هائلة . ثم اقلع في (مرغت) حتى نزل في ادخيتوف على دار للمدني هنالك . فانتهب ما فيها . وقد اختبا القائد المدني في بنوزاكارن واعد بهائمه وخيله ليفر الى الصحراء ان توجه اليه حيدة . ولكن هذا القى مراسيه هنالك اياما . وقد تجمع المجاطيون ومن اليهم . ثم جرى سلم بين الفريقين على يد مباركابي الطعام الرخاوي . بعد ما قدم هذا للقائد هدية . فرجع ونزل في طريقه الى تزيت ثم مال الى وجان . فقامت حرب عنيفة . وقد دخل الجيش الزاحف قرية اد علي ابلا التي فيها النعمة . حتى كسرت ثلاث ابواب . ثم رجع بعد مجاذبة كاد يحتل بها وجان . فلاقى الجيليون مشقة زائدة . ثم رجع حيدة . وهذا كل ما صنع . ويقال انه ما كان له ارب في خوض حرب . وانما الجاته القيادة العليا ليجول تلك الجولة لالقاء الرعب في الناس لعلهم يستكينون . والوقت اذ ذاك عصيب . وقد امتلأ جو العالم بدخان الحرب الكبرى المندلعة اذ ذاك .

واذ منته الهزيمة الاولى فالشالية فالثالثة فهذه الآن الرابعة فقد غادر ال فرحفت بجيش هائل من نارودانت ، حين احس به الهبة في (بمنجر) ركب ايضا جناحي نعامه موليا شطر بعقيلة بعد حروب حوالية . فصلناها في ترجمة القائد الناجم . فمضى حيدة حتى نزل بتزيت بجسر قوة هائلة . ثم اقلع في (مرغت) حتى نزل في ادخيتوف على دار للمدني هنالك . فانتهب ما فيها . وقد اختبا القائد المدني في بنوزاكارن واعد بهائمه وخيله ليفر الى الصحراء ان توجه اليه حيدة . ولكن هذا القى مراسيه هنالك اياما . وقد تجمع المجاطيون ومن اليهم . ثم جرى سلم بين الفريقين على يد مباركابي الطعام الرخاوي . بعد ما قدم هذا للقائد هدية . فرجع ونزل في طريقه الى تزيت ثم مال الى وجان . فقامت حرب عنيفة . وقد دخل الجيش الزاحف قرية اد علي ابلا التي فيها النعمة . حتى كسرت ثلاث ابواب . ثم رجع بعد مجاذبة كاد يحتل بها وجان . فلاقى الجيليون مشقة زائدة . ثم رجع حيدة . وهذا كل ما صنع . ويقال انه ما كان له ارب في خوض حرب . وانما الجاته القيادة العليا ليجول تلك الجولة لالقاء الرعب في الناس لعلهم يستكينون . والوقت اذ ذاك عصيب . وقد امتلأ جو العالم بدخان الحرب الكبرى المندلعة اذ ذاك .

واذ منته الهزيمة الاولى فالشالية فالثالثة فهذه الآن الرابعة فقد غادر ال فرحفت بجيش هائل من نارودانت ، حين احس به الهبة في (بمنجر) ركب ايضا جناحي نعامه موليا شطر بعقيلة بعد حروب حوالية . فصلناها في ترجمة القائد الناجم . فمضى حيدة حتى نزل بتزيت بجسر قوة هائلة . ثم اقلع في (مرغت) حتى نزل في ادخيتوف على دار للمدني هنالك . فانتهب ما فيها . وقد اختبا القائد المدني في بنوزاكارن واعد بهائمه وخيله ليفر الى الصحراء ان توجه اليه حيدة . ولكن هذا القى مراسيه هنالك اياما . وقد تجمع المجاطيون ومن اليهم . ثم جرى سلم بين الفريقين على يد مباركابي الطعام الرخاوي . بعد ما قدم هذا للقائد هدية . فرجع ونزل في طريقه الى تزيت ثم مال الى وجان . فقامت حرب عنيفة . وقد دخل الجيش الزاحف قرية اد علي ابلا التي فيها النعمة . حتى كسرت ثلاث ابواب . ثم رجع بعد مجاذبة كاد يحتل بها وجان . فلاقى الجيليون مشقة زائدة . ثم رجع حيدة . وهذا كل ما صنع . ويقال انه ما كان له ارب في خوض حرب . وانما الجاته القيادة العليا ليجول تلك الجولة لالقاء الرعب في الناس لعلهم يستكينون . والوقت اذ ذاك عصيب . وقد امتلأ جو العالم بدخان الحرب الكبرى المندلعة اذ ذاك .

بهم . وما ذلك الا من اجل طول تماديهم في العصيان . وتمردهم عن طاعة الملوك . وقد تركب ذلك في طباعهم . حتى لم يقدرُوا ان يسمعوْا اسم ذلك ولو مجازا .

هكذا اوى الهيبة الى كردوس في اوائل 1333 هـ مع ثلة من الاعراب الباقين معه . وقد نزل على صاحبه الوافي له حق الوفاء ، القائد سعيد الذي ما نفّض منه قط يده . وانها لمزية سيسادله بها ذكر خالد في التاريخ . وقد خاطبه شيخنا الافراني اذ ذاك بقوله :

تعز امير المؤمنين وطب نفسا
فمن عجل تجني ثمار المني كما
فمن لاذ بالصبر الجميل وبالرضا
ولا تجز عن من حادث الدهر انه
فانك شمس الفضل لا عار ان دجا
وانك ظل الله من به على الا
فثق يا امير الله بالله واعتزم
وجامد بحزب الله اعداءه ولا
فمن يعتصم بالله او ينتصر به
بقيت لدين الله تفرى عدوه
وازكى سلام الله يا ملك الهدى

ثم خاطبه ايضا في عيد الفطر من السنة بقوله .

امولاي هذا الفتح بآت مباديه
وهذاك جند الله وافي مليا
وسمك سيف لا تغل ظباته
لك الهمة القسا التي لم تمل الى
ودعوة صدق جهزتها ضراعة
فاشر فان الله ناصر دينه
وثق بفتوح لا تزال وفودها
فانك فخر الملك ما زال حائما
فلما اتاك ارتاح وامتاح شاكرا

وهذا صباح النصر اشرق باديه
نداءك طوعا حاضروه وباديه
وعزمك طيرف ما كبا قط عاديه
سكون ولا كادت تلم بناديه
ارب رحيم لم يخب من يناديه
بك اليوم نصرا يستبيح اعاديه
تراوح مفناك الرضا وتفاديه
على وردك العذب المهنا صاديه
وقد حمد المسرى هداية هاديه

فهنته ملكا بك ازدان واردهي
وهنت عيدا من سنالك ابتهاجه
فلا زال طير اليمن في روضة الهنا
وقلد عقدا من حلي الفخر هاديه
ومن جودك الجم النوال اياديه
يفرد تطريبا بنصره شاديه

هلاك حيدة

كانت الحرب العالمية قائمة على ساق . والدنيا كلها براكين ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر . فكانت الدعاية تجوب الافاق من الكفة الاخرى التي تعادي الحلفاء . حتى اطلت على الجهة البعمرانية فخرجت هناك في اوائل 1335 هـ غواصة رمت الى البر اناسا يزعمون انهم تركيون فراسلوا الهيبة . واوعزوا اليه ان يصلهم بنفسه . ولكنه صار يرسل اليهم رجالات من اصحابه . كالقائد ارميا والقائد ابن الطاهر الرحماني وكبار القبائل . وقد كنا اذ ذاك في مدرسة تانكوت فمر بنا الداهيون ومن بينهم الاخ سيدي محمد فلم ير اولئك الناس عاقلا يدخلون معه في المفاوضات التي جاءوا لها . ولم يروا الى الفوضى وذئابا في ثياب . وتسابقا الى احتجاج درهم . وقد ارسلوا الى الهيبة هدية فيها آلاف من الاوراق البنكية الاسبانية ومرة غالية من نوع المقريات للبعيد . وسيفا محلي . ومثل ذلك مما يتحف به الكبار من الملوك . وكانوا يحسبون انهم سيجدون امامهم عقلاء نظموا امورهم فاذا هم برجال في عقول صبيان الا ما قل . ولا عبرة بالقليل . فعرفوا ان ما جاءوا اليه لا يتم . فاحتالوا حتى نجوا بانفسهم ممن يحومون حولهم بحرقون الارم على ثيابهم التي على جلودهم . ثم انطوت تلك الصحيفة بعد ما فرق الهيبة في الناس بعض المال مما توصل به من اصحاب الغواصة . وقد اخبرني الاخ محمد انه راي بعينه رسالة (غليوم) بطابعها المشهور . ورسالة السلطان العثماني بطابعها ايضا . يسلمان على الهيبة ويقولان له . اننا ارسلنا اليك هذا التركي وهذا الالمني . ومعهما كل شيء . وفي يدهما كل ما عسى ان يتوقف عليه ما يراد من قيامكم السريع . وهذا ما قال . ثم خاب هذا المسعى واما شاعرنا الافراني فقد قال يخاطب الامير بقوله يهنيه بهذا الوفد .

تاوب طيف من اميمة طارق
واذكر ايام الحمى ونعيمه
اذ العيش غنى والرومان سامد
فشب لهيبا شاب منه المفارق
وعهدا تقاضاه الشباب المفارق
منوات واذا غصن الشبيبة وارق

لزمان مضي لا عهد به لمسلم
ولا عيب فيه غير وشك انقضائه
الا ليت شعري هل تعود كما مضي
فتصدق موعد الوصال كما وفي الـ
همام سما للمجد بالجد حيث لا
له همة لا تثني عن مراتب الـ
دعا للعلا اهل المقارب جهده
فلباه سلطان السلاطين رائد
وساعد (غليوم القياصر) من غدا
فخلف كل منهما من رءاه لك
فخاضا البحار الزاخرات واقبلا
كذا فلتك الاملاك همتها العلا
الا ايها الضيفان اهلا ومرحبا
فقد جئتما بالنصرواليمين فاغتدت
فطيبا نفوسا وابذلا الحرب حقها
وبشراكم جيئتم لنصرة سيد
له الشرف الماثور والحسب الذي
حياء وافضال وعلم وسؤدد
تجمع شمل الفضل فيه وانه
مناقب لا تفنى بعد ولا يفنى
لئن كاده الاعداء كيدهم فقد
وان تكثروا معقود بيمته التي
اذا افتخر الاقوام بالمال والفنى
عليهم سلام الله ما صدحت على
وازكى صلاة الله دائمة على

ولا لئله كساب ولا الرمد ماذن
كما لاح لي جنح الدجينة بارق
مهود الحمى ام هل اسيم توافق لا
خليفة موعود العلا وهو صادق
مسعد الا المشرفي الموافق
لكمال فاما فيلق او مهارق
فلما تولت ساعدته المشارق
(الرشاد) الذي هابت ظباه الزنادق
هماما به تحمى العلا والحقائق
عظائم لا تثنيه عنها المضايق
يقودهما السعد العجيب المرافق
وقهر الاعادي لا الحلى والنمارق
عليكم سلام طيبه الدهر عابق
موكدة منكم ومنه العلائق
من الصدق كي يخزي العدو المنافق
نمته الى العليا اصول غرائق
اقرت له بالسبق فيه الخلائق
وحلم وتقوى فهو في الفضل سابق
لاكرم من تحدى اليه الايانق
باحصائها قول وان جد ناطق
حماء على رغم الخليفة خالق
تقوت عراها فهو بالله واثق
فحسبك من آل النبي الحقائق
غصون الحمى ورق وما ذر شارق
اجل الوري والصحب ما حن عاشق

وقد كان بارود مدسوسا تحت مجلس الهيبة في كردوس لاهلاكه ولكن
الله سلمه وقد حضر هناك اذ ذاك سيدي علي بن عبد الله الالفي . فقال
شيخنا الافراني يهنيه بالسلامة :

امولاي لا اعتد غيرك سيدا وان عن مكروه فنفسى لك الفدا

ويحميك شر ما تكيد به العدا
فأصبح محبوسا عليك مقيدا

فجاء حريدة بعد شهر من ظهور هذه الغواصة في جيش كثيف . وهو
في ذلك وقت . كانما يتوجس الهلاك . وللارواح شعور . وقد حدث بذلك
بعض اصحابه انه قال له : الله يسلمنا في هذا الزحف . فنزل تزيت في
فارس ربيع النبوي سنة 1335 هـ ثم تسلق (الجعدة) الى قبيلة الساحل مع
الفرس . وقد تجمع الناس من مجاط ومن غيرها في ايت بو عمران وفي ثاني
الفرس 11 من ربيع الاول زحف الى ايت بو عمران من ناحية (اچادير زچاغن)
فاصابهم هنالك والناس . وقد ملكوا عليه المخرم . فاصابته رصاصة في
صدره من الناس من غير قصد فسقط من على بقلته . فحاص كل من معه فارين .
فانقضوا الآخرون على الامتعة والبغال والفساطيط ينتهبون ، فكانت وقعة
عربية جاءت مصادفة وقد هلك رؤساء مذكورون مع حيدة . فقطع راسه بعد
بعض ايام . فعلقه الاعراب في كردوس . الى ان اصبح مسروقا يوما في تزيت .
فداس مع شلو القائد . فقيل ان آل كردوس انفسهم من سرقوه مع بعض
الاعراب . فتوصلوا وراءه بما توصلوا به . فكان شيخنا ابو محمد الافراني
هو نال منه الفرح ما نال اذ ذاك . فقال يخاطب الهيبة في رسالة ارسلها يوم
الملك بحيدة :

الحمد لله اما بعد قد نزلا
الاي حيدة العاتي يجردا
بهاء بقود جنود الكفر منتصرا
بالمكر المنجز والجند المجند والا
الجد في الكيد والتدمير معتسفا
هائم لسنم ظهرا واعتلى علما
فأرضه من جنود الله كل فتى
من ال ليت على طرف يطير الى الاء
وال هاد جرى في القلب ذي حنق
فتم الانوف اباء الضيم اسد وفي
ابطال انصار دين الله من صدقت
الوا العدو بجند لا يقوم له
مروى السيف ذاك الجميع واحتوش

نصر تملئ به دين الهدى جدلا
زهو ويشر في اذياله خيلا
للكفر فانخزل الشيطان وانخدلا
لات او قر من اثقاليها الابلا
مضايقا لا يهاب الوعر والجبلا
بحصن احمر لاقى خزينة وبلا
شهم يرى الموت في سبل العلا عبلا
لدا كما انقض باز ابصر الحجلا
كعدو اسد ضوار صادفت هملا
سيد سراق كرام سادة نبلا
لهاهم فقتلوا من نصره املا
شم الجبال فولى الدبر وانجفلا
اسلاوه الجنت الشنسى ذئاب فلا

واستأصل النهب ما ملأ وما جمعوا
وخالط السيف رأس الكفر حيدة وار
ثم تخطاه للامضاء من سبقت
فيا امير الهدى لك البشارة بالنـ
فقم فما دون ملك الغرب دافعة
والرعب منك سرى سرى الصبا ودعا
فأنت شمس سماء الملك ان ظلمت
مني السلام على عليك ما صدحت

وسار بعد لانصار الهدى نقلا
لوت شفاط الظبا من دمه عللا
ظبا الصوارم في اردائه المدلا
نصر الذي سار في جو العلا مثلا
فان قدرك فوق الخافقين علا
كل البلاد الى طاعتك الجفلى
في الجو غطى سنا انوارها الدولا
ورق وما دار بدر السعد فاكتملا

تلك رسالة الشاعر الافراني اثر الواقعة الى الهيبة في كردوس . وقد
وجدت ايضا في ذلك قطعة لبعض الطلبة - واحسبه عبد الرحمن الازاريفي -

يا ملكا يدعو الظبا فيجيب
هنيت بالنصر الذي حازه الا
عبدان قد تواليا دفعة
ميد بمولد الرسول وعيد
قد نفس الله بنا مختقا
بيننا نرى الجو امتلا ظلما
اتى الينا فرج مسرع
ساق الظلوم حيدة جيشه
اذا به وبهم يمين مقـ
هنيت بالنصر امام الهدى
فادع لعبدك فمثلك من
عليك افضل السلام كما

نصر من الله وفتح قريب
سلام في اليوم بشأن عجيب
وذاك في الاعصار امر غريب
عد النصر زهرتان فوق قضيب
تركتنا في وسنط خطب عصب
وللبروق في السماء وجيب
من عاجل النصر بفصن رطيب
سوق عنيذ مستشيط غضوب
تول ممزق الحشا وسليب
وصاحب القلب الخشوع المنيب
يدعو فينزاح الاسى والكروب
هب النسيم من ديار الحبيب

وقد وقفت ايضا على رسالة كتبها بعض الطلبة البوعمرانيين كما يظن
من الرسالة الى شيخه الفقيه سيدي محمد بن عبد الله الصوابي . نسوقها
لنجد فيها مقدار البهجة المستولية على الناس اذ ذاك .

(شيخنا الذي ببركته تجلى البصائر والابصار . وبنصيحته يستغنى
عن الاعوان والانصار . علامة الدنيا . وزينة الحياة الدنيا . افهم من حمل
الكتاب . واحكم من نطق بالصواب . واعظم مدرس يفسر ما انبهم عن الطلبة .

واحدا من معلم كيف يناول التعليم ان طلبه . الفقيه السعيد . والاديب
الفاضل . سيدي محمد بن عبد الله الصوابي . فعلى شيخنا افضل التحية
والسلام والبركة والرحمة . اما بعد فقد اشقت الى سيدي غاية الشوق .
فلا ادري تمت من فوق . وطالما عذمت على الزيارة في العام الماضي كله .
فلا بد ان ارد الماء المعين من محله . فمنعني ذلك القدر المحتوم . والشرط
الذي يحول دائما صاحبه دون اعمال الاقدام الى قدوم . فادع الله لي يا
خير من الله . لتبرد اشواقى ثم انني ازف الى سيدي بشري
هذا النصر العظيم . والفرح الجسيم . والتعظيم المقيم . حين هلك عدو الله
في حرة . بعد ما احاط بالمسلمين كيده . فرد الله كيده في نحره . وموجه
في حرة . فقد جاء على نية ان لا يبقى في الناس مالا ولا رجلا . واوسع بايعاده
هذه النواحي وجلا . فابى الله والسعد الا ان يلقي موته في اجادير
الاحمر . فتشتت كل ما معه من الجيش والماعون والاثاث وتبعثر . فاستولى
الاعداء من الخيل والبغال والجمال والاخبية والدراهم والكسوة والمكاحل
والدرع على ما لم يره الراءون قط . فقد ملأ كل واحد يده حتى ابتهج
واحد . وقد قطع رأس حيدة ووجه الى السلطان . ومما غنم من متاعه
هذا ما كان . وبقية الخبر في رأس الحامل . لاننا الآن بين الناس في فرح
وهبه الحامل . وقد اختلط الحابل بالنابل . من كثرة الفرحة الشامل .
والناس في نزهة عظيمة جدا . حتى ان بعضهم تجاوز في ذلك حدا .
والله حسب ان كل شيء قد انقضى . ولا يعلم الا الله ما بقي مما مضى .
واسلم على اخيكم الفقيه سيدي احمد وعلى من بكم واليكم فادعو ...)

هذا ما وجدته من هذه الرسالة وقد قطع سطرا او سطرا اسفلها .
بحرنا اسم الكاتب الذي انبأنا في رسالته بامور لا نجدتها في اقوال اولئك
الصحراء .

هكذا ذهب القائد حيدة رحمه الله بسهم غرب يوم 13 ربيع النبوي بعد
النهضة العالي . وسنرى عن قريب ما نشأ عن قتله .

ولامة الجنرال لاموط

كان لهلك حيدة وانتهاج كل ما معه ولعرق جيشه صدى ورنه بين
كل الدوائر الجنوبية الى الصحراء . كما كان له ايضا مثل ذلك في دوائر
الشمالية فحاصبت الحكومة . والوقت كما ذكرنا سحب من اجل الحرب العالمية

المستعرة - ان يكون ذلك النصر نواة ينبت منها ما لعله يكون ذا بال . والقاب
متى ذاقت النصر اولا . فانها تتطلع الى آخر . فاجبت ان يكون ذلك مدعاة الى
التنسيق الذي يعوز الهيبة وكل من معه . بل اوجبت ان يغتنم من يقاومون
الحلفاء من الالمانيين وتركية الفرصة فيدخلون اصابهم . فيبشون بما
عندهم من التجارب والنظام ما كان معدوما عند هذه القبائل . فلهذه
الاسباب - وهي كلها طبيعية كما ترى - عجلت باعلان زحف اخر هائل .
تلقي به على الفاتكين بحيدة درسا ينسيهم السكرة التي يتمايلون بها منذ
سقط حيدة برصاصهم . وامتلات ايديهم بما معه من السلاح والمتاع .
فاوعزت الحكومة الى جميع القواد الكبار من مراكش الى الجنوب الاجلاويين
والتوكيين والكنتافيين والحاحيين والرئاسلواديين . ان يكونوا جميعا على
اهبة الزحف . كل واحد يقود رجاله . ومن وراء ذلك فيالق تبلغ عشرين
الفا من الجند المنظم الحكومي تحت رياسة الجنرال (لاموط) وبه سميت
(وقعة الجنرال) عند السوسيين . فبدات الحكومة تقدم الى تزيت المؤن اولا
ثم مواد القتال من السلاح والقنابر . ثم توارد القواد بخيلهم ورجلهم .
فقامت قيادة رجال قبائل الهيبة . فخنقهم ما خنقهم . وقد عرفوا ما صنعت
ايديهم وانهم مطلوبون بالشار . فكان ذلك سبب ان صحت منهم النيات
فتصلبوا . فانتلفت قلوبهم . وانتفت الاحقاد من بينهم (وعند الشدائد تذهب
الاحقاد) وفي 22 من جمادى الاولى 1335 هـ نزل هذا الجيش العظيم في
تزيت . وبعد ان استراح وتبين رؤساؤه الموقف . وقد ملا الوليتيون
(ورجان) ، والمجاطيون (ايفير ملولتن) . والاختصاص فوق (مرفنت)
والبوعمرانيون تخوم بلادهم . وفي مفتتح جمادى الثانية زحف الجيش الى
(ورجان) . فصار يرسل على من فيه القذائف المتتابعة كالرعود القاصفة .
فاجل المجاطيون الى (ورجان) فصاروا ينزلون من ثنية فوقه . وفي اثنائها اصطدم
المدافع نارا حامية . سقط بسببها من مجاط فقط نحو 80 قتيل من غير
نحو 40 جريحا . ثم صابر الوليتيون النهار كله صبرا غريبا . فكم مرة
صارت المدافع توالي قذائفها . حتى تحسب المدفعية ان الطريق مفتوح .
فتتقدم الفيالق حتى تكنيب المختبئين . فيرسلون عليها شواظا من
الرصاص . فيسقط من الصفوف ما يسقط ثم يرجع الباقيون . ولم يزل
الحال كذلك الى الليل . فرجع الجند المنظم وراءه احتياطا لئلا يبيت .
فبقي الحاج الطيب الكنتافي والقائد عياد الجراري يحرسان ما وراء وجان .
وفي اثناء الليل جرت المخابرة بين عياد وبين الشيخ احمد الامازري البعقلي
ادت الى اخلاء وجان في جوف الليل . فخرج منه الشيخ النعمة . كما خرج

اهل وجان . وما ذلك الا من خوف ان يكون اليوم الثاني اصعب من
اليوم الذي راوا فيه ما راوا . وقد خرج كثير من الوليتيين من وجان
الى مرفنتين . ويقال ان الامازري قد توصل بدراهم كثيرة لتشكيل
فيما الدور . ولا اخل ذلك الا صحيحا لتواتره . وايا كان فقد عقد سلم هناك
بين الجانبين ومن اذ اولتبت على ان يلزموا ديارهم . وعلى ان لا يعاونوا
القبائل الاخرى الجنوبية فتم الامر على ذلك . ويقال ان الحكومة انما تقصد
بذلك ان تتركها لا ان تحتل البلاد . والا فان ذلك سهل بعد ما كان يوم وجان
فيها عامر الجبلين . وسرى فيما ياتي ما ربما يؤيد هذا الذي يقال . وقد
كان القناتي اول من دخل وجان . فحظي بذلك حظوة انالته قيادة تزيت كلها
فيما . وقد رجع الجيش صباح الليلة ، فنزل ما بين (نانوت) و(اذ هلي)
في الايام الاولى من اليوم اقبل قتلى الجند والضباط في تزيت باحلال
في . وفي 8 من هذا الشهر ارتحل الجيش الى ما بين (الانصيفت)
(الانصيفت) بايت جرار . كانه جرار . ولكنه مطلق لا يمد
بهم احد سده الى اهلي او الى ماله . فتعجب الناس . ولقد
انما من جهوش الاعراب والجبلين الخطافين ما الفوا . وفي ذلك اليوم لدم
الانصيفت الحاج الشامي في خيله ورجله . وبمجرد وصوله . صار يتخاطر
في رؤساء القبائل وفقهاها كالقائد المدني والقائد مبارك البشراي وسيد
علي بن عبد الله الافي فتلقى مع بعضهم - وهذا هو المؤتمر الاول - فقال
في القصور الوحيد هو استرداد المدافع التي تركها حيدة فقط . فردوها .
في فصل الامر بسلام . ثم قال لهم انكم تعرفون اننا ابناء دين واحد . وهذه
القبائل التي ترونها لم تطلق مقابلتها بالقوة لا نحن ولا انتم . فاني انصحكم
في المدافع . وعلى انا ان لا تدور حرب . فاجابوه بانهم سيأثمرون على
الامر . وبعد رجوع من تلاقوا معه . ذكروا ذلك للناس . فاما بعض الرؤساء
فكان الى ذلك . فقال اية فائدة لنا في المدافع . ونحن لا نستخدمها . ولا
نحلم من يعرف صنعتها . ولا كيف يصنع بها . واما رعا القبائل والرؤساء
الانصار . فقد تصارخوا لا والله لا يرونها منا . وفي انتظار الجواب عن اقتراح
الاولي هذا رجع الجيش كله من ايت جرار الى تزيت . ثم بعد ايام
في انتظار جواب يرثي من القبائل . خرج الجيش من تزيت 19 من الشهر
في ايت الى ايت في الليلة القابلة . والقبائل هائلة متفرقة للبيات في القري
في العادة . فلم ينزل الجيش حتى وصل ايت حيث البير التي القيت فيها
الادام . فارتحل كل اهل تلك الجهة محفليين امام العرش . فلم يعارضه
احد . ولا بعد احدا يحاربه في منزله . ولا طرفة منهم بطارق . هذا والحلقة

ابو السلام المتوكي في (مرفقت) ولكنه في مسألة مع الاخصاص يتنازع منهم ويبيع . والقائد ايجيدز الحاحي في قرية الارجام بايت ابراهيم . يحافظ على الطريق للجيش . فبقى الجيش في اسنچ الى 27 من الشهر . وهو مشغل بحفر خندق من بعيد الى قصر البير . حتى امكن جر المدافع منها . وفي اليوم الآخر اصبح في السحر راحلا . وقد تياسر . فحين شاهد حرس القبائل الجيش يتحرك تتابعت طلقات البارود مشني مشني على عاداتهم عند وقوع امر جلل . فسال الناس من القرى التي تفرقوا فيها للبيات . فلاقى اوائلهم عند الاسفار طلائع الجيش في ثانيا هناك . فاصطدمت وايهاا والجيش مقصوده ان ينسحب الى وراء . ويقال ان الطيارين رأوا الناس مقبلين من كل جهة . فعرف الجيش الذي لا يتصل باحد انه ربما يطوق هناك فيهلك كله . وانما تياسر من اسنچ الى (بوجرفقة) فالى (تافولنت) تتمرزنجيدا) فالى (اتشر) ليتمكن له ان ينكأ القبائل . لينسحب بانتظام من غير ان يتبعه من سيضرون عليه متى شاهدوا منه الارتداد . ولكن اتفق ان كانت هناك قتابل من فرسان الصحراء والبوعمرانيين . فدخلوا الجيش مداخلة عنيفة . دارت بها رحي حرب ضروس . فكان الباشا الحاج التهامي ممن اصطلى في ذلك النهار بالوغى . حكى ذلك عنه اصحابه . كما حكاه ايضا الفرسان الذين اصطدموا واياه من القبائل . فسقطت تحته افراس . وكاد مرة يوخذ باليد لولا ان بعض عبيده - كما حكى لي اصحابه - نزل له عين فرس . هذا والجند المنتظم يمشي بانتظام صفوفا في الدفاع . وصفوفا في الهجوم . وكل من جرح او مات يحمل . فلم يبق هناك واحد ممن سقطوا من الجيش . والرصاص من بنادق الجند والرشاشات كالوابل على القبائل فكثر الجرحى والقتلى منها . فهرب من هرب . ينذر كل من مر به بالهزيمة العامة . على حين ان الجيش وصل فوق ثنية (سيدي بوعبدلتي) واولئك الفرسان الصحراويون المذكورون مع افراد من فرسان مجاط يخلدون لجيش القبائل شجاعة فائقة . وهي يجروون لظنهم ان الجيش فار ولكن مع رجوع الجيش هكذا . فقد نكا القبائل نكاية لم ينسوها الى اليوم . فكانت اعظم درس تلقوها في المشادات العنيفة . وفي ذلك اليوم قتل القائد بوبكر الخلفي البوعمراني وكثيرون من بين القبائل . وسقط فيه فرس الاخ سيدي محمد من تحته . وجرح رجلان من اصحابه . فسلم الله الجميع . وكان يوما مذكورا مشهودا . ثم ان الجيش نزل عشية اليوم في (بونعمان) وفي اليوم الثاني نزل حوالي (تالعينت) وهناك فتح ايضا الباشا الاجلاوي والكتنافي والخليفة ابو السلام المتوكي المخابرة مع الرؤساء من القبائل على

اعلان السلام وابقاء ما كان على ما كان . فلانت اليوم شررة القبائل بعد مسا كانت حاسية اسس . فاجتمع وفد من اعيان القبائل كالقائد المدني والقائد البشراي واحمد الاغشاني وعلي الاشكشيني المجاطي . فتلاقوا مع الباشا واصحابه ووراء كل فريق خيل حارسة . وقد ظهر الباشا الاجلاوي بمسا عرف من مخالفته من التواضع وحسن الحديث . ولين الجناب . والحلم لا يسمعه من تأنيب من انبوه على اعانته للاحتلال وهو يعتذر لو كان اعتذاره مقبولا . فتم الامر . ففرح الفريقان بعد ما قدمت هدية صورية في شبه سر الى الجنرال . وكان تمام ذلك في اوائل رجب . ثم تراجع الجيش الى ترزيت . وفي 10 رجب انفض الجمع . فتوجه كل الى حال سبيله . وقد نجت هذه القبائل مما تخاف بعصب الريق . وما كانت تظن لها نجاة (1) . فاما العارفون فيقولون الحمد لله الذي سلم بفضل لا غير . والا فمن اين القوة التي تكافح حق الكفاح . واما الجاهلون فيقولون اننا هزمنا العدو وما سالنا حتى خاف منا . ولكنهم معذورون لجهلهم العميق باوضاع السياسة بالمغرب وبما عند الحكومة من القوة . ولم يدروا ان من اسباب ارتداد الجيش ان ابنت بعمران ليست من حساب هذه المنطقة . فلذلك لم يبق فيها الجيش بعد ان احتلها . والا فقد توسطها واجفل الناس بين يديه . فلم يكن يحتاج الا الى وثبة اخرى فيكون في وادي نون فترغم كل قبائل الاخصاص ومجاط ان تلقي السلاح . وهذا امر ظاهر . وان كان يخفى عنم بجهل الحالة اذ ذاك .

الكتنافي في ترزيت

حظي الحاج الطيب صقر الوادي النفيس تلك الحظوة في وجان . فكان ذلك - فيما يشاع - سبب ان تولى باشوية ترزيت . فقد ذهب الى مراکش راجعا اليها مع الناس وفي 19 شعبان دخل ترزيت مع حاشيته . وخليفته محمد بن ابراهيم . وكاتبه الحاج الهاشمي الناصري . وقد فوض له تفويضا خاصا في ترزيت وما اليها . فرجعت المخزنية بترزيت الى ديدنها . مضارم باهظة . واقامة اعمال وحرث وحصاد . واستهوذا على كل نفيس بغلة او حصانا او رمكة او عبدا او امة . فصار يهشوش احتواشا قريبا . وهو يلقي في السجون ثم ينسى مسجونيه حتى يسمع في لسرجه «الافسا فيدكسر» حينئذ . فصارت هشتوكة وماسسة والمصدر والاسر . والابرايميسون

(1) في ترجمة القائد المدني في (النجم الخامس) تفصيل عن هذه الحرب وفي ابراهيم باخري .

والأراهميون ووال العونية والأراهميون من رسةوكة وبعيةلة في مقيم مقصد من غراماته المتوالية . يعقب بعضها بعضا . فقد فرض مرة على المعدر مائة الف ريال حسني وهي تساوي الآن 1358 ملايين من الفرنكات . فادوها مع توابعها من بيانات الاعوان . ثم ثنى حيناً بمثلها ثم ثلث بمثلها . حتى جلا الناس وخلت القرى . واقفرت المساجد . وما ادراك ما مسجد المعدر الاكبر الذي يضرب به المثل في العمارة الدائمة . وكذلك يشغل الناس في اوقات الحرث بحرثه الخاص . فلا يكفيه اسبوع لكل قبيلة ولا اسبوعان . ثم في الحصاد . يحصد الناس ما حرثوه ويدرسونه ويحملونه الى ترزيت . ثم يميل الى بيادرهم بالخرص . فيستولي على نحو نصف ما فيها دفعة واحدة . وناهيك ان عشر غلة واحدة من ذرة ماسة بيع مرة ليهودي بمائة الف ريال حسني . وعلى ذلك فليقس ما لم يقل . واما التزيتيون فانهم ادركوا منه من الصغار ما انساهم ما تنعموا به ايام سلفه ابن دحان . فكثير منهم زاروا المطبق . ففكوا رقابهم بثالاف . وجل ذلك بغير سبب معقول . واذا ذاك كاد الفقيه محمد اعمو يزوره مع الزائرين . لولا ان بادر فادى في عشية اليوم الف ريال فنجا . هذا . والقوافل ذاهبة عائدة الى وادي النفيس تذهب من ترزيت بالعبيد الصغار اربعة في الشواري . او بالاماء لثتان على بغلة . او بالدراهم احمالا . فترجع من داره بكل ما يحتاج اليه من المثونة . لانه لا ياكل هو في نفسه الا ما جاء هناك حتى الخضر . مع انه عمد الى الجيد من سقى ترزيت فحازه ، يحرث فيها القصيل وانواع الخضر المبكرة وقد كانت عين ترزيت جلها في يد الجراريين ، كما تقدم لنا ذكره . من سنة 1330 هـ فركب يوما حتى القاها في متجرتي من تحت الارض رغما على القائد عباد . وقد كان للكلونيل جوستينار يد في تسوية القضية . حتى ترك للجراريين بعض الماء . فخرجت بذلك ظهائر رسمية . وقد وقع له ايضا خلاف مع احمد بن علي البلقاعي الهشتوكي الشجاع وكان رئيس البلفاعيين فغلبه الكنتافي فهرب الاخر الى الجبل . ثم صالحه فرجع . كما جرى ايضا بينه وبين القائد محمد الاغباليوي خلاف . فأقام ضده محمد بن عبد الله ابن بلقاسم في (تاسيلا) فهرب الاغباليوي الى الحمراء فالرباط . وقد كان معه الاديب محمد بن الحاج التاتكرتي الافراني في زحف كان في اوله انهزام فسبقه الى ترزيت نذيرا للهزيمة . اذا بالامر على خلاف ذلك فسقط من عين الكنتافي . وكان اذا غضب قلما يرضى . كان الكنتافي مع ذك كله ذا اوصاف حسنة من ناحية اخرى فليس بماجن ولا عاهر ولا سفاك لدماء

السوسيين حين كان هندهم . ويحافظ على السلوات في وقتها محافظته على اوقات الاكل المتتابعة . ويميل الى الاكلة النهمين في الماكل الكثيرة المتتابعة في ال وقت مضبوط هنده . وهو متكبر الى الغاية . وكان له في كل عشية هالسا ركوب الى خارج ترزيت في كل اصحابه النيفين على المات . من غير الحسد . فكان لا يامرهم بالاسراج وانما يعرفون علامة ذلك بتناولهم راويله بعد صلاة العصر . فيبادر الناس يخبر بعضهم بعضا . وويل ان لم يجده راكبا امام الدار ان خرج بعد العصر بقليل . فكانت الهيبة منه عارمة ثم كان في آخر عهده هناك زاحفا الى ايت وكذريم على رغم ارادة الحكومة . وكان ذلك منه مرتين . ففي المرة الاولى زعم انه اجدى في عمله . ثم عاود الكرة فاذا ذلك كانت حرب عنيفة اصطدم فيها والقائد الاجم فانهمز . ففضى عليه ذلك عند الحكومة . فظهر لها ان تعفيه فتريح الناس منه . فاومرت اليه فطلع الى داره في 4-10-1339 هـ من ترزيت رواتيا ، تلك هي افعال الكنتافي في ترزيت . وقد امتحن به الناس . ولكنه لم يدم الحكومة ، وجعل لها قوة مرهوبة في اعين القبائل التي تطل من اابي الجبال حتى شئت من مراجعة ازغار .

نبذة اخرى من احوال الهيبة

انتبد الهيبة في كردوس قصيا . وقد وجد من بين هذه الجبال بعض منعة . والقبائل تذكره قولا . وان كانت قلما تنفعه فعلا . فهو وان كان يجري في الالسنه باسم السلطان . فلا يعدو قدره قدر بعض الزوايا . لمجتمع له بعض الناس اعشارا يتقوت بها هو ومن معه . وقد بقيت معه خيماته من الاعراب يكثرون ويقلون بحسب الازمنة . فاما الوليتيون فلا يطمعونه لا بقليل ولا بكثير . الا بضعة افراد منهم ياتونه بثاصع من الشعير وقت الدراس . بصفة زيارة كزيارات الزوايا . ويقولون يكفيه منا ان وجد الامان التام في بلادنا . وقد بات مرة رجل من ادموشن من سملالة في كردوس . فملا سراويل ببارود فوضع فيها فتيلة في اسطوان كان الهيبة يجلس في غرفة فوقه . فثار البارود ولكنه صادم فتحة خرجت منها قوته ولم يصنع شيئا . فهرب الرجل . فنزل البعقيليون عليه ففرومه ما يناهز الف ريال فيما سمعت . فبيع كل ماله واملاكه . فغادره عبرة لامثاله . لم نادوا باستباحة دمه . ولكن رجلا من الغللاتين ببعيةلة صادم جملا من اجمال الهيبة فباعه . فمكن بعض لعنه لافراد . لم يسمه احد بسوء

(وقد اشرنا الى هذا البارود فيما تقدم) واما مجاط وبعض القبائل فانهم يأتون اليه باعشار كثيرة ويقول المجاطيون انهم وجدوا بركة ذلك في اموالهم . ولهذه القبيلة نية حسنة في اهل الخير . واما الاخصاص ايلة القائد المدني فانه يجمع منها الوفا من قناطير الاعشار . ثم يحمل مائة حمل على الجمال في وقت الخريف او الشتاء ، فيأتي هو واصحابه في كثير من الخيل . حتى يدفعوا ذلك في كردوس . فيسمع الناس بأن المدني اتى بالاعشار ، مع انه ما اتى الا بقليل بنسبة ما جمع ، ثم بات عليه وهو وحاشيته بخيولهم . فياكلونه ويعلفونه . ومجمل الامر ان عيش الهيبة في كردوس ضيق في الغالب . واما هو في نفسه فانه يتظاهر بالفنى وانه مكفى المؤنة . فيصل كل من وصله من الطلبة وغيرهم . وفي ليالي اعياد المولد والسابع والعشرين من رمضان يستدعي طلبة بعقيلة ، فيحيون الليلة معه . حكى لي بعضهم انه حضر هنالك في احد تلك الليالي من رمضان . والناس كثيرون وبعد العشاء تفرق الناس في مكائيس للصلاة . قال فكنت فيمن مع الهيبة . فتقدم فصلى التسليمة الاولى من التراويح بنفسه . قال فقرأ في الركعة الاولى (الفاتحة) ثم قال (الم) فركع وفي الثانية (الفاتحة) ثم قال (ذلك الكتاب لا ريب) فركع . ثم تقدم اعرابي حسن الصوت والترتيل . فصار يصلي بالناس . قال الحاكي الى ان وصلوا (المص) فاعيتت فخرجت وهم لا يزالون يصلون . وفي السحر ذهبت عند الفريق الآخر . فوجدته في سورة (سبح) . ولا ادري هل افتتح القراءان فاتموه الآن . او قرأوا النصف الاخير . وقرأ الفريق الآخر النصف الاول ؟ قال وكان الهيبة يصلي جالسا في كل الركعات بعد الاولى التي كان اماما فيها . وفي الصباح اجيز الطلبة كلهم ببضعة دراهم لكل واحد . وكان ضحك السن . جواد الكف . وقور المجلس . عالما حسن الادراك ذا ذوق جيد في الادب . وكان يرتاح للشعر ولدويه . ويرفع اقدارهم ويشني عليهم وقد قال فيه الشعراء الصحراويون قصائد كثيرة . وقد رايت غالبها في كناشة بعض الاعراب . ولكننا نفرط في الاشياء حين وجودها . وكل ما نقلته منها بعض مقطعات لبعض ادباء جزولة . ولكنها لا تنسب غالبا للقائل . او تذكره بغير نسبة مع جزم الاعرابي المنقول من عنده ان صاحبها سوسي . ولكن ما نقلته ايضا من الكناشة لم يحضر عندي منه الا ما ستراه .

قال محمد بن عبد الله ؟ قالها قائلها في الهيبة اول مرة .

لي للحسان صباية لا تهدا ومدامع في محجري لا ترقا

وعمل فسوق الفرائس ورأسه
ما شمت برقا من حماها مومضا
مهر الفضا من افسلي سيل الفضا
ما كنت مثلك حين لا يعتادني
الذي في اليوم حين جوانحي التهد
امدني بسهام عشق ضعفت
ما كنت فؤادي الغايات فصرت من
والنسي ملك الامام ازمة ال
ما كنت افات به الاله الدين يا
ما كنت اذا كشف اللثام فانه
ما كنت اذا ما انسا بالخلاء من
ما كنت اذا حبت الكرام بذرة
ما كنت حياه الله عزما صار ما
ما كنت به حزم عظيم كلما
ما كنت اذا ما صال في اعدائه
ما كنت له بين المائر لبها
ما كنت سواه ارجل وعجيزة
ما كنت تطاولت الملوك لشيمة
من مفتحة الجفون فلا ترى
ما اوكت كفاه فوق نفيسة
ما كان الا كنز من يحظى به

نهر الحمى كل المدى لا تفتا
الا التقى مني جوى لا يفتا
من ادمي . اتى عدولي اهدا
عشق . ارى حسن الحسان فاجرو
ببت ارى ظل الحسان فاخلا (1)
جلدي فمن ذا بعد ذلك يجرؤ ؟
عنت الهوى في غشية لا اهدا
ملك العتيد له يطيب ويهنا
وري نحوي في ظله يتفيا
بدر على افق السما يتللا
معروفهم للمعتفى لا ينسى
فالنضر ما يحبو به واللؤلؤ
مثل الظبنا لكنه لا يصدا
دهم العدو وغيره يتهيا
فغضنر بل انه منه اجرا
بنظيرها عند الملوك يهنا
وهو المحيا دائما والجؤجو (2)
فهو الطويل ومن سواه يقمؤ (3)
وسنا . تببت مدى الليالي تكللا
كرما وداب بني الفنى ان يوكثوا
ما ان يفيض بغرف من قد يملا

هذا ما كنت اخترته من القصيدة . وهي كلها على هذا النموذج . وما
اخرت الا ما يمكن ان يقبل .

وقال اآخر ولا اعرفه الآن :

علوا صيكم من قبل ان يفلق الرهن ويعشي فلا نار منه ولا عين

- (1) خلا من الشراء : اآخر عنه .
(2) الجؤجو : الجؤجو .
(3) يقمؤ : اليهشور .

فقد طفع الشوق المبرح بالحشا
توالى على اللاعجات فلا نجا
فلم يبق الا زفرة مستطيرة
وشلو من التهيام نحوكم لقي
وقلب له خفق متى عن ذكركم
اظل وامسى في شجون عظيمة
اقابل هبات الصبا نحوكم بما
احبة قلبي انني عبد حبكم
فهجركم عندي جهنم نفسها
فاتم حياتي كلها وحياتكم
فما كنت ادري كيف معترك الهوى
فخامرني العذري يا قوم فاغتدي
بنفسي رشا منكم ذكاء اذا بدا
يمر بخوط فوق دغص يمس في
دهاني بلحظ كالحسام مهندا
فغادر قلبي بالصباية مثل ما
اذوب كما ذاب العدو اذا انتحت
امام له راى سديد وراءه
اذا ركبوا ماد البسيط بجيشهم
ازاهر في الالفاظ رهبان في التقى
فمن تلق منهم قلت افضل قومه
فان تستجر فهو الزبيدي ذا ندا
فطارف ما منهم سوى خير ماجد
بنو الشيخ ما العينين صيد اشاوس
لهم رجع الدين الحنفي لاجئا
وراسهم مولاي احمد قائم
راى الناس في دهيا من اجل دينهم
فشمر عن ساق الرياسة جاهدا
فداد كدود الليث عن غيله لكسي

الى ان علاني من هيامي بكم غين
ة لي غير ان منكم بوصلكم من
تردد او دمع تسح به العين
ينكله من ذكر ياتكم البين
يهيج كاسنان تخطفه جن
وما التاح لي حاشاي من سلوكم شجن (1)
يهيج من قلبي الفرام فيفتن
بما بيننا منوا على عبدكم منوا
ووصلكم لو كان وصلكم عدن
وروحى وقلبي والمهاجر والاذن
الى ان رمتني من لواظها عين
اخو حبكم ممن بحسنكم جنوا
قضيبي اذا اثني ، غزال اذا يرنو
ذوائب منها وحدها خلق الحسن
مفاجاة اذ مر بي وهو يستن
يقلب نصلا في مجامره قين
اليه من الامام سمر القنا اللدن
فوارس سنوا في الملاحم ما سنوا
او ان يحملوا نحو العدا حملة يفنوا
ملائك في سلم وفي معمع جن
عليه بهاء في البسالة والزيين
وان تك تستجدي فذلكم معن
يقر به قلب المخالط والعين
اسود ولا حيف كرام ولا من
فكان له من اجل سيفهم المون
ولولاه حقا ما تادى لنا الدين
وفي كل شديق منهم تفرع السن
باشجع قوم في الوغى ان هم شنوا
يدوم على الاسلام في سوسنا امن

(1) الشجن بفتح فسكون : الطريق . واما الشجن معركا فهو الحزن .

وما راعه ما قد مضى من الفرس
امام الهدى مولى الملوكة وسيد الب
الك قصيدا من ضعيف يروم ان
بماست جهدي ما استطعت فخاني
اريد مديحا خالصا من مناقب
، لكن ابي طبع تبلد فاكتفى
وما كل مطلوب الفتى مدركا فقد
بماك سلام الله يا خير سيد
ودامت صلاة الله تترى على الذي
والله والاصحاب والتابعين ما

فكل سوى الاديان منذ الفتى هوس
كرام امير المؤمنين و
يهنكم لما راى غيره هنسا (1)
لدى القول فكر ليس ينفعه
لكم ولا هليكم جماعتها زين
يشبه زجاج قد علا فوقه
تهب رياح بالذي تكره الس
حماء لامر المؤمنين هو
شفاعته في الحشر للمذنب
تأطر في يوم المدافعة

تلك هي القصيدة التي يحاول صاحبها بها ما يحاول . فيستط
دون المدى ولكنها على كل حال تدل على ان قائلها ممن يتذوق القريض
ومعرف كيف يتسامى في التعبير احيانا على قلة ذلك فيها . وليت
من هو ؟ فوا اسفا على ضيعة كل شيء في البادية . احثى الاسماء
شيع ؟ في حين ان الآثار كهذه ربما تضيع .

وقال شيخنا سيدي الطاهر بن محمد يسليه ويستنهض همتا :

فالليل يتلوه طلوع الصباح
جاء بدا لنا حديث الصباح
والنصر يجنى من غصون
ان لا لها كفؤ سواك
تبدي التدلل الفواني
وليس يزري بالحيسان
تياس فان الصبر داعي
لابد ان يفدى به او
لاح وعرف زهرة الفتى
النجم ويطلق هيب
ويهدف الانظار روحا

ولا يشارك بقرب النجاح
والعسر لن يقلب يسرين قد
والصبر يفضي لبلوغ النى
والملك خود غادة علمت
والما هذا المطال كما
ولا يشين التلذذ غزاية
والصبر امير المؤمنين ولا
فالعهد حق والوفاء به
والجود العزم فبرق المنى
واهنأ به ملكا يسير سرى
والنفس الدين لباس البها

ويرجع الدهر به مثل ما
(كأنما ينسم عن لؤلؤ
تدليل للدين الحنيفي من
تفري به عقبان دين الهدى
من كل قمر للعدا قمر
معوذ الطعن الوف اللقا
شرب دم الكفر الد على
حتى يرى الكفر واعوانه
وانما المزة بالله لا
فامدد امير المؤمنين بدا
وجد فالسعد كفيل بما
فانك السيف بكف الهدى
وجهك بدر ونذاك الحيا
ان قيل علم فاليك انتهى
انت الامام ابن امام الهدى
فلح بافق الملك بدر دجى
تعنو لعلياك العدا ويرى
ثم سلام الله ما صدح ال
عليك يا خير الملوك ومن

وقال عبد الرحمن البزي

الا ابشروا ان الاماني في قرب
بها الدين والدنيا بها العز والفنى
بها ملك فاق الملوك عزيمة
يطل بتاج يهر الطرف نوره
يطل فتفضى العين منه مهابة
تألد مجدا ثم اطرف سؤددا
لقد جاء منه الملك من كان منشئا
اذا جاش علما فهو اعلم عالم
او ان جاش رأيا في السياسة محكما

قد قاله شاعرهم حين باح
منضد او بسرد او اقحاح)
ايمه الكفر كلاب النباح
مساعر الهيجا كباش النطاح
يسطو ولا يرثى بيض الصفاح
يرتاح ان قيل السلاح السلاح
لهاته من النمير القراج
ان حمى دين الهدى لا يباح
بالنفض والطياردون جناح
تجن جنى النصر هنيئا مباح
تهواه والجند قرين الرباح
وانت غوث الدين غيث السماح
وعزمك الصارم والمدح راح
او نسب فمن قريش البطاح
من ذروة العز ويبت الصلاح
بنوره ليل الضلال يسزاج
لصدر كل المؤمنين انشراح
قمرى في ايك الرياض وصاح
عن مجده ضاق نطاق امتداح

فكردوس فيها منبع السلسل العذب
بها الغاية القصوى لدى الارب الصب
كليث اذا ما استجمع الليث للوثب
فما مثله يلقي بشرق ولا غرب
ويسطو فينمّاع العدو من الرهب
جديدا شأى كل الاعاجم والعرب
ليفد وملك الناس بالخبر النبي
رايناه يملي علمه من سوى الكتب
يزلزل اس الراسخات من الهضب

به وحده نرجو النجاة من العدا
من احتموا في معقل مشمّج
مهمته فعالة في هدوها
من مثل هذا السيد المجتبى الذي
نكث وقد اشقى الفريق واوشكت
مداد عن الحمى كما يفعل الفتى
ورد الى الاشباح ارواحها كما
ان ملكي حيتك مني جوانح
سبل قريضا صفته كقلادة
ما يزدهي الا بمدحك وحده
انك مني الروح افديك دائما
انك سلام الله ما ذكر الحمى

الا قل لمن قد مسه ألم اليوس
هناك ترى بحر المعارف طافحا
وهو لك الدهر الشمس مطاوعا
هناك ترى خير الخلائف باديا
الا ايها المولى الامام الذي احتفى
انك يا شمس الخلافة راجيا
عليك سلام الله ما وخذت الى

اذا احتدمت ساح المعامع بالحرب
فمقلنا في احمد الصارم العضب
اذا حملت فعل السراحبة القب (1)
حبنا به في وقتنا عطفة الرب
معاطيس كل الناس تعرك بالترب (2)
اذا ما رأى رمحا سيطن في الصلب
يرد نشاط الهيم بالبارد العذب
خلق من الاخلاص نحوك والحب
منظمة الاسماط باللؤلؤ الرطب
ومدحك شغلي ان شهدت وفي الغيب
بنفسي اذا ما طاف مس من الكرب
فيظهر ما العينين ما في حشا الصب

وقال شيخنا محمد بن الطاهر الافراني - وكان ورد عليه في شعبان

1336 هـ

انخ بأمير المؤمنين بكردوس
وتحظى باكرام وامن وتأنيس
وتلبس من زي التقى خير ملبوس
عليه جلال يدهش الليث في الخيس
به الدين من كيد العدو الفرنسيس
دعاء يصفى القلب من ريب تدنيس
ندى كفك العذب الروا وخذ العيس

واذكر انني كنت مع ثلة من الطلبة الاتراب في المدرسة الثانكرتية في
وسط نهار مشمس ، نشرب الاناي امام بيت احدنا . فدخل علينا الاستاذ
شيخنا هذا . وهو كما قدم من سفره هذا الذي انشا فيه هذه القطعة .
فاملأها علينا . وكانت هي هدية القدوم . فاستبشرنا بها غاية الاستبشار .

(1) جمع القب من صفات الخيل الصامرة . والسر هو بالضم : الفرس الطويلة .
(2) المعاطيس : الاسفوف .

ونحن إذ ذاك كما بدانا نشدوق الادب . فحيا الله ذاك العصر الطيب
المعسول . وقال الاديب الحسن الجوسالي السملالي وقد ورد على كردوس
12 من ربيع الاول 1337 هـ .

سيرى مطية فالتواء تواء (1)
وذري التكاسل للالى عجزوا فهم
وانحنى ملاذ الخائفين ومعتف
مغنى السيادة والمجادة والندى
حيث المعارف والعوارف قد طما
مغنى الامام ابن الامام ابن الام
خير الخلائف شمس افلاك العلا
مولاي احمد الخليفة خير من
رفع الاله مقامه فانحط عن
يا ايها الملك الذي ضاعت به
اعيت مناقبك البليغ فما عسى
اما السماحة والفصاحة والذكا
انسى ابن سعد وابن مامة في الندى
سلب الفراسة والفراسة عمرهم
والحلم احنف والمهابة تبعها
تلك السجايا قد حكوا انوارها
يا خير من اعطى واعدى من سطا
هذي ركاب مودني ازجيتها
انجح مقاصدها وامن روعها
واليكما بكرا عروسا ترتدي
تاقت بما فاهت به من مدحك
دمتم ودام العز والاقبال وال
بالمصطفى صلى عليه الله ما
وعليكم مني سلام الله ما

(1) التواء : الهلاك .
(2) الفطمم : البحر العظيم .

الهيئة القصيدة التي هي من اوليات الشاعر . ولذلك لا يوجد بها
سيران للاقته . وقد كان استاذن عليه حين وقف ببابه بقوله :

عمر الخلائف ضيف عند بابكم هداه طيب الشنا نحو قبابكم
الاذنون لسب شفته شغف ؟ وما الشفاء له سوى خطابكم
لم ان عندي بين اوراق نسختها من عند بعض الالفين . قطعة
مريفة لم تنسب لقائل . ولا ذكر اسم المقول فيه . ولعلها قيلت في
الهيئة نصها :

ارابت رحلي في ذرى الكرماء
والذي يجري لكل ملمة
من امره بل نهيه بل سيفه
من لا يخاف اذا يصمم لومة
النازل المعروف في ومضاته
من نصره النصر المزيل عن الهوى
ما سيدي يا من به الدنيا ازدهت
ما القصد الا ان امرغ جبهتي
ما اذا ظفرت لديكم برضاكم
ان الذي ابدته لو لم يكن
ان اوفى مدحك وهو الذي
ولثمت ظهر الراحة السمحاء (1)
ان جال فينا جائل الدهياء
بل عدله في الناس حلف مضاء
من لائم في الله ذي الالاء
والشاهر المسنون دون عدا
رب الضلال بساطع الاضواء
شرفا ابا العباس جد بدعاء
في بابكم ارض السنا وسناء
فلقد ظفرت وحقكم بدواء
بمدحك حسنا كمثل هباء
من كل بحر كامل الاجزاء

هكذا وجدت هذه القطعة ، ولا اكاد اشك انها في الهيئة . والغالب انها
من بنات الالفين وممن لا يزال يتعلم منهم . لانها كما يرى القارى عرجاء
نبي ان لا يذكر صاحبها بين الادباء . غير اننا في هذا الكتاب . نراعي
المؤرخين اكثر من الادباء . وقد كنت وجدت من القطعة بعض ابيات سقط
منها بيت المطلع . ثم وجدتها ايضا هكذا ولعلها اصلحت بعض اصلاح .
ولكن المشوه في الاصل . لا يجدي في الترميم والترقيع (وهل يصلح العطار
ما السيد الدهر ؟) (2) وقال شيخنا سيدي الطاهر في الهيئة ايضا .

(1) انما يقال سمحة لا سمحاء
(2) اوله (سر الى العطار ميرة اهلها)

يا امير المؤمنين
يا اماما قام لله
يا هماما كلما هم
يا مليكا رقى السم
وهلا لا طبق الاف
يكشف الظلماء للاء
قام في الناس رشيدا
جبر الكسرة جبر
وغدا للناس او دين اله
انما انت غمام
كنت للصديان وردا
ولدين الله سيفا
فقت اهل الفضل علما
ولك التوفيق اضحى
فاذا ما قمت تلقى الن
او ما انت ابن ما العي
او ما سمعك فينا .
او ما اخدمك الله
او ما شئت بالتد
فغدا بعضهم في
فتفانوا وتمانوا
فاستعد بالله وانصر
واستعن بالله حقا
واصبر النفس على الن
وادعهم ياتوا سراع
واضرب الكفر بجند
واسال الصارم واقطع
فثمار النصر تجنى
فانعم الفتوح هنيئا
فلقد عودك الرحا

(1) يعني الحرب الاولى

ومبيد الكافريننا
بامر الله فينا
راى الحق اليقيننا
مد به مرقى مكيننا
ق نورا مستبيننا
اذا ابدى الحيننا
وسديدا واميننا
الخلفاء الراشديننا
لدى حصنا حصيننا
وندى للمعتفيننا
شما عذبا معيننا
صادف الكف المعيننا
ايد العقل الرصيننا
حيث يمت قريننا
صر والفتح المبيننا
نين من يملا العيوننا
مثل في السائرينا
ه بحورا وسفيننا
ير جمع الكافريننا
بعضهم بضع سينا (1)
في هناء المسلميننا
دين خير العالمينا
فجدير ان يعيننا
س فقد يجفون حيننا
في خضوع التائبينا
الله ضرب الصادقيننا
سم شمالا ويمينا
بسيوف المصلتيننا
شربك الماء المعيننا
مان خزي المارقينا

فلك الله بان يند
ولك الله بان يك
لمومند صادق لسم
ارعد يهدي الله قوما
فارفع الراية تخفق
وامرج العاطلة بالرف
وامل سعةك يصطد
السم في ظل عز
والسان السعد يدعو
وسادي قد فتحنا
ادخلوا باب الاماني
وجل الله لك الفت
سلام الله ما نب
حصى قدركم العال

هر من يلهمر وينا
لحي مكر الماكرينا
يهد كيد الخائنيننا
في مداد الناكثينا
بين جنبي جبرينا
سق وبالشدة لينا
لك ليثا وعريننا
بالهنا مستبشريننا
كم دعاء المهدينا
لكم فتحنا مبيننا
بسلام واميننا
ح كما بغى امرنا
ه طيل ياسميرنا
ي بالله المثينا

وقد ظفروا برسالة الغيبة كتبها الاستاذ ابو الحسن الى الهبة .
ردوس بعد ما وقع له ما وقع من قتل ولده . نصها :

(ملك الملك اسامع فانادي ام قد عدتكم عن السماع عواد
السلطان الكبير المقام . والامام العظيم المقدام . ابو العباس سيدي
احمد الهبة ناصر المظلوم . ومداوي المكوم . اما بعد السلام الاطيب
الاعذب اكرر على سامع سيدي انني في كدر مخيم . وفي حزن الشكوى
الانم . فقد قتل ولدي ، وفلذة كبدي . عدوانا وغيلة . فليترك سيدي
قال الغير وقيله . فليس ولدي بعبد آخذ ثمنه . ولا ببقرة فاطيب ان
هرز المعتدون بدنه . فقد دفعتم لي امس من دفعتم ممن قلتم انهم
وهدهم من القاتلين ، فهرب منهم واحد فصرت موضع شناعة الشامتين .
وقد بقي القاتل حقيقة يمد لي الاصابع . فاني والله لذلك جارج ، فقد
نقد الصبر . وتجرعت ما تجرعت من الصبر . فلا بد من ان يوخد
الشار . وان لا يقال للعائر العثار . فليست بهبهة الباد غنوما . ولا اطوي
بعد اليوم على الزكل خلوما . فقد هزمت فدا على ان ابو ه الى اصحابنا

بمجاط والى ابي الطمام والى القائد المدني مستعينا بهم كما استعين بك
والا فلا خير فيمن لا ينصر مظلوما . او لا يداوي مكلوما . والسلام على بن
عبد الله الالفى جبر الله صدعه .

ومن اراد ان يعرف كيف ادارة الهيبة . وكيف تصان اسرار الاعراب
فلينظر الى هذه الرسالة ، فانها بعد ما وصلت كردوس ، لم تبق فيه الا
ريثما سلها من الاعراب من باعها لبعض المجاطيين بحفنة من زرع ، وكان
هذا المجاطي ضد الاستاذ الالفى في قضيته ، وكان من الشيعة الاخرى .

هكذا كان الادب مزدهرا في كردوس ، ولم نحرص ان نسوق كل ما
يروج هناك من القوافي ، خصوصا من الصحراويين الادباء الكبار ، وما
هذا الرواج الا من الامير نفسه ، فانه اديب يقدر قدر الادباء ، فنفت سلعت
بين يديه ، وسنختم هذا الفصل الادبي بقصيدة نبوية قالها الامير ، ثم
خمسة شيخنا سيدي الطاهر ، واليك الجميع على طوله :

لمية اطلال عفا آيها المظر ومرء الصبا الا بقايا من الاثر
توهمتها فحين اشبعها النظر

(كفت انسجام الدمع فانهل وانتشر وعاد عقيقا بعد ما كان كالدرر)
وعاودني داء الصبا بعد ان عسا براسي وخط كالصباح تنفسا (1)
وضيعت عمري في لعل وفي عسى

(وابدل مني من جوى البين والاسا سبات الكرى والنوم بالسهد والسهر)
وسهم الاسى ينكنا بقلبي وقعه ونعت اصطباري بان بالبين قطعه (2)
ومنصوب عزي بانكساري وضعه

(وجفني مبني على الفتح رفعه ولا يتأتى فيه ضم وما انكسر)
غرامي بمني ليس يدرك نعته وفيها رشادي بالفواية بعته
فمن لي بان اصفى لنصح سمعته

(وقد كان لي لب مصون فقدته فيا ليت شعري اين سار وما الخبر)
فيا ايها اللوام جهلا بما احتوى فؤادي من وجد به باطني اشتوى
ولم تعلموا ماذا يؤثره الهوى

(1) وخطه الشيب : خالف سواد شعره .

(2) ينكنا بقلبي : يولمه ويخزّه

اهاموا القراواتا الحب مني وما الجوى وما العشق ما احلى الجميع وما امر
فما القدر المشتاق ان يتحفظا ويكتم لسولا ما باحسانه التظلى
فللهب اطوار تفاوتن ملحظا

(الطلع ما بالمستهام من اللطم ويوقد في اضلاعه من لظى سقر)
فبداء طول الوقوف على الدمن واوسطه تفريقه الجفن والوسن
واخره يفضي الى الدفن والكفن

(السمان فيه القرب والبعد وهو من خفى الخفا اخفى واظهر ما ظهر)
فداعى لقلبي لا يمل الامانيا يترجى على بعد المزار تدانيا
وقد تركتني غربة البين عانيا

(السم اذا ما شمت برق ايمانها او ان ماست الاغصان في نسيم السحر)
فدأرتني مينا طيباء تكشفت ورثا صبا نجد بليل تنفست
وساجعة ورقاء للروض غلست (1)

(واذا قاد اضواء النجوم اذا رست او اظلم ليل العاشقين او اعتكر)
الطمع ان اصحو وقلبي اشربا هواها وهذا الحال افصح معربا
يمينا لقد اصبحت في الحب مغربا

(فرب جسمي في التوايه مغربا وغرب جفوني بالدم انهل وانهمر (2)
فجفني يحاكي الفيث والفيث متفدق وجسمي من ذل التغرب مطرق
يقبله في الغرب هم مؤرق

(فلي بالشرق الحجازي مشرق فهل لهما جمع ولو جمعا انكسر)
لي الله كم الهو اغترارا واعدل عن الرشيد والشيب الموقر يعدل
بلى آن من حب الفواني التنصل

(الئن شاق مشتاقا الى البيض منزل فشوقي على الخضرا المطيبة انحصر)
سليت عن ليلي ومني ومهدد ووجهت للوجه المسدد مقصدي (3)
وكيف يميل القلب مني الى دد (4)

(1) تكانت اللبا : دخلت الكناس : اي بيتها ، والرياء : الرائحة الزكية ، وتنفست فاحت ،

وبلفصد بساجعة الخ حمامة تشدو في وقت الفلج وهو آخر الليل واول الفجر

(2) فرب العين بالفتح : سبل الدمع منها ، او هو عرق في العين يسقى ولا ينقطع

(3) هذه اسماء لنساء كان الشعراء يتفننون بمحاسنهن فيما مضى

(4) السدد : اللطم

(وقد شاقني ذكر الحبيب محمد اذا اشتاق اقوام الى الدار والفرج (1)
اللهو بما يغنى وحب خبيثه واعرض عن غوث الرجا ومفيثه
جماع قديم المجد بل وحديثه

(وقد شاقني للاء ذكر حديثه اذا اشتاق قوم للثور وللأشتر (2)
وان هيئ الرواد رمى غيوثهم ولج بهم في السير سوق حثيثهم (3)
لجأت الى غوث البورى ومفيثهم

(وان سمروا في انهم وحديثهم فسيرته عندي التحدث والسمر
وان غبطوا بدرهم وبتبرهم ومالوا الى جمع الحطام بأسرهم
فهنيئنا ليس امري كأمرهم

(وان سكروا بالشرب من راح خمرهم فراح حميا حبه الشرب والسكر
فيا ايها الشادي المدل بزميره اذا شئت تميم السرور بأسره (4)
وقد طرب القلب الملى بسكره

(فعلل ودندن باسمه وبذكره وروح وجانب في تدندنك الخفر
ولا تفشين سر الخليع لك البقا وغط على ما كان ان جل او دقا
ومهد لما ابصرت عذرا موقفا

(فلا لوم لي ان همت شوقا الى اللقا او ان غاب عقلي عند ذلك او حضرا
اذا اظهر المشتاق مكنون سره وباح بحب المصطفى وبشكره
وقال بما يدريه من عظم قدره

(هناك يتيه التائهون بذكره وترميهم نار المحبة بالشر
له الشرف الاعلى الذي ما له انتها له الفخر والمجد المؤئل والبهنا
به اكتسبت انوار افكارها النهي

(به ازدانت الدنيا به البشر ازدهى متى كان في الدنيا متى كان من بشر
لمولده طابت اباطح مكة وخرت اوابين الملوك ودكت (5)

(1) دلت المرأة على زوجها : اظهرت جراحة عليه في تلفظ كانها تخالفه وما بها خلاف
والخفر محركا : شدة الحياء من المرأة

(2) الاشر بضمين : حدة الاسنان واستواؤها

(3) هيمة الشيء : جعله يتهافت عليه ، ولج به في كذا : حته عليه .

(4) المدل بزميره : اي الذي ياتي في شدوه بما يعجب ويخلق الدلال في النفس .

(5) اوابين ج ايوان : القصر

ولماضت على الأعداء بحيرة ساوة (1)

(اما ليلة الميلاد يا غير ليلة بك ازدانت الدنيا بك الدين قد زهر
بك اسفاس الاسنام والنار اطفئت بك الجن غنت والشياطين اصيلت
فما حيلة الا لجيدك انشيت

(وماضت بالمولود فيك وحليت جيود الليالي من حليك بالنضر (2)
وما شهره افخر ما لفضلك مدح فانك ذو تاج بمجد مرصع
وانت زمان للشفيع المشفع

(وانت ربيعي يا ربيع وربيعي بمولودك الاسمى استدما لنا البشر
محمد المختار احمد من حمد واكرم مبعوث واشرف من قصد
اما من نداه الكون لولاه ما وجد

(اما كان خير الخلق تالله لم تلد شبيها له انشى يمينا ولا ذكر
به انشق عن دين الهدى ليل صبحه وزايل دين الله فادح قرحه
ومعناه اعيا القول تفسير شرحه

(ومن يدعي من مادح حصر مدحه فبالصقر امتاز ادعاء وبالبقر (3)
ما صدق من انشا وقال وامدرا « اري كل مدح في النبي مقصرا
وان بالغ المثنى عليه واكثرا » (4)

(ان شئت اجمالا ففيه عن البورى لقد حصر الفضل المهيم فانحصر
وماية ما يدري الذكي وفكره هو العجز عما يستحقه قدره
ايمن ان يدري من البحر قعره

(وتفصيله يعيى الالباء حصره الم يكف ما تاتي به الآي والصور
ابعد ثناء الله في غير آية يؤمل فكر ان يحيط بغاية
فان كنتم في مرية وعماية

(اهل الشنا فاتوا بمثل براءة وفاتحة والفتح والنجم والزئمر
او ايتوا باحدى الطوليتين وما حوت حواميم او تنزبل او مثل فصلت
او ايتوا بمثل النحل حين ترتلت

(1) بحيرة ساوة : كانت تدعى في الفرس لغارات عند ظهور الرسول .

(2) النضر كفل : الذهب ، وحرك ضرورة .

(3) جاءك بالهنا والبار باسم ففتح فيهما : انك بالقلب الصريح .

(4) هذا بيت قديم قديم .

(أو ايتوا باحدى الآي والآي انزلت عليه لعل من بعد ذلك مفتخر)
فوالله ما زادته في القدر مدحة من الخلق بل له على الكل منة
فحق له منهم مدى الدهر خدمة

(ابعد ثناء الله مدح ورفعة وفخر وتفضيل لخلق من البشر)
لأرسله الرحمان آخر رساله فكلهم اثنى عليه بفضل
واعطاه دينا قد حماه بنصله

(فاظهره قهرا على الدين كله برغم على اهل النفاق ومن كفر)
وخصه الرحمان سبحانه بان يصلي في أي الاماكن والدمع
وكان نبيا قبل آدم في الزمن

(وارسله للخلق قاطبة ومن سواه على جيل من الامم اقتصر)
واعطى ايجازا لدى نطقه فلن ينازعه فن البلاغة ذو لسان
له حلت الانفال ناهيك من من

(وناصره بالرعب شهرا ومن يكن له ناصرا قد عز واعتز وافتخر)
له اخذم الله الملائك في السما وادناه منه قاب قوسين حينما
له اقسم الرحمان تكملة كما

(به اقسم المولى فقال معظما لعمره ان تفخر فحق لك الفخر)
نبي كريم من ذؤابة هاشم وضئى عدنان الملوك الاعاظم
رسول قريش الفخر ذات المكارم

(رسول لعمرى سر طينة آدم ونقطة من في الكون آت ومن غبر)
عده قراش والفراش بزوره يعاند نور الشمس عند حضوره
لذلك لما بان نجد ظهوره

(بصائر اهل الجحد كفت بنوره وعين يقين الحق انسان من نظره)
دعاهم فلما ان تمادى اباقيهم اتاهم بأي بان منها احتراقهم
وغاظتهم اذ ضاق عنها نطاقهم

(وشق على اهل الشقاق شقاقهم متى عابنوا شقين شق له القمر)
اما كفهم عن منهج الفى لا ابا لهم نطق ضب بالشهادة معربا
وما شاهدوا من سيف (غورث) اذ نبا

(أو اذ غرسوا من نطق وحشية الظبا ووقع الظبا فيهم وصاربه الذكر) (1)
ودام آيات بها الحق محصا ولكنه لدى النهى تفرع العصا
مرى حائلا واعطى الجهم اقراصا (2)

(أو اذ غرسوا بها سبيح الحصا وقد جاءه يختال في مشيه الشجر)
وعاد عليه الورق اذ خيف ضره وصير من نسج العناكب ستره
وساخت يدا طرف تطلب حضره (3)

(أو اذ ما مضى في الصخر اثر اثره وان سار في حقف اللوى خفي الاثر)
وما دام فيك وصاب واغدقا ودام فلما ان نهاه ترفقا
وكلمه ناب من النحر اشفقا (4)

(أو من له جلع النخيل تشوقنا فله جلع حن بالشوق وادكر)
واعطى ابن بشر مع اسيد رفيقه عصا فاضات من ظلام طريقه
الى ان اوى كل لى لى فريقيه

(أو اذ عذب الماء الاجاج بريقه كمارى في الظلماء من نوره الابر)
أو اكرم الله النبي وايدا واطلق في التصريف منا له اليدا
فلو شاء القى الاخشبين على العدا

(أو اذ شاء قلب الصخر يقلب عسجدا ولو شاء منه اللين يقلب كالوبر)
أو شاء ملكا طاع وانقاد ناكص اليه وما استعصى شريف وناقص
ولانقادت الاساد وهي قنائص

(أو ان الحصى تبر من الارض خالص وخالص تبر العين يقلب كالمدر) (5)
أو شاء قلب الصبح ليلا لحكمة لكان كما ارتدت ذكاء بدعوة (6)
كذلك لولا رعى اوقات حجة

- (1) الظبا في الشطر الثاني بالضم وهو جمع ظبة : رأس الرمح ، والصارم الذكر السيف القاطع
- (2) مرى الفرع يمره : حليه ، والحائل : الذي لا لبن فيه .
- (3) الطرف بالكسر : الفرس الكريم ، والحضر : الجرى .
- (4) المعروف ان الناب هو الناقلة السنة ، لا الجمل .
- (5) المدر محركا : التراب : أي لو شاء ان يجعل من المعصى ذهابا ، او يرد الذهب الخالص
- (6) رأسا لكان له ذلك .
- (7) ذكاء : اسم علم للشخص بضم اوله ، وهو غير معروف

(أنى صفر لو شاء فى عشر حجة ولو شاء كان العيد فى العشر من صفر)
ولو لم تطعمه الشامخات لما سما لها علم أو غاظه البحر ما طمسي
أو الريح ما هبت أو القطر ما همى

(أو الأرض كانت كالسماء أو السما هي الأرض ، لآزهر هناك ولا قمر)
كذا البدر لو عصاه يوما أناله دوام محاق أو أبان زواله
أو الشمس أخفى نورها وأزاله

(ونجم الثرى نجم السماء أحاله وزهر السما كانت هي النجم والزهر)
فللمصطفى عن أذن مولاه قدرة لها نفذت فى الكون منه مشيئة
فلو شاء لم تظهر مدى الدهر نعمة

(ولو شاء لم تخلق من الكون ذرة فمن شاء فليومن ومن شا به كفر)
وللمصطفى الجاه العظيم الذي علا به كل ذي قدر منيف من الملأ
فكل نبيء من جداه تنولا

(فإن تفهم المعنى سلمت وما على مصحح معناه القباوة فى البقر)
فقد انعم المولى عليه فاعظما وشرفه بالقرب منه وكرما
وشفعه فى الحشر والكل أحجما

(فقد قال سل تعطه مفضله كما أتى فى حديث القدس عنه وفى الأثر)
فما خلق الله العظيم كاحمد فاطلق وقل واصدع ولا تنرد
وقل لجحود بعد صفحك باليد

(أيا رائما فى الكون شبه محمد فبطن يد الإنسان هل يشب الشعر)
ففضل رسول الله فى الكون قد فشا وأبصره إلا امرؤ صده العشا
لعمري يمينا أنه منذ أن نشأ

(لاحلم من أغضى وأفضل من مشى وأكرم من أعطى واسمح من غفر)
فحسبك أن الله سماه عبده وأطلق تخصيصا يوكد سعده
ويبدي الفنا فيه فيوجب زهده

(فسيان الف من جواهر عنده وجوهر فرد الأرض والبدر واليذر)
له الخلق الأعلى العظيم الذي امتطى به الرتبة القعساء شمسا بلا غطا
حياء بلا ضعف صواب بلا خطا

(1) البدر بالكسرج بدرة من المال : كمية عظيمة منه

(أعطاه بلا من ولا ساء العطيا ويطلق وجهها للعناسة إذا اعتذر)
وه دم اقتدام الهزبر إذا القيا تكسر وانفل المهسد وأنشئ (1)
ليجأوا دجا الهيجاء من وجهه السنا

(ألم من فقير من شئامه اغتنى وكم من غنى من كتائبه افتقر)
ألم موطن للحرب طار لهيبه أغص العدا بالريق فيه قضيبه (2)
وذاع له بالنصر والفتح طيبه

(ألم بدر كم حواه قليبته وكم أسروا فيه وكم أودعوا سقر (3)
وه بجيش قد توقد ضفنه وصمت من الطفيان والكفر أذنه
فلم يلبثوا أن عاجل الكل حينه

(ألم ابن أبو جهل وعتبة وابنه وشيبة والعاتي أمية الأشتر (4)
ألم بطن الركبة غيهم وغمصهم للحق ضلل سعيهم
فأين ذوو الشيزى وابن حليم (5)

(ألم الصناديد الطفاة وبغيهم وطفيانهم والسخر والهزء والبطر (6)
ألم أسد من الدم شربهم يقل مناط الطعن فى القلب ضربهم
فلما التقى الجمعان واشتد حربهم

(ألمق بالهندي والسمر حزبههم وبالمشرفيات اللدان شذر مذر (7)
ألم أحد أعطى الحمام ونبله حقوقهما لما حمى فيه أهله
وأظهر ما لم يشهد الناس مثله

(ألم خبير لم تحص العبارة قبله زهاها فصارت عبرة لمن اعتبر)
ألم الخندق المشتد بالناس أمره تزايد لما زاغت العين صبره
وما زال حتى هب بالريح نصره

(ألم انس يوم الفتح لله دره فهل لهم من بعده الهزء والسخر)

(1) الهزبر بكسر ففتح فسكون : الأسد .

(2) القليب : السيف القاطع

(3) سقر : اسم مكان الواقعة الشهيرة فى زمن النبي (ص) باسم غزوة بدر وكانت فيها
قتل اي بنر ، رمى فيها قتلى الكفار .

(4) الأشتر البطر المتكبر .

(5) الركبة : البشر ذات الماء ، وقصص الشيعة : ما به والنعمة لم يشكرها . والشيزي
بالكسر : خشب أسود للقصاص أو هو الأنوس . ذكرت فى شعر قيل أذ ذلك .

(6) البطر مفرقا : التكبر وكفران النعمة

(7) المشرفات : السيوف : والسيوف لا توصف باللدان . وإنما توصف بها الرماح .
وشذر مذر : لغزقت فى كل وجه .

اتاهم بأساد ضوار هم هم وبالخيل خيل الله مشربها الدم

والوية تهفو كما ريع قشعم (1)

(فكم منهم اخزى واخجل منهم وكم منهم اجلى وكم منهم هدر)
فابدى رسول الله للقوم فضله واشفق ان يفنى المهند اهلـه
فامن من ولى ولازم رحله

(كما سلمت من بعد ان اسلمت له وسلمت اقوام سمت واقتفت اخر)
لحضرة خير الخلق زفت باسرها حسان الاماني فهو حائز فخرها
فاصبحت الامال تشدو ببشرها

(زمام المعالي وهو مالك امرها وذروة اعلاها واستبرق الحبر) (2)
تخيرته كفوا لها الله قبل ان برا الخلق لم يظهر مكان ولا زمن
فلما استوى جاءته تختال في المنن

(وعاقدها جبريل صاحبه ومن سما فوق املاك المهيمن واشتهر)
فلما استتم العقد باليمن واغتدى هزار الاماني بالتهاني مفردا
تداعت نواميس العدول لتشهدا

وشاهدها ختم الرسالة وابتدأ ذكا نوره من قبل ان تخلق الصور)
فطالب بالمهر الولي لينقدا ومن خطب الحسناء لم يغله الجدا
فقام نبي الله بالشرط مسعدا

(بماضي سيوف الله في مفرق العدا بسنته السمحا بشرعته مهر) (3)
فلما تلاقى النيران بحالـة حوت بكمال السعد كل جلالة
بدا الحمل نورا كافلا باضاء

(وانتج منه محو كل ضلالة الى ان انار الدين بالحق وانتشر)
وعم الردى دين الضلالة والفنا وهد بناء الكفر قبح من بنا
ابادهم الاسلام بالسيف والقنا

(فاين قياصر الملوك وما اقتنى هرقل وكسرى الفرس ملكاوما ادخر)
فما ارسل الرحمان من فيض بره فمن فضل خير العالمين وخيره

(1) القشعم : الاسد ، او هو الضخم الممن من كل شيء .

(2) الحبر بالكسر ج حبرة بكسر ففتح : ضرب من برود اليمن . والاستبرق : الحرير
الفيلط .

(3) لا يقال السمحاء انما يقال السمحة .

فلا سر الا من جننا روض سره

(ويا رائما منها اقتطافا بغيره هبت له الابنا وللعاهر الحجر)
الا يا رسول الله يا خير رحمة ويا خير مبعوث بنور وحكمة
لانت لباب اللب من ذي الخليفة

(فلو كان خلق الله اغصان دوحة لكنت لها نورا وكنت لها ثمر)
فانك سر الكون يا من تخصصا بفضل مزايا ليس يدركها حصي
فلو كان لفظا كنت معنى ملخصا

(ولو كان نجما كنت شمسا او الحضا لكنت هو الياقوت والتبر والدرر)
ولو كان عقدا كنت درة نظمه ولو كان قلبا كنت نقطة علمه
ولو كان نبلا كنت ريشة سهمه

(ولو كان جسما كنت روحا لجسمه وراسا لكنت النطق والسمع والبصر)
لقد اكمل المولى له كل بهجة واوضح بالمختار اهدى محجة
صوارمه اخزت عداه واشجت

(ومنطقه فصل بابلغ حجة ولا نزر في ذاك البلاغ ولا هذر)
زال فكم اروى الصدى ورد حفظه دواء يزيل الجهل ترياق وعظه
دليل فمن يتبعه بالفوز يحظه

(شفاء فما احلى عذوبة لفظه ومعسوله فالشهد منه بلا ابر)
هو العقد عقد الدين بالتبر فصلا هو الماء ماء المزن عذبا مسلسلا
هو الشمس بل اضوا وانفع للملا

(واشهى من الراح العقار تعللا والابوة بعد الغنم من وحشة السفر)
واذكى من المسك الاحم لناشق وانفذ في الاعداء من سهم راشق (1)
واحسن مرء من حبيب موافق

(ومن نعمة العشيق في اذن عاشق وخلصة مشتاق لمن شاقه النظر)
فيا سعد عبد خصه الله نعمة برؤية من قد جاء للخلق رحمة
فيكشف مرآه عن القلب غمة

(هنيئا ويا طوبى لمن زار طيبة ولم تثنه عنها الملامة والزور)

(1) المسك الاحم : الاسود او هو الابيض ، يقال بهما معا .

فيشفى بشم المسك من تربها الضنى ويجني ثمارا دائيات من المنى
ويمرح في روض ازاهره الهنا

(فطينة طيب الطيب طينة طيبنا ومزهمنا تريا قنا ائتميد البصر (1)
بها منية الراجي بها كل نعمة بها سلوة العاني بها عين رحمة
بها خير مبعوث الى خير امة

(بها راحة المهموم من كل غمة وراح ارتياح النفس من كربة الكدر)
بخير الوري تاهت على كل حضرة فاضحت عروسا فوق عرش البرة
فللعين فيها والحجا كل قرة

(مقرا له اختيرت ودارا لهجرة فاکرم بها دارا واکرم بها مقرر)
هنالك اعناق الملوك تطا طبات هناك سنا التقوى هنالك انشئت
مباني الهدى والاي ثمت اقرئت

(هنالك خضراء القباب تلالات بها رفراف الانوار لالاؤه ازدهر)
عليها يحوم القصد عند انتباده ومنها اقتطاف الفضل حين جذاده (2)
وفيها حمى العاني وحصن ملاذه

(وذاك قباء والبقيع وهذه قباب اهابها الجهابذة الفرر)
فوا اسفا والهمر نهبة ناهب متى تنطوي للوصل فيح السبابسب
فقد ضاق بالاشواق عقد الترائب

(فليت مطايا الوهم كانت مراكبي اليها او الارواح تخدى او الفكر (4)
واني ونفسي بان شرح شبابها وما طلت الايام دين طلابها
لامل ان احظي بشم ترابها

(اذا ما حططنا الرجل بين قبابها وداخلنا ذهل الملاقاة والحيـر)
ودارت علينا للوصل مدامة ولاحت لنا من وجنة الحسن شامة
وزالت عن الضنى المعنى سامة

(فلا لي ، لا لي ، لا علي ملامة فحالة مرء فاقد اللب تفتفر)

(1) المهرم والترياق والائمد بمعنى واحد فيما يقصد منها وهو التداوي .

(2) جذاذ القمر بالكسر : قطعه .

(3) الفيح بالكسر ج فيحاء والسبابسب ج سببب والكل بمعنى المفاضة والقلاة .

(4) خدى يخدى كمشى بمشى الفرس او البعير : اسرع وزج بقوائمه .

وبعد القسنام الوصل من سيد السورى ارد الى ام القرى همة السورى
فاطفيء وجدنا نحوها قد تسعرا

(اعفر خدي في حراء ومن حـرى اطوف بيت الله في الحج والعمـر)
واطفيء نيران الجوى كل ساعة برؤية بيت الله افضل قبلية
واغدو الى ورد الرضا كل سحرة

(واضرع في اخدي لاستار كعبة وادعو مجابا في الحطيم لدى السحر)
واغنم فرض الخمس اول وقتـه هناك وادعو الله تامين مقتـه
ومغفرة للحي منا وميته

(واركع في محراب مسجد بيتـه واكرع من اكواب زمزمه تير) (2)
واخرج للمسمى فاظفر بالمنى واجني ثمار المجد طيبة الجنـا
بوقفي باعلى الروتين مع الهنا

(امرغ وجهي بالمحصب من منى واهدى وبعد الهدى احلق للشعر)
وارمي الحصى رميا افوز بنبلـه بوضع اذى وزر رماني بوقلـه (3)
فاشرب من وبل الرضا ورذاذه

(ومن بين ما هذى وهذى وهذه اقبل في كل مناسك للحجـر)
واجمع في جمع مطالب لي وفي بها زمن يا طالما اظهر الجفـا
فاشفى فؤادا كان اشفى على الشفا (4)

(وفي عرفات الحج لم انس موقفا فكم هز من باك واجرى من العبر)
منازل ما زال الفؤاد بقربها يهيم لتصريح النبي بحبها
واول ارض مسه طيب تربها

(منازل منها بعثه ليتني بها ازور على ترتيبها اقتفى الاثر)
مناسك حج حرم الله ذو الملا حماها فقلبي هام فيها وما سـلا
وترتيبها في الشرع جاء مرتـلا

(وليس على ترتيب ما بعثت الى ترائبه شعرا قرائع من شعـر)

(1) الحطيم من الاماكن المقدسة بالكعبة وهو حجر الكعبة ، او جداره الخ

(2) تير : ج نارة اي حينما يهـد حين .

(3) وقلده العزن : الصغفه وهذه .

(4) اشفى على الشفا : اشرف على الهلاك .

الا يا محب المصطفى لا تزايل ثناء ولازم بالضحى والاصائل
وان كان لا يحصيه مدحة قائل

(ففي مدحه قس وسحبان وائل سيان هما وباقل وابو حذر) (1)
ولو ان كل الخلق من اول الدنيا لآخرها كل تشاغل بالثنا
عليه لكلوا عن مداه ولا نشى

(ما لهم للعجز والى والونسي وهل يدرك الفواص ما اضر الزفر) 2
فمدح رسول الله افضل منحة فواظب عليه في سقام وصحة
وان لم توف قدره قدر لمحنة

(فما ماح يوم ما بابلغ مدحة تطاول الا عن مدى مدحه قصر)
وما غرضي الا تشق ريحه فاهفو كمشمول النسيم مروحه
والا فها عجزى لفرط وضوحه

(اقر بانى قاصر عن مديحه ومن سامه حصرا فقد ربح الخسر)
لقد خصص الله النبي بما به يباهي جميع الرسل عالي جنبه
من امته الوسطى التي في نصابه

(ومن لي بمستوف ثناء صحابه نجوم الدياجي صفوة البدو والحضر)
ائمة حق يقتدى كل مقتف بهم وبحور يرتوي كل معتف
اجابوا نبي الله دون توقف

(وباعوا نفوسا بعد ان بايعوه في رضا الله لا بيع احتكار ولا غرر)
وكلهم وافا بوعده حقوقه وسار على نهج الرضا وطريقه
فما لنبي مثلهم في فريقه

(ارونى ارونى كالعتيق رفيقه والا ارونى مثل سيدنا عمر)
هما مثل شمس الافق نورا وبدره وافضل اصحاب النبي بامر
بنص نبي الله فاصدع بامر

(والا ارونى مثل عثمان صهره وشبه ابي السبطين حيدرة الزفر) (3)
على الرضا باب الهدى صارم الظلا (4) اخى المصطفى مولى الجميع فقل ولا

(1) قس بن ساعدة الايادي وسحبان وائل : من البلقاء الفصحاء في الجاهلية وباقل
وابو حذر : من المشهور بالفهامة والى آنذاك . ولغة سيان ساقطة الوزن .

(2) الزفر بضم ففتح : البحر .

(3) الزفر هنا : الشجاع .

(4) الظلا بالضم : جمع ظلية : العنق .

تشافن هارا فالحديث به اهتلى

(هو المهجر الاسمى ومنتخب العسلا وفتح اشكال اذا حارت المر) (1)
هو الحامل الرايات في يوم خيبر هو الكاشف الغما اذا الحرب شمرا
فكم من دم في الله اجرى واهدرا

(تصير هباء عنده اسد الشرى وما تلبث المرأة ان لاقت الصخر)
هم الخلفاء الراشدون الالى حووا من المصطفى سرا به للرضا سمووا
فمن مثلهم فيما رواه الالى رووا

(وطلحة او شبه الزبير وسعد او سعيد ومن حاكى ابن عوف وما ادخر)
فما منهم الا مقدم مقنّب صؤول لعوب بالسنان المدرّب (2)
فما رىء من شبه له بطل ابنى

(وشبه امين الامة المرتضى ابنى عبدة ختم المسك للسادة النصر)
واما قرابات النبي الاعزة فبي نحوهم شوق حثيث وهزة
فكم بهم صينت من الدين حوزة

(فهل اسد الله الفضنفر حمزة له من مضاه في ربيعة او مضر)
فتى هاشم اوفى الانام لربه شهيد يضوع المسك من طيب تربه
فما مثله في باسه يوم حربيه

(او الانجب الاسمى ابو الفضل من به ابو حفص استشفى فينسكب المطر)
وجعفر الطيار نفسي له الفدا اخو الهجرتين والجناحين والندا
عبدة لا انساه اذ بارز العدا

(او الحسنان الهاشميان سيدا شباب جنان الخلد نادرنا السمر)
وريحاننا خير الورى كل غدوة يقبل او يؤوى لدى كل ندوة
هما لمعنى القلب اوثق عروة

(فكم انجبا من قدوة بعد قدوة وكم من نجيب فاق منهم وقد مهر)
وكم فاض منهم غيث خير بشريه يزول الصدا عن جسم عان وقلبه
وكم من كريم يستفاد بسببه

(1) المراد مرة بالكسر : الرأي واصالة العقل .

(2) المائت : جماعة من الغيل تجتمع للسارة . والسنان المدرّب : العاد .

(وكم منهم في الكون قطب برسه تصرف او غوث تصرف او ظهر)
هم اهل بيت اذهب الرجس عنهم فكم من فتى منهم وشيخ هم هم
ذو همة بالله تحمى وتعصم

(ومن هاجروا الاوطان والالف منهم ولم يثنهم خوف ولم يثنهم حذر)
هم العقد عقد الدر بالتبر نضدا هم الحبل حبل الله هم انجم الهدى
هم البيض بيض الهند هم آفة العدا

(عيون العلا تيجانه ابحر الندا ليوث الوغى نور الظلام اذا احتضر)
لهم كل قدم الفخر بل وجديده عليهم يمد الملك ظل بنوده
ومن سائح لاحت بروق سعوده

(فذاك فتى النادي وبيت قصيده وخنصره الاسمى المطاع كما امر)
يقوم بتدبير الورى منه قادر شديد باعباء الخلافة كاسر
يطم على نهر العدا منه زاخر (1)

(وذا عن تليد المال منهم مهاجر وطارفه والبيض والكوم والخير (2)
فكم قطعوا من مهمه ودويبة وكم رافقوا من عانة بدويبة (3)
وكم هاجروا من نومة سحرية

(وكم غادروا من غادة قمريبة تباهي ضياء الزبرقان اذا بدر (4)
مديحهم في الذكر جاء ملخصا وحبهم فرض وجاحده عصي
يحد بحد السيف او وقلة العصا (5)

(مآثرهم لا تنقضي او للحصى عديد وموج البحر عد اذا زخر)
مهاجر اصحاب النبي سموا على جميع الورى بالصدق والسبق للعلا
هم آمنوا بالله والرسول اولا

(وانصاره اكرم بانصاره الالى بهم عز دين الله وامتد وانتشر)
هم آثروا في جانب الله بوسهم واعطوا بطوع النفس فيه نفيسهم
هم اسكنوا خير النبيين خيسهم (6)

- (1) ظم يظم الشيء : غمره .
- (2) تليد المال : قديمه ، وطارفه جديده ، والكوم ج كوما : الناقة السمينة ، الخير كابر : كثير من المال والاهل
- (3) الدويبة : القفر ، والعانة : جماعة بقر الوحش .
- (4) الزبرقان بكسرتين : البدر
- (5) وقلة العصا : ايلامها .
- (6) الخيس بالكسر : الشجر الملتف ، غابة الاسد .

(لقد بدلوا اموالهم ونفوسهم وآورا رسول الله في العسر واليسر)
اولئك انصار الهدى وجنوده بهم عز دين الله واخضر عوده
ومنهم وفيهم قد تبدت سعوده

(اولئك ابطال الوغى واسوده اذا اصفرت الاساد وانتفخ السحر (1)
يصمون عن لغو الحديث تكرما وهم يصدرون البيض حمرا من الدما
ويصفون للداعي المروع تظلما

(وهز الرماح السمر يطربهم كما يطرون عقباننا الى رنة الوتر)
رها بين في الظلماء والليل قد رقد هزابر في الهيجاء والبأس قد وقد (2)
فعابدهم نجم وجاهدتهم اسد

(وفرد جميع الصحب جمع وعنه قد تقاصر اهل المجد في الطول والقصر)
فيا سعد من وافى واخلص حبه وزار النبي الهاشمي وحزبه
وقال وداعي الشوق يجذب قلبه

(ايا خاتم الرسل الكرام وصحبه اضفت لكم نفسي واني على خطر)
اضافة معنى محضة سرها اذن مفيد لتعريفي وسعدي بها اقترن
وتحذف معها نون نائية الزمن

(فلا تجعلوا بين المضاف وبين من اضيف له فصلا وان زل او عثر)
فرسم رجائي فيكم قط ما عفا ولو كان تقط الخطب فيه توكفا (3)
فمنوا عليه بابتدا خبر الشفا

(فحاشاكم ان تجعلوه ولو هفا كغالب ما ياتي لثولا من الخبر)
ففعّل الرجا لفاعل الخطب رافع وجازم عزمي للموانع قاطع
وتابع اهل الفضل في العطف طامع

(ومن شرف المتبوع يشرف تابع ومن جالس العطار طيبه العطر)
فيا آل خير الخلق يا خير عترة ويا صحبه والتابعين بحسبة
ويا اربع الاخيار اهل الخلافة

(ويا اهل بدر والبقيع ومكة ومن بايعوا طه بمفردة الشجر)

- (1) يقال انتفخ سحره : جبن ، كان الخوف ملا جوفه فانتفخ سحره ، والسحر بالسكون او محركا : الريلة .
- (2) الهزبر بكسر ففتح : الاسد .
- (3) توكف السقف : سال وقطر .

اغيثوا وفكوا العبد من أسر ذنبه ومنوا بتغيير لوصمة عيبه
وكشف الصدا والدين عن وجه قلبه

(فانا توسلنا بكم للذي به توسلنا لله في نيلنا الوطن)
نبي به نرجو ازالة جهننا ونامل من جدواه تعجيل رقدنا
ودفع العدا عنا وانجاز وعدنا

(محمد المختار كعبة قصدنا مقضي اللبانات الملاذ من الفير) (1)
فيا سيد الارسال يا سيد الملا ويا خير مأمول لصرف اذى البلا
ويا من له الجاه العظيم الذي علا

(انشدك الله الكريم تفضلا فمن علينا بالمراد وبالظفر)
وجد بالذي نرجو وكف اذى العنا وظفر يميني بالمؤمل والنسي
وكن لي في امر المعاد وفي الدنيا

(وكن حصننا من كل خوف وامنا ومقلنا ، انت المؤمل والوزير)
وجد بالذي يقضيه جودك من منن وعد لي بما عودت من فضلك الحسن
وافن وأهلك واسط وارم وزلزلن

(وفل وشتت ، صد واهزم ودمرن اعادينا ، لا تبق منهم ولا تذر)
وعجل لنا نصرا كنصر الالي هم ابادت عداهم يوم بدر ظباهم
وصن حوزة الاسلام ممن وماهم

(وضمن بنا عن ضرهم واذاهم فلا يؤس نلقى من عدانا ولا ضرر)
فيا ربنا عجل مناي واسعد ، وفوق سهامي للعداة وسدد
سالتك بالوجه الكريم فانجد

(وانشدك اللهم بالنور احمد فاجر وحرك بالمراد لنا القدر)
وسخر لنا في قصدنا ومرادنا قلوب ذوي التصريف رفقا بحالنا
وسخر لنا يا رب غوث زماننا

(ومره الهي بالقضاء لحاجتنا بلا مهلة كالبرق واللمح للبصر)
وقو الهي ضعفنا قلعلنا تسئل على الاعداء بالنصر نصننا
فانا عجزنا فانف بالعر ذلنا

(1) اللبانات ج لبانة : الحاجة .

(وانا فليبتنا غالب فانتصر لنا ايا غالب الغلاب يا خير من نصر)
واعزز بعز الدين ايام دولة لنا واكفنا فيها اذى كل محنة
وسلط على اعدائنا كل شدة

(وعن بيضة الاسلام فرج بسرعة ونسبتنا واكشف عن الامة الضرر)
واصلح بنا كل البلاد وامرها وسخر لنا هادي البحار وبرها
افض خيرها وادفع الهي شرها

(ادم نضرة الدنيا على وبرها وخيراتنا والعز والنصر واليسر)
وطول لنا باليمن والامن والمنى مدى العمر وانصر بالملائك جيشنا
وهب لي تسخير القلوب بلا عنا

(وخفضا لعيش العمر في منتهى الفنى باحكام رفع القدر لا ادوات جر)
اعذني اله الخلق من محنة الزمن ومن كل ما يخشى من الشر والفتن
واسالك التيسير واليسر والمنن

(واسالك الاسعاد والحظ لي ، وان تديم على السعد والحفظ والفجر)
وتعصمني من شر كل مروع وتكفيني نفسي التي بين اضلعي
وتسلك بي رب اوضح مهيع (2)

(وتثبتني عند النزوع وكن معي وعند مماتي والتوجه للحفر)
وهب لي لدى هول السؤال تثبتا وفي البعث لي نورا مبينا وامنة
فلا ارين الا رضا ومسرة

(ولا ار في قبري مضيقا ووحشة وفي الحشر لا القى وما بعده ضجر)
وترزقني سعدا وامنا مؤبدا ومرا على الصراط كالبرق ان بدا
وتشفع في سيد الخلق احدا

(وتنزلي اعلى الجنان مخلدا واكد حاجاتي الى وجهك النظر)
بجاه رسول جاهه ملجا السورى اذا الهول في يوم القيامة شمرا
عليه صلاة الله بدرا منورا

(وصلى على النور المقدس من سري به ليلة الاسرا الى منتهى السدر)
وزاد فادناه احتياطا لسره الى قاب قوس كي يشيد بذكره

(1) الفجر محركا : الكرم - العطاء - المال الكثير .
(2) المهيع : بفتح هـ : الطريق .

واوعاه سرا لا انكشاف لستره

(وكلمه فردا مشرف قدردنه وما زاع منه اوطقى ثمت البصر)
وشاهده من غير كيف ولا ولا فسبحانه ربا تبارك واعتلى
فصلى عليه والصحاب ومن تلا

(صلاة سمت فضلا على غيرها فلا يحيطه وهم لا ولا السن الفكر)
صلاة رضا تفني مدى كل ما زمن وتبقى بقاء الملك لله ذي المنن
على قدر قدر المصطفى خير مؤتمن

(وسلم تسليما عليه يجمل عن مساومة الاحياء والحد والقدر)
يطيب بها كل الوجود ويفعم سنا نورها الكونين بل يترنم
بها كل ذي روح فصيح واعجم

(سجيى الليالي ما تشوق مفرم وما غردت ورقاء في مورك الشجر (1)

وقد كان شيخنا قرظ هذه القصيدة قبل تخميسها بقوله :

لمن ظبية ترنو بادعج ذي حور وتفتر عن در وتسفر عن قمر
تميس بغصن في كتيب وتنثني بسالفة يضاء لماعة الفرر
اذا برزت برت عقول ذوي النهى وان خطرت فالعاشقون على خطر
مهففة الاعطاف مهضومة الحشا معطلة الا من الثدل والخفر
دعت عينها السكرى الى اللهو والصباه هيهات ان يعصى الجمال اذا امر
فما سحر القلب السليم وسفه الحليب سم كخود الخذر او خرد الفكر (2)
فللشعر ادهى للنهى بسلافة الـ سمعاني من العين الفوانج بالنظر (3)
هو الخمر اسكارا هو السحر رقة هو السيف تائيرا هو الكنز مدخر
وما هاج هذا الشوق الا خريدة عريقة عز في ربيعة او مضر
قريض حوى لطف الحجاز ورقة الـ عراق وعز البدو في نضرة الحضر
وشتة يد الفكر الصحيح وجاءه غمام الدكا فاخضل وازدان وازدهر
ورصعه ذهن الامام مؤمل الـ سلاطين محيي الدين من بعد ما دثر
معين العدا مولى الندا كاشف الردي مجيب الندا مهما اهيب به انتصر

(1) سجيى الليالي : اي ابدا .

(2) الخود : المرأة الحسناء ، والخردج خريدة : المرأة الشابة ايضا .

(3) العين بالكسر : الحسان : الفوانج : اي من يدين الدلال

هو الملجأ الاحمى هو النافع الظمنا هو الملك الاسمى الصدوق اذا ظهر
هو السيف سيف الله ما زال مصلتا على من طفى او من ترندق او كسر
امام الهدى مولاي احمد من عنا لهيبتة ذو السيف والنايب والظفر
لله الخلق الارضى وراثه اصله الـ ككريم فبالعليا نعم واعتجر (1)
لقد خط بالنور المبين بوجهه الـ جميل سطورا واضحات لمن نظر
مضمونها كم ضم هذا الجبين من اسارير سر من نجاح ومن ظفر
فما كان اخرى ان يمثل فيه بالـ سدي قاله قدما مقدم من شعر (2)
(وتعرف فيه من ابيه شمائلـا ومن خاله والعلم والحد ذي الظفر)
(سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا وتائل ذا مهما صحا واذا سكر)
فيا ايها المولى الذي لجلاله تذلل افق الغرب لالشروق في الـ
فيا سيد الاملاك والعلماء ويا اجل امرء واشئ وابليغ من الـ
خدمت بنت الفكر حضرة جددك النبي العظيم قدرد سيد الهدي
عليه صلاة الله والفرءاله واصحابه الشم الدرى الاسد الهدي
وتلك لعمر الله منقبة بها علوت على الاملاء مات ومن هجر
وان رسول الله افضل من رعى او اصر من يرجوه في كل ما وطس
سيجزيك اعلى ما جزى متوسلا اليه ويجرى في ارادتك القدر
فكن مطمئن البال حسبك فالمنى ستاتيك عتفوا دون ريث ولا كدر
فقد جئت بيت القصد من بابه فثق بضادق وعد الله في نصر من نصر
فحاشا جناب الله جل جلاله يخيب رجا داع على بابه انكسر
ولا سيما من جاءه متوسلا بجاه رسول جوده انهل وانهمر
فانك وفيت التوسل حقه وقلدته من حلية النظم بالسدر
وابرزتها عذراء ترفل في حلى مدائح خير الخلق احمد من شكس
واودعتها سر البيان فلو بها ضربت الصفا لانشق وانها لوانفجر
فهثيت ما فقت الملوك به وفتهم من خصال لا تعد فتتحصر
وفاء واقدام وعزم ونائل ه عافي الندا من رائح ومن ابتكر
الست ابن ما العينين اكرم من اتا اتاه امين الوحي جبريل بالسور
اما جدك المختار احمد خير من

(1) اعتجر : لف عليه عمامته من غير ان يدركها من تحت حنكه .

(2) اسرو القيس

عليه الصلاة والسلام الذي ما تفتد سق زهر التروض وانسكب المطر فدوتها مولاي من فكرة ذوت نضارتها من صر حادثة الفيبر تهم بان تشني على نظمك الذي تلفع من وشي البلاغة بالحبر فاعوزها بيض الانوق وصددها عن القصد فرط المي والعجز والحصر فهيئات ان تحكي فآين الثرا من الثريا وكم بين السها ومها البقر فمذرا امير المومنين فانها عصارة فكر جف جاد بما قدر بقيت بقاء الخافقين مظفر الحسام بمن ناواك او خان او مكر ولا زالت الاقدار تاتي لك المنى الى ان يرى من جندك الخزر والتتر عليك سلام الله ما وفدت على رياض الربا وهنا فطابت صبا السحر

ثم وقفت على تخميس ابن العتيق لهذه القصيدة وعلى تقريرها لها على غرار ما فعله سيدي الطاهر . وسأودعها ان شاء الله في كتاب (جوف الفرا) .

هذه اعمال كردوس فقد ذهب ارعا بعد هذا الوقت بقليل فسلم نفسه الى الحكومة فعينته قائدا على بعض هشتوكة . وسكن القائد الناجم في افران تحت يد القائد المدني . وهكذا تفرق غالب من هناك وكان ربما لا يبقى عنده الا اعراب يحرسونه . وكان امغار محمد ابن المقدم رئيس الشرطة . يدور على المسالح ليلا . وهو الذي يسجن من الاعراب في مظمورة من زل زلة ، او طرقة نعاس وقت الحراسة . وعند الهيبة بعض بغال ونحو عشرة افراس الى خمسة عشر ، ويسكن في دار القائد سعيد ، وقد زاد فيها بيوتا ومشورا يسمع فيه الامير التحية السلطانية - التبتدية - في كل مناسبة وفي الاعياد يخرج مولاي احمد في زينته السوداء بين اصحابه . فيحضر سكان القرى المجاورة . فيكون احتفال مشهود . وللقوم همة في الدين والعلم والادب والكرم وحسن الملاقاة خصوصا الهيبة رحمه الله .

وفاة الهيبة وبعض احوال اخرى

لم يكن هذا السيد بكبير السن لانه ولد في مفتتح رمضان 1293 هـ وليس له في سنة 1337 هـ الا 45 سنة ولم يسمع الناس بمرضه حتى سمعوا بموته بعد دفنه بيوم او يومين وقد جاءه اجله في 18 رمضان 1337 هـ عند الظهر يوم الثلاثاء وقد دامت ايام امارته سبع سنين واربعة

اشهر . يحمل فيها رحمه الله ما يحمل بتسحية وسبر جميل . وقد تعجب الناس كثيرا حين اخفى اهله موته . حتى انه صلي عليه سرا من اناس يدخلون الى داخل داره . فدفنوه في بيت كان حينما اصطبلا وكانهم سمعوا بان الملوك يصنع بهم ذلك . يكتفون موتهم فقلدوا بالفعل . وكانهم لا يعرفون ان الحامل على ما تفعله حاشية الملوك بملوكهم انهم يريدون ان لا يظهر ذلك حتى يستتب الامر لمن يخلفهم . خوف ان يطرأ شيء . اما مثل الشيخ الهيبة فليت شعري ما الذي يطرأ لو عرف الناس . واعلم لهم ذلك . فاجتمعوا للصلاة عليه . فيزودنه بالدعاء . وقد سمعت من يقول كان الاولى دفنه ازاء موسم الثلاثاء حيث يقام موسم الذي يقال له (موسم آچليد) ، فيكون شيخ الموسم وقديسه على عادة الناس . فقد اعوز الموسم مشهده يزار . كما كان لكل المواسم ، فحين كان الموسم اسس من اول يوم باسمه . ويضاف له - موسم آچليد - فالاولى ان يدفن ازاءه ليكون ذلك اثبت لذكره . فقلت لهذا القائل . او عجيب عندك ان يبقى موسم بلا مشهده ؟ ثم حكيت له قصة ذات انواط . فاستغفر . ومن عجائب الاقدار ان مدفن الهيبة كانت فوقه غرفة طويلة . صارت بعد الاحتلال مجلسا رسميا يوم فصل الدعاوي لتلك الجهة . فيطلع القباطين من درج ازاء راس الهيبة المسلم المضحي بكل شيء ليتباعد عنهم ثم صاروا يجلسون فوقه . وقبره قد القي عليه غطاء كاغطية المشاهد (ولله الامر من قبل ومن بعد) وقد ذكرت بهذا المناسبة اني رايت مرة ملعب احواش النساء والجان من الشباب عند مدفن الشيخ الوالد . وقد كان في حياته يشدد النكير على ذلك . فقلت في نفسي . بهذا يعرف ان الله وحده هو القاهل المختار . وان التصرف المطلق انما هو لله . فكان ذلك عبرة لي . ملك علي شعوري ما شاء الله . (قال الرفاكي) اثناء روضته عن الهيبة بعد ما ذكر اخاه النعمة . واما موت اخيه السلطان الهيبة ففي ظهر الثلاثاء الذي هو 17-1337 هـ مرض اياما فقضى نحيبه واستراح من الكلف والمحن . بعد ان تلقاها باليدين . وجر معه سوس للحين . فكان تقمة على سوس . حتى حله السوس واصطحبه من اجله كل بوس . ظاهر فيه محسوس . حكمة الله في ارضه . في طوله وفي عرضه . ولو شاء ربك ما فعلوه . وبمشيئته استعمروه . كان سوس قبله فوضى . وكانت قلوب الاجلة منها مرضى . يشتكون ظلم القبائل . ويلتمسون الامن من الولي بالوسائل . فجاءهم الامان المنفص بالهوان . فلم تر الا التسليم . والتفويض لباريء عليهم . لو ذات سوار لطمتني .

إذا ما عدوك يوما سما
فقبل ولا تانفن كفه
إلى حالة لم تطق تقضها
إذا أنت لم تستطع عضها

انتهى ما قال الرفاكي وذلك ما قاله عن يوم وفاته . وقد رأيت الحق امامك . وقد زعم كما يزعم غالب السوسيين ان السبب في احتلال سوس هو الهيبة . ويقولون لولاه ما تعجل اليهم ما تعجل . وهذه قولة لا يصدقها الواقع . فان احتلال سوس امر لا بد منه بعد ما امضيت الحماية . والا فلاية علة معقولة يتأخر سوس عن ارجاء المغرب . على ان جبال ولتيثة قد تأخر حقا احتلالها عن ارجاء المغرب وعن تزيت نفسها باحدى وعشرين سنة . ولم يوخر احتلال ولتيثة الا المقاومة التي كانت تحت راية الهيبة . ولماذا تنكر الحقائق . نعم يزداد على ذلك انها في التخوم التي تفصل ما بين المنطقتين الفرنسية والاسبانية . فهذه هي الحقيقة لا ما يزعم الزاعمون فقد فعل الهيبة ومن معه ما يقدر على . فقد قاوموا جهد مستطاعهم . وأبى الهيبة اباء كليا ان ينقاد الى الاحتلال . بعد ما حاول رجال الاحتلال ذلك بكل حيلة . وقد اطمعوا الهيبة ان يكون خليفة على كل سوس لمولاي يوسف فأبى . واطمعوه في المال والامن والراحة فأبى . وما الحامل له على ذلك الا كراهته للكفر واهله . وهذه سمات هذا البيت سلفا وخلفا . وقد مر ما كتبه عن الحاجب ابن يعيش الذي كان احد الوسائط في ذلك . كما ان هناك محاولات اخرى لم تؤثر في الرجل . مع انه يعيش في ضيق عيش . وفي ضنك وفي غير دار عز . وناهيك بابائه مع هذه الشدائد منقبة .

رثاء الهيبة

انطفأت حياة الهيبة . وكان لابد من ان يؤبنه الادباء الجزوليون فكان شيخنا الافرائي ممن قام بذلك الواجب . ومن هو اولى بالقيام في امثال تلك الميادين بالواجب ؟ قال :

سرور الدنا طيف الم فسلما
وما العيش في الدنيا وان طال حينه
ولا امنها الا غرور فمن ينم
فسيف الرزايا ليس ينو غراره
امن بعد موت الهيبة الملك الرضا
يؤمل حي طيب عيش ويرتجى
وورد المنى مال فلا ينقع الظما
سوى ظل ايك عن قليل تصرما
اليها يكن كالمستقيم لارقما
وسهم المنايا لا يطيش اذا رمى
خلاصة بيت ما اعف واكرما
من الدهر يوما ان يرق ويرحما

امام شري جنات عدن بدبسه
وجاهد عن دين النبي عدوه
وما زال في عين العدو قلدى وفي
الى ان مضى لا وانيا متواكلا
فخلف حزنا لا يزال لهيبه
فو الله لا انساه ما هبت الصبا
فقد كان للدنيا وللدين مالكا
فوا اسفا للحلم والعلم والهدى
ووا اسف الايتام وابن السبيل والا
مضى سيد الاملاك والعلماء والهـ
فمن لدمار المسلمين يحوطه
لقد عم فيه الرزء والحزن والاسى
وحص جناح الصبر عظم مصابه
فلقاه رب العرش روحا ورحمة
وقدس في الرضوان في الخلد روحه
فصبرا بني ابيه صبرا لما جرى
فلا رزء الا دون رزئكم فلا
فانتم بحمد الله افلاك سودد
فلا يعوزنكم من يسد مسده
يدبر امر الملك بالباس والندى
ويصلح من امر الخلافة ما وهى
الى ان يقرء الدين عينا ويفتدى
(هناء محاذك العزاء المقدما
(ثغور ابتسام في ثغور مدامع
يهون وجدي ان اوى الملك منكم
الى ظل ساداتهم ما هم ندى
فقل للعداة الشامتين تيقنوا
فسوف ترون الخيل خيل الهدى على

عن الدين ضربا بالحسام مصمما
بعصيته والجو بالكفر اظلمما
لهاه شجى انكا وفي فيه علقما (1)
ولا ظالما في المال والعرض مسلمما
بكل فؤاد مؤمن متضرما
وما ناحت الورقا وما وابل همي
فما لي لا احكي عليه متمما (2)
وللكرم الجهم الذي فيضه طمما
رامل والشاكي الاذى متظلمما
سداة فخل العين تبك له دما
ومن لدفاع الكفر ان فخر الغما
وانجد في كل البلاد والهمما
وانكى (1) فابكى فقده الارض والسما
كما كان في الدنيا ابر وارحمما
واسكنه اعلى الجنان منعمما
فما فاز الا من الى الله سلما
يكن صبركم الا اجل واعظما
اذا ما توارى النجم اطلعن انجمما
ويحمي حمى الاسلام اصيدا احزما
ويلقى العدا في حومة الحرب ضيقما
ويجبر من رسم الهدى ما تثلما
لقول حبيب منشدا ومرنما (3)
فما عبس المحزون حتى تبسما
شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما
الى كنف سامي الدرى واسع الحمى
وباسا واخلاقا وعزا و متمسى
يوم وغى ينسيكم ما تقدمما
كواهلها العقبان مخضوبة دما

(1) يقال نكا « لا انكا »

(2) في البيت تورية بمالك بن نويرة واخييه متمم الذي بكاه بقصائد

(3) البينان لابن ليانة لا لحبيب ابي تمام . وقد نبه البوزاكاني الشاعر على ذلك .

ويقدمها من آل مامين سيد
 اذا ما امير المؤمنين الرضا مضي
 ففي آله والحمد لله من يضي
 ويجمع امر الدين بعد شتاته
 فروت ترى قبر الامام سحابة الـ
 ومنى على تلك السجيا تحية
 فقد عاش محمودا ومات وذكره الـ
 وقد قام من تاريخه الفال انه
 ففي (حى) شهر الصوم فاز وعامه
 على المصطفى المختار والفرء الله واصحابه صلى الله وسلم

انتهت قصيدة شيخنا المفوه . وقد وفى لصاحبه حياة ومما . وفى
 ذكره موته فى الثامن عشر من رمضان مخالف لما مر عن الرفاكي . ولعل ذلك
 الشهر مما اختلف الناس فى مبدئه ايضا . فترتب على ذلك الخلاف فى تعيين
 يوم الوفاة . ولكن ينبغى ان يعتمد على ما قال شيخنا لحضوره . وكان
 الهبة مع عدم نجاحه كل النجاح محبوبا عند العامة . خصوصا من لا
 يخالطونه من الابعاد . فقد كنت فى قبة (سير الفوث) فى قبيلة مروضه
 فى الحوز عشية يوم . وانا اذ ذاك ءاخذ فى (الساعدات) من قبيلة اولاد ابي
 السباع . فوصل خبر وفاته . فرايت الناس فى حزن عليه شديد . واما من
 كانوا يخالطونه وبعض حاشيته فلم يابهوا لمهلكه . حتى ان ابناء بعقيلة
 ليانون بخرافة يزعمون ان ولد الشيخ سيدي احمد البعقلي الذي استولده
 من الجنية التي اقترن بها فى حياته . هو الذي فتك بالهبة . لانه ينفس
 عليه مكانته . ولانه يزاحمه فى قبيلة بعقيلة التي هي محيط تصرفه (واحمد
 البعقلي شيخ بعقيلة المعتقد توفى 1114 هـ) يقولون ان بعض اصحاب
 المنامات رأى ذلك الولد يوعده الهبة . ومن ناحية اخرى يقال تناجيا
 ان الهبة اكب على اعمال الطلاس . واستخدم الجن . فاصيب من جراء
 ذلك . وانا استبعد هذا عن عقل الرجل ودينه وحصافته . وقد يكون له
 المام بعلم سر الحرف كوالده ولكنه لا يجعله متكئا فى المهمات . والله اعلم .
 وكيفما كان الحال . فقد توفى الرجل فاستراح . وذهب لما قدمت يداه .

رحمه الله . وجزاه من نيته الحسنة خيرا . وقد اعقب رحمه الله اولادا
 صاروا يذكرون الآن ، وهم كبار . فقد سمعت ان منهم ادباء وعلماء . رايت
 بعضهم فأعجبت به علما وادبا وغيره على الدين .

امارة مرييه ربه

لا اعلم عن اوليته شيئا . وكل ما اعرفه عنه ما تقدم اثناء اخبار
 اخيه الهبة . وكان عضده الايمن . والمخلص له الملازم بين كثير من اخوته .
 فهناك النعمة والولي الذي كان خليفة على هشتوكة فى فجر امرهم . وابو
 الانوار وشبيهه (1) وغيرهم ممن يذكرون فى النياحة عن الهبة . ولكن لا
 ينزع احد منهم منزع مرييه ربه . فان له من الحزم والعزم والاقدام ما لو
 تسنى له به الانفراد بالرأي لكان به ما يكون . وقد ذكر انه كان عازما على
 الفتك بقواد مراكش يوم دخلها . لولا اخوه الهبة ثم لم يفتر نشاطه منذ
 رجعوا الى سوس . فقد كان دائما يجري منذ خرجوا من تارودانت فكان
 احد العارفين لهشتوكة بيد القائد الناجم . ثم كان احد من جمجموا بابن
 دحان فى بعض حصارات تزيت . وهو الذي قاد سنة 1332 هـ جحفا لجبا
 من الصحراويين فابدا بهم واعاد فى ازغار . وكنت اذ ذاك فى بونعمان
 فرايته يقدم كبكة من الخيل . ووراءه بغال عليها جوالق . وسمعت بعض
 الرجال يقول ان فيها سلاسل للاسرى . لو تمكن من احد اصحاب ابن
 دحان . ولا ادري اصحيح ذلك ام كذب . وفى قدمته هذه من الصحراء
 خاطبه شيخنا الافراني بقوله :

ايا اندى الورى كفا واكرم لك البشر قدمت اجل مقدم

(وقد تقدمت القصيدة) .

ثم انه بعد ما كان اليأس من ازغار . وثوى الشيخ الهبة فى (كردوس)
 سكن هو فى ايت بعمران . يشرف على جمال له اكتسبها ترعى هناك .
 وكان فينة بعد فينة يختلف الى اخيه . وينوب عنه فى مجامع القبائل
 وفى الجيوش التي تنموج اذ ذاك فى المصادمات مع حيدة . ثم مع الجيش
 الكبير الجنرالي . وفى سوى ذلك ، الى ان فاظت نفس اخيه . فأسرع

(1) وقد ذكرتهم بولادتهم فى (الرحلة الثانية) (خلال جزولة) عند خروجنا من
 ادوز رواية من ابن اختهم سيدي المحفوظ الوجاني

(1) كعب فى الحرب : اذا اعرض عنها .
 (2) (حى) 18 من الشهر . وحروف الشطر الاخير يستخرج منها 1337 هـ

الى التهيؤ للقيام مقامه . وقد وفد اذ ذاك الشيخ النعمة من منزله بايت رخاء . فاجتمع عليهما الناس . فكان هناك من الفقهاء شيخنا الافراني وابو الحسن الالفي . وسيدي الطاهر البعقلي الزكري . وسيدي موسى بن صالح الاغترابوني . وسيدي خالد الترجيني . وابن عمرو . ثم طلع اليهم اخيرا الفقيه سيدي سعيد الاجماري . وحضر ايضا الفقيه الحسن الازاريفي في كثيرين من الرؤسا كالقائد المدني ، والقائد مبارك ، وسيدي علي التازاروا والي والاخ سيدي محمد ، واحمد الايفشاني . وبقوا هناك اسبوعا يتداولون امرهم حتى تم الامر لمربيه ربه . حكى لي من حضر قال اجتمع الناس هناك . وقد مال بعضهم الى الشيخ النعمة لدينه وصلاحه . ولكن مربيه ربه عض على حكمة اللجام . يقول ان اخي النعمة لا يقدر ان يخوض في هذه المخاضات قال فصار الاستاذ الالفي يوالي الرسل الى صهره سيدي سعيد الاجماري . فتأخر اياما . ثم جاء . فحين اطل على كردوس تلقاه الاستاذ الالفي . فمالا معا الى شجرة جلسا مليا في ظلها . فقال له ما هذا التأخر عن الناس ؟ فقد يقينا في انتظارك ما بقينا . ولم نرد ان نبرم امرا دونك . فقال له ان كان هؤلاء السادات سلم بعضهم لبعض . فان الامر سهل . فقال الالفي انهم سلموا لمربيه ربه . فقال حينئذ اقضوا الامر بسرعة واذهبوا الى حال سبيلكم . فقاما فدخلا ثم خرج الحاضرون فاستدار مجمع كبير ذكر بعض من حضروا ما يظهر انهم نحو الف من الناس . فاعلن اسم مربيه ربه . رئيس المجاهدين يوم 25 رمضان 1337 هـ فصار الاستاذ يكتب البيعة بيده . ويستشهد الناس واحدا واحدا . قال الحاكي فدخلت انا وبعض طلبة الى مربيه ربه ليدعوا لنا . فوجدناه قد جلس مع الاستاذ ابي الحسن الالفي . وسيدي محمد ابن الشيخ الدرقاوي الالفي - يعني اخي - فالتفت الينا الاستاذ . وقال هل بايعتم انتم ايضا ؟ فقلنا نعم . فكتب ذلك في قرطاس كبير ، فكدلك تم امر مربيه ربه . فبعد هذا الحين القى شيخنا الشاعر الافراني هذه القصيدة . وقد وجدت انه قالها يوم السبت 6 شوال .

عيون الهدى قرت وفرج كربيه
بيعة مولانا مربيه ربه
وبورك للدنيا وللدن كعبه
وزاد به الاسلام عزاء وحزبه
الى الله في امر الخلافة قلبه
فيا ايها المولى الامام ومن صفا

هنيئا لك العهد الذي هم يمنه
يمينا لقد حق الهنا ودنا المنى
فلا زالت الاقدار تجري بكل ما
ودوتكها منى تقبل راحة
فلا زلت منصور اللواء مظفر الـ
عليك سلام الله ما وخذت السى
وطاب به شرق الوجود وغربه
واشرق من جو السعادة شهبه
تؤمل من يمن وامن تحببه
بها راحة العاني المعنى وطبه
حسام يقدر الكفر والبغي ضربه
رياض المنى خيل الرجاء ونجبه

وقد اعلن يوم اعلان بيعة مربيه ربه ان اسمه الرسمي محمد المصطفى . فخرجت الرسائل بتوقيعها بذلك الاسم الجديد . ونقشه في خاتمه الخاص التي يطبع به على الرسائل التي ترد من عنده . وقد ابقى حالة اخيه من الكتاب والحرس كما كان الحال قبل . فكان محمد بن عبد العزيز . ومحمد بابيه . والعربي الصوابي كتابه . كما كانوا عند اخيه . والملازم هو الاول . والاخران ان حضرا يعينانه . حتى زوجات اخيه قد خلفه على بعضها كالصوابية التي قال فيها زوجها الجديد متغزلا .

صوابية قدت فؤادك فانقدا
صوابية غرني اضافت صابية
صقيلة اوصال اساريرها حكمت
فيجري بها ماء الخفارة كلمما
بقدر وبالخدين خدته فانخدا
بجامع قلبي بالهوى مجمعا فردا
نجوم السما زهرا وزهر الربا تندي
نظرت محياها كساه الحيا بردا

اعمال الامير الجديد وخلقه

كان في الهيبة من الكرم والعفة مما في الايدي وعن التناجي في الاضرار صفات عرفد بها . فان كان الناس يواخلونه بعدم قيامه بما تصدر له حق القيام ويرمونهم بالعجز والجبن . فانه على كل حال بذل جهده على قدر المستطاع . واما خلفه مربيه ربه . فانه يوسم بالرجولة والحنكة والاقدام . الا ان الناس يقولون خلفه ما يقولون من انه كان مثقادا للقائد المدني فقد وجد منه ما اراد . فكان يقضي به كل ما اراد . وقد تداول معه حين ترقيه مرات على مد السيطرة الحقيقية على القبائل . فاستحشد لذلك المدني مرارا . لكنه يلقي ما يكبحه من القبائل : فهذه من صفات الرجل الذي يذكره بها الاعراب انفسهم قبل غيرهم ، فكانوا دائما يتشكون من انه لا يفتح لهم باب ما عنده ، ولا يجود عليهم بما كان يجود به سابقه . وقد قال بعضهم

انه كان جمع من هشتوكة سنة 1332 هـ زبدة كثيرة . فتركها في الاواني حتى فسدت . على حين ان اصحابه يتناولون الطعام القفار . وكذلك يصفه طلبة جيرانه . فقد كان الهيبة يكرمهم خصوصا في ليالي مشهورة في السنة فجاء بضد ذلك هذا الحازم العازم الذي يحب ان لا يضع الاشياء الا في مستحقاتها، هذا خلق الامير الجديد فيما يقوله الناس ، ولا نعرفه نحن ، ولا نتحمل تايد ذلك ولا تكذيبه . وعلى ذلك امضى 15 سنة . وقد احدث في ايامه سنة تمشى عليها . وهي دورة سنوية تؤدي فيها كل اسرة ربالا حسنيا مفرما واجبا . ولرؤساء القبائل من ذلك حظ . فيلزون الناس حتى يؤدوا ذلك مع الضيافات والهدايا فيجمع الالف في كل دورة . ولم يسلم من ذلك الا الوليتيون لا غير . فخالف بذلك سنة سابقه الذي يلزم كردوس . فيصله الناس بما تيسر . ثم يصلهم منه ايضا ما تيسر . واما هذا فلا يعرف الاهات . وليس في قاموسه مادة خد . الا ما ندر جدا . والنادر لا حكم له . ثم زج نفسه في خلاف القبائل بعضها لبعض . بتأثير القائد المدني . حتى قاطعه بعض مجاط حين احسوا بانه ينقاد للمدني الذي لا قصد له الا ان يمد اليهم يده . ويستولي عليهم كالاحصاء ، كما فعل بافران من تفريمهم ثلاثين الف ريال . ثم مناداته ان مفصل دعاويهم هو بوزاكارن . فقام المجاطيون وقعدوا حتى زعزعوا المدني وردوه وراءه . وانتشلوا من تحت يده غالب افران . ولم يبق الا تيمولاي وحدها . واما الوليتيون الذين لا يدخلون كردوس في امورهم . فانه لا يطمع ان يتداخل فيها . ولا يصله منهم الا طلبتهم وفقهاؤهم . وليس في يد هؤلاء من الامر شيء . وقد كان لكردوس في ايام مريه ربه شان لشيعه المدني ، فكان موضع الابرامات فائز ذلك في هيبة مريه ربه ، حتى سمعت ان البعمرانيين غرموه يوما الف ريال لكونه اتصل ببعض الاجانب . وقد كان الناس نادوا ان كل من اتصل باجنبي يعطي ذلك القدر . وقد وقفت على رسالة مكتوبة هنالك الى الاستاذ الالف بقلم شيخنا الافراني تعلم منها بعض ما ذكرناه . نصها :

تقبل الاعتاب . بعد السلام المستطاب . بحضرة شيخنا العالم العلم بدر الهواية ومصباح الظلم . سيدي ابي الحسن الالف من معلمي قدره . ومستمدي سره . درة القلادة . وحلف السيادة . سيدي البشير بن المدني . والقائد المحفوظ المجدود . المغاض عليه من حضرة الكرم والجود . سحاب العطاء غير المجدود . السيد الاسعد . المدني بن احمد . والدرة النفيسة . ذي المجالسة الانيسة . سيدي ماء العينين . كاتب المدني . والعبد المقصر

المضطرب المفتقر . الطاهر حفظ الله الجميع بمنه هذا وبعد استدعاء الدعاء . فقد وصلت رسالتكم الكريمة . مقبولة العذر مع فرط اشواقنا الى طلعتكم المباركة . وما صرفنا من استدعائكم للملاقة بالحضرة الامامية . الا ما علمنا من شغلكم بذلك الكلب العاوي . والنذل الفاوي . ابو الطعام ومن لف لفه من بهائم الانعام . فالحمد لله الذي عرفهم قدرهم . واضل امرهم . فقد فرحنا فرحا زائدا . وليس ما صدر منهم من امثالهم ببدع في وقتنا هذا والعياذ بالله .

فلا تعجبوا ممن عوى خلف ذي علا لكل علي في الحياة معاوية وقد منعنا سيدنا نصره الله من الذهاب بعد ثلاث . فعزمتنا يوم الاربعاء . ثم من الله بالفيث . فكان عدرا حابسا ايضا والحمد لله على كل حال . وقد فرح سيدنا غاية بمقدم القائد . وفرح القائد بفرحه . ولعل سيدنا على نيسة الخروج لتتبرك به البلاد والعباد . وقد عزم على استحضاركم للمذاكرة متى امكن . والاحوال والحمد لله بخير والسلام . 9 جمادى الثانية عام 1342 هـ

ارایت في هذه الرسالة كيف يسبب ابو الطعام . والمقصود به انسان من المرابطين السعديين كان يشاد الاستاذ الالف ماشاء الله . وعلى هذا فليقس والمقصود ان القلوب من العامة التي اجتمعت في عهد الهيبة تتفرق الآن . فتعبت بالسلم . وقد حدث 1344 هـ مشادة في جهة ادا وكنسوس في قضية عابد الزكري . فكان الرؤساء الزكريون يعتمدون على هذه الجهة . وقد كان محمد بن ابراهيم التيبيوتي احتل هناك كثيرا من القبائل حتى كان الحد الذي يحده قبيلة ادا وزكري . فكان مريه ربه يذهب مع القبائل الى تلك الجهة . تكرر ذلك منه . وءاخرها نحو سنة 1345 هـ حين هرب حمو بن بلقاسم الكنسوسي الى هذه الجهة . فاراد ان يناوي رب نعمته التيبيوتي بدسائس الحاج حماد بن حيدة . فضمن الالف للقائد المدني ومن لف لفه . وقد كان الزكريون اذ ذاك لم يصف الجو بينهم وبين الكنسوسي هذا . فاراد ان يخرب ديارهم . وهي الواقعة المذكورة في ترجمة الاخ احمد وفي ترجمة القائد الناجم ايضا وهناك رسالة في ترجمة سيدي المحفوظ الايفشاني تذكر اعداد الناس . فذهب مريه ربه . ولكنه اصطدم وصلابة الزكريين . فرجع مفلولا فكان ذلك سبب ان التحق الزكريون بالشق الاخر ، وهم مظلومون .

ادبيات المربية ربه وامداح فيه

اثر رجوعه في هذه السفارة قال الاديب الحسن الجوسالي السملالي
يخاطبه مهنتا .

هب وهنا نسيم نجد فشبها
وبدا بارق اباد اصطبغاري
كل من شم عرف نجد وشام الـ
عد على كل ذا وجل في تهاني
ملك خصه بنصر وعز
فهنيئا خير الانام بعز
حطت دين الهدى بسيف اعزاز
يا امين الاله يا خير ملك
قد اتاك يسوقه الشوق صب
وعلى مجدك المنها سلام

نار وجدي وقطر دمعي صبا
ودعا للهوى قوادي قلبى
جرق منه ولم يهم ليس صبا
ملك ربه سوى الناس ربي
مالك الملك من حباه الفلبنى
نلت منه نصرا واجرا وقربى
فل جند الضلال حزبا فحزبا
مالك للقلوب رعبا وحبا
حسبه ان يرى محياك رغبى
يزدري عرفه الكيا حين هبا

يرى القارىء من هذه التهنئة ان الحقائق في جهة ، واقوال شعرائنا في
جهة ، والامر بكل اسف كذلك . لان الشعر العربي بعد ما فسد ، وصار
تقليديا ومحاكاة . لا يقصد القائل الا ان يجيد في شعره كما ينبغي ان يكون .
لا ان يجعل شعره مرآة للحقائق . وحين كان مقصودنا نحن ان نشيد بانار
المستعربين من آلنا كنا نسوق ذلك كيفما كان . فنيثنا واقية بذلك كيفما
كانت الحالة . صادقا كان الشاعر او كاذبا . وقال فيه شيخنا الافراني :

انخها فقد طابت وطاب مسيرها
حمى زانه المولى الامام محمد
امام اجار الله مله جده
وقام باعباء الخلافة حافظا
فاصبح فردا في السيادة واحدا
خلافته امن وراحته غنى
حمى الملك بالراي الاسد وبالظبا
وحاط بنصر الله اركان امة
لذلك جازاه الاله بان رعى

بحضرة مجد لم يخب من يزورها
كما زان افلاك السماء منيرها
بهمته اذ لم يكن من يجيرها
ذمام المعالي حين عز نصيرها
جلالته ما في الملوك نظيرها
وغرته شمس توقد نورها
كذا الاسد يحمي خيسهن زئيرها
تداركها لولاه ثل سريرها
خلافته لم لا و (يرمى) وزيرها

فيا ملكا ذلت لعزته العدا
هنيئا لك العلياء ولتهدا الدنيا
فلا زالت الاقدار تدني لك المنى
ودونكها بكر جلتها قريحة
تفوت مدى اهل البلاغة لوجرى
ارادت وفاء المدح فيك فعاقها
فلق امير المؤمنين قدومها
عليك سلام يزدري نفح طيبه

وعزت به العليا ولم سرورها
بانك يا مولى الملوك اميرها
وياتيك ركضا بالتهاني بشيرها
بمدحك ما زالت ، يجيش ضميرها
لها لتكنا همائمها وجريرها
قصور وعي فالحياء عذيرها
قبولا واغضاء فدان مهورها
رياضا ذكا غب السماء عيرها

وقال فيه ايضا في احدى جولاته السنوية في جمادى الثانية 1339 هـ .

الم بنا اهلا بمقدمه اهلا
فجدد من رسم الصباة ما عفا
زمان مضى ما نقص الهجر طيبه
رجيران صدق حال دونهم النوى
فويل النوى كم ذا شكنه ذوو الهوى
رواها لقلبي ما ثناه عن الصبا
اما في بني الدهر الخئون عن الهوى
اما في امير المؤمنين محمد
هو الملك المولى المربية ربه
امام نشا في مطلب المجد مد نشا
تولى قولى البوس وانبعث الرجا
وايقن دين الله ان سيحله
وان سيديق الكافرين ملمة
وتنظم شمل المغربين عناية
الى ان يعود الدين غضا ويفتدى
وما ذا الذي يثني عزيمته الم
اولئك اقمار الهدى وصوارم الـ
هم ما هم عزم تاللق نوره
وان امير المؤمنين لحائز
لطافة اخلاق كروض تفتحت

خيال سرى في ظلمة الليل من ليلي
واذكرنا عهدا بسفح اللوى ولى
ولا رنق الواشون مشربه الاحلى
فلا ذكرهم يسلى ولا عهدهم يقلى
وويح التصابي ما امر وما احلى
مشيب ولم يسمع للاحي النهى عدلا
لدى اللب ما يلبيه ان يتقي الشفلا
عزائم يديرها العدا لم تكن هزلا
بالطافه اكرم به ملكا مولى
فما اعتام الا الجد طفلا ولا كهلا
وحالف نصر الله من سيفه النصلا
بهمته القعاء مما به حلا
تبيحهم اسرا وتفنيهم قتلا
له توسع الدنيا وسكانها عدلا
بصارمه الفتاك كعب الهدى اعلى
يكن لبني ما مين اسد الوغى شبلا
ردى وسحاب للندى هطلت هطلا
ونخوة نفس حرة لا ترى الدلا
بعزمة صدق من مدى مجدهم خطلا
ازاهيره اذ جاده الفيث فاخضلا

وباس تذيب الصم شدة حره
الا ايها المولى المؤيد لا يزل
لقد زانت الايام دولتك التسي
فلح في سماء الملك بدرا بنوره
وقدها الى ارض العدو كتائبها
ولب نداء الدين بالسيف تجتني
وابشر بنصر يملا الكون فتحه
فحولك من اهل البصائر امه
اذا سمعوا صوت الثوب داعيا
وزندك لم يصلد ورايك لم يقل
وخوفك قد اصمى عدالك ولم يدع
اليك امير المؤمنين زففتها
فدونها بكرا جلته قريحه
انتك ولكن من حياء تقنعت
بقيت لهذا الملك تحمي جنابه

وقال فيه ايضا في صفر 1341 هـ . يستنهض همته .

مولاي ابشر فالتى تبسم
فاحث ركابك اينما احبته
هذي جنود الله وافت بالرضا
من كل ليث لا تفل شبابه
ندب اذا دعيت تزال رايته
فاضرب بهم نحر العدا تجن المنى
وارشف رضاب القر من ثغر الوغى
فالرب منك سرى مسير الروح في
والكل معترفون انك اهلها
فانصر امين الله دين الله ولي
واغلظ على اهل الضلال منكلا
فلانت اولى من شقادين الهدي
او لست من مامين ان سلوا الندا

وبسطة كف فيضها يفرق المحلا
عليك سحاب النصر والسعد منهلا
غدا مدحها بين الورى سورة تتلى
يجدد من رسم الهداية ما اختلا
ترى الموت حلوا في العلا والعنا سهلا
جنا النصر ان السيف اصدق ان سلا
كما تشتهي فالحق يعلو ولا يعلى
ترى الحرب ناراً ثم تقصدها تصلى
ايا تبني الوغى هيا الجموا الخيلا
وعزمك لم ينكص وسيفك ما فلا
لابطالهم فكرا يجول ولا عقلا
فلم ترض الا قدرك المعلى بعلا
ذوى فكرها المخضل من قبل واعتلا
بمدحك والاغضاء سيرتك المثلى
بمزم ويحمي عزمك الملك الاعلى

والفتح هذي ريحه تنسم
فالنصر يقدم والسعادة تخدم
والطوع نحوك ترضي ما تحكم
في الحرب ينكص عن لقاء الضيفم
يهوى كما ينقض نسر قشعم
عفوا وتفتح ما تشاء وتفنم
بالسيف ان السيف في الهيجا فم
اجوافهم وجري كما يجري الدم
حقا ولكن من شقاوتهم عموا
تعرض عداه على الظبا او يسلموا
بدوي النفاق وان الحـ اللوم
ولانت اسل من يصول واكرم
سألوا وان شبوا الوغى فهم هم

واسلم امير المؤمنين لامه
واليكها هدراء الجمها الحيا
فالمدح في عليك اولى مابه
القت ازمها اليك وسلموا
لكن بشير ثناك لا تنعشم
يعنى فيبتدىء الكلام ويختم

وقال فيه آخر . ممن لا اعرف اسمه . وهو اما ابو زيد الحامدي واما
محمد بن الحاج الافراني :

محيالك ام شمس الضحى تهلل
وتغرك ام عقد الكواكب في الدجا
وقدك عند الانعطاف ام القنبا
توفر منك الحسن اجمع كاملا
وقد كنت ممن يعدلون اخا هوى
ملكك فؤادي قبل معرفة الطبسا
تعرضت جلدا رافع الراس ثم لم
فابت ذليلا مطرق الراس والهوى
على ان ذوق العشيق احلى من الطلا
يرى في الهوى والذل افضل ما يرى
كلا ذينك الشرين ذقت ولم اجد
فله ما احلى الصباة والحشا
فؤادي واضلاعي وجسمي جميعه
طلوا ما رضيت واهجروا مارضيت
فلست لنفسي انني لكم ومن
الا في سبيل الحب نفس مذابة
وهبت لهايك الطباء مقادسي
كما وهب المولى مربيه ربه
راى اهل هذا الصقع قد بخلوا بما
فهذا حسامي واليمين ومتلدى

وخذك ام ورد الربا متبلبل
ام الشعر من تلك الغدائر يرسل
تأطر ما بين الوغى حين يعمل (1)
فينفد صبري في الهيام ويكمل
فاصبحت يومى من ارامك اهدل
اذ اعترضت في حياها تامل
ار السرب حتى خالت الجسم ارجل
اذا خالط الشجعان حقا تامل
اذا ما يغفل الصب منه وينهل (2)
خلى بخيل الكف اذ يتمول
كذوق هوى غيدا ترهو وتشكل (3)
بجذوتها يوم النوى يتاكل
وعمرى لكم يا اهل ودي فاقبلوا
فما قد رضيت لي لدى المؤمل
يهب نفسه يسكت فما بعد يسأل
وجسم بالوان النخافة يشمل
فكان عليها لا على الممول
لسوس قواه كلها وهي حفل
لديهم فنادى انني لست ابخل
وكل طريفي والجواد المجل (4)

- (1) ناظر الرمح : تشفى
- (2) الطلا بالكسر : الخمر .
- (3) تفنن : تفنن .
- (4) جائل الدابة : اذ البها الجمل بالفتح وهو مائليه الدابة لتعان به .

هبات لكم يا مال سوس الا اصنعوا
 فاسمع لو يلقى صماخا وواعيا
 ولكنه يلقى اناسا رعادا
 وديدهم اكل الضعاف ونهبهم
 رؤوسهم ينسون حق ضعافهم
 الا يا امير المؤمنين ومن لـه
 جزيت بما قد كنت تفعله لـنا
 فعزمك فرد ليس عزم شبيهه
 فعذرا لمن ابصرتهم فجميعهم
 فلا تفتقر منهم بمن كان قائدا
 فليس سوى خب جزوع مسلط
 ولكن اذا حر الوطيس فتعلب
 ولا تفتقر ايضا بمن كان عالما
 فما كان الا صنو من كان قائدا
 فانهما رب الحبال تفتل
 ولكن سيدي سيدرك من لـه
 بصيرته مرأة هند (2) تربه ما
 وما انت يا قطب الملوك بفافل
 يحوم حواليك الرجال كما ترى
 وانت لكل عارف ثابت لهم
 تضيخ لذا او ذا وقل من الرجـ
 فحبك بل حسب الوري ان يرى لهم
 فما دمت فينا دام عز ومنعة
 عليك سلام الله يا معلن الهدى

كان لمريه ربه او مولاي محمد المصطفى كما كان اسمه الرسمي شاعرا
 مجيدا . يقول فيحسن ككل ءاله . ولذلك شعراؤنا يقرأون الف حساب

لاذواقه . فيجتهده من يقول منهم ان يجيد وسعه . فلندكر بعض اقوال مريه
 ربه لنرى كيف منزهه فيما يقول .

قال متغزلا على النمط القديم :

وصل التي عن هواها القلب مرتدع
 وهل من السهل ممنوع فيا عجبا
 سهل على انه صعب وممتنع
 ما كنت احسب ان السهل يمتنع
 وقال ايضا في ذلك .

سرى الظلم في ثغر الحبيبة والاشر
 وان مياه الحسن في وجناتها
 ودب الحيا في مستند طباعها
 وقال في الجنب النبوي :

بشرى لدهر كان من حسناته
 تمحو ليالي هجره حسناته
 حذر خلى القلب بادره الهوى
 خدن الصبا لا يبوح بسره
 كم عبرت عبراته عما جرى
 فيرى الوفا في الحب حتما لازما
 لله حي تنقضي الاجال من
 عهدي به دهر الصبا اوقاته
 فكانها حور بعين الدراهم
 كم صادت الاساد منه مهاته
 فهناك ظبي يجتني ثمر الحشا
 لفتاته تصنى الحشا نفثاته
 امضى تغنجه ذبول جفونه
 اني اغار على النسيم صبابية
 دع ما مضى ان كنت ذاكره فلا
 شنف سامعنا ورو قلوبنا
 الله يعلم انه لمفضل

(1) كذا

(1) الرميدة

(2) مرأة الهند يقصد بها السوسيون المنظار المقرب

اسماؤه وصفاته مشتقة
وسع العوالم حلمه الا لدى
البحر يقصر عن تدفقه وفي
فتناخت الامطار دون نواله
من اين للامطار في ثوكافيه
هماته بالدهر كيف قيامها
والنصر من ادواته والباس من
والشمس من بهجاته ، والجو من
لم يلف الا قائما او واهبا
في ليلة الاسراء ما من مرتقى
آياته الكبرى تضاءلت النهى
عالي الجناب ربيعه وخصيبه
ملا العوالم رهبة ومحبة
في بدر بدر النصر نال كماله
سل بعده احدا فكم من باسل
والاسد تزار والمعارك افعمت
حيث النبي ومن تثبت حوله
فبنو قريظة والنضير كلاهما
والشرك في الاحزاب جدع انفه
وبخير انهدت دعائم ركنه
والصلح جزء بخيله ورماته
فغدا اسمه فتح الفتوح وكيف لا
ساخت قوائمه وقطع راسه
واذكر حيننا يوم قال انا النبي
يوما يظل به الحسام محمدا
يسطو ويعطي سطوة وعطية
يولي المنايا والمنى لعدوه
لم يدرك اكثر جوده ام باسه
فحروبه موصولة بحروبه
لو بالغ البلقاء في امداحه
لله در صحابه كل غدا

في الله من اسمائه وصفاته
حد الاله فلم يكن عاداته
يوم الوطيس يحار من وثباته
وانهدت الاجبال دون ثباته
تحكيه والامطار من قطراته
عجبا لها والدهر من خطواته
سطواته والخير من عطفاته
درجاته ، والارض من جفئاته
فالدهر بين صلاته وصلاته
فوق السماوات العلا لم يات
عن ذكرها والذكر من آياته
جمعت يداه المجد بعد شتاته
والبطشة الكبرى افتتاح غزاته
جبريل من اعوانه وحماته
زفته حور العين بين لداته
من فوق ذروته الى جنباته
لم يعد ما الفوه من وطئاته
حلت به الهلكاء من فتكاته
وتهشمت بالسيف هام بفاته
وتدكدكت احصائه بدعائه
كم زادنا من خيله ورماته
وفتوح بيت الله من حسناته
في الفتوح وانحصت رياش بزاته
وتترست اسد النزال بذاته
وصليبه يحكي زئير كماته
فاضت بنائلها عرى عزماته
وصديقه حرصا على حرماته
فاسم الصلات اشتق من صلواته
وهباته موصولة بهياته
تالله ما بلغوا اقل صفاته
يسمو الى مرضاته بسماته

شرافوا به شهدوا المشاهد كلها
البائعون نفوسهم يوم الوطيس
من كل ثوب بالحديد مدجج
في غمرة الهيجاء منيته وفي
ما منهم الا جواد جوده
لا يبتغون سوى الشهادة مذهبها
يا خاتم الرسل الذي في ظهره
هذا عبيد يبتغي ما يبتغي
صلى عليك الله جل جلاله

وقال بعد ان بايعه الناس يحذرهم (في بحر الرجز)

الحمد لله الذي الاسلام
والكفر لا يرضاه للعباد
فالحمد لله بلا تناهي
وللمهاجرين والانصار
هم الذين جاهدوا في الله
وبعد فالمقصود يامن اسلموا
احكامهم جور وظلم عدلهم
اموالهم سم لدينكم وقياس
اسلافهم قبل لطفه غادرون
برئت الذمة ممن معهم
وكل نفس بهواها تحشر
لا تتراءى نارهم وتارنا
وقد نهينا عن مصاحبتهم
وعن ودادهم نعم لو كانوا
ويل لمن يتخذ الاعداء
فالله مولانا ولا مولى لهم
لله والرسول ثم المؤمنين
اعوذ بالله المعيد منهم
قال الرسول لا تزال طائفة
بجاهه صلاتنا عليه

فبهاؤهم كالشعر حول لثامه
وحياتهم لله دون حياتهم
صمصامة كالليث في غاباته
لجج النية منتهى لداته
في الناس مثل الفيث في سحاته
ان الشهيد حياته بمماته
ختم يحار العقل في ختماته
كرما له لبك من ميقاته
ما نعم الشهداء في جناته

دينا لنا رضىه السلام
ولا الموالة الى الامم
ثم الصلاة لرسول الله
هم الاشداء على الكفار
حق جهاده مع الاواه
اياكم والكافرين تسلموا
ودينهم كفر وبيس عدلهم
سيمة بلادكم عسى الله يقي
في عهدهم كيف لكم لا يفقدون
في دورهم اقام او جامعهم
من هوى الكفار معهم يحشر
اخفر جارهم وعز جارنا
وعن كناههم ومصافحتهم
ءاباء او ابناء حيث كانوا
من دون رب العرش اولياء
شان بين مالنا ومالهم
معاقد العزة لا للكافرين
ومن اليهم ولهم وعنهم
جعلنا الاله تلك الطائفة
ربي وبلغها رضا اليه

كانت طائفة ممن مع مربيه ربه تحكم بكفر كل من بقي تحت اذبال
الاجانب . وكانوا مدجنين (1) . ولا يعذرون احدا . وممن كان معهم في ذلك
بعض الصوفية كمولاي احمد الوادوني الذي كان ينهى اصحابه حتى عن
الاسفار الى تلك الجهة . والمعاملة بدراهمها . حتى ان بعض اصحابه الجيء
مرة لو رود ازغار . فاعاد الصلوات التي صلاها هناك . وهو اليوم لا يزال
حيا ، وليت شعري ما يصنع اليوم . وقد عم الطوفان حتى الجودي . وقد
وقفت على كتابة في الموضوع كتبها الاستاذ المؤرخ الفقيه الرفاعي الى الاديب
سيدي البشير الناصري . كسؤال في المدجنين الذين لم يجدوا الا ان يبقوا في
منازلهم . ثم الم الكاتب نفسه برأيه في الموضوع . (وتجد الكل في المجموعة
الفقهية لانه فقه محض) وختم ذلك بقطعة نونية نصها كما هي .

لناصرى اليفرنى مسكنا	اهدى السلام ورحمة الرحمان
هذي هديت نصوص كتب تجتنبى	فتاملنها سيد الاقران
كفرتم اهل الفحوص وغيرهم	وحصرتم الايمان فى العميان
فحذار لا تنسب اخاك وان عصى	للكفر تحفظ بصفقة الخسران
فالكفر لا يرضى به غمر السورى	اخرى الذي فى العلم ذو عرفان
واعذر اخاك وان هفا او ان هذى	واخال عدك ذا من الهديان
واقرا السلام لخلنا الحب الذي	فر العلوم وبلد فى الميدان
الظاهر الا دناس من هو فائق	فى الفضل ذا العرفان والتيجان

آخر رمضان المعظم 1349 هـ .

ثم اجاب شيخنا ابو محمد الاقراني عن الاديب الناصري . وحين كان
جوابه ادبيا لا بأس بسوقه هنا . ونص ذلك برمته :

(ربنا عاتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من امرنا رشدا . ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب . ربنا انك
جامع الناس ليوم لا ريب فيه . ان الله لا يخلف الميعاد . ربنا عليك توكلنا
واليك انبنا واليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا
انك انت العزيز الحكيم . على الله توكلنا . ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وانت خير الفاتحين .

(1) المدجنون عند اهل الاندلس هم المسلمون الساكنون تحت يد النصارى .

حيا الله ويا . ورنح بالنسيم العليل الريا . ونضر بالنعيم المشرق
الحيا . حضرة الفقيه البركة . الميمون السكون والحركة . المتلقى بالقبول
منا كل ما فعله وتركه . بعد ان اعلن التحقيق . المؤيد بالتوفيق . التحقيق
بالصدق والتصديق .

علامة العلماء واللج الذي لا ينقضي ولكل لج ساحل

محل ودنا الحافظ للعهود والاواصر ، التي بين سلفه الكريم وسلفنا بني ناصر .
ذي المناقب المزرية بالدراري . عالم العصر سيدي محمد بن احمد الاجراري .
حفظ الله كماله . واتحج في الصالحات ااماله . وسلام عليه ارق من طبعه
واغزر من فيض علمه ونبعه . ورحمة الله وبركاته عن بركة سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم . هذا وقد ورد علينا ورود الماء على الظما .
والنور على الظلماء . كتابك المعسول . القادم بكل سول . فحيا واحيا .
وكسا اثنا وريا . فحمدنا خطورنا ببالك . وان رميتنا بنبالك .

لئن ساءني ان ثلثني بمساءة فقد سرني اني خطرت ببالك
فوهبت اساءته لاحسانه . وغفرت منيته لامانه . وقلت كما قال كثير
عزة . اذ غلبه الوجد وبزه .

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلست
يكلفها الخنزير شتمى وما بها هواني ولكن للمليك استدلت

فان الذي بيننا من العهد الحديث والقديم — يقول ينست المدامة ونعم
النديم ، فقد جمعتنا رحم الحب والادب . وهي احق بالرعي من لحمة النسب

ان نفترق نسا يؤلف بيننا ادب اقمناه مقام الوالد

ففقر الله لك يا اخي ما عرضت به فيه من قولك اآخر الرسالة .
فلتحذر ان تكفر من يقول لا اله الا الله . وصرحت به في نظمك بقولك .

كفرتم اهل الفحوص وغيرهم وحصرتم الايمان فى العميان

حيث قولتنا ما لم تتحقق منا قوله . وحملتنا بالظن والتخمين ما لم
نطق حمله . فاجريت سؤالك مجرى التقرير . واغرفته في قالب التهديد
والترويع . وما ظننا قط اننا قطعنا في تكفير ساكن فحصى او جبل .

بتحقيق او جدل . بينت لسان او شفة . ولا ارفع قلمنا بكتبه الفه .
وانما ظننت ظنا والظن اكذب الحديث . او صدقت فاسقا تعود التضمن
بالاعراض شيمة كل خبيث . وقد علمت ان الله عصم من المومن دمه وماله
وعرضه . وان يظن به ظن سوء . كيف نجترى على القول بما لا نعلم .
وقد علمنا ان السلامة اسلم . او مالنا وذلك الخوض في تلك المهالك .
والظلم الحوالك .

لنفسى ابكى لست ابكى لغيرها لنفسى لي شغل عن الناس شاغل

(فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها) (ومن شكر فانما يشكر لنفسه
ومن كفر فان ربي غني كريم) كيف وقد علمت اننا لم نكن من ابطال ذلك
المجال . ولا ممن يدعي اليه بيا للرجال . وهل للجاهل مثلي ان يقتحم في
مأرق الالتحام . او يستن مع الفصال فيقطره الزحام (1) . وقد علمت
قدرى ، فلزمت وكري . وارحت من البحث فكري . ودرجت مما ليس
بعشي . وغضضت طرفي عما يعشي . فنحن سلمنا العلم لاهله . وعلمنا
عجزنا عن مسالك حزنه وسهله . كيف وقد فرغ من المسألة من قبلنا
وتكلم فيها الائمة بما يكفي في الاقتداء مثلنا . وقال كل ما اداه اليه اجتهاده .
وجرى بكتبه مداده . ودون كل مذهبه . وحرر ما كتبه .

من اراد انتقادها فهي هاذي عرضة البحث فليكن جد باحث

غير ان ما قد بحث به من المعيار . اخشى ان يكون من سوء الادب
والعار . فان مؤلفه العلامة الماهر الجامع بين الباطن والظاهر . سيدي
احمد بن يحيى الوئشريسي هو قطب الفتاوي . وركنها الذي اليه تاوي .
ولم يبلقنا ان احدا ممن بعده من الائمة قدح فيه بقادح . بل كلهم له مادح .
وهبك لم تسلم قوله في المسألة خصوصا لما قام عندك من صحتها ما يخالفه .
فما كل مجتهد مصيب . وكل قول فيه مقبول ومردود . الا قول المعصوم
صلى الله عليه وسلم . فهلا امتثلت قول الامام الطيب . بليغ المضرب
الوزير موسى الخطيب .

فسامح اذا ما لم تفدك عبارة وان اشكلت يوما فخذها كما هيا

(1) من الامثال استنتت الفصال حتى القترعاء . اي جرت اولاد الاييل حتى التي اصابتها
القرع . وقطره : القاه . قال الشاعر (تنكب لا يقطره الزحام)

وما ذكرت من شيخ الجماعة علامة القطر المغربي سيدي العربي
الادوزي . فلا يليق ان ينسب لورعه ومنصبه . وكمال عقله وادبه . فلعل
الناقل عنه لم يتثبت - والله يغفر له . واما ما ذكرت من تأليف اخينا في الله
عالم الشرفاء . وشريف العلماء . سيدي احمد البلغيشي . فقد طالعهنا من
اوله الى آخره . وذكر لنا في المسألة مذاهب الائمة الاربعة . وحرر الكلام
بما ينبغي عن غيره . وهو هنا قريب غير بعيد . وحسبنا الله ونعم الوكيل .
هذا وقد تكلف الفكر شبه ابيات جريا على غرضك . فدونها ان كنت تأخذ
عن ذر النحور حصي .

حمال عبء العلم والعرفان	مني على الخل الرفيع الشان
بلد الورى بالسبق في التبان	نجل الكرام محمد الاچار من
غب الحيا فثنت غصون البان	ازكى سلام الله ما هبت صبا
زالت بطلعتها دجا الاهران	هذا وقد وافت رسالتك التي
انا تكفر ظاهرا بهتان	لكن ما نسبت لنا من قولها
بالخوض فيما لم يكن من شاني	فالله يعلم انني لا اعتنسي
متشيطنا في صورة الانسان	فاحذر اخي تصديق ذي سفه غدا
من قبلنا بسواطع البرهان	اما الجواب فقد كفانا امره
بالروح والريحان والرضوان	فجزاهم الرحمان في جناته
سيم سريرة البصراء والعميان	والله يحكم وحده وهو العلم
يطفا ، وحصن الصدق حصن امان	والحق لا يخفى ونور الله لا
سفينا اذى كيد العدو الثاني	والله يهدينا ويحمينا ويكـ
قصمت صوارمه ذوي العدوان	بالمصطفى صلى عليه الله ما
ي المحتمى بحماية الرحمان	واعذر محبكم البشير الناصر
الظاهر بن محمد الافراني	ويسلم الخل السليم وداده

انتهى الجواب النفيس الذي يعلم القاري منه ان المسألة اذ ذاك كان لها
تأثير عند المفتين من الفقهاء في هذه الجهة . وهم بين متشدد في ذلك وبين
متساهل . ولعل صاحب الجواب من المتساهلين . وقد جرتنا جبل الرجز
الذي قاله مربي ربه حتى استطرد ذكر هذه المسألة ولكنه استطرد محمود
العاية .

كانت اخلاقه مدعمة بما تقدم ذكره من اعماله السالفة ، وقد كان انشط من الهيبة . وارفع لهذا الشأن بقوة جأش . واكثر سلوكا لطرق الرياسة . ولكن حين لا يمكن ان يخز في المفاصل . ولا ان يبتد وحده في الامور بتا لا يتعقب . وحين كان القائد المدني هو وحده الذي يركبه ذولا الى قضاء اغراضه المتنوعة . وقد اصبح هذا فحلا قرما مقبلا مدبرا ذا سمو بالاستيلاء على القبائل . عاد مرييه ربه كمن القى بيديه على قرون البقرة . ويحبها غيره . ولو كان المدني ينظر الى الضعفة والمساكين بنظر الحنو والشفقة والنصرة ، لما كان في الاستعانة به عيب . ولكن الامر بعكس ذلك . يعرفه كل احد . وسيرى القاري ان شاء الله في ترجمة المدني في (القسم الخامس) كيف افعاله .

اشرنا فيما تقدم لحادثة الكنسوسي الذي كان شيخا من شيوخ قبيلته ادا وكنسوس تحت يد محمد بن ابراهيم التيبيوتي الذي كان ايضا تحت يد الباشا الحاج حماد بن حيدة . ثم كان شنتان بين التيبيوتي والباشا . فصار يوسوس للكنسوسي ان يثور على رئيسه التيبيوتي . وان يتصل بتارودانت . فحاول الكنسوسي ذلك فاصطدم ورئيسه . فلم يمكن الا ان يهرب بين يديه فولى وجهته الى الجنوب . فنزل على ايت عبلا ازاء ايلال . فداول الامر مع رئيسهم . فاتفقا على ان يطحنا اولا الرئيس عابدا الزكري . وكان بينه وبين جيرانه الكنسوسيين والعبلاويين غير حسن الجوار . فاتصلا بالمدني ومن معه على يد احمد الايفشاني فقال لهم الكنسوسي ان رجعت الى داري فلکم عندي كذا وكذا آلاف من الريالات يقال انها ثلاثون الفا . لكي يجروا جيشا حتى يعركوا الزكريين والتيبيوتي . وللقائد وحده في مقابل ذلك ثلاثون الف ريال اخرى . هكذا كانت الحكاية سترا . ثم جاء رسل الزكري الى كردوس والى بوزكارن . يعلنون انهم لا يزالون مع هذه الجهة . ويقولون ان الكنسوسي بيننا وبينه عداوة خاصة . فلم يوبه بقولهم فردوا اقبح رد . هكذا كانت الاسباب سرا . فقام مرييه ربه والمدني ومن الى شيعتهما ينادون بالجهاد خوف ضياع حرمة الاسلام في تلك الناحية . فقامت كل القبائل من ايت بعمران مع مرييه ربه . الى ان خيموا في ايت عبلا . وقد عزموا على نهب الزكريين وعركهم وما ذلك الا ارضاء لمن اعطوا الدراهم . ثم اسكان الكنسوسي وجبه

التيبيوتي لارضاء ابن حيدة ليتوصلا بالثلاثين الفا والثلاثين الاخرى . فلحققت قبيلة اداوزكري بتلك الجهة اذ ذاك حين رات نفسها بين نارين . ثم جرت حرب هناك ولكن شاع امر الدسياسة بين رؤساء القبائل . فعرفت الحكومة ايضا . فارغمت ابن حيدة فحضر حتى وقعت الهدنة لكنه اعطى الدراهم على المصالحة . فكان ذلك مما اثار عليه غضب الحكومة . فاجلته عن تارودانت . وعزلته قريبا . ثم وزعت الدراهم التي اخذت سرا بين القائد المدني وامثاله وحين لم يتساووا فسد ما بينهم فسادا له اثره في الوجوه . فازدادت الشقة بين الجميع . وهكذا رجع هؤلاء الخطافون . فكان ذلك نكتة تشوه حركة الكفاح . وقد ذاع ذلك وشاع . سواء كان كله صدقا او كذبا . وهذه الواقعة كانت نحو سنة 1345 هـ وكانت قبيلة آقا تحت القائد بلعيد . فهلك بيد ولده القائد ابراهيم . ثم مال هذا القائد الى الحكومة . فوصل حبله بحبلها . ففتك به ايت سفول احدى فرق البرابرة التي ارتحلت مع النكادي بعد احتلال تافيلات . ثم تولى القائد الحسن ولده بعد ما تم احتلال آقا سنة 1350 هـ او قبل ذلك بقليل . فجاءت جيوش الجنوب لمحاربتة . فتوصلت منه بستة آلاف ريال . فوزعت كذلك سرا . الف للمدني . وثلاثمائة لاهل كردوس . والف كتمها المرابطون القصبليون الذين مرت الدراهم في ايديهم . وكان لآخرين منها قسمات ، فلم يظهر للناس في المجمع الكبير الا قليل - هكذا حكى لي من يزعم انه مطلع على ما يجري وراء الستار - فهذان مثالان لما زج فيه الرؤساء القبليون الخطافون انفسهم . وعلى ذلك تأسست دورتهم السنوية . فتعطي كل دار ريالا حسنيا يكون منه نصيب لمرييه ربه . وللرؤساء نصيب اخر . وقد يدخل في ذلك مال له بال . بعد الهدايا . وكل قد استحل ذلك . وقد نسوا ما نصبوا له انفسهم . فيسقطون من امين الكافة . فهذه حقيقة الرؤساء في افعالهم الظاهرة . فمن كانت لهم نية باطنة بينهم وبين ربهم فلا يعرفها الا الله . ولم نؤمر الا بالظواهر . والله يتولى السرائر وذاك شاهد يظهر ساحة مرييه ربه في كردوس . وقد تزوج شلحية اخرى بعد ما خلف اخاه الهيبة على الصوابية . فكانت كريمة الفقيه سيدي سيدي مسعود التير وكتي الرسموكي قرينته . مع اعرابية او اثنين كانتا عنده قبل . وقد كفل كل اهل الهيبة يربي صغارهم . ويعلم بالالف منهم . واما امر هذه الجهة في اخريات ايام مرييه ربه فقد فسدت القبائل . واستاسد الرؤساء الذين يراولون امورها وهم يتحاورون على النظم

والقلميسر - كما تقدم - . سواء من كانوا في شيعه مرييه ربه يهبون
بريحه ويعصو صبون عليه) ويتحزبون له . او كانوا من غيرهم ممن اعرضوا
عنه . فان الوليتيين الذين لا يابهن به . ولا ينال منهم حبة . ولا
يلفظونه بطرف عين . قد صار بعضهم يعدو على بعض . حتى عم
الخوف وكثر البطش . ووصلت الحالة الى خطورة لوجلوناها لمن لم يعلم
ذلك لربما نسبنا الى التحامل . ولكن ذلك في الوليتيين اشد منه في
المجايطين . لان الوليتيين عدائون بادنئ سبب . كما هو معروف من
احوالهم . ثم ان ذلك لا يشعر به الا المساكين وضعفة القبائل . واما
الرؤساء الذين ينتفعون من ذلك فذلك العصر عصرهم الذهبي . يعلن
احدهم ذلك لو سئل . والحاصل ان الوازع الديني ، وفضائل الاخلاق قد
انمحي اثرها الا من اقل القليل من الناس . هذا والناس في جهل عميق
جدا جدا من الحالة الراهنة التي تحيط بهم . فكل من ندد عليهم في تهالكهم
على ما هم فيه وفي غفلتهم عما يهددهم . يقولون له انت ، معجب بالكفار . وقدملا
الكفار عينيك . فانت كافر . ثم سرعان ما يذيعون عنك ذلك في كل ناد ،
واعظم من يتولى كبر ذلك هم اولاء الرؤساء الذين استطابوا ما استطابوا
من المرعى الخصيب في الضعفة . فلم يزالوا سادرين في غلوائهم سابعين
في احلامهم حتى دوى النفير العام في كل الجنوب ، يوم استيقنوا ان الحكومة
اليهم صامدة بجيوشها . فحاصوا الى تخوم بلادهم للدفاع وهم يحسبون
ان هذا الجيش انما يكون كجيش حيدة والجيش الجنرالي . ولكن راوا ما
لم يكونوا يحتسبون . وكانوا من الجهل بالعالم وقوة الدول . والحياة
العصرية في العجب العجيب . وقد كان الثائر النكاذي مع ايت حمو وايت
سفل وايت خباش التجأوا الى هذه البلاد . بعد احتلال تافيلات سنة
1349 هـ وكانت لهم قوة وبسالة . فاذعروا الناس . سواء من والى الحكومة
من القبائل ومن لا يواليها . الا ما كان من ايت حمو فانهم اصحاب نظام
عجيب . فلا يمدون ايديهم الا للموالين للحكومة . بخلاف غيرهم كاي
سفل وايت خباش ، فانهم جرائم الفساد . ورسل الردي اينما كانوا
فقد فتك ايت خباش باريشنت سنة 1351 هـ فاجلوا عنها اهلها فاحتلوها
بالقوة . وينوي اصحابهم فعل ذلك بقرى اخرى في تامانارت . ويقال ان
ذلك باذن من المدني وامثاله من الرؤساء . مع انهم محسوبون منهم وراء
التخوم . فهذا مثال اخر لاعمال هؤلاء الرؤساء . ان صدق ما يقال من
ان لهم اصبعاً في ذلك . والله اعلم .

الاحتلال النهائي لجزولة

طلع ذوو القوة الى جزولة سنة 1352 هـ وقد جردت الحكومة اليها
جيشين كبيرين مزودين من كل الادوات بما لم يره قط اهل الجنوب .
ومركز احد الجيشين بتزنيت والاخر بأقا . ثم هنالك فيالق اخرى في
اغرم بانزال من اداوكننسوس . وفي مركز ايت باها فتم التطويق لهذه
الجهة . فدقت الساعة التي يؤدي فيها اولئك الرؤساء ديون الحكومة
التي استدانوها بثالاف مؤلفة منذ سنوات . ليكونوا لها . ولم يعرف احد
من الرؤساء سلم من ذلك بل حتى المرابطون والعلماء الا تحلة للقسم . وقد
كانت الحكومة منعت السكر عن هذه الجهة الا برخصة خاصة من ملدها
فتسابق اليها الناس . وازدحموا عراكا بين يديها . لينتفعوا بذلك . فكان
ذلك من السلاسل التي تقدمت الاحتلال . زيادة على ما تمنحه الحكومة
وتسلسل به رقاب الذين يترددون اليها . دق ناقوس فرح جيش ايت
امامه . وتحركت كذلك كل الجيوش الى ما بين يديها . وكل لواء الجنوب
الحكوميين حاضرون باصحابهم . فاجفل لذلك مرييه ربه بعد ما كانت
قذائف الطيارات تمطره في كردوس بوابلها . فانهمز في اوليات الناس على
خياله . ومن خف من اصحابه من كردوس في وسط ليلة . ولم يعلم بدهابه
حتى ربذ مشواه القائد سعيد ابن المقدم وزير حضرته . مع انه غادر هنالك
نساءه . فقطع كل ارض مجاط ليلا فمر قريبا من (بوزاكارن) في الليلة التي
احتلها فريق من الجيش الفرنسي . وفي الصباح ذهب القائد الحنفي
فأخبر رئيس الجيش بذلك . فقام وقعد وجمع اليه ضباطه فاعلن انه
قد فشل غاية الفشل . ثم قال للحنفي ما هذا . ان رسلنا ذهبوا بسيارة
الى قرب وجان ليلتحق بها هناك مرييه ربه . فاذا به لم يلب دعوتنا . ثم
ظهر ان الفرنسيين كانوا راسلوه ووعدوه بالامارة على سوس . فاستكف
فذهب لحال سبيله . وهذا ايضا مما يطهر ساحة مرييه ربه . ثم انه
انزعج في ايت بغيران حيث اسبانية تمد ايضا رواقها . وبقي اعراب مع
نسائه الى ان نزل جيش في تازاروات فخرجوا بهن على ارجلهم . الى
غير ان فوق كردوس . فاختبأوا نحو ثلاث ليال . وهم بلا زاد . فكان
اولئك الاعراب الواقفون - ولله درهم - ينزلون احيانا الى بعض القرى
يتطلبون ما تنقوت به النساء تكففا . وليس في ايديهم ما يشترون به شيئا .
ثم سلكوا طريق تازاروات خلصة . وقيل - ولا اخال ذلك صحيحا - ان
رئيس الجيش منع اولئك الاعراب جوارا لهم . فعند الناس ذلك من مكارم

اخلاق الجيش المحتل . لا نمثل ذلك التسامح لم يكن معلوما بين هؤلاء
فلحقت النساء ببعمرانة . فانقضى امر مربيته ربه في كردوس . وطلوبت
صحيفته في هذه الناحية ، عندما تفتح صحيفة اخرى له في ايت بعمران .
ثم ان الجيش الاقاوي الكبير تقدم حتى نزل في تاغجيجنت . وقد كان
مما القى على عاتقه ان يحتل بوزاكارن الذي مات صاحبه القائد المدني
منذ شهرين فخلفه اخوه الحنفي . فافتتح عصره بما ترى فسلم هو لجيش
جاء من ميرغت و قد كان ايت جمو ومن معهم ممن يحسب لهم من في
الجيش حسابا . فلذلك كان الجيش الاقاوي صامدا اولا الى منزلهم في
تاغجيجنت مع اميرهم النكادي الذي يقطن حوالي ذلك المحل فاجفلوا من
بوزاكارن . فاحتلها الجيش من غير ان يعارضه احد . واما من في اتزال فانه جند
قليل منظم . ومعه قبائل من رأس الوادي فيها القائد محمد بن ابراهيم
التيبوتي كبش رأس الوادي في هذا العصر . ورجل تلك الجهة . والقائد
الطيب الضروري . تقدم هذا الجيش ومعه الزكريون وغيرهم . فنزلوا في
ايت عبلا بعد ما القت الطيارات قدائفها على دار الرئيس العبلاوي . فأوى
الى غار مع اهله . يطل على داره هو ومن معه كاحمد أولحاج هذا الوطني اليوم
فحاول ان يدافع هو ومن معه من بعض التمليين الجيش الزاحف . فلم
يقدر ثم نزل هنالك الجيش . فجاءت قبائل من بينها قبيلة أمكن فقدمت
طاعتها . ثم تقدم الجيش الزاحف فخرق قبيلة امانوز . حتى نزل اعلى تيزي
وهناك جاءت قبيلة ايغشيان وايت عبد الله بن سعيد وغيرهما فقدمت
الطاعة . ثم ذهب من هنالك رؤساء في خيل كثيرة الى وادي تامانارت حيث
يمر الجيش الاقاوي . ثم رجع الرؤساء وقد جلس الجيش هنالك اكثر من
اسبوع . واما الجيش التزيتي فانه تقدم حتى نزل في تالعينت عندما يطل
الجيش الاقاوي على بوزاكارن . فهناك قدم القائد مبارك البشيراني ومجاو
كلها الطاعة . وكذلك الشريف سيدي علي الايليقي التازاروايتي ثم خرق
الجيش ايغير مكلوثن . فانكشف بعقيليون كانوا في جيشهم رابطوا في
(تومانار) . وقد كان قائل قال لهم ان البشيراني استسلم . فكادوا يقتلونه .
وقد جبهوه بانه انما يريد ان يفت في اعضادهم . ولكن بعد ما ارسلوا
رسولا جاءهم بالخبر اليقين . فاجفلوا الى بلادهم وهم يظنون انها ما نعتهم
وعاصمتهم من الطوفان . ولم يعلموا ان لا عاصم اليوم من امر الله الا من
رحم . ثم نزل الجيش الخارق لايفير مكلوثن في بسيط تازاروايت .
وقد ابتدا في تسوية الطريق ومد الاسلاك التلفونية من تالعينت يقوم

بذلك الجند نفسه وهو يتقدم . فوصلت الاسلاك تازاروايت مع وصول
الجيش . فبقيت بعقيلة مستنعة من اداء الطاعة . كانها تحسب ان هذا
الحال اليوم كحال عهد الجلولي وانفلوس امس . ولم يدروا ان العصر
عصر الديبابة والطيارة والقذائف والالات المدمرة . ثم ان عال اداچچمنار
رابطوا في مفتتح مخرم واديهم . فحلقت عليهم الطيارات تصليهم تارا
عامة . كما كانت في كل تلك الايام تصنعه بالقبائل التي تتمنع من اداء
الطاعة بسرعة . وبقي البعقيليون يويمات لا تصل الاسبوع . ثم قدم اهل
المنطقة منهم الطاعة . ثم قدم اناس من الاجماريين على القائد عياد
المنطقة فاعلموه بانهم يقدمون الطاعة . ولكنهم لا يقدمونها على يد
الاجماري ولا على يدغيره من رؤسائهم . وقد خافوا ان يستولي احد من جيرانهم على
رؤسائهم بذلك . فحدث عياد رئيس الجيش بتازاروايت بمنع القاء القذائف
الى ترسلها الطيارات عشرات بعد الساعة على وادي اداچچمنار .
فانهم سيقدمون الطاعة . ثم جاء مع الاجماريين الشيخ عبد الله ابن القائد
المنطقة . فقدموا الطاعة في تازاروايت . وفي آخر يوم من تلك الايام التي
اتمنع فيها الاجماريون نزل في تاغلولو جيش طلع من تانكرت من افران .
وهو فريق من النازل من بوزاكارن . اتى معه القائد مبارك البشيراني .
وقد اعلمهم بسهولة انقضاء امر الاجماريين ان اطلنا فوقهم . وقد كان
القائد سعيد ابن المقدم هرب الى وادي الاجماريين من كردوس . حين سمع
ان فيلقا سيطلع اليه من تازاروايت فقدم الطاعة معهم . وكان الشيخ سيدي
ابراهيم بن صالح اجفل من مفتتح مخرم ذلك الوادي ، حيث كانت داره
هدفا لقذائف المدافع . الى تاغلولو مع زوجته . ثم نزل ايضا ذلك الجيش
بناغلولو . وقد قدم في اليوم اهل الوادي الطاعة فرجع الشيخ . وقد هدأت الحالة
وفي اناء تمنع الاجماريين طلع جند غير قليل فوق قرية افغللال الى
كردوس الذي غادره مربيته ربه منذ ايام . كما تقدم امامه . في حين ان فيلقا
اخر توجه الى تيغمي وقد سلمت كل بعقيلة ورسموكة كما سلم الحامديون
بسبب جيش اآخر خرج من ايت باها خرق تلك الجبال . واما الجيش
الكردوسي فانه تقدم الى سوق الجمعة فهناك تلاقى مع الجيش النازل
فجل في امانوز . فقد تقدم الى الغ فبات فيه . ثم الى سوق الجمعة حيث
التقى مع الجيش الاخر . حكى لي الاخ احمد رحمه الله انه كان في ذلك
النهار احد الدالين لهم الى الطريق قال . فسرت مع رؤساء من الدولة
العامة . فعملت بهم بعد ما تجاوزنا المدرسة الوقاوية الى اليمين في

ثروة طلعت مع الجبل . وانا احسب اننا سننزل على سوق الجمعة فاذا بنا نزلنا على مشهد السيدة تعزي في وسط سملالة . وسملالة اذذاك لم تقدم الطاعة بعد . فجاء رجل يجري فيسال عن رئيس الجيش . فدلتته عليه . فاذا هو رسول الشريف سيدي علي التازروالي يخبر ان سملالة تقدم الطاعة . وهناك وجد الشيخ محمد ازلتنكض الوابلي مع اصحابه فقد فروا امام الجيش الزاحف من اقا . قال الاخ فسرنا الى سوق الجمعة فبتنا هناك في مطر غزير . كما وقع ايضا في الغ حين باتوا فيه بايت وافقا . ثم نزل الجيشان في وادي سملالة . فدخلوا الى جهة مدرسة بومروان ثم الى جهة ايت صواب . وقد ادت كل القبائل الطاعة . وانقضى الامر . وكان المعلوم من هذه الجيوش ان الطاعة لا تقدم الا ببقرة او ثور جريا على العادة المعروفة في هذه البلاد . ثم ينزل كل واحد سلاحه التام امام رئيس الجيش البندقية وما معه من ذخيرتها . ويزيل قلادة الخنجر من عنقه . فينزل الجميع عن يد وهو صاغر . وقد كان معهودا من قديم هناك من جميع الرجال ان يتقلدوا دائما خناجرهم بلونها المفضض . ولما ازيلت منهم كما ترى صاروا لا يتقلدون الا بالاكياس الجلدية المصقوفة . وهكذا تم الاحتلال بلا حرب وبلا جرح اصلا . الا ما لا يذكر . وقد تعجب بعض الناس من هذه السهولة . ولكنهم لو كانوا عرفوا فساد الوازعين الديني والخلقي من هذه القبائل فسادا غريبا لما تعجبوا . والرجولة لا تنبني الا على هذين لا غير . وقد لاطفت الجيوش غاية الملاطفة . فلا اسر ولا نهب ولا تعدي . حتى ان بعض المأخوذين بجرائرهم المتقدمة نحو الحكومة - وهم قليلون جدا - لم ينلهم الا نفي ما شاء الله . ثم رجعوا الى مراكزهم . وهذا الرئيس من ايت وابلتي . الملقب بأزلتنكض قد كان جاذب الحبال مع اهل اقا مجاذبة عنيفة . ثم هرب الى هذه الجهة في ابتداء زحف الجيش الاقوي . فصادفه يوم تقديم سملالة الطاعة ان كان عند السيدة تعزي فذهب به بلا تعنيف الى بعض قبائل القبلة . ثم رد الى بلده رئيسا والحاصل ان الله سلم ولقي اللطف . وتم ما لا بد منه بلا عنف ولا مشقة . ثم صارت الحكومة تنظم المراكز . فأسست مركز بوزاكارن وما تفرع عنه في تخوم تلك الجهة كمركز قصبة اخداثو في افران . ومركز ادا ابراهيم بتاغنجيجت ومركز امي اكادير المسمى (فم الحصن) رسميا . ومركز تافراوت بامتلن ومركز اتري الوليتي . فاطلت سنة 1353 هـ وقد اشتغلت الحكومة بتنظيم ذلك وبتسوية الطرق . والاهالي يلزم كل واحد منهم ان يخدم

اياما معاومة في السنة في مقابلة الضريبة الشخصية . ولا يزال الحال على ذلك الان 1358 هـ فاصاب الناس كلهم ذهول من تبدل الحالة . والهدوء والطمأنينة مستمران من الحكومة فمرت سنة 53 - 54 - على ذلك . والناس يستروحون الامن . وقد بدأ النشاط يعترتهم في اشغالهم وتجاراتهم . ولم يتبدل الحال بعض تبدل الا بعد ان وقعت واقعة الفقيه الواعزني سنة 1354 هـ فالقي القبض على كل من يكون معه او قيل انه زاره . او له به ادنى اتصال . حتى اتسع الخرق . واصيب من كان بعيدا ومجمل القول ان الواقعة هي التي قلبت اوضاع السياسة في ارباب الزوايا في كل الرؤساء الدينيين في سوس كله . بل في الجنوب اجمع . فجري تفتيش شديد عن السلاح . فوقع السجن والتنكيل حتى استخرج عجائب من المدخرات . فصار الرعاع يشي بعض ببعض . فعم البلاء . فكانت القضية اول سياسة بعد الاحتلال عركت تلك الجهات وما اليها . وصار كل الناس يتقولون في هذا الفقيه . ولكنني انا كمؤرخ يتحرى الحقائق اقول . ان فكرة الثورة على الاحتلال فكرة متأصلة في الافكار غاية . فلم يكن احد ليردها بتكذيب . ومن ردها عندهم صار احمق . فلعل امثال هذه الوقائع ينسيهم اياها . او تقلل على الاقل اطماعهم وراءها .

على ان تلك الشدة لم تشمل المساكين . وانما مست من كانوا رؤساء او كانوا قبل من ظلمة المساكين . فكان الله اراد ان ينتقم منهم بذلك السبب . واما المسكين فلا يزال في الراحة التامة الى الآن . وقد بدأ يشكر الامن السائد . والطمأنينة التي يتمتع بها وماله مصون لا يخاف عليه شيئا . وقد مرت هاتان السنتان جوعا . 56 - 57 - ولولا يد الحكومة لما علم الله ما يزهق فيها من نفوس . وينهب فيها من اموال . ولكن المساكين وجدوا من معونة الحكومة فيهما ما يشكرونه . والملاطفة محمودة وان من عدو . والحالة الان على ما ذكرته باختصار . وتلك هي النظرة العامة اقولها بانصاف . وانا هو المختار المؤرخ الذي لا يغمط الحقائق . ولا يغفل عن احسان محسن . او اساءة مسيء . وان كان ربما يشير ان لم يمكن في المقام التصريح . اكتب ذلك 23 - 8 - 1358 هـ .

اما مربيه ربه فقد قيل ولا اخاله صدقا - ان له يدا مع اسبانيا الجمهورية باختياره . ثم كانت له يد اعظم منها مع رجال فرانكو باضطرابه .

الشيخ النعمة

علامة مدرس مؤلف يغلب عليه الخشوع والترهب ولد 1300 هـ . وكان في أيام أبيه معلوماً بذلك . وقد ألف في ريق شبابه تآليف . بعضها مطبوع بفاس . من بينها مذكرات عن كل ما يسمعه عن والده حياته : ولم أعلم كيف متقلبه في حياة والده ، وإنما أعلم فقط أنه من البارزين من بين أخوته في الأدب معه ، ومع كل أخوانه ، فكان ذلك هو الحادي حتى تعين خليفة أخيه الهبة على تزيت حين توجه إلى الحمراء . وقد تقدم ما وصفه به أخوه من التغفل . وغلبة العبادة عليه . ومعنى ذلك أنه بعيد من النباهة والحدق . وفهم الأمور كما هي . وقد أخبرني الاستاذ سيدي علي بن الطاهر تلميذ المترجم أنه أخبره وجهاً لوجه أنه لو كان أراد الله بالمسلمين خيراً لولوني . قال الحاكي لأنه كان دائماً يندد بعدم قيام الهبة من أول يوم بإقامة الحدود بالشريعة . قال . كان يسر إلى ذلك ، وقد تقدم ما راج بينه وبين التزيتيين ، فإن دل ذلك كله على شيء فإنه يدل على أنه لم يخلق للأسل الميدان كما لم يخلق له غالب أخوته . فقد غادروا بما قاموا به التدريس الذي يعرفون كيف يشتغلون به . بعلمهم الجم . وأدبهم الواسع . منذ تسنموا العروش وقلبوا صولجان السياسة . مع كونهم أبعد الناس عن تذوق معنى السياسة . البنية على المهارة في الكذب والنفاق والمغامرة على أن الرجل كريم الطبع حي لطيف المعاشرة . سهل الانقياد . سمح جواد . وكان من الكرماء الذين ينخدعون . حكى لي بعض طلبة تزيت من أصحاب الحيل أنه دخل عليه قبل عيد الفطر وهو هناك ، فقال له أن عيد الفطر قد اظلل . والعادة المخزنية تقضي أن نتوصل بما نخرج منه صاع الفطرة لنا ولاهالينا ، فقال له كم يكفي ؟ فقال خمس غرارات شعيراً . فأرسل رسوله إلى أمين الزرع ، فأمره أن يعطي له ذلك . فقال الطالب للرسول قل بفضلك للأمين يعطيني عشرة . ولك حظك . فعادت عشرة ، ثم لما كالهال الأمين قال له الطالب . بفضلك زدنا الآن فوق ما أمر به الخليفة . فنعرف لك ذلك . فزاده ثلاث غرارات أخرى . فحاز الطالب كل ذلك . في وسط فيه هذه الحيل . ومملكة رؤساؤها وإمناؤها ورسلاها على هذه الحالة . قل لي بربك كيف يكون فيها النجاح لامثال الشيخ النعمة الهين ، والوديع العابد القانت الذي لا يعاشر السفلة ليعرف كيف يسوس السفلة ، وهم أكثر رعيته . وقد حكى لي أن الحاج التهامي الاكلوي قال يوماً بلفنا أن في أولاد الشيخ

وقد جال على يدها وجمع (1) 1357 هـ . واسترسلت حياته هناك . ولا يصل إلينا تفاصيل أخباره . على أننا نودعه يوم ودعنا . ونفارقه منذ اقلع عن هذه البلاد التي نؤرخها . فقد دخلت تلك البلاد التي هم فيها في حالة جديدة كما دخلت هذه البلاد أيضاً في حالة جديدة تخالف تلك . فكان ما بينهما ما بين مشرق ومغرب . ثم أنه بقي هناك يراد منه أن ينادي به كأمير يؤدي له البعمرانيون كل عام أعشارهم مع هداياهم . فمأشئ هو ما يحاول حوله . وإن كان لم ينشط له . وقد تمتع بمثونة الحكومة وبالأمان . إلى أن وصلنا خبر وفاته وسط ربيع الثاني 1361 هـ فاستراح رحمه الله . وقد كان طبقة وحده في العلم والمطالعة .

الآن نطوي صحيفة أمراء آل ماء العينين . لقد كانوا العلماء الأدباء الفضلاء المومنين الذين يقنعون بشطلف العيش أعزاء . ولا يرضون بالرفاهية وبلهنية الحياة أذلاء . فقد صاحبناهم منذ 1330 هـ من تزيت إلى أن فرق الدهر بيننا . يوم ينزج مريه ربه في تلك البلاد . أواخر ذي القعدة عام 1352 هـ فثلاث وعشرون سنة جمعنا إلى أن فرقنا الدهر . وقد تتبعنا أخبار سوس معهم . ونحن نتبع ما يجري بحسب الإمكان . ولا يحسبن القاريء أنني اغمط الحقائق أو أن في قلبي نحو آل ماء العينين شيئاً قد يتوجسه ما بين السطور . وإنما أريد أن أبين حالتهم . وأنهم منذ فارقوا كتبهم قاموا بالجهد على قدر جهودهم . وعلى عقلية بيئتهم . ولو الموا بالفكرة الجديدة لتوقع من ورائهم نفع كثير للبلاد . فتصوير الحالة كما هي بكل دقة هو الحامل لي حتى سلكت ما سلكت . لأنني أرحمهم وأرحم كل من اليهم . لأنهم يخوضون فيما لم يخلقوا له . وتعبوا أيضاً وأن بعد اليوم غدا . وقد يقن قاريء أن ليس للقوم مقاصد عليا . وعزم أكيد على نفع الأمة . فجعلت كل ما كتبته كالمرآة لثلاث غلظ غلظاً فاحشاً من يسوء ظننه فيهم . فقد حسبتني وفيت بما أرفقه من أخبارهم منذ قاموا . وهم يتقلصون أمام الحكومة . حتى تم الاحتلال . وتبدلت الأحوال . وكان أمر الله قدراً مقدوراً . ولم يبق لنا الآن إلا ذكر من كانوا على شرطنا من أهل ماء العينين . ثم نستطرد أيضاً من كانوا كذلك من أصحابهم وحاشيتهم ممن له بال . فأننا اخترنا أن نجتمع صفحات الجميع في ساحة واحدة من الكتاب . فتثبتت الأخبار مما يذهب طراوتها . والا فإن محل هؤلاء الآتين في (القسم الخامس) .

(1) كان معه ماء العينين بن العتيق فكتب رحلة في جزء . يوجد مصور منها في الخزنة العامة في الرباط

من يسمى النعمة . وهو رجل عجيب بينهم . ثم ان النعمة فارق تزنيست فاقام بوجان اربع سنوات . وقد اكب على التدريس مع اعراب وطلبة من جزولة ، انتفعوا بمعارفه ، منهم استاذ رسموكة اليوم سيدي علي بن الطاهر . ومنهم الشاعر عبد الرحمن الازاريفي الذي وقفنا له على قصيدة في النعمة سنذكرها قريبا . هكذا سرعان ما رجع النعمة الى علمه . وقد نفّض يده مما سواه . وقد مسه هناك ما مسه من تلك الحروب التي تدور على راسه ، منها حرب حيدة الاولى وقد اقتحم الجند ابوابا في تلك القرية (اد علي آوبلا) التي يقطن فيها الشيخ . وكاد يؤخذ باليد ، لولا ان ارتد الجند خزيان . ثم جاءت الحرب الكبرى يوم الزحف الجنرالي . فحضر ذلك اليوم الجهنمي المشهور هناك . وفي الليل غادر مع اهل البلد تلك القرية المنحوسة الى سوق الثلاثاء الاجمارية ، ثم الى مدرسة ايت رخا ، وقد انتبد في ناحية منها ساكنا باهله . راضيا بما ساقته الاقدار . ومعه والدته العالة المدرسة وبعض اصحابه . فكان الكريم المشهور الفقيه احمد ابن ابي الطعام استاذ تلك المدرسة لا يغفل عن اعانته ، فدأب الشيخ رضي الله عنه على التدريس في سنوات 35 - 36 - 37 - وقد حافظ على ما كان عليه في الصحراء من عدم الادخار والاكتفاء بالحليب في غذائه في كل وجبة . وقد خطب مرة بان يحرث . فقال معاذ الله ان اخرج عن حالتي التي كنت فيها مع الشيخ والدي . وقد كانت له عند والده مكانة . فاليه امر حجابة اهله دائما . ولم يكن من الذين يزاولون امواله . وقد كان يتقن علم الجدول والزناطي لكنه يترفع عن تعليم مثل ذلك . قال . لم اعلمه الا لمحمد بن عبد العزيز وحده ، وحين توفي الهبة حضر في كردوس . فكان الناس اليه اميل . لولا انه لا يلتفت الى تلك المظاهر فسلم الامر لمرييه ربه ، ثم رجع الى ايت رخا ، وفي ذي الحجة 1339 هـ زار اخاه مرييه ربه في كردوس ، فاصبح ميتا ، وذلك في 29 - 12 - 1339 هـ فدفن الى جانب الهبة . فهما الان هنالك مدفونان جنبا لجنب . رحمهما الله . والغربي منهما للنعمة .

قول الرفاكي فيه :

ومنهم الشيخ النعمي ابن الشيخ ماء العينين . شهرته تفني عن تعريفه فقد ابتلى بالولاية في تزنيست .

اخرجوه منها وآواه غار وقلوه ووده الغرباء

سكن في وجان الى ان اخرجوه منه ، ثم سكن برخاوة الى ان اتاه الحمام ، وتاذنه بالختام ، فزار اخاه مرييه ربه صحيح الجسم . فاصبح ميتا ، ولعله سقاه على ما يقال . لان الناس قدموه عليه تبجيلا لعلمه وصلاحه . توفي رحمه الله بدار ادعدد احمد ببعيلة فدفن حذاء اخيه السلطان مولاي احمد الهبة في 29 . 12 . 1339 هـ انتهى ما قاله مؤرخنا الرفاكي . ويكفي القاري من ذلك ان يعلم منزلة الرجلين في نظر الرفاكي وامثاله . فالنعمة صالح عالم مسلم له عند الناس اجمعين . لا يشار اليه الا بكل خير ، في حين ان مرييه ربه يتقولون فيه بما لانحسبه فيه نحن .

بعض اثار النعمة وامداحه

كان للرجل اثار علمية ككل اخوته . فبيت القوم بيت علم لا يعرفون الا القراءة دائما . وتعليم كل ناشيء او ناشئة منهم . فمساؤهم في العلم كرجالهم وهناك سيدة مدفونة في كردوس تسمى ربيعة ذكروا انها بنت الشيخ مساه العينين عالة مذكورة . واذكر ان امرأة منهم يوما طرقتنا في الدار . فلداكرها الفقيه سيدي موسى بن الطيب ، فجرى في عبارته ان قال واحيدان . فقالت له السيدة بديهة ان واحدا لا يشئ . فقال شيخنا سيدي سعيد الثاني رحمه الله لسيدي موسى : خذ العلم يا فقيه موسى من امرأة . ثم ان واحدا راجعه بمض علمائنا فوجد ما قالته السيدة هو المشهور ، وان كان هنالك من يقول بانه يشئ على قلة .

كان ابرز علومهم الادب واللغة والحديث والتفسير والفقه والاصول . يخوضون كل ذلك ، ففي كلها اثارهم المبعثرة .

اما اثار الشيخ النعمة فلم يسقط الي منها الا قليل . ولم يكن لنا قبل اليوم همة اليوم قال . يتغزل كما نسب اليه :

برزت فقلت البدر في وجناتها	وعطت فقلت العين في عطفاتها
وبدت ذوائبها فكانت ليلة	ليلاء لا نجم على جنباتها
وتبست فاذا نهار مشرق	والشمس ترفل في حلى ضحواتها
ثم اثنت فرايت اغصان الربا	غارت فشقت كفها ورقاتها
فلجاء في الشهادات بين شفاهها	روحي لو اني ذقت من رشقاتها

بيني وبين القلب بين اضالعي
بعشية فصل الربيع خرجت كي
فلمحت سربا كنت احسبه نسا
فعمطت فتاة بضعة رعبوبة
بدر على غصن على دعص تم
فرعت جمالا وافتنان محاسن
ثم التقت عيني وعيناها فكسا
عجبا لمراء ليس يسحر بالمها
انى التفت رايت فتنة ناظر
صدغ ووجه مشرق وحواجب
ونهود رمان وصدرها لسه
كيف الشفاء لغرم صب المها
وقال ايضا في ذلك المعنى :

يوم التقى لحظاي مع لحظاتها
ابقي لنفسي بعض ما رغباتها
فاذا به الظبيات في سرحاتها
غطت ذيول جفونها وجناتها
ليس ترنحا فأجن من ميساتها
وحلاوة وطلاوة فتياها
ن القلب متروكا لدى مقلاتها
والسحر منفوث لدى لفتاتها
ماذا الذي ينجيك من فتناها
تقويسها عجب على جبهاتها
صدرا صقيلا مثلما مرءاتها
ان لم يعانق قط من قاماتها

لعبت بقلبي بالفرام حسان
خود خرائد في جفون عيونها
ما اكثر القتلى واسرى العشق ان
ما كنت ادري ما الهوى حتى رنت
فسقيت عشقا اسكرتني كاسه
لم ادر ما فوقى وما تحتى وما
هتك الوقار فلا وقار فانسي
الى اخرها وهي ضعيفة النسيج في الجملة . وهذا ما عندي الان من
اقواله التي يمكن ان تكتب وله ارجاز في الدعوات . رايت من بينها رجزا اوله ،
يا ربنا انت الوكيل والكفيل لنا ونعم انت والله الوكيل

كلها توسلات ودعوات . ولا تطيل بسوقها وقد رايت عند الفقيه تلميذ
المترجم سيدي عبد الله العويني كناشا طافحا باراجيزه .
اما ما قال فيه الجزوليون من الامداح فاني سقت فيما قبل ما كان
شيخنا الافراني قاله فيه . وازيد الان مساجلة وقعت في مجلس حضر فيه

شيخنا سيدي الطاهر ومريه ربه وسيدي علي بن عبد الله الالفي والمترجم
نصها .

انقلها من خط سيدي محمد بن الطاهر الافراني ، تساجلوهما وهما
جالسون على شرب الاتاي في كردوس :

الشيخ سيدي النعمة :

هذا الاتاي علا صناعة وعلا بل طاب لذرها بمن له صنعا

سيدي الطاهر بن محمد :

وزاد في حسن معناه ولذته ما ضم ناضيه من زهر وما جمعا

مريه ربه :

يجري بالبائنا جري المدام وان اخفاه شاربته في وجهه سلعا

سيدي الطاهر :

كيف لا ونداماه جحا جحسة نروي وجوههم بالبدر ان طلعا (1)

سيدي مريه ربه :

شرب ولم يتقدم مثل صانعه والشرب مصنعه في الصدر ما صنعا

سيدي الطاهر :

بل انت مولاي اولي ما يقال له (اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا) 2

سيدي علي بن عبد الله الالفي :

ماذا اقول لشرب سر به طلعا زهرا وكلهم ثدي العلا رضععا

مريه ربه :

هذا وان طلبوا لم يعدلوا كرمعا عن اذن طه وما عن دينه شرعا

سيدي الطاهر :

صلى الاله عليه سرمدا وعلى اصحابه ءاله ومن لهم تبعا

ما هب شمال لطف الله واتفقت على الرشاد قلوب المؤمنين معا

(1) الجحجج جعفر : السيد
(2) بيت قديم

ثم كتب بعدها هاتين القطعتين من غير ان ينسبهما - ولعلهما لسيدي الطاهر او لولده سيدي محمد -

ليت المجالس رقة وظرافة
لا عيب فيه غير ان حماته
في أي ما زمن كهذا المجلس
انف المعالي وهو انف المعطس

*

يا راية العلم والاعلام والعمل
وما المصلى وهب قد لز في قرن
هنت ما الحال نلت غاية الامل
مع المجلى ، او البسيط كالرمل

وقال فيه ابو زيد عبد الرحمان الحامدي البزي رحمه الله .

خليلي سلما على اربع تنسى
ربوع لو المجنون مر بها لما
مغان بها سلوان كل متيم
عهدنا بها شمس الفضائل والهدى
تروح له الزوار سود صحائف
يسالونه اقتباس نوري حقيقة
يشافهنما بمنطق ذي طلاوة
لنعم الحمى المهود (وجان) مدرست
تكاثر مدغمو الولاية قبله
هو الشمس مذ لاحت طلائع فضله
تمر بقطبانة له السن
فوجان ان تفخر به فهو اهله
هو الغوث والاكوان خادمة له
يفيد شمائل النبي محمد
على انه يوم الدراسة والوغى
دعني الى ازدياره اليوم رغبة
عرانس يصيبن الحليم الى الانس
تذكر ليلي او يحل من الرمس
عن الاهل والاولاد والمال والنفس
وغيثا وغوثا في البؤوس وفي الابس (1)
فتصبح بيض الصحف طرا بلا وكس (2)
وشرع فيرضى الكل من فضله الرغس (3)
يخامر منه القلب احلى من الكاس
به در قطب بان للناس كالشمس
فلما بدا عاد الجميع الى الطمس
فلا نور يبدو للنجوم ولا الطوس (4)
تواتر . ما فاهت بظن ولا حدس
حقيق به والله ما فيه من لبس
ومخدوم اهل الملك والتاج والكرسي
ويورد ما عين الشريعة والقدسى
امام فوارس البسالة والدرس
تهون عني ما الاقي من الوهس (5)

(1) الابس كفلس : الجذب

(2) الكس كفلس : النقصان

(3) الرغس كفلس : النعمة والبركة والخير .

(4) الطوس كفلس : القمر .

(5) الوهس كفلس : شدة السير .

تقول الى هينس هينس (1) هسالك ان
فاسعفتها لما رايت حثيها
وشمرت عن ساق العزيمة موقنا
هو البحر حاذه تنل بركاته
فكم خص من قصاده بحبائه
ايا سيدي هذا العبيد انك في
لانك انت الرأس والناس كلهم
تمن عليه سيدي بشفاعته
فلا زلت غيثا للبرايا وكهفهم
بجاه نبينا الذي وهبت له
عليه صلاة الله ما ذكر اسمه
تري الشبخ هذا اليوم من قبل ان تسمى
وقلت لنفسى العجل يفضي الى الياس
بوصل مرادي في ذراه بلا بسفس
الست ترى العافين من حوله ترسى
فساعده الاقبال ملجنج والانس
مساري الهوى المردى الذي طووه يقى
ذتابى وكم بين الدنابة والسراس
له في غد كيفما ينجى من الياس
وغوث اسارى النفس من كل ما يؤس
شفاعته الغراء في كل ذي نفس
مع اسمك ربي من يؤذن الشمس

ولبعض الجزوليين ولم يذكر اسمه فيما نقلت منه حين كان النعمة في
تيزنيت صاحب امر ونهي ، كما يظهر اثناء القصيدة - لم قيل لي انها لسيدي
الحبيب السكراي وان كنت في شك من ذلك لان النفس غير نفسه -

فؤادي باشجان الصباية في نهب
غرام وسهد في مناجاة انجم
لقد دلهتني الفاترات لواظنا
تعرضن لي يوم الرحيل فلم اؤب
يناثرنني دمع الوداع فكان دم
ايوم النوى لا كان يوم نوى ولا
اخلفت في صدري الهوى ام تأججا
الا في سبيل الحب ما كنت لاقيا
اذوب اذا هب النسيم تجاهه
قلولا رجاء في الخليفة رد لسي
ولكن احسان الخليفة والرجا
هو (النعمة) المولى الذي هو نعمة
تولى امور المسلمين خليفة
فوارحتما للعاشق الهائم الصب
لها وحدها نجوى بني الوجد والحب
وأوقعني بين اللوامج والكرب
بعقل وقد جد الوداع ولا قلب
معهن الى نحو الحشا مرسل الشهب
به امتحن العشاق من بعدنا ربي
من النار تلظى في الغضا اليابس الحطب
من الحب مدتنأى اليعامل بالحب (2)
كما يفتدي زبد على النار في ذوب
حياتي لكنت اليوم اذهل من صب
بنظرته انجى ذمائي من العطب (3)
على اهل كل القطر في العجم والعرب
عن افضل منصور اخيه الرضا القطب

(1) هينس هينس بكسر السين : كلمة ثقال عند امكان الامر والافراء به .

(2) اليعامل : التياق .

(3) الندماء بالفتح : بقية الروح .

فكشفت وجه العدل يشرق واضحا
إذا جاءه المظلوم نال مراده
ويرد ذوي العيث الذي قد ضروا على
ولا عجب فالشيخ والدهم وعا
تزيت الصحراء حينما بعلمهم
فشاء الله الناس رفعة قطرنا
فحلوا بتزيت الشريفة مثلما
فقام بهم صلب الحنيفة التي
فكان أمير المؤمنين وأمره
وكان أخوه (النعمة) المرتضى له
فرد لنا روح العدالة بعد ما
أيا سيدي أني إليك لأرفع
وأنى فتى همى هو العلم دائما
لأنى ذو ارث من الخال صح لى
فقلت من الأخوال منعا وسبة
وذلك حين الناس (من عزب) ما
وفى اليوم حين الحق حق وتزهق الا
افتش عن حقي . وأطلب سيدي
فان صح قولي وهو لاشك معتر
فيجزيه ما كان استحق فأنه
فما كان اهل العلم فى عصر سيدي
فانى الى ظل الخليفة ملتج
فان ينصفني سيدي فهو صانع
على سيدي مولى البرية كلهم
وصلى صلاة دام فى الكون وبلها

وللاستاذ ابراهيم بن مسعود المعدي فيه .

وأبدى يد التنكيل للظالم الخب
وشيكا كلمح العين بالجفن والهدب
سماكين بالحيف المشتت والفصب
لهم كلهم مثل القساورة القلب (1)
وما لهم فى القاطنين من السيب (2)
فساقهم سوق المفيث من السحب
تحل بها شمس الظهيرة فى جنب
تكاد ترى بالكفر مقصومة الصلب
يويده نصر من الله فى الفيض
خليفة وهو الطهر من كل ما عيب
تقوض عدل الناس بالقهر والضرب
إليك محيا طالما سيم بالسب
ولكن أخو امي يمزق بالثلب
من امي . وذار سمي بلكم ينبى
أجر بها ذيل المهانة فى صحبى
لهم من أمير يأخذ الناس بالذنب (3)
باطل جهرا جئت مفتتحا جيبى
لينظر فيه فى ابتعادي وفى قربى
لصحته يعدى على خصمي الخب
عدا طوره جدا وعن قدره يربى
ليمتنوا بالشتم والفصب والنهب
ومنتظر ما ارتجيه من الذب
لاعظم قربى قربته من العرب
سلام أخى ود لجانبكم مذب
على المصطفى مع آله الغر والصحب

تراودني سلوان زينب عترتي واهوى سواها من بدور محلتني

- (1) القساورة الثلب : الاسود الغلاظ الاعناق .
- (2) السيب العطاء .
- (3) من عزب بز أي من غلب سلب .

وأنى لى السلوان والعبر دونها
ووجدني بها فى كل يوم مضاعف
يضيء بلا بدر به افق السما
وتعقب بالعبير والمسك والكيبا
فلم تر عيني فى الملاحه مثلها
كما لا ارى شيها لنعمى ولا به
حوى قصبات السبق فى الزهد والتقى
فأحيا طريقة الجنيد وحزبه
مجالسة صينت عن اللغو هل يرى
تذكر من جالت عليها عيونه
عليه صلاة ربنا وسلامه

وروحى غدت ولهى بها قبل نشأتني
كما حسنها يزداد فى كل لمحسة
اذ اكشفت عن وجهها فى الدجنة
بقاع بها تلك الغزالة حلت (1)
ولا سمعت اذني بها فى البسيطة
سمعت لفوئ الخلق اثناء شدة
وبد البرايا فى معارف جمعة
وجددها من بعد ما قد اميتت
مجال للغو فى مقاصير جنة ؟
مجالس مختار الورى خير امة
وعاله والاصحاب ما الريح هبت

أقول . رأيت انتقادات على هذه القصيدة فكتبناها وفق ذلك الانتقاد .
وكان للاستاذ اللفي بالشيخ النعمة اعظم اتصال حين كان فى تزيت . وقد
صاحبه هناك نحو شهرين وهو من اعظم القضاة حواليه ، فكان يكتب اليه
بطائق رأيت مجموعتها بخط الاستاذ . وغالبها عادي وفيها قليلات تتضمن
أدابا لا يليق بسببها ان تضع . ثم كتب اليه رسالة من الغ فى اول شوال
1330 هـ كانت بينها أيضا واليك ما كنا اتسخناه من ذلك مما يستحق الذكر .

يا ايها الخليفة الاجل
وكفه للمعتفين الويل
وخلقه روض عراه طل
عبدك فى مسعاه لا يمل
لكن بدا اليوم اليه صل
تساوان فى قضية تسيل
سب وقال ما رواه الكل
والجامعات حوله والكبيل

من ظله للمحتمين الظل
وقوله فى المشكلات الفصل
وعزمه ما قط لا يفل
فى كل ما حماك قد يحل
عضده فيما ادعاه عيل
من غمده شرعا فلا تسيل
لكن لمثله يكون غيل
فلينظرن سيدنا ما الفعل

ليكبح المستاسد العتل

سيدي الخليفة النعمة . الذي هو للضعفاء النعمة . وعلى المستعصين

- (1) الكيبا بالكسر : السود الذى يتبخر به .

على الانقياد للشرع النعمة . فعلى الحضرة افضل السلام . واعطر التحايا والاكرام . اما بعد . فقد كان في علم سيدي انني زاولت القضية التي كنت شاورت فيها مقامك السامي . ومشيت بها على حسب الحجج امامي ، ثم لما تعين الحق على المدعى عليه . ابى ان يتقاد اليه . فبعد ان تمنع اياما . والد خصاما . اثر الحكم عليه بعد كل ما يجب من الاعذارات . قام يناوئ في القضية نواء اذاه الى هتك سجف حرمة الشرع . فوقع في السب بعد التمرد والمنع . ولم يبق الا ان يحضره سيدي لينفذ الحكم عليه مرفعا . فليسخ اذن في الارض او ليرمح السما . فحقوق الضمفاء . لا تستخرج من الاقوياء . الا بضغط وعنف . لا بدعاء ولطف . فلكل مقام مقال . كما لكل مقام رجال . والسلام .

2 - هذا فالحمد لله الذي جعل هذا الملك مظفرا . والقي اعساده منبوذين على العراء فاهنثك يا سيدنا الخليفة . صاحب الاخلاق النيفة . بفتح مراكش لسيدنا . فهو والله فتح انفتحت به مفايق المنى :

فتح تفتح ابواب السماء له وتبرز الارض في ابوابها القشب والسلام عليكم طالبا الدعاء منكم .

3 - انعم الله صباح سيدنا الخليفة المرتضى . صاحب الخلق الرضى . اما بعد فاحب من سيدي ملاقة خصوصية للافضاء بشيء لا احب ان يحضره ثالث ايا كان . فقد كتبت الى سيدي وانا على جمر الفضا . وقد ضاق بي الفضا . من اجل هو ان مس الجنب . ممن يتخذ التجارة في السبب . فسافضي الى سيدي بما في قلبي . وان كان قلبه عني ينبي . فان لي في هذا المكان سبقا لخلوص طويتي لجنابكم . ولظهور اعمالك لكل من زار من بابكم . فلا التحمل وانتم حاضرون ما ينفد معه الصبر . ويحطولي معه الصبر . فقد وجد القبيح لا الحسن ما هو به على غالب . ولقد ذل من بالت عليه الثعالب . فليتفرغ لي سيدي . الذي هو سندي .

فلا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك او يسليك او يتوجع والسلام .

والحسن المذكور هو العفياني احد فقهاء تزنييت . وكانت له مع ابي الحسن وقائع ومواقف . وقد ذكرنا ذلك في احد اجزاء (من افواه الرجال) .

4 - يا قوته ابناء الشيخ ماء العينين . بعد صنوه السلطان هو المجلى في كل مكرمة بدون مين . سيدي ومولاي وسندي النعمى الخليفة الاجل . زاد من اقام عنده ومن رحل . السلام العبق المستطاب . على ذلك الجنب اما بعد فان العبد يا سيدي عازم على ما كان ذكره لكم قبل ايام من تفقد اولاده وداره . وتعهد اخوانه وجاره . فان التعيد فيها حقوق للاهل . ولان عيد الفريب حزن غير سهل . وان كانت الفربة معدومة في بلد انت فيه مقيم . والمفيض فيه لكل نعيم . وكان المقتضى لو خيرنا ان لا نفارقكم لحظة طرف من العينين . وان نشد قول ابن الحسين :

فان لم يكن الا ابو المسك ام هم فانك احلى في الفؤاد واعذب

ولكن نحمد الله الذي لم يبتلنا في عصرنا بما ابتلى به المتنبي من مصاحبة اسود باطش الكف . يرتعد منه من الخوف . فقد اسودت بشرته وخالقه . فكيف يقول في مدحه من كان حقا يصدقه . فسيدنا والحمد لله بفضمة نبوية . وسلالة هاشمية . خلق ابيض في جبين صقيل . كانهما في جهة الدهر وقوائمه غرة وتحجيل . فلو سكتنا عن اداء حقوق الاهل لنديننا اليها سيدنا جزاه الله عن امته خيرا . ووقاه من حساده واعدائه ضيرا . كتبت الى سيدي هذا تذكيرا لما عسى ان يتذكره سيدنا . حين اطرقة للوداع غدا .

لا مرحبا بفقد ولا اهلا به ان كان تفريق الاحبة في غد والسلام .

5 - من الضعيف علي بن عبد الله جبر الله كسره . وفك اسره . الى الخليفة الذي اودعناه قلوبنا عند وداعه . وهي هنالك بين رباعه . فقد استرقها بانعمه . فابت الا ان تربض عند قدمه . سيدي وسندي . وكنزى ومعتدي . وراحي المعتقة . وشمسي المشرقة سيدي النعمى السلام على سيدي ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد وصلنا اهالينا والحمد لله . فوجدنا الكل ببركتكم على خير . وقد تلقانا الجيران والاخوان بالفرح الكبير وكل يستقصي خبر تلك الحضرة . وما لها من النضرة . فائينا مقالا وحالا . وحسبنا السننا مقصورة وان اسهبت مقالا .

فعاوجوا فائنا بالذي انت اهل له ولو سكتوا اثنت عليك الحقائق

وقد عيدنا امس والحمد لله على نعمة الاسلام . ويعود السلام على كل من شملته تلك الحضرة الكريمة والسلام .

تلك الرسائل هي ما كنت استحسنته من المجموعة فانتسختها والحمد لله الذي يسرها من حيث لا نحسب . فلا ندري ايشكو القارىء من تفريط الاعراب في المراسلات بينهم وبين الناس حتى توزعتها الايدي هكذا فتسرب الى اناس هم ابعد الناس عن الاعراب . ام يشكر ذلك لانه لولا ذلك التفريط لكانت الرسائل اول ما يوكىء عليه الشيخ النعمة يوم يفادر تزيت . فلا يتركها للايدي المختلفة . اما انا فاني على كل حال من الشاكرين . والا فاني اعلم ان كثيرا مما اوكا عليه اربابه لا اجد له الان باي وجه كان ، فلا هدية تنفع ، ولا تذال ولا استشفاع ولا ينبتك مثل خبير .

هذا ما استحضره الان مما يتعلق بالشيخ النعمة رحمه الله . ولم اقف على مرئية من الجزولين حتى من شيخنا الافراني الذي كان لامثال هذه المواقف دائما بالمرصاد . وامه العالة الصالحة طار عمرها بعد ولدها سنين .

محمد الامام

شاعر مفوه . لا اقدم عليه وعلى ابن العتيك احدا من اهلهم في الفصاحة . ولد اواخر جمادى الثانية 1311 هـ .

لم اكن اعرف هذا السيد من ابناء الشيخ ماء العينين الا من بعيد . كما اعرف بالسماع اخوته المتقدمين . حتى وقفت له في مجموعة قصائد اعرابية على منشآت له قراتها فتجلى لي من نسجها ان الرجل شاعر حقا . ممن يعرفون كيف يقولون فيجيدون . كنت رايت ذلك عند صاحبنا سيدي المحفوظ سبط الشيخ ماء العينين . ولكن لم اكن اذ ذاك معنيا كل العناية بهذا الذي اعنى به اليوم . فلم انسح من عنده شيئا . وبعد ان جرت الافلاك بنفسي الى الغ . وقد وجهت وجهتي للبحث عن كل ما يتعلق بالالفبيين . كنت اطلب من الطلبة الالفبيين ومن غيرهم ما تصل اليه ايديهم . فكانوا يعيرونني فانتسخ . فكان مما وجدته بعض اشعار لمحمد الامام . وبعضها مقول في اهله . وبعضها مقول في الالفبيين . فسرني ان وقعت له على نقطة من بحره . يمكن لنا بسببها ان نذكره بين اهليه الذين لهم اتصال ما بالالفبيين .

لم اعرف من اوليته شيئا . ولا كان عندي عنه من الاخبار ما يمكن ان اقدمه به الى القراء لكتابي هذا غدا واني لاسف لذلك . وانما كل ما اذكره

انني لم اعلم له جولانا في مجالات اخوته من الرياسة كانه من اصاغرهم . فلم تطل يده الى ذلك في مبدا امرهم حين برقت لهم بارقة يبتدر اليها الاكابر منهم . وهو الى الان 1358 هـ حي . وقد انسحب الى الجهة التي انسحب اليها اخوه مرييه ربه كجميع اهله . (ثم لما اتصلت به بعد الاستقلال حدثني انه اخذ القرءان عن الشيخ الحضرمي . والنحو عن الامجد الانباري والفقه عن محمد البيضاوي . والادب عن محمد بابه . ثم استتم عند والده)

بعض اقواله :

قال في اخيه مرييه ربه في المحرم 1342 هـ .

الا من الليل حالكات غياهبه	كما احلوكت من ليل فرع ذواله
واومض فيه البرق من بعد هداة	كما اومضت من ظلم ثغر مشائه
قشونة يخفي ويخفق تارة	كقلب محب يوم بانست حباله
فما زال يزجي صيب المزن رعداه	فينحط اعلاه وترخي جوانبه
ويبعث من قرب تباشير قطره	متى صافحت كف النسيم هيابه
فما هو الا ان تحلب ودقه	كما سح من كف الامير مواهبه
فليس اذن الا الخليفة من به	تقشع من ليل الضلال غياهبه
واحياء موات الدين بعد دثوره	فنيطت عراه واستنارت كواكبه
واخرج ضب الكفر من نافقائه	فسدت عليه عن حماه مساربته
مقائبه في كل ثغر تسده	كما فتحت كل الشفور مناقبه
محاربه ما لم ينل منه سيفه	تنله اذا جن الظلام محاربه
وان رامت الاعداء منه كتابه	اجابتهم تحت العجاج كتابه
وان سايسوه يبتفون خديعة	راوه لبيبا احكمته تجاربته
حواليه حزب من سراة ذوي الهدى	كثير معاليه قليل معايبه
متى دارت الحرب العوان بقطبها	تفوق صميم الفير فيها اشايه
يذكرنا الشيخين شيخي صحابه	علوا وتظهروا اذا ما نصاحبته
فلا زال منصورا للواء مظفرا	يمز به انصاره واقاربته
ولا زال ميمون النقية اينما	تجاذب اطراف العنان نجائبه
بيميناه مفتاح الفسوح متى اتحى	بلادها لها نصر من الله صاحبته

هذه القصيدة وحدها كل ما عندي الآن لهذا الشاعر المفلق من الشعر في
أخيه . وشعره كما رأيت متين . ثم وقفت أيضا من شعره على ما خاطب
به من اسمه الطاهر لعله شيخنا الأفراني :

يا طاهر العرض يا كنز الوداد الم يا الوصال فبالقلب الغرام الم
فالقلب بعدكم ما انفك ذا وصب رهين شوق للقيام وحلف الم

أما اتصاله بالالفبيين فإنه وفد مرارا على الغ فينزل على الأديب أبي
الحسن الألفي في ندوة الأدباء المعجم والعرب . وكان مرة في رفقة الأديب
ابن العتيق . فخاطبهما شيخنا الأستاذ عبد الله بن محمد بقوله :

أهلا أسيدنا الإمام والعلم ما العين من بهما قد ضاعت الظلم
أقبل والله لي السعد المبين بطل همة محييكما وزالت الغمم
فمرحبا بكما خير الوري كرما فانتما خير من وفيت لهم ذمم

فأجابه ابن العتيق بقوله :

جزيت بالخير يامن دابه الكرم لا يعتريك ونى عنه ولا سأم
فمن ينخ بك عبد الله راحلة عن قلبه ينزح الإحاش والغمم
دامت بنا وبكم موصولة رحم وانما رحم الآداب ذي الرحم
وأجابه محمد الإمام بقوله :

فبوركت عبد الله نجل محمد كريم السجايا طيب الأصل ماجده
تلقيتنا بشرا فتلكم فيكم أيا مال عبد الله الزم قاعده
أبوك الذي عمت مزاياه في الوري ولا عجب ان شابه النجل والده

وقال محمد الإمام يجيب الأستاذ أبا الحسن الألفي عن قطعة لا
نستحضرها :

أزهر نجوم أم بدور تمام أزهر أكام ذا أحب غمام
أم الدر من بحر الهدى قدفت به قريحة حبر لا يرام همام
على أنه أبهى من الدر منظرا ويفعل بالآلآباب فعل مدام
على المقام أسما على مثل اسمه كريم الفروع ينتمي لكبرام
حوى فضلهم مع فضله ولو أنهم سواهم لسودته نفس عصام
فكن لامير المؤمنين موازرا فقد قل من يدري حقوق أمام

فطلب خاطرا فالرأي رأيك عنده فما القول إلا ما تقول حـمـام
فلا زلت في عين العدو قلدى لها ودمت لجنب الدين خير حـمـام
ثم وقفت على قطعة ميمية موازنة لهذه وفي قافيتها يرحب بها الأستاذ
الألفي بربك . فهو اذن ركب محمد الإمام :

طلعت طلوع الشمس بعد غمام فابرتي جرح القلب بعد كلام
حللتهم محلا مستطيرا بترككم فاشكر دهري اذ رعى لي ذمامي
أتاني بخير الفاضلين على جوى اليهم وشوق ضاق عنه حزامي
فلم يك أحلى من وصال أخايسر محياهم في العين بدر تمام
أنيخوا أنيخوا فالديار دياركم وهذا العبيد خادم كـفـلام
عليكم سلام الله ساعة وصلكم أيا من لقاهم كان كل مرامى

وقد تقدمت في القسم الأول في ترجمة الفقيه عبد الله بن محمد
التشيبي . قطعة ميمية يخاطبه بها المترجم مطلقا :

أيا صاعدا للمجد أسنى العزائم وليس جهول العلم يلفى كعالم
وورد محمد الإمام مرة مع رفيقه ابن العتيق إلى المدرسة التانكرنية
فصادفا هنالك الأديبين الأستاذ محمد بن الطاهر . وصاحبه محمد بن علي
الألفي . فقال ابن العتيق يخاطب الأديبين . وذلك في أول المحرم 1332 هـ :

أيا حبا سافر حداني إلى من يدعيان محمدان
رضيى ئدي آاداب وعلم بتقصار العلا متقلدان
تجبي طاهر العرض المجلسي فمن ذا في الرهان له يدانسي ؟
أنخنا عنده فقري وئسي وكانا للتزيريل يساعدان
فباتا في نوادر كل فن شهى بيننا يتواردان
فان تشدهما استمعا ومهما اصخت يحدثان وينشدان
سماء المجد مد يتقارنان تقارن في السماء الفرقدان
ولا عجب اذا الولدان يوما اشادا ما بناه الوالـدان

ثم خاطب الأديب محمد بن علي المذكور محمدا الإمام اذ ذاك كما
حدثت به بما نصه :

سلام يزدرى زهر الكمم على مشوى محمد الإمام
على فرد حوى كل المعالي وساد فماله أبدا مـمـام

سليح الشيخ ما العينين قطب الد
وبعد فان ودك في فؤادي
ادام الله فضلك في اعتزاز
سماكرم والملا شمس الفلستام
رسا فله به اسنى مقام
وصيتك يزدرى مسك الختام

وتقلت من خط المترجم محمد الامام ما يلي :

سيرى امامك بالذميل وبالعنق
لا يشغلنك عن تايدك الونى
حتى تناخي عند نجل محمد
ذاك الذي اتخذ المكارم حلة
لما جرت حلبات ارباب الملا
جاريتهن حتى اقرؤوا كلهم
هذا وان عهدكم مرعية
منع المنام فراقكم فكانما
ثم الصلاة على النبي وعاله
واذا نبا سيف النهى عن مشكل

خاطبت بهذه العلامة سيدي الطاهر بن محمد . فاجابني بقوله :

يا مرحبا بك من امام قد سبق
يا ابن الالى حازوا الفخار وفتحوا
يا سيد احيا فاحيا وصلبه
يا شمس فضل اشرفت من مطلع الد
هذا قريض صفته ام روضة
لفظ كما رق النسيم لطافة
ابدت معاني معجزات صاغها
لله منك قريحة ما ان دعت
فليهنك العلم الذي اعطيته
قد زرتنا متفضلا فشفيت من
فالفضل فضلك والعلا رتب سمت
فلانت وارث سر والدك الذي
لا زلت يا بدر الكمال مجددا

(1) بتخفيف انك .

وعليك تسليم يجاري نفسه
ريح السبا هبت على روض عبق

كما اجاب ايضا الاديب سيدي محمد بن علي يخاطبني انا وابن العتيق:

اهلا بمن جمع المكارم في نسق
من بد في كل الفنون وما له
من عز قدما وهو بز بفضلته
من قد رسا في القلب مني ما رسا
بدر الدجى المولى الامام السيد الد
وكذا الامام الفرد ما العين الذي
ازكى السلام عليكما من قائل

وله قصائد وطنية كثيرة منها :

بني وطني قوموا على اسوق الجد
وان مسكم قرح فقد مس مثله
ويوم بيوم عادة الدهر هكذا
فلا تخضعوا مهما اديل عليكم
لئن ساءنا ما قد لقينا من العدا
لقد احسنوا من حيث ظنوا اساءة
فقد نبهونا عن خبيثة سرهم
فلا تبتغوا عن منهج الحق منهجا
ولا تجزعوا ان شبت الحرب والتظلت
وما دام شبر تحت سيطرة العدا
فبرق العدا مهما استطار فخلب
فلا تساموا من ضرهم وضرارهم
وخوضوا لهم بحر الخطوب وان طما
فعزما وحزما واعتزما ونجدة
فكم قوض العزم القوى من البني
الستم بني القوم الذين بسعيتهم

(1) السيدان : الذئاب . جمع سيد بالكسر

مئاتهم في كل ارض وسجدهم
وان ذكرت انباؤهم فخلا لهم
فكم سايروا في البید هادية المها
وكم وصلوا ديجورها بهجيرها
فما ان يبالوا بالرياح عواصفا
الى ان اناخوا حيث مشتجر القنا
فالقوا عصی التسيار فيها وفرقوا
فما انتجعوا ارضا سواها وحولوا
فاضحوا وامر الحل والعقد عندهم
واضحى بهم صرح الديانة شامخا
واضحى بهم بند الشريعة خافقا
الى م نرى كل الشعوب تحررت
فهل يستلذ النوم من كان قومه
وهل يستيغ العذب من كان قومه
فما العز الا في مجابهة العدا
ونصبك حر الوجه للحر ضاحيا
فلم يدرك الاهداف الا مشمر
يعيد وييدي في الصنائع ناسجا
ولم يصطحب الا كريما مهذبا
وان هو ابدى للصديق مودة
ومن يطلب العيش الرغيد مرفها
قطعم الهنا بالذل للحر علقم
الم تعلموا ماذا رأى السلف الاولى
فما وهنوا في دينهم واعتزامهم
وما اعتصموا الا بحبل الاهم
يخوضون ليل النقع تحت اسنة

كما نقش الرسوم في الحجر الصلب
تضوع بنشر المسك والعنبر الوردي
وكم عرسوا بين المطاقل والربد (1)
وكم واصلوا الاسناد بالنص والوخد
ولا باحتدام القيظ في وهج الوقد
وحيث يسم الاذن زمجرة الاسد
هناك اداة الرحل عنهم مع اللبد
عجاف المطايا من سعيد الى سعد
وكلهم في القطر واسطة العقد
كما استحصدت جدلاء محكمة السرد (2)
يلوح على الارحاء كالعلم الفرد
واخواننا مهضومة الحق والمجد ؟
مشردة تحت الاجانب في سهد ؟
شرابهم الملح الاجاج مع الكد ؟
وذبح عن الاوطان بالصارم الهندي
ونصيكة للبرد في زمن البرد
ركوب على الاخطار في الفادح الاد (3)
بمنوالها ما قد ينير وما يسدي
فان طباع الجار من جاره تعدي
اكن له في القلب اضعاف ما يبدي
فلم يلف كالتحرير من عيشة رغد
وطعم الاذى بالعز احلى من الشهد
من الاسر والتشريد والقتل والطرده
ولم ينشوا عن خطة المجد والجد
وما اكثرثوا لا بالسلاح ولا الجند
تتمنيمه وشيا كنمنمة البرد

- (1) المها جمع مهاة : بقر الوحش . والطفل : التي لها ولد . والثريد جمع ريداء
التي لها ريدة : لون الى الفئسرة . وتلك اوصاف الغزلان .
(2) المقصود بالجدلاء الشرع
(3) الإدء بالكسر : الفظيع . والفادح : الشديد .

سماها مجاج والاسنة شهها
وظنوا بان الرمد والبرق في السما
لقد قرت الاحشاء بعد اضطرابها
وتحت لواء النصر جيش اذا ارتمى
يطيرون عقبان الى رنة الوغى
لقد ضعفوا صرح الاكاسرة الاولى
وقد ارغموا انف القياصر عنوة
وشادوا بناء للحضارة سامقا
عليهم سلام الله ما ذر شارق

وله اخرى يصف بها الطائفة :

الا فاعجب متى امتطى الهواء
لها في الصدر ان حميت ازير
فتجري اولا بمحركات
فتعجل عن رحا العجلات وثبا
فتصعد في الهواء صعود باز
فتأونة تسف سقيف صاد
وعاونة تحلق في مداها
وتحسب تحتها مهما تسامت
فلا يدري الذي قد كان فيها
فمن حلل السحاب لها ازار
لها ريحان عاصفة واخرى
وتعمد بعد ما بلغت مداها
فتهبط صوبه تهوي رويدا
فتنزل مثل ما ابتدأت برفق
فتقبل نحو مركزها تهادي
فمن لم يدرها من قبل هذا

ووقع القنا رعد اذا برق الهندي
لما كان من وقع الصواعق كالرعد
بخفق البنود الحمر مع اسدورد
الى الحرب يرمي الطرف للهند والسند
بعزم ينصير الشيب منهم من المرد
وقد طحطحوا ما بين غرب الى الصغد
فقادوهم تحت السلاسل والقند
على اسس تهدي الانام الى الرشد
وما طلعت في افقه انجم السعد

على جوفاء جو جؤها هواء (1)
وغيطلة يضيق بها الفضاء (2)
تساعدها القوى والكهرباء
وشيكا فالامام بها وراء
وتسبح في الفضاء كما تشاء
تراءى بالحضيض اليه ماء
فيحجبها عن العين الفطاء
سماء فوقها سمكت سماء
اصبح كان فيه ام مماء
ومن نسج الغمام لها رداء
بمتن الجو طيبة رخاء
الى حيث المطار له استواء
على التدريج ليس لها التواء
فطاب لها النزول والارتقاء
يقارنها اختيال وازدهاء
يقول توها ماذا الهداء ؟ (3)

- (1) الجؤجؤ : الصدر .
(2) الغيطلة : اختلاط الاسوات
(3) الهداء بالكسر : مصدر هدى العروس الى زوجها . كرمي .

فتجشم بعد ما تجشمو قليلا
الا اطيب به سفرا لذيذا
فنسألك السلامة حيث كنا
فسبحان الذي فطر البرايا
وله ايضا .

وينفض الجميع بحيث شأوا
فلا وعشاء فيه ولا عشاء
ولطفلا لا نضر ولا نساء
وسهل في الصعاب كما يشاء

لابدع ان حن ذولب الى وطن
عوجا على طلل محنت معالمه
وقفت بالرسم لا يا ما اينه
ماذا اثار من افنان الفرام به
كانما افصحت عما اجمجمه
تحمل القلب وجدا لو تحملته
شوقا الى زمن لم ينس طيبه
فاستبق ويك على قلب تياسره
هي المنازل كم اذكي تذكرها
ذكي قروح الهوى من بعد ما اندملت
تترى كخفق فؤاد الصب وامضها
دعتك ريحانة الاشواق مسممة
اخو الهوى من متى داعى الفرام دعا
رحمى لاهل الفرام البتلين به
وكلما شربوا من منهل شيم
وكلما ظفنت عيس بظاعنة
لا شيء يصدع قلب الصيد اوجع من
واحر قلباه لما استن دونهم
كان احدا جهم والثال يرفعها
قولا لمن رابه وقفى على الدمن
(لا تكثرن ملامي ان عكفت على
ماذا يريبك من الف يصب الى

اوهاجه دارس الاطلال والدمن
هوج الرياح وصوب الصيب الهتن
لولا ارتسام الهوى بالقلب لم بين
ورقا ترجع الحانا على فنن
او تشتكي مثلما اشكو من الشجن
لانهد شم الذرى من جانبي حضن (1)
ما قد جرى بعده من حادث الزمن
ما يعلم الله من بث ومن حزن
جمر الاسى بفؤاد الواله الشجن
شيم البروق تزجى دلح المزن
لما استطارت اطارت واقع الوسن (2)
قلب داعيها بل عندها فكس
القى اليه يدا وانقاد بالرسن
كل يطالبهم بالدحل والاحن
صاف سقوا بعده من منهل احن
تغدو القلوب اسى اسرى مع الظعن
زم المطايا غداة البين للظعن
رقرق اال ضحى يجري على سنن (3)
مواخر الفلك او معرورق القنن (4)
اما سمعت مقال الشاعر اليمني
ربع الحبيب فلم اعكف على وثن
الف ومن سكن يصبو الى سكن

- (1) حضن محركا : جبل في بلاد العرب .
- (2) الوسن محركا : النوم .
- (3) الال : السراب .
- (4) معرورق : ارتفع .

فربما احد الوثن واشتبهها
وكل شرع له اهل وغيرهم
وكل فن له اهل به عرفوا
(ان الكرام اذا ما اسروا ذكروا
فكيف لم يذكروا من كان يالفهم
اضراب قومي الاولى دهر (الصمارة) في
دهر (الصمارة) ما ادراك ما زمن
دهر مضى ففدا كالحلم غابره
يا رب لطفنا وتوفيقنا ومفكرة
وامن علينا بفضل لا انقطاع له

كحدوك النعل حدو النعل في قرن
ما ان يميز بين الغرض والسنن
والكل من فنه يجري على سنن
من كان يالفهم في المنزل الخشن
دهر السرور وعند المنزل الحسن
مستقبل السن في مستقبل الزمن
حدث ولا حرج عنه فلم يمس
حتى كان الذي قد كان لم يكن
في كل ما بلد او كل ما رمس
يا دائم الفضل والعواد بالمس

وله ايضا يخاطب اخاه الشيخ النعمة :

سلام في المزار ينوب عني
لمن في القلب منه جنان انس
ضياء المسلمين ومن ترقى
ويحسب ذو الفبا ان المعالي
فليس المجد يدرك بالهوينى
ولكن باستنسام ذرى المزايا
وبسط الوجه والكفين دابا
ونصب الوجه دون حمى المعالي
وشج العيس ناصية الموامي
فتاونة على قود المهاري
وعاونة على الافراس قبيبا
يسن مكارم العلييا ويخطو
تقدم من صباه ومن قديم
يعف على المطامع حيث عنت
وفي الاراء والتفكير حر

وينبئني عن صميم الود منسي
جناها صين عن انس وجن
مراتب ليس تدرك بالتمني
ترثع جلسة او كاس بن
وتوطئة الارائك تحت كن
واتعاب الجوارح والتعني
ومن تبرع من غير من
الى وجه الفزالة دون كن
ينقر عن خبايا كل فن
وكل عذافر وهم عبن (1)
وكل طميرة جردا رقتن (2)
على متن الطريق المستسن
كبير القدر وهو صغير سن
ويحمل عنهم الامر المعنى
ولكن للشريعة أي فن

- (1) من اوصاف الابل العذافر بضم العين : العظيم الشديد . والوهم : الجمل الذلول . والعين بفتحيتين ونون مشددة : الغليظ
- (2) الاقب من الخيل : الضامر . والرفتن بكسر الراء وفتح الفاء وتشديد التون : الطويل الذنب .

وقور لا تزعزعه الدواهي
وسل عنه المقارئي والمقاري
ولا يبدي الدراية عند بحث
ويمهلهم يخوضون المعاني
فان نثلوا كنائهم جميعا
بعزو في روايته صحيح
وان ساء الصديق يقابلنه
بقلب مشفق لاحقد فيه
ويحنو للمضيم اذا اتاه
ومن اكدت قريحته كلالا
اذا اصفى الصراع على يملى
ارى بيد الحجا درا نثيرا
وتزدحم القوافي فيه حتى
ابا لاطناب باللغة مداه
صلاة الله ما طلعت ذكاء

لدى الهيجاء والخطيب المرن
وسل عنه مدارس كل فن
ويلمح بالفراصة والتظنسي
وتحقيق المسائل في شأن
يوضح غامض المعنى الاجن
وفهم ثاقب وصفاء ذهن
بحسن تجاوز وبحسن ظن
سليم من طوايا المستكن
حنو الوالد البر الاحسن
فمدحك للقرائح كاليسن
لفكري في مناقبه كاتني
فينظم ما يشاء بلا تعنسي
اقول لها وراءك ويك عنسي
رويدك فاربعي ولتطمئنسي
على الهادي الامين وكل سنس

والمرجم حي الان 1380 هـ وهو الكبير في اسرته الماجد المتبوع حفظه الله

ماء العينين بن العتيق

امه العالية بنت الشيخ ماء العينين . ولد نحو 1306 هـ . ثم اخذ
القرءان عن الاستاذ زيني . والنحو عن الاستاذ محماد بن سيدي . والادب
من خاليه الهبة والنعمة . ثم استتم عن جده الشيخ . فيرد الى الغ والى
افران . فتعاطى القوافي مع اهلها . وقد تقدم (1) بعض ما حضر عندنا من
اقواله . كنت اسمع به من عند الادباء الالفيين . ومن عند ابن خالته
المحفوظ بن الحضرمي حتى جرت قافية في مراكش حوله . قبل ان نعرف
به . وهاك ما جرى . جلسنا جماعة من الادباء فوق سطح الزاوية في (الرميلة) وبيننا
الاديب المحفوظ - الاتي - وءآخرون فصار كل واحد يقول بيتا فيجيبه
آخر حتى استتم ما ستراه . قلت انا مفتتحا بالبيتين الاولين :

انشدن لي من مرقص ابن عتيق
وارولي من قريض شنجيط اني
من قريض كانه الجوهر المنـ
فهو احلى من الشراب العتيق
اسلى بكل شعر رقيق
ظوم في نحر ذات خصر رقيق

(1) في خطبة الكتاب ، وفي ترجمة محمد الامام .

ام رياض مفضلة فوفتها
ام ثفور مفلجات تبسـ
بل هو المنعش القلوب اذا ما
استلذ النشيد منه كاني
اي فكر فيه وأي ابتكار
وانسجام كانه النهر الفـ
هكذا الشعر رقة وبيانها
من فصيح سما باي لسان
ينتقي كل رائع من عتيق
فاني بالقريض قضا طريا
يطلب السامعين فعل العيون الـ
ينشد المنشدون منه فيحيـو
اتخذناك يا عتيق وان لم
وبنو الشعر اخوة تشج الا
فمتى يسعد الزمان فنلقـي
فنرى بلبلا يفرد عفوا
فنرى خير شاعر مفلق قد

وله يخاطبني :

الى من له في السادة المنصب الاسمى
تحايا تحاكي طيب اخلاقه التي
فهذا وانا لا يزال اجتماعنا
محمد المختار متصفا واسما
بها خلق المختار اضحى له وسمما
على حاله روحا وان نفترق جسمما

وله يخاطب خاله الشيخ محمد الامام :

طاف الخيال فحياني الا ادكبرا
ماذا اجنت من الشجو الجوانح اذ
فبت اذا رمت اغفو كي يعاودني
كم ارق الطيف اوراق الحب وكم
وهنا فولي وخلي السهد والذكرا
سرى وقد جن جنح الليل واعتكرا
كانني بالتغافي اجلب السهرا
اراق من دمه ما كان مدخرا

(1) الافيق : البالغ النهاية في العلم

انار وجدي بلبنسي طيفها ومنسى
 باحت بما من هوى لبني أسرى به
 قل للالي بكروا يلحون في شففي
 انى وان لمت في الحب اعذر كم
 اما درى ويحه اللاحى ليا لينا
 تلك الليلات في سوق الزمان وفي
 مهلا رويدا فما يغني ادكارك من
 فلا تعول على دهر تجهم او
 فما صفا لبنيه الدهر ءاونسة
 ومن تظمه من الايام حادثة
 يلد باعتاب استاذ الانام محمد
 الثابت المثبت الروع المروع والـ
 المشرق القرب من انوار منظره
 من زانت العصر والاقطار طلعتيه
 ومن اباد العمى بادي هداه ومن
 للناس راحتته نفع وراحته
 يرعى البرايا وان نامت نواظرها
 ما انفك دون يد الباغيين جنتها
 لا تذكر الدهر ان تذكر عزائميه
 وان تصل او تصل يومى وغى وندى
 وبابن قيس وقس والسموال لا
 ترى الوفود الى ابوابه زمرا
 لما تحلى من الذكر الجميل ومن
 فكم لديه اهتدى من ضل عن عجل
 دهى النهى ما درت من حمده وروت
 جلالة الشرف الديني والشرف الطي
 يا امرق الناس في بيت الولاية يا

من لا يرى الحب عينا ان يرى الاثرا
 منذار في حيث لي منها الخيال سرى (1)
 بها ان اتصل الاصال والبكرا
 بجهله اجميل لسوم من عذرا ؟
 معا نثير كؤوس الانس حول درى (2)
 جباهه كانت الاحجال والفسرا
 عهد الشبيبة والاهواء ما غبيرا
 وفي ولا تبتئس ان صدا وغدرا
 الا وابدلها من صفوه كدرا
 مسته لم يلف من ضرائها وزرا
 د الامام يحد عن صوبه الضررا
 جاري مع السنن السني حيث جرى
 اذ اخجل النيرين الشمس والقمر
 وصيته المائلان السمع والبصر
 عمت ايادي نداه البدو والحضر
 ان يتعب النفس فيما ينفع البشر
 من حيث لا عين الا مقلته تبرى
 طرا وجنتها حيث ابتفت وطرا
 هي الصوارم بله الصارم الذكر
 يداه لا تذكر الضرعام والمطرا
 تقسه مهما وفي اوفاه او غفرا (3)
 تقدمت زمرا قد اتبعتم زمرا
 يخبر به يلفه خيرا اذا اختبرا
 وعز من ذل واستغنى من افتقرا
 اذ لا شبيه له فيمما روى ودرى
 بني نورهما في وجهه ظهورا
 من لا لغير المزايا يصرف النظرا

والى بك الله قطب الاولياء كما
 ابوك (ماء العيون) الفوث قدوتنا
 وجدك الفاضل القطب المجدد من
 وجد والدك الميمون طالعته
 و (الطالب اخيار) جد الشيخ جدك خب
 حكى اباه ابا الانوار محمودة
 وهكذا لم تزل تسمو الى حسن
 اولاء ءابؤك الشم الالى مهـلدوا
 يا بون في الفضل الا ان تكون نـرا
 من داب ءادبهم ان يدعو الجفلى
 فاخر بما من سماء المكرمات بنـوا
 وان هم بك مجدا فاخروا فـخروا
 قرت مشاهدة منك العيون بما
 فياله من نظام كنت درتـه
 انت الامام الذي في فلك همتـه
 خاطرت في مبتغى القدر العظيم ومن
 هي السيادة ما في شهدها طمع
 سموت عن ان تسامي في الكمال ومن
 احييت من ميتة دامت حياتك ما
 ما زال عندك مرعى المجد مرتبـما
 والمال مقتسما والحمد مفتنـما
 لم تحك يا حسن الاخلاق في خلق
 احسن بشائرك الحسنى وما قدم
 لا زلت عصماء نظم الدين ناظمـة
 ولا برحت وعين الله ناظـرة
 صلى الاله على المختار جدك ما

والى باسلافك الافراح والبشرا
 لم يعد اخلاق خير الخلق والسيـرا
 بهديه عم ضوء الدين وانتـشـرا
 (ما مين) مامن كمال ناله بهـرا
 سر من تردى ثياب المجد واتـزرا
 وجدته (الجيه) من صدع العلا جـرا
 سبط النبي الجد ود السادة الكـرا
 نهج الهدى واجدوا منه مادئـرا
 ديهـم امام وانداء الصدور ورا
 بل في مثادبهم لا تسمع النـقرا (1)
 فمن يفاخر بما يتونـه فـخرا
 اذ زدت ما من مزايا اورثوا فـخرا
 يشنف السمع من اخلاقهم فـخرا
 ودوحة كنت في اكمامها الثـمرا
 بحر الصعاب لتسهيل العلا عـبرا
 يبغ العظام يستحق لها الخطـرا
 الاحتمل من دبرها الابـرا (2)
 بالانجم الزهر سوى النجم والشـجرا
 اعيت في نعته الافواه والفـكـرا
 والحق متبعا والدين معتبـرا
 والعلم محترما والجهل محتقـرا
 الا ابا حسن - عـمـرت - او عمـرا
 لك اقتفت غير اثر المصطفى اثـرا
 در البلاغة في امداحك الشعـرا
 فضلا اليك عديم الشكل والنظـرا
 اولى به الفوز بالمامول والظفـرا

كان اوى الى منطقة (افني) مع اهله . ثم تقابلت به الاحوال فحج
 مع مربيـه ربه سنة 1357 هـ . فكتب رحلة حسنة رايناها . ثم صار قاضيا

(1) الجفلى محركا : الدعوة العامة للطعام ، على عكس النـقـرى
 (2) الدبر كفلس : التحل .

(1) المذارف : المدامع
 (2) درى : درعة هكذا ينطق به في الشلحة يعني (الصمارة) ازاء مصب وادى درعة .
 (3) الاحنف بن قيس الحليم ، وقس بن ساعدة الفوه ، والسموال بن عاديا المشهور بالوفاء

في (طَنْطَان) وقد تيسر له ان يزور مرارا هذه المنطقة . فتعرفت به في مراكش نحو 1367 هـ . ثم لما جاء الاستقلال ورد على الرباط . فجالسناه فوجدناه عالما محصلا . فتيسر له ان يعين استاذاً في الجامعة اليوسفية بمراكش . ولكن سرعان ما توفي رحمه الله . فعظم المصاب به وصدر مرة عن الغ فقال :

بنو الغ اهل العلم والمجد والفضل يصدق فيهم كل ما مسهب يملئ علوم واداب وجود وخلصة صفت كرحيق الكأس او شهدة النحل ودين ودنيا والشهامة كلما يثار اذا جد النضال الى النصـل وجود فمن يلهم بهم يرانـه وان لم يكن من اهلهم احد الاهل نسيم الصبا سلم على الغ من فتى يرى كل الفى له مخلص الخـل

وولد للاديب محمد بن على الالفى ولد 1339 هـ فتسابق الادباء في تهنتبه فقال بينهم :

هلال الدجا بالبدر ملان ينبىء وعاية طيب الفرع ان طاب ضيضىء (1) وكل على الاصل ديدنه السى طلاب العلا في نشئة متشـىء لذلك تنباع التبشير كلما بدا لعلني نير متلا لىء ولما بدا من نجله البحر لؤلؤء لقفو خطا اجداده متهىء قمير بافق اليمن والسعد طالع بمعراج ميمون السعادة يرقأ كاني به في المكرمات تقفيا لآبائه يشفى الغليل ويبـرىء هممت بانى حينما شمت برقهء اهني بما عن صادق الود ينبىء اذا بتهاني البشر من كل وجهة بدائعها ثم الخنازيد تنشـىء فلم يبق لي الا الدعاء وانسى برائق هاتيك التهاني اهـىء فلا زلتهم مرمى العصى وكلكم هلال بافلاك الهدى متبـوىء

وقد كان خاطبني حين زارني بمراكش . ثم في الرباط بقواف هي بين ثنايا الكتب لم اجدها الآن وله مؤلفات شتى رحمه الله . وديوان شعر . لم يحضر عندي الآن منه ما نختار منه . ووفاته بعد عصر يوم الثلاثاء 26 من رجب 1376 هـ بمراكش .

(1) اصله من الان . وذلك لفظة . والضمي : الاصل
(2) الخنازيد هنا : الشاعر المجيد الفلق

محمد بن عبد العزيز

العلامة الورع كاتب الهيئة وقاضيه . وكذلك كان مع مربيه ربه . ولد نحو 1290 هـ . فكان كل اخذه عن الشيخ (ماء العينين) وكان له في تقوى الله والورع اوصاف يتناقلها الناس بالاعجاب . صبر مع اولاد شيخه في كل ما تتقلب به احوالهم الى ان سكنوا (افنى) . فلزم خويصة نفسه . يدرس في المسجد ويخطب الى ان توفي . وقد كان له اتصال بالالفيين يلم بهم احيانا . فكانت حوله قوافي الترحيب من الالفيين . ومما خاطبه به بعض الالفيين :

انما المرتضى ابن عبد العزيز مثل تقصارة من الابريز (1) كل فضل وكل خير لديه كان رغم العداة خير محوز ميزته الطياء والدين والفضـل وخير الخصال بالتميز عالم حافل المجالس بالبحـث المصطفى كخلقه المفروز حل الفا فحل فيه سحاب جاد فيه بعلمه المكنوز نهز المكرمات طفلا فبات الـمجد في كفه من المنهـوز نطلب الله ان يمد علاءه فيرى في يديه كل عزيز

وهذه الابيات على ما فيها - ما اخترناه من قصيدة فيه ممن لا تخلو من امثاله حتى الغ الادبية . وفي ترجمة الاستاذ علي بن عبد الله الالفى ما خاطبه به (وقد بلغنا وفاة ابن عبد العزيز بعد 1370 هـ بعد ما كان خطيبا في (افنى) .

المحفوظ بن الحضرمي

سبط الشيخ ماء العينين من بنته . وابن عالم كبير من اصحاب الشيخ ماء العينين - كان المحفوظ يرد على الغ . فينزل عند الاستاذ علي ابن عبد الله . كما كان يرد علينا في مراكش . اذ كان لا يزال شابا بين شبان اهله بسوس وهو من افاضل اسرة آل (ماء العينين) خلقا وتحببا الى الناس . وقد اخذ كما احسبه يذكره لي عن الشيخ محمد بن عبد العزيز . وعن اخواله ابناء الشيخ . ومدركه في العلوم غير متسع . وكذلك عادابه الا انه ولوع ذو ذوق سليم في الشعر . خصوصا الغزل . فان الرجل يكاد يخرج من اهابه عند ما يسمع الشعر الرقيق من النسيب . وامره في ذلك

(1) التقصارة بالكسر : القلادة .

غريب . وعنده رأيت اشعارا كثيرة لاهله . كما رأيت ذلك عند غيره .
وقد ذكر لي انه ورد مرة الى الخ فنزل عند ابي الحسن الاستاذ الكبير .
فصادف عنده مولاي عبد الرحمان البوزاكارني الاديب يسرد من كتاب
(الذهب الابريز) تقدمه له الاستاذ معرفا له بمقامه وشأوه . وكان المحفوظ
ممن اعتاد ان لا يذكر احدا الا بخير شيمة تخلق بها . فكان بها يتقرب الى
القلوب فيحتلها ثم لا يغادرها . وكان من احفظ من رأيت لقصائد المتقدمين
ولاشعار اهله . واكثر الناس انشادا في المناسبات للابيات وللقطع . وقد
يتعاطى نظما . فقد قال يخاطبني في الحمراء بقوله . في 6 رمضان 1355هـ :

امن سلك النصيحة في الدروس	ويا زين الدفاتر والطروس
ومن حاز الفضائل من صباه	بنشر العلم في فاس وسوس
وفي مراکش الحمراء تبدي	علوما جملة وسط الدروس
فانت الحافظ الاستاذ من لا	يسامى في الفهوم لدى الجلوس
جليس العالم المختار ابشر	فيا لله درك من جليس
هو العقد النفيس من اللثالي	فشديدا على العقد النفيس
قدم للعلم والعليا جميعا	لتخليد المفاخر من طروس

ثبت مثل هذا المدح محافظة على فكر قائله . لا اننا - حفظنا الله -
من المتبحرين . فان المدح او القدح كلاهما لا يؤثر في الواقع . والحقيقة
بنت الواقع . وكان يوما المحفوظ قد زارنا هناك هو ورفيق له متأدب
يسمى بالفاضل . وذلك في 26 صفر 1354 هـ فرحبت بهما بهذه الكلمة
الساذجة بديهة :

اهلا بمحفوظ وبالفاضل	منية كل طالب عامل
الحائزي معارف جملة	ورائة الكامل عن كامل
والطاميين ادبا عاليا	يا فوز كل واردا هل
حلا بنا فنشر احلة	موشية في مجلس حافل
فلذكرا المنسى قبلهم	من بيننا في جيلنا الجاهل
ماشيت من قصيدة فذة	الفاظها كالشهد للقائل
وحولها مقطعات لها	طلاوة العذار في السائل
بيناهما في غزل مرقص	اذا بمدح منجز النائل

كاننا والشعر في موجهه	مختلط الهابل بالنابل
ينشدنا الاطل مستجمعا	اسداح كل ملك صائل
والبحري وصف ابوانه	واحمد في فخره الهائل
وابن الملوح يناجي الهوى	وهو عن الجلاس في شاغل
فاختلست سويعة عذبة	يحرصها السعد عن الواغل
حتى حبنا اننا في الصبا	في زورة من رشاء واصل
ثم تفرقنا وانا على الاع	سجاب بالمحفوظ والفاضل

قلت ذلك وقد مرت لنا مع الزائرين جلسة لطيفة . ملأها انشادا من
كل انواع الشعر . غزلا ومدحا ووصفا . وكانت لهما محفوظات . فمما
حفظته اذ ذاك من المحفوظ ما نسبه للعباس بن الاحنف .

اقمنا كارهين لها فلما	الفناها خرجنا مكرهينا
وما حب الديار بنا ولكن	امر العيش فرقة من هويننا
خرجت اقر ما كانت لعيني	وخلفت الفؤاد بها رهيننا

وانشد ايضا لبعضهم في تلك الجلسة :

تشوقتكم سمعا ولم اجتمع بكم	وسمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه
وشوقني ذكر الجليس اليكم	فلما اجتمعنا كنتم فوق وصفه

وهذا ماخوذ من قبول بشار . . اعني البيت الاول :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا

واما البيت الثاني فمن قول ابن هانيء الاندلسي . وهو شعر مشهور
حفظناه عن شيخنا الشيخ شعيب رحمه الله .

كانت مساءلة الركبان تخبرنا	عن جعفر بن فلاح احسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت	اذني باحسن مما قدر اي بصري

وللمتنبي ايضا في هذا المعنى :

واستكبر الاخبار قبل لقائكم فلما التقينا صدق الخبر الخبر

ذلك هو الأخ سيدي محمد المحفوظ بن الحضرمي الشريف النسبة .
كما كتبه بخطه وكان من الفرائب انه كان بات عندنا في زاوية الرميعة ليلة
12-28-1355 هـ وقد تمشيت انا والاستاذ الاخ الشقيق ابو المزايا سيدي
ابراهيم الكتاني . وهذا السيد ثالثنا . ثم اوى الى غرفة يضطجع فيها .
فبقينا نحن ما بقينا . ثم مشيت مع الاخ الكتاني الى مبيت له عند الشريف
الاصيل مولاي احمد المنجرة . فرجعت فتمت . وفي الصباح قبل متوع
الضحى كانت سيارة الحكومة تغد بي صوب مولاي ابراهيم منفيا الى الغ .
فكانت ذكرى المحفوظ ممزوجة بذكرى ذلك اليوم . وكانني به وقد افطر
وحده . ثم قعد ينتظرني ليودعني . على حين اني انزع في وادي النفيس .
وقد طالت المسافة بيننا . فيا لحياة كلها اطياف وذكريات تستحيل
خيالا بعد ما كانت ملموسة بجميع الحواس .

كان سيدي المحفوظ يقطن في (وجان) . واخاله قد شب هنالك فالفه .
ووالده ما مات الا بعد 1328 هـ . وهو علامة كبير مذكور بين آل ماء
العنيين . ولكن لم استحضر الآن ما اذكره به .
وبعد فهذا ما تيسر لنا ذكره حول هذا البيت الكريم آل الشيخ ماء
العنيين . فرضي الله عنهم واعاد علينا من بركتهم عامين .

ولنختم ذكر رجالات هذا البيت الجليل بقصيدة الشاعر الفحل محمد
الامام الذي خلد فيها مآثرهم وانها لقصيدة طنانة . طافحة بالفخر . وتدل
على مكانة القوم في استحضار اللفظة . وكيف لا وهم ابناء شنجيط .

الا حيهل بالقوم مربعهم خصب لمن امهم والبيت منفسح رحب
اذا نزلوا محلا ترويض جد به وتدنو الى الجاني الفواكه والاب (1)
وتهتز اكناف البسيطة تحتهم فيثري الثرى نبتا ويختلط العشب (2)
اولئك آل (الجيه) اكرم معشر من آل رسول الله يمه ركـب
الم يك (ما العينين) منهم ومنهم ابوه ابو الاقطاب سادتنا النجب
هما قمرا افق السيادة والعلا واما بنوهم فالاهلة والشهب
ودوني من قوم مراتبهم جـدب وليس لهم واد مريع ولا شـعب
اذا اقبلوا لا يطمح الطرف نحوهم وان ذكروا لا يثرئـب لهم قلب

- (1) الاب : النبات الذي ترعاه البهائم
(2) ثريت الارض كفرح : تدريت ولانت بعد الجدوبة .

وان فقدوا لم تبق في القوم ثلثة
بعكس بدور تشرق الارض ان بدوا
وان ظعنوا لا يبرم الامر دونهم
يقومون بالعبء الثقيل على السورى
فلم يمرحوا والناس تنسل اثرهم
لهم جند بيض بكل ثنية
تامت على من قد يروم صعودها
اصاروا طريق القوم ميثاء لا حبا
اقروا عمود الدين في مستقره
عتادهم ايد طوال الى العلا
ايادي ايد لا تقصر عن ندى
منازلهم فوق اليفاع مشيدة
متى يعموا للشرق يزدد شروقه
مطاياهم للمجد نجب عزائم
فلم يثنها عن مورد العزم مهمه
فما برحت تقفو طرائق للعلا
الى ان اناخوها بمجتمع العلا
ولو كان بعد المجد للمرء غايبة
يلم اختلال المستنين نوالهم
كان عطاياهم تباعا وكثرة
هم الخصب للبلدان ان اخلف الحيا
وقد صيروا نفل المكارم واجبا
وقد سلبوا بالفضل ايجاب بذلهم
اداروا على الاعراض سدا عن الخنا
يذبون عن مجد قديم تراثه
وقد علم الاقوام ان طريقهم

(1) هم عليه النب كفسلس وحمل : مجتمعون عليه

(2) غرب السيف : حده

(3) الهمه : القفر . والحتران من الارض الشديد الحزونة ، وهي ضد السهولة .
والشهب كفسل : المستوى من الارض

وقد علم الاقوام ان ليس غيرهم
فما ابتدعوا في جانب الشرع بدعة
وما عد لواعن واضح الحق جانبا
بهم ينجلي ليل الربون عن الحجا
فيعتاض بعد القبض بسطا ويحتسي
فتسري حميا الذوق فيهم وتنتشي
وتنفى رعونات النفوس بقربهم
وما زالت الاقطاب منهم ولم تدر
متى جيئتهم لقوك اهلا ومرحبا
بيوتهم لابن السبيل مشاعة
وقد سالموا اعراضهم غير انهم
ولم ينزعوا عن جذم عرضهم اللحا
يساميهن بعض من القوم ضللة
فهلا يساميهن مكانا ورفعمة
وهلا يساميهن اذا اغبرت البرى (4)
وهلا يساميهن بكل فضيلة
لقد حملوا ما لو تحمل بعضه
وشادوا لكل العرب عزا بأمة
لهم راحة في ضمنها راحة السورى
وقد نزل المرتاد منهم سيادة
ثقال لدى النادي خفاف الى الندى
مجالسهم وقف على الحلم والحجا
اساتذة في مجلس العلم والهدى
اذا ما جواد رام ادراك شأنهم
قد اكتسبوا بالمجد كل مزينة
فما منهم الا ولي مقرب

يرجى لدفع الخطب ان فدح الخطب
تؤولها كتب وتكرها كتب
فمنهجهم لحب ومشرهم عذب (1)
وترفع عنهم بعد اسبالها الحجب
رحيق شهود ليس يشبهه شرب
قلوبهم حتى كأنهم شرب
ويحصل قرب لا يكيفه قرب
لمجد رحي الا ومنهم لها قطب
ويلقاك في مفناهم الاهل والرحب
فلا يزجر المولى ولا ينبج الكلب
لاموالهم في كل مكرمة حرب
فطاب من الفرع الخلاصة واللب (2)
وياعجبا هل يستوي الانف والعجب (3)
وفي علم ما جاءت به الرسل والكتب؟
وضنت على البادي بمعروفها السحب؟
لها طرق عنها رجال الورى نكب؟
ذرى الهضب من رضوى لمادت به الهضب
يعز عليها ان تعز بها العرب
وسيف حجبى في كل مشكلة غضب
مواهبهم سهل وغاياتهم صعب
متى ثوب الداعي لمكرمة هبوا
فلا تسمع العوراء فيها ولا السب
واما ترافقهم فاهلك والصحب
ثنته الرعان الشم والامعز الصلب (5)
فكسبهم فضل وفضلهم وهب
مرب لادواء النهى كلها طيب

- (1) لحب : واضح
- (2) اللها بالفتح : قشرة الشجرة ، وجذم الشجرة : جذعها
- (3) عجب الذنب : منبته
- (4) البرى بالفتح : الشراب
- (5) الرعن كفلس : انف يتقدم الجبل ، والرعان جمعه ، والامعز : الكان الصلب .

اولئك اباي وذلك نهجهم
ولست الى نهج سوى نهجهم اسير
فلا زلتهم للدهر انسان عينه
بكم يرفا الثاي ويلتئم الشعب (1)
ولا زلتهم حرز البلاد واهلها
ولا زال يقفو اثر اسلافه العقصب
بجاء شفيح المذنبين محمد
عليه صلاة الله ما انهل السحب

خاتمة

راى القارىء فيما تقدم ما كنا كتبناه عن حياة الشيخ ماء العينين
رضي الله عنه . وقد قلنا اننا كنا نخاف ان تضع اخباره ان لم يمسس
بها . ثم ذكرنا اننا وقفنا على كتاب لولده مرييه ربه . فاختصرنا عليه
اشياء . ثم بعد ان تقدم الجزء في الطبع . اراني صاحبنا البعالة الشيخ
ابراهيم بن احمد الكتاني ابو المزايا اسماء جميع مؤلفات في الشيخ . وهى
هى ذى :

- 1 - (سحر البيان . في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان)
لماء العينين بن العتيق .
- 2 - (مؤلف) للفقير محمد سيدي ابن مولود من مال الفاغ الخطاط .
وهو اول ما الف في الشيخ .
- 3 - (نبذة من فوائد الشيخ) لاحمد التكرور اليعقوبي اثناء كتاب له .
- 4 - (مؤلف) لآخر لمحمد بن الامين بن عبيدات .
- 5 - (مؤلف) لآخر لتقي الله ابن الشيخ .
- 6 - (منظومتان) اخريان في الموضوع لتقي الله ايضا .
- 7 - (مجمع البحرين في مناقب ماء العينين) لمحمد العاقب بن الشيخ
سيدي عبد الله المايابى .
- 8 - (خاتمة كتاب النبذة الاحمدية) للشيخ احمد بن الشمس .
- 9 - (الفواكه) للشيخ النعمة بن الشيخ في كلامه الذي سمعه منه .
- 10 - (الابحر المعينية في بعض المدايح الماعينية) له ايضا .
- 11 - (قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين) لمرييه ربه . وهو
المذكور فيما تقدم .
- 12 - (مؤلف في اولاد الشيخ) لماء العينين بن الحضرمي بن بنت الشيخ
وهذه المؤلفات ذكرها كلها ابن العتيق . والكل موجود الى الآن عند
اهل الشيخ رضي الله عن الجميع .

(1) الثاي مخرجا : الاشهاد . ورفا الثوب المخرق : خاطه . والشعب الاناء : الصدى

وقد علم الاقوام ان ليس فيهم
فما ابتدعوا في جانب الشرع بدعة
وما عد لواغن واضح الحق جانبا
بهم ينجلي ليل الربون عن الحجا
فيعتاض بعد القبض بسطا ويحتسي
فتسري حميا الذوق فيهم وتنشئ
وتنفى رعونات النفوس بقربهم
وما زالت الاقطاب منهم ولم تدر
متى جيئتهم لقوك اهلا ومرحبا
بيوتهم لابن السبيل مشاعة
وقد سالموا اعراضهم غير انهم
ولم ينزعوا عن جذم عرضهم اللحا
يساميهن بعض من القوم ضللة
فهلا يساميهن مكانا ورفعمة
وهلا يساميهن اذا افبرت البرى (4)
وهلا يساميهن بكل فضيلة
لقد حملوا ما لو تحمل بعضه
وشادوا لكل العرب عزا بامة
لهم راحة في ضمنها راحة السورى
وقد نزل المرتاد منهم سيادة
ثقال لدى النادي خفاف الى الندى
مجالسهم وقف على الحظم والحجا
اساتذة في مجلس العلم والهدى
اذا ما جواد رام ادراك شأنهم
قد اكتسبوا بالمجد كل مزية
فما منهم الا ولي مقرب

يرجى لدفع الخطب ان قدح الخطب
تؤولها كتب وتكرها كتب
لمنهجهم لحب ومشرهم عذب (1)
وترفع عنهم بعد اسبالها الحجب
رحيق شهود ليس يشبهه شرب
قلوبهم حتى كأنهم شرب
ويحصل قرب لا يكيفه قرب
لمجد رحي الا ومنهم لها قطب
ويلقاك في مغناهم الاهل والرحب
فلا يزجر المولى ولا ينبج الكلب
لاموالهم في كل مكرمة حرب
فطاب من الفرع الخلاصة واللب (2)
وياعجبا هل يستوي الانف والعجب (3)
وفي علم ما جاءت به الرسل والكتب؟
وضنت على البادي بمعرفها السحب؟
لها طرق عنها رجال الورى تكسب؟
ذرى الهضب من رضوى لمادت به الهضب
يعز عليها ان تعز بها العرب
وسيف حجبى في كل مشكلة غضب
مواهبهم سهل وغاياتهم صعب
متى ثوب الداعي لمكرمة هبوا
فلا تسمع العوراء فيها ولا السب
واما ترافقهم فاهلك والصحب
ثنته الرعان الشم والامعز الصلب (5)
فكسبهم فضل وفضلهم وهب
مرب لادواء النهى كلها طيب

- (1) لحب : واضح
- (2) اللحا بالفتح : فشرة الشجرة ، وجذم الشجرة : جذعها
- (3) عجب الذنب : منيته
- (4) البرى بالفتح : التراب
- (5) الرعن كفلس : انف يتقدم الجبل ، والرمان جمعه ، والامعز : المكان الصلب .

اولئك اباي وذالك نهجهم
فلا زلتهم للدهر انسان عينه
ولا زلتهم حرز البلاد واهلها
بجاء شفيع المذنبين محمد
ولست الى نهج سوى نهجهم اصبو
بكم يرفا الثاي ويلتئم الشعب (1)
ولا زال يقفو اثر اسلافه العقب
عليه صلاة الله ما انهلت السحب

خاتمة

راى القارىء فيما تقدم ما كنا كتبناه عن حياة الشيخ ماء العينين
رضي الله عنه . وقد قلنا اننا كنا نخاف ان تضيع اخباره ان لم يعتن
بها . ثم ذكرنا اننا وقفنا على كتاب لولده مربيه ربه . فاختصرنا منه
اشياء . ثم بعد ان تقدم الجزء في الطبع . اراني صاحبنا البحاثة الشيخ
ابراهيم بن احمد الكتاني ابو المزايا اسماء جميع مؤلفات في الشيخ . وها
هي ذي :

- 1 - (سحر البيان . في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان)
لماء العينين بن العتيق .
- 2 - (مؤلف) للفقيه محمد سيدي ابن مولود من آل الفاغ الخطاط .
وهو اول ما الف في الشيخ .
- 3 - (نبذة من فوائد الشيخ) لاحمد التكرور اليعقوبي اثناء كتاب له .
- 4 - (مؤلف) لآخر لمحمد بن الامين بن عبيدات .
- 5 - (مؤلف) لآخر لتقي الله ابن الشيخ .
- 6 - (منظومان) اخريان في الموضوع لتقي الله ايضا .
- 7 - (مجمع البحرين في مناقب ماء العينين) لمحمد العاقب بن الشيخ
سيدي عبد الله المايابي .
- 8 - (خاتمة كتاب النبذة الاحمدية) للشيخ احمد بن الشمس .
- 9 - (الفواكه) للشيخ النعمة بن الشيخ في كلامه الذي سمعه منه .
- 10 - (الابحر المعينية في بعض المدايح الماعينية) له ايضا .
- 11 - (قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين) لمربيه ربه . وهو
المذكور فيما تقدم .
- 12 - (مؤلف في اولاد الشيخ) لماء العينين بن الحضرمي بن بنت الشيخ
وهذه المؤلفات ذكرها كلها ابن العتيق . والكل موجود الى الان عند
اهل الشيخ رضي الله عن الجميع .

- (1) الثاي مهوركا : الافساد . ورفا الثوب المخرق : خاطه . وانشعب الاناء : اتصدع

سيدي سعيد بن همو المعدري

نحو 1215 هـ = 2 - 2 - 1300 هـ

هناك في المعدر أسر كثيرة استوطنته . منتقلة اليه من قبيلة سملالة من الشرفاء السملاليين . من بينها أسرة آل همو والد المترجم الذي نبغ في التصوف في اواسط القرن الماضي . ثم لم ينشب ان كان مع اميته رئيس طريقته الدرقاوية التي تضم بين يديه كثيرا من العلماء المشهورين اذ ذاك . يقول الشيخ الالفى ان طريقة الصوفية العليا المؤسسة على الاصطلاح المنتخب عند ارباب الفن . قد اُفَلَّتْ شمسها عن سوس منذ توفى الشيخ احمد بن موسى التازاروا التي . الى ان شرقت ايضا على يد الشيخ سيدي سعيد بن همو المعدري . ثم ان من سعد المترجم ان اهتم بترجمته اقلام صوفية . هي التي يمكن ان تجلو حقيقته كما هي بلسان التصوف الذي لا يعبر عن الصوفية مثله . واقر انني احس عندما اترجم احد هؤلاء الصوفية بقلمى بانني المس التقصير كثيرا في العبارات التي يالفها قلمي وتألفه . ولذلك ابتهجت كثيرا اليوم حين وجدتني مكفي المثونة في ترجمة هذا الشيخ . فبين يدي الآن فصل كبير من رحلة الشيخ الالفى يحوم حول هذا الشيخ المعدري . كما وقعت ايضا على خطبة كتاب ابتداء الشيخ الالفى بقصد ترجمة شيخه هذا ولكنه كبا دون المقصود . على انه ان كان الشيخ الالفى كتب خطبة في الشيخ المعدري بلا كتاب . فللاستاذ العلامة محمد بن مسعود المعدري كراسة . هي كتاب بلا خطبة . ولذلك اسوق انا الآن كل ذلك بين يدي القارئ . فاكون فقط ناقلا لما قاله الصوفية في شيخهم الصوفي وعادتهم ان يملأوا تراجمهم بذكر احوال ربما يعدها غيرهم مما لا يليق ان يهتبل به . فابدا بما قاله الشيخ الالفى في رحلته . ثم انني بتلك الخطبة التي ظفرت ببعضها بقلمه . فانها على ما هي عليه لا تخلو من فائدة . ثم اثلث بما كتبه العلامة ابن مسعود ، وبعد ذلك الحق ما سقط الى مما تعلق بالشيخ المترجم مما لم يذكر فيما تقدم .

قول الشيخ الالفى في رحلته

قال بعد ما ذكر مبيته في (الساكنة) عند الايتلافيين ، يذكر نزوله بالمعسر .

ثم السى منبع عين سرنسا
ومركز السر وخير الامكنة
مولن شيخنا السعيد الاسعد
شيخ لاهل راية الصوفية
وقدوة الانام في الارشاد
ناج لاهل الله والعرفان
صاحب ذكر السر ليس يلهو
فوجد الاله بالعيان
فصار يجتني جنى المعارف
وكل من عرف حق المعرفة
اذ ليس موجودا على الطريقة
ولو رايت به مع الاكوان
لانك الذي رايت الكوننا
فالكل لم يوجد بغير الله
فاعتبر الاجساد والامدادا
فهذه الرتبة للخواص
ولم تكن لغير ذي اخلاص
وشيخنا احرز ذا المقامنا
قد صار بدء عمره حلف الخمول
بصحبة الاشياخ اهل الفن
فتارة ياوى الى السواحل
الى ان انطوت له الاكوان
فانشرحت بفتح قلوب الخير
ولست تعرف من المشايخ
هذى جبال متشابها
فكيف يعرفهم من لا يرى

وجنة تلالا في دهرنا
وزهرة الدنيا بهذه الازمنة
شيخ المشايخ الامام الاوحد
في سوس فاق غيره في
الى طريق الله والرشاد
حجة من بعثرة الرهسان
عن ذكر مولاه وليس يسهر
مع الشهود في حلى الاكوان
وهي تسمى جنة الرخايف
الاهل فيغيره لسن يعرفه
بل انه الممدوم في الحقيقة
بظاهر فهو مع الرحمان
بنفسك التي كنتك البوننا
ولم يقم الا به يا ساهي
من اين كان ودع العنادا
من الخواص فاستمع للقياس
من كان بالتليم في الصياصي
لزهد وتركه الانامنا
حتى حوى كل الكمال والوصول
بالصدق والشوق صغير السن
وتارة ياوى الى المنال
وشهدت بقدره الاعيان
وانقبضت عنه قلوب الشر
الا الذي تدرك في الرواسيخ
وهم رجال كلهم ذوات
بنظرات صدقه ما استنرا

وكل معدن فليس يظلم
 الحفر في السادات بالتصديق
 فمذهب الفقر على التصديق
 فاسرعت لنحوه القصص
 ووفدت وفود كل من اراد
 فاكسبوا بالصحة المراما
 فرسخوا لديه في العرفان
 قد جمعوا الجذب مع السلوك
 جم غفير قد تلمذوا له
 جزاه ربنا على الانعام
 ونصر الدين بقدر الجهد
 سيرته الارشاد والاذكار
 وليس ينظر الى الاولاد
 يداوم الاسفار للارشاد
 الى ان التقى مع الرحمن
 تصرفه الايام والاعوام
 مكتفيا بالله في الامور
 مقالته يجلو صدى الاغيار
 تبادولنا من فيضه علوم
 كم عالم جالسه بالصدق
 سمع علما لم يكن بعارفه
 وغيره لم ير الا الزندقة
 لان سوء الظن اعظم حجاب
 صاحبه حاو جميع الشر
 وقد روى في سائر الصحاح
 صاحبه لم ير في الانام
 فمن رأى صلاحه صباحا
 فصار يرم وينقض على
 قد جاءه الخطأ من قياس
 قد وزنوا بوزنهم فاخطوا

ما لم تكن في التراب منه تحس
 ان كنت من ايد بالتوفيق
 ومذهب الفقه على التحقيق
 واذنعت لزهده الزهاد
 ان يعرف الله مريدا ومراد
 ووصلوا فخالطوا الانام
 ولم يروا سواه في الاكوان
 وقد رضوا بمالك الملوكة
 فحاز كل قصده وسوله
 ارتددهم بالحوال والكلام
 بالجد والحزم وفيض الوجيد
 شهد ذاك الليل والنهار
 والاهل والاموال والبلاد
 لكل من لقي في العباد
 وهو يسبح في قرى اقران
 بذا كما يعرفه الاقوام
 مجانباً صاحبة الفرور
 لما اكتسى من كسوة الانسوار
 تجل ان تصطادها الفهوم
 وحسن ظن نحوه والشوق
 ولم يكن في كتبه بئالفه
 متى تشم العنبر الفويسقة
 كفى الذي ورد فيه من عتاب
 وسد عنه باب كل خير
 اياك منه طالب الفلاح
 اخا ولاية على الدوام
 ففي مسائه يرى الطلاحا
 كر الزمان عاسفا وسط الفلا
 اركانه اختلت من الاساس
 ان قياس ذا على ذا خطا

ايك يقاس حكم روح بالشبح
 من قاس بالشاهد كل غائب
 ثم رمت بهم قذائف الجحود
 ومع ذا فكلمهم يقول
 وبعضهم يرون ان قد كثروا
 وليس يصعب سوى التسليم
 لدون وصف بشر يقهرهم
 كل من لم يكن الصديان
 قد كنت في غياهب الفباوة

فهل تكايل دنان بفساد
 فانه يخبط في المداهب
 حتى راوا ان لاولي في الوجود
 الاولياء عدد منقول
 لكن اذا ذكر فردا تكروا
 لواحد من خلقه معلوم
 وحسن ظن لم يكن ينصرهم
 لم يك من شرابهم ريانا
 على شفا يورثني الشقاوة

الى آخر ما تقدم في ترجمة الشيخ الافي . وقد ذكر فيه كيف
 التقى معه . وفنى فناء مطلقا فيما عانسه من عنده . وقد قال في
 آخر ذلك :

ولم يزل بنا على الارشاد
 فزال ما بنا من الالام
 ورجعت ارواحنا للاصل
 ولدة الحضرة ليست تحكى

الى ان قال :

ورزقنا الله سلامة الصدور
 والصدق والتصدق والظن الحسن
 بجاء سيد الورى محمد
 صلى عليه الله ما لاح القمر
 وجاء شيخنا السعيد الاسعد
 جزاه ربنا الجزاء الاوفى
 الى العنان للذي فيه الكلام
 بدار شيخنا نزلت ظهرا
 بمصدر قبيلة السملالة
 ومنه نزلنا فرحت اوطاننا
 ونسر الفرح والاحسان

الى وصول خالق العباد
 ومن غيون النفس والاسقام
 من التأنس برب الكل
 بشبه ولا يفهم منكنا

من كل ما يقطع عن سنا ونسور
 والختم بالحسن وكثرة المنن
 عين الوجود قطب كل مسدد
 والال والصحب ومومنى البشر
 فريد عقد الواصلين الاوحد
 ازاء خير المرسلين الاصفى
 من المراحل الى خير الانام
 فانتش القلب لديه جهرا
 وقناه ربنا من الضلالة
 بنا ورحب بنا ولداننا
 حسنا ومعنى وانما الزمان

فصادفت لزولنا الافراح والبشر والحبور وانشراح
بولد الخليفة المسدد للفقراء سيدي محمد
مدته لم يلد الذكور فامتلا اهل بذا سرورا
انبته الله نباتا حسنا وليسبلن عليه منه مننا
متبعنا لسنة العدنانني مجتنباً طريقة الشيطان

هذا ما قاله الشيخ في رحلته التي هذبناها وسميناها (اصفى الموارد .
في الرحلة الحجازية للشيخ الوالد) .

الخطبة

وقعت في اضبارة من الاوراق في خزانتي . امكن لها ان تسلم من
الحريق المسلط على كل الاوراق المبشرة في خزانتي . على بعض هذه
بخط الشيخ . وفيها اربع صفحات فقط . وقد سقط ما وراءها . ولا
يعلم الا الله كم سقط من الصفحات وراء ما وجدناه . والعجيب انني ما
سمعت بهذا المؤلف قط . حتى وجدت هذه الخطبة . فجاءني ذلك عجباً .
ولو لم تبق الصفحات الاربع لما كان لذلك ذكر . ولكن ان اراد الله الإبقاء
على اثر شيء ابقى منه ما يدل عليه . فهالك ذلك كما هو .

الحمد لله الذي اعطى اوليائه من الكرامات . عوض ما اعطى انبياءه
من المعجزات . وزينهم بخصائص يخص بها من يشاء من عباده . ويفيضها
على اهل محبته ووداده . والصلاة والسلام على سيدنا محمد يا قوتة
الاسرار والانوار . ومعدن كل خير يكون في الاخيار والابرار . ومنبع
علم تجلى به الاصداء والاغيار . وعلى آله واصحابه وتابعيهم باحسان ما
دام الليل والنهار . وما جرت بخمر لذة للشاربين وعسل مصفى في الجنان
الانهار . وطلعت في وجوه المتحابين على سرر متقابلين الاقمار . وتفتقت
عن الحلل على ما اشتتهت نفوسهم فيها الازهار . وتفردت في دوحتهما
الفينانة بالحن تنعش ارواحهم الاطيار . وحطت عنهم في دار الهناء والامان
والخلود التكاليف والاوزار . وعلت بالهور العين عند ورود الحبيب
واحبابه الى باب الجنة الاسوار . يرحبن شوقا وعشقا بمحمد واتباعه وفيهم
المهاجرون والانصار . وتنافسن في حبهن وعشقهم ولا كعشق اهل الدنيا
الذي تحكيه الاشعار . وهي هدايا لهم ازواجا لكن مهرها ليس كمهر

بنات الدنيا الذي تغليه الاسعار . وهي ذوات الفنج والدلال قاصرات
الطرف اتراب على كراسي تطير بهن ابكار . لم يطمئن انس قبلهم ولا جان
ولا حل من حللن لاحد الازرار . وقضيت لاهل الجنة رغبة ومحبة
وعشقا من جميع الاشياء الاوطار . ووافتهم بالدخول في اي صورة
حسناء اعجبتهن في اسواق الجنة الاطوار . وجادت بائمار اصلها من
السماء وفروعها متفرعة على رؤوسهم الاشجار . وتطيب بعابق المسك
الذي هو تراب لها كما تلالا الدر الذي هو لها احجار . وتنعمت للعارفين
بالله في جنات المعارف لا الزخارف في مقعد صدق الافكار . وغابوا عما
تزخرت به الجنة من الحور والولدان والويدان والكيسان والاواني
بمحبوبهم اذ اسبغ عليهم من نعمه ما لم يسبغ على غيرهم مما لم تحط به
الاقلام والاحبار . وكانوا مع الله وفقدوا عن اهل الجنة كما فقدوا عن
اهل الدنيا فلم يوجد لهم خبر ولا آثار . وذلك لمن كان ظاهره وباطنه لله
وبالله ومن الله وفي الله من الكبير المتعالى اكرام لهم واشار . وانقطعت
عنهم بلدة شراب كأس التوحيد والتفريد الليالي والايام والاعصار . وتدفقت
عليهم حياض المعارف واللطائف بلا تكييف وتتابعن عليهم بها الامطار .
لما نالوا في الدنيا من مناجاة الله تعالى لما هجروا الاوطان والاخوان والولدان
وهاموا في البلدان والويدان وسلبتهم المحبة والشوق والاذكار . وانتبهوا
اذ غفل الانام واستيقظوا اذ ناموا وارتحلوا اذ اقاموا واحسنوا اذ اساءوا
وشكروا اذ كفروا وصبروا اذ حقروا واقلعوا اذ كان للناس في المعاصي
المراتب والاصرار . واشتاقن اليهم لما تجلى فيهم حسن الكمال الارض
والسماء والاشجار والاحجار والاطيار والاقمار والامطار والاسحار .
وتراحمت عليهم بالكرامات الظاهرات الباهرات النيرات الاشفاق والاورار .
وتولاهم بولايتهم اذ صدقوا في محبته وخدمته لما ابتلاهم بما فيه لهم الاخطار
ومنهم من سجن او قتل مصبورا او هجرا وحقر مقهورا . وجلب عليهم
بخيله ورجله الانكار . وطابت لهم بلدة محبة الحبيب التي غيبتهم بسكر
شرابها في كيسان الالخان بحانها النار . فقرأ لوح الكون كما قرأه خير
البرية باسم ربه اذ نزل عليه جبريل وحواه الفار . وتوجوا بتاج الوراثة
النبوية الباطنية التي لم تفسحها الاخبار . وما ذلك على الله بعزير انه على
كل شيء قدير . وبالإجابة جدير . وبعد فيقول العبد الفقير . الدليل
المحتاج الحقير . علي بن احمد الدرقاوي طريقة . غفر الله له ولوالديه
ولشايعه وللمسلمين . بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى من

لكن الذي تيسر له ان يخلف لنا اثرا لا بأس به في ترجمة الشيخ المعدري هو الاستاذ محمد بن مسعود . فاصح اليه . وتنبه لتثبته في النقل لتعلم مقدار ما له من التحري . قال (هذا ذكر ما تيسر من الاخبار الماثورة) على السنة الفقراء عن الشيخ الكبير العارف الشهير ذي القدم الراسخة . والاثار الشامخة في طريق القوم . رضوان الله عليهم . ابي عثمان سيدي سعيد بن محمد السملالي ثم المعدري . قدس الله روحه مما تعلق بما اظهره الله على يده من الكرامات . او بما يحتاج اليه في علم الطريقة من سنى المذكرات . وسردته سردا على حسب الوقت . من غير ترتيب ولا تبويب . فالله ينفع بذلك الواقف عليه ءامين فمن ذلك ما اخبرني به ولده ابو عبد الله . قال : اخبرني بعض الفقراء ان الشيخ رضي الله عنه ذهب الى قرية فخرج اليه صبيانها . فاعطاهم ما يفرحون به . وجعل يباسطهم . فخرج اليه بعض اهل القرية . وقال له اذ كان لا يعرفه هل انت طبيب فان لي ولدا مشرفا على الموت بحال غير مرضية . فقال الشيخ نعم انا طبيب . فذهب معه الى ذلك المريض . فجعل يده عليه . وجعل يقول الله . الله . الله . قال ولده ابو عبد الله . وكان يعني الشيخ من عادته انه انما يرقى باسم الجلالة . قال ففي الساعة شفي المريض وجلس . ثم انه جاء من عرف الشيخ . فقال لهم هذا فلان . فقال لهم الشيخ اني طبيب للقلوب ايضا . فتبركوا به . اعني اهل القرية . وتلقنوا منه الذكر . وظهرت عليهم بركة ذلك والحمد لله تعالى (ومنها) ما اخبرني به ولده ابو عبد الله ان الشيخ سيدي سعيدا . قال : لزوجته السيدة خديجة رضي الله عنهما . من اراد ان يربح اليوم في سيدي عبد الله بن سعيد . يعني الشيخ المدفون خارج البلدة . فليذهب ليصرف الماء عن راسه . وكان اليوم مطيرا جدا . وبين محل سكنهم ومدفن الشيخ المذكور مسافة بعيدة . لها بال . قال فذهبت السيدة زوجته بمكتل وعالة حفر . فوجدت سقف القبة التي عليه اذ ذاك قد دخل منه ماء المطر . وقرب ان يدخل الى راسه من جهة راسه فاصلحته . وكان الموضع خاليا لا عمارة به . قال : فقال لها الشيخ سيدي سعيد ان سيدي عبد الله بن سعيد من الصوفية . وهو محبنا في الله او من احبابنا في الله . قلت وكذا سمعت بعض الاخوان ممن صاحب الشيخ سيدي سعيدا يذكر عنه انه قال في

تبعهم باحسان الى يوم الدين . قد تكررت علينا اشارة الى تقييد مناقب شيخنا الاسعد . وقدوتنا الاوحد . فريد عصره . ووحيد دهره . مربى المريدين وموصل السالكين . الجامع بين الحقيقة والشريعة . والجذب والسلوك . والفناء والبقاء . والسكر والصحو . على احسن احوال الواصلين سيدي سعيد بن محمد المعدري وطنا . السملالي قبيلة . وقد كان اخونا في النسب . الفائق في الادب . الاغر النزيه . محب اهل الله حيث كانوا وباذل جهده في اصول المعالي اذ بعد الناس عنها وبانوا . الذي سلمت له في زمانه الاجادة . وأوت الى عرصاته الافادة . وشاد من قصور الدين مع قلة عمره ما لم يشد غيره مع كثرته على خرق العادة . وخلف ما يجري عليه من تعليم العلم والاحباس والولادة . سيدي ابو عبد الله ابن عبد الله بن صالح . رحمه الله تعالى ورضي عنه . قال لي انا اعلم لكم اسم كتاب مناقب شيخكم وهو (المبدىء المعيد) ومضى عليه ثلاث سنين او اربع الى الآن . وكان في حياته يحرضنا على تأليفه جدا . لما فيه من المحبة الراسخة . والمودة الشامخة . وتأنيت لما رأيت في نفسي من عدم الاهلية لذلك . وبعد امثالي عما هنالك الى ان رأيت الاذن من الغيب الذي لا يجيء منه شك ولا ريب . واخبرني بعض من اتق به من اخواني انه رأى ذلك فأكد علي في تقييد مناقبه . فجئت رجلي في طريق التقييد . واخليتها من التغميض والتعقيد . لتنعش بذكر احواله ارواح جميع الاخوان ، الذين شربوا الخمرة الربانية على يده على رؤوس الاشهاد والاعيان . وحصلت لهم منه رتبة الصحبة التي بها تنال المن من المنان . فان اصحاب الاولياء كاصحاب الاخيار . يرثون الاسرار . والانبياء بقدرهم . والاولياء بقدرهم . ولذلك قيل من كفر بولي زمانه فهو كمن كفر بنبي زمانه . لانه يحرم ما عنده من الخير . ومن صدق ولي زمانه فهو كمن صدق نبي زمانه . فانه يفتيه حياة ومما . وما خص من خصه شيء الا من عدم التصديق . وعدم التصديق يكون من عدم التحقيق . وعدم التحقيق يكون من عدم حسن الظن . وعدم حسن الظن يكون من عدم الرغبة في الشيء . وعدم الرغبة في الشيء يكون من عدم المعرفة بانه اجود ما يكون . واما من علم افضلية شيء فلم يمكن ان لا يرغب فيه) هذا ما وجدناه محفوظا في تلك الاضبارة . ولا يخلو من فوائد حسنة . وقد انقطع اسفل الورقة ما في تلك الاضبارة .

سيدي عبد الله بن سعيد المذكور انه من الصوفية . او ما يودي معنسى ذلك . والله اعلم . (ومنها) ما اخبرني به ولده سيدي ابو عبد الله عن بعض الفقراء ممن صحب الشيخ سيدي سعيدا رضي الله عنه انه قال الشيخ ان سيدي فلانا يعني بعض الفقراء المعاصرين له زعم ان الذي في مفربتنا هذا من اولياء الله تعالى خمسة وسبعون وليا ، فقال له الشيخ سيدي سعيد ذلك هو العدد الذي اطلعه الله على عدده . بل ذلك القدر موجود في خصوص هذه القرية . يعني المعدر من الاولياء الذين لم يكتب القلم عليهم شيئا . يعني من خصوص الصبيان . يعني فضلا عن غيرهم وغير من في القرية . ثم قال له الشيخ ما معناه : يمكن ان يجتمع الف ولي لله تعالى يتساءلون فيما بينهم عن ولي مخصوص . فلا يعلم احد منهم بولاية غيره . وقد لا يعلم بها هو ايضا في نفسه . وقال ايضا ان الاولياء على وجه الارض مثل النجوم في السماء . في الليلة المصحية . يعني في الكثرة . والله اعلم (ومنها) ما اخبرني ولده سيدي ابو عبد الله عن اخبره من حضر وفاة الشيخ من الفقراء ببلدة افران . ان بعض الفقراء سألوه وهو مريض مرض موته . هل يحملونه الى بلدته بعد موته ليدفن فيها ؟ فاجاب بما قال في اخره العبد لله والارض لله . يشير لهم الى دفنه حيث يتوفى . قال ومما جرى على لسانه قرب الوفاة من المذاكرة . انه قال خرجت روحي من محلها منذ يوم الجمعة . وما بقى يخاطبكم ويجاوبكم الا الروح فوق الشبح بقدرة الله تعالى . وقال اذ ذاك ايضا قد اجتمع يعني في تلك الحال عليه اولياء الله تعالى الاحياء والاموات . وقالوا لي يا فلان ما استخرج احد في بلاد المغرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم ما استخرجته فيها من المياه . يعني اسرار القلوب . وما يفتح الله على اربابها من انوار الايمان والعرفان . والحكمة الربانية . والمعاني الوهية . وقال ايضا كل من رزقه الله لقاءنا قد كحلنا عينه . يعني انه استمد منه كل من صحبه . حتى استنارت بصيرته . كل على قدره وهمته وقابليته . وقال ايضا كل محل زرعنا فيه البذر قد انبتته الله تعالى . وما خيبنا الله فيه . حتى ما زرعناه في دمنة المزيلة يشير بذلك الى من ضعفت قابليته وتوجهه . واخبرني ولده ابو عبد الله المذكور ايضا قال سمعت بعض من صحبه من الفقراء يحكي رؤيا حصلها : انه رأى في النوم بعض اعيان قبيلة الشيخ في حالة حسنة . وثياب مستحسنة . وهو بين جماعة من الفقراء . فقال له كيف انت ؟ فذكر خيرا . قال فقلت له بأي شيء نفعلك الله ؟ قال بهؤلاء السادات الذين اتوا

بينهم . قال وقص الرؤيا بعد تلك الليلة على الشيخ سيدي سعيد . فقال له الرؤيا صحيحة . فان الرجل المذكور ممن ينتسب اليها . ولقناه الذكر . وقال ايضا ومما قاله الشيخ سيدي سعيد في مرض وفاته للفقراء : ان كان ما نحن عليه بالله فلا ترون فيه الا الزيادة فوق ما رايتموه . وان كان من الظلمة فانه سيخمد ويضمحل . قلت يشير الى ان ما هو عليه من ارشاد العباد ودعائهم الى الله تعالى . ان كان حقا من حق فلا يزداد الا سموا وانتشارا بانتشار نور الاتباع . رضوان الله عليهم . وان كان باطلا فللباطل جولة ثم يضمحل . وهذا نحو ما في حديث البخاري الذي فيه ان هرقل سأل ابا سفيان عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ايزيدون ام ينقصون ؟ فقال بل يزدون . الحديث . وذلك مما عرف به هرقل صحة نبوته صلى الله عليه وسلم من العلامات . قال ولما تحقق منه الفقراء قرب الوفاة بكوا . فقال ما يبكيكم ؟ قالوا كراهة الفراق . فقال ان عرفناكم الله فالف الله باق . وان عرفناكم نفوسنا فقد ظلمناكم . يعني ان احلناكم الله على التعلق بالله والانحياس اليه والتوكل عليه . كما هو حالنا الصعبة . فلا يضركم مفارقة غيره وهذا نحو ما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته المعروفة للصحابة لما طاشت الاحلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل : (الآية) . قال وقال الفقراء حينئذ للشيخ سيدي سعيد ما معناه انهم يسئلونه تعجبين من يقوم بأمر الفقراء بعد . فقال لهم ان طلعت الشمس فكل احد يراها . حتى الاعمي يحس بحرها في ظهره . قلت يشير رضي الله عنه الى ان المداير على ظهور الانتفاع في الطريق . فكأنه يقول لهم من ظهر انتفاعكم بامداد وكلامه لا تنكرونها انتم ولا غيركم . اي لا يخفى عليكم . وهذا كقول بعض العارفين شهود النفع بهم يحصل القطع بخصوصيتهم . وقد قرروا هذا المعنى بما يراجع في محله . وهذه هي الكرامة في الحقيقة . والبرهان الساطع على انتهاج محجة الطريقة . واخذه بعض الصوفية من حديث عرفت فالرم . قلت وهو نحو قولهم من فتح له في شيء فليزمه . والله تعالى اعلم . والله در من قال :

فمن سرى سره في سر تلميذه فذاك هو فلا تبسح به بدلا

فاذا استبان السالك . وتحقق من نفسه الاستعداد من نور من رزقه

الله صحبتته . فليعلم انه رزق البقية . فليشدد عليها يد الضنين . فانه باب الله تعالى في حقه . فان فارق الباب . فقد اساء الادب . وانتهج طريق الهلاك والعطب . واستوجب سوء الحرمان . ولو أتى الحضرة من غيره من الابواب . والله تعالى يلهمنا حسن الانابة والمثاب . ويأخذ بأيدينا عامين . قال ولما توفي الشيخ رضي الله عنه اجتمع الناس للصلاة عليه من اسفل وادي افران . بسبب اخراج البارود في قراه في كل جهة . على ما هو العادة عند ارادة اجتماع الناس من بعيد . مع انه لم يأمرهم بذلك احد . ولا اعلموا بوفاته حينئذ . وكان صائحا صاح فيهم بذلك . مع كون الوقت مظنة ان لا يجتمع مثل ذلك . لكون الوقت وقت سحاب ومطر . وقد قال بعض السلف يخاطب المبتدعة : بيننا وبينكم الجنائز . يشير الى ان كثرة الناس فيها اماراة على حسن حال الميت . وصلاح سريرته . وهذا امر معروف . وفي كتب التاريخ موصوف . واخبرني ولده سيدي ابو عبد الله المذكور عن والدته السيدة خديجة رضي الله عنها . انها رأت رؤيا . والشيخ سيدي سعيد اذ ذاك مريض مرض وفاته في افران . وهي في بلدة الشيخ (المعذر) حاصلا انها رأت عروسا ارادت الركوب على شيء . فرفضت السيدة رجل العروس بيدها . لتعنيها على الركوب . قالت وكنت اظن ان المركوب هو الفرس . فنظرت فاذا هو النعش الذي يحمل عليه الميت . فقالت لولدها ابي عبد الله المذكور وقصت عليه الرؤيا : لعل والدك قد مات . ثم اخبرت بعض الاخوان الافاضل ممن حضروا وفاة الشيخ سيدي سعيد . وقالت له رايت بعد ذلك النعش مطروحا على الارض . والناس يحفرون القبر للميت الذي عليه . وتلك الارض من صفتها كذا وكذا . فقال لها ان الارض التي دفن فيها هناك هي على تلك الصفة . قلت ذكر العلامة العياشي في (الرحلة) ما اظن ان حاصله . ان بعض مشايخ العجم اصطلاحهم في التعبير عن وفاة مشايخ الطريق . انهم يقولون اعرس فلان وقت كذا . ولا شك ان اكبر الافراح عند اولياء الله تعالى هو فرحهم بلقاء مولا هم . فان الدنيا انما هي سجن لهم . واشباحهم فيها قفص لارواحهم . وان كانوا فيها في نعيم الشهود . فزال بقية الحجاب بالرحيل عن الاشباح . وهو غاية نعيم الارواح . ولما كانوا هم صفوة الله من خلقه . وواسطة سلك المتقين من عباده . وهم محل نظر الله من العالم . وبهم يرحم الناس ويمطرون . وهم احبائهم المقربون . صاروا في التشبيه التقريبي كالعروس في النساء المتهديات في الزفاف . ولذا جاءت الرؤيا في عالم النوم على نسط

التشبيه المذكور . وجرى الاستعمال على ذلك ايضا في كلام اهل الطريق . كقولهم اولياء الله عرائس . ولا يرى العرائس المجرمون . وكما في نحو ما ذكره بعض المؤرخين ان الشيخ العارف الكبير الشهير سيدي احمد الرفاعي رضي الله عنه . لما مرض مرض موته . قال له خادمه تجلى العروس في هذه المرة . قال نعم . قال فقلت له لماذا ؟ قال جرت امور اشتريناها بالارواح . اقبل بلاء عظيم على الخلق فنحمله عنهم . الى غير ذلك . والله اعلم . واخبرني سيدي ابو عبد الله المذكور انه حضر لما استخرج والده الشيخ سيدي سعيد رضي الله تعالى عنه من قبره بعد عامين الا نحو شهرين . من وقت دفنه . وقال انهم وجدوه كما دفن . لم يتغير منه شيء قال : ولما اردنا حفر قبره . وقمنا على قبره اخر نظنه قبره . فشرعنا في حفره فانقبضت من ذلك قلوبنا . فتنبهنا الى انه ليس قبره . قال : ففتشيت فوجدت قبره . فحصل لنا حينئذ بسط وفرح . ونور انفس وانسراح . نحو ما يقع عند ملاقة ارباب القلوب من الاحياء . فما شككنا انه من تلقائه . قال وفي غد الليلة التي رفعناه فيها من قبره راى بعض الفقراء من اهل افران رؤيا حاصلا انه راى الشيخ وهو كالقمر باعلى افران . وهو يقول ما جرت به العادة في التوديع . ويخاطب اهل افران ويقول ما معناه . استودعكم الله . هاانا ذا ذاهب الى بلدي . او ما يقرب منه . وقص الرؤيا على الفقراء بالزاوية هناك . وبمجرد ما قصها عليهم جاءت امرأة واخبرتهم ان على قبر الشيخ اثر النبس . فذهبوا فنبشوه بفتوى بعض الفقهاء . فلم يجدوه في القبر . قال الراعي المذكور . ولما نبشنا القبر تلقنت منه رائحة طيبة لا اعلم لها نظيرا . واخبرني السيد ابو عبد الله ولد الشيخ انه لما قرب رفعه من قبره الى بلدته . راته زوجته السيدة خديجة في النوم . وهو يقول لها قد اتفق اولياء الله تعالى الاحياء والاموات على ان ننقل من هنا الى هناك . يعني من بلدة افران الى بلدة (المعذر) باذن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قالت فقلت له ألسنت بميت ؟ فكيف نفعل بك . فقال لها اصنعوا صندوقا من هذه الخشبة من الارز التي في مربوط الدواب هناك اي في داره بالمعذر . واغسلوا الصندوق . قال ولده ابو عبد الله وكانت هناك خشبة مطروحة فوق الزبل بمربط البهائم . فيسر الله تعالى صنع الصندوق منها في اقل مدة على وجه جزم صانعه انه من خرق العادة . مع انه لم يعلم ما اراد من الصندوق . وانفق ان الطرف الموالي من الخشبة لربل الدواب كان داخل الصندوق فاحتيج الى غسله . وظهر ما اشار

اليه الشيخ في الرؤيا رضي الله تعالى عنه . ورات زوجته ايضا قبيل رفعه من افران . رؤيا حسبا اخبرني ولده ابو عبد الله المذكور . حاصلها انها رات انه امتد من بلد افران الى مدفن الشيخ الآن بالمعذر قوس قزح . وهو الذي يسمى بلسان عامتنا عروس المطر . ثم انقلب انبوبا عظيما يجري منه ماء صاف ابيض من الثلج . وينصب في تلك البقعة التي هي مدفن الشيخ في المعذر . والماء يجتمع ويرتفع الى جهة السماء . ولا ينتشر في الارض . ثم رات الشيخ سيدي سعيدا اتى من الانبوب المذكور . ووقف في الموضع الذي ينصب فيه الماء . وقال ان الماء قد جمعناه جميعه هنا . وهذه الرؤيا هي سبب تعيين السيدة للبقعة المذكورة التي دفن فيها الشيخ رضي الله عنه . واخبرني ولده سيدي ابو عبد الله قال حاكيا عن والدته المذكورة . ان سبب رجوع الشيخ الى طريق الصالحين في بدايته وهو شاب . انه كان لهم جار صالح في مسكنهم اذ ذاك وهي القرية التي تسمى (بوتوميت) خارج المعذر . فورد على ذلك الجار الصالح بعض اخوانه الصالحين . فجعلوا يتحادثان والشيخ سيدي سعيد يسمع محادثتهما ومذاكرتهما فيما يتعلق بطريق الصالحين . فاحب الاجتماع على تلك المذاكرة . الا انه لم يتيسر له الجلوس معهما . وكان ذلك الجار فقيرا . فذهب اليه سيدي سعيد ببعض ما عندهم من الاوطاب الكبيرة المعدة لمخض اللبن . وهو مملوء لبنا مخيضا . وفيه من الزبد ما خرج من ذلك اللبن فنقر باب الجار المذكور . فخرج اليه . فأعطاه ما ذهب به اليه . فلم يقدر على رفعه من الارض . فقال له احمله معي الى داخل الدار . فحمله له . فوجد زوجته وكانت سالحة ايضا قد هيات لزوجها وضيغه طعاما بلا ادام . فلما رات ما اتى به الشيخ سيدي سعيد دعت له بأن قالت يا اخي يا سعيد سقاك الله من عين النبي صلى الله عليه وسلم . وجعل عينك من عينه صلى الله عليه وسلم تستقي منها الامة . او ما يقرب من هذا . قال الشيخ : فأحسست اذ ذاك بذاتي لها ارتعاش . وورد علي من دعوتها حال . فخرجت فوجدت ضيفهم الرجل الصالح في دهليز الدار . فخفض رأسي . وضرب بيده بين كتفي ثلاث مرات . ودعا لي بمثل ما دعت به المرأة المذكورة سواء . وخرجت من عنده . فلبثت بقية الليلة ساهرا . وانا بحال خشوع وبكاء . وتوجه الى الله . والقي الله في قلبي كراهة من كنت اصاحبهم على الغفلة واللغو وكان له اقران يشتغل معهم بما هو العادة في الشباب . من اللغو والصبوة . قال : وفي غد تلك الليلة رأى ناقة لبعض جيرانهم وجد

اسرائيه اخرجتها للرعي . وكان الوقت صيفا . ولها طفل رضيع يششى عليه من حرارة الهواء . فأمرها سيدي سعيد ان ترجع بالطفل . وكفاهها مشونة وهي الناقة . فدعت له بمثل تلك الدعوة ايضا . قال فأحسست بذلك الحال . وقد زاد علي جدا . قال وفي غد ذلك اليوم وجد زوج تلك المرأة صاحبة الناقة المذكورة . وقد رعاها ولحقه من رعيها ضرر الشوك في الفأبة اذ ذاك ولا نعل له . وكان اعرج يمشي بظاهر قدمه . فأعطاه الشيخ سيدي سعيد نعلا ينتعلها . قال فدعا لي بمثل تلك الدعوة ايضا . وأحسست ايضا بزيادة ما ورد على قلبي . ومن حينئذ كرهت الدنيا وما انا عليه من رعي البهائم . وجئت انا وصاحب لي الى بيت في دارنا بالمعذر . وانقطعنا الى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . حتى ادرك منها صاحبي حلاوة العسل . بحيث كان فمه يجري بها وهو لا ياكل ولا يشرب . استغناء بذلك عن الاكل والشرب . قال ثم بدا له فلحق اعني الشيخ سيدي سعيد بالصالح المشهور المتبرك به الفقيه سيدي ابراهيم (1) الوليضي رحمه الله . فتلق منه ذكر السادة الناصرية . وجلس عنده في بلدته ليتعلم القرآن . ثم اتاه والده واتى به الى المعذر كرها . فقعده في المعذر يتعلم القرآن . وكان في (المعذر) اذ ذاك الصالح المشهور المتبرك به . صاحب الكشوفات المشهورة . ابو عبد الله الفقير محمد بن عبد الله . دفين (المعذر) رحمه الله تعالى فذهب سيدي سعيد اليه . ونيتته الاخذ عنه . واتخاذه شيخا . فاجابه مكاشفة بمثاله . بان قال له هذا الماء القليل الذي عندي ليس لك فيه مقنع . هذا يسير . ما استخرجت انا منه الا ما ينقلني من العطش . قال فقلت له كيف وقد سجت نفسك في هذه الخلوة اربعين عاما . قال فقال لي هذا ما وصل اليه مقامي . واما انت فالعين التي تشرب منها وتأتي منها بالماء . وتسقي بها الى السودان هي فيما وراء وادي ام الربيع . يعني النهر المعروف . وانما انا شيخ نساء يزار لطلب الاولاد . وتدفع اليه ندور يسيرة كالدجاج ونحوها . وانت شيخ بقر واكباش . يعني تنذر لك التدور المعتبرة . وهذا على عادة السيد الفقير ابي عبد الله محمد بن عبد الله المذكور من خلطة الجد بالهزل . مع ان كلامه اشارات . كما هو معروف من حاله رضي الله تعالى عن الجميع . قال وكان سبب اتصال الشيخ سيدي سعيد بشيخه الامام العارف الشهير . الفقيه ابي

العباس سيدي احمد بن عبد الله المراكشي رضي الله عنه . سريد الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه . انه كان مع زوجته السيدة المتقدمة في خدمة حصاد . فمر عليهما بعض تلامذته من فقراء المعدر . ممن كان يرد عليه في مراكش . فسأله الشيخ سيدي سعيد هل تعرف يا فلان شيخا يأخذ بأيدينا ويوصلنا الى الله تعالى . فانك سلكت البلاد بالسياحة . فقال له ذلك الفقير : متى تهيأت لذلك ذهبت معك الى حاجتك فقال له سيدي سعيد : نذهب غدا . فذهب ساعته . واتى بدين له على رجل قدره ثمانون مثقالا . وضمه الى شيء آخر من نحو امتعة ولباس . فذهب وانفق ذلك كله عند شيخه المذكور في مراكش . وبقي عنده تلك المرة الاولى اكثر من عام . قال وسمعت يوما الفقراء هناك يقولون ما حاصله : من لم ينقطع الى الله . ويتخل عن الاهل والمال والولد . فليس له من هذا المعنى نصيب . قال فهمت بما اشاروا اليه . وارتدت تطليق الزوجة . والتخلي عن الاولاد والبلدة بالكلية . فكوشف الشيخ سيدي احمد بن عبد الله بما في نفسي . فناداني وقال يا سيدي سعيد . يا سيدي سعيد . لا يا سيدي سعيد اترك زوجتك بحالها . ومالك بحاله . وامش وجيء . فما ملكك الله من هذا المعنى ورزقك سيائيتك . يعني تردد الينا ولا تتخلف عن صحبتنا بحسب الامكان . مع قضاء حق الاهل والولد ايضا . فقبلت رأس الشيخ . قال سيدي سعيد وهذا هو ملاك الامر . وهي بقاء المريد تحت نظر شيخه . ولا يعمل باشارة كل فقير . وما يسمعه من مذاكرتهم . قلت ونحو هذا المذكور في رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله تعالى عنه . ووجهه ظاهر لاختلاف الانظار والافهام . وكل احد لا يشير الا بحاله . والمتطبيب قد يفسد اكثر مما يصلح . اللهم الا فيما تتفق عليه الجماعة من غير شوب ولا حزازة . او فيمن يوكله الشيخ على التعيين يقدمه للنظر في الامور جملة . والله تعالى اعلم . وسمعت ان الشيخ سيدي سعيدا زجر فقيرا امره الفقراء بخرق العادة في المعدر . على وجه يخاف عليه فيه من الرجوع الى وراء . وقال له لا تفعل الا ما امرك به . ولا تنظر الى ما يقوله لك الفقراء في غيبتك . او كما قال . قال ولده سيدي ابو عبد الله حاكيا عن والدته : انه لما رجع من تلك السياحة الاولى وجد ولده ابا عبد الله طفلا رضيعا . يقوم على قدميه . فقال لزوجته اخبرني الشيخ سيدي احمد بن عبد الله لما ودعني انك ستجد ولدا يزيد عندك . فسموه محمدا . او كما قال . وقد وجدتك سميتوه كذلك . وسألته زوجته هل يخطر في قلبك

في سياحتك امر ما تركته من والدك وزوجتك ومالك . فقال لا ولو طرفة عين . الا مرة واحدة كنت في خلوة الذكر عند الشيخ سيدي احمد بن عبد الله . وكان الوقت وقت مطر كثير . فتذكرت مطمورة لي مملوءة من الشعير . وخفت ان يدخلها ماء المطر . لكونها تحت ميزاب ماء المطر . فارسل الي الشيخ في الحين وقال لي هل خطر امر من بلدتك في قلبك ؟ فقلت نعم يا سيدي . فقال اذهب اليها وارجع الينا . قال فجئت الى البلدة . فوجدت المطمورة سالمة . واخبرني ولده ابو عبد الله عن الشيخ سيدي سعيد انه لما حضرت الوفاة الشيخ سيدي احمد بن عبد الله . سأله فقراؤه من هو وارثك ؟ فترك الجواب . فلما الحوا عليه . وقالوا خفنا الخلاف فيما بيننا ان لم تعين لنا من هو الوارث فقال لهم : هو سيدي سعيد السوسي . يعني المعدري . وبذلك يعرف عندهم . فقالوا ما حاصله : ماذا يفعل اهل سوس بطريق الصوفية ؟ فانهم اهل شح وبخل . لا كرم لهم . فقال لهم والله والله والله ان الشمس ظهر ضوءها في سوس باذن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على رغم انف من ابى . او كما قال مما يؤدي هذا المعنى . فقالوا له الى متى يبقى هذا السر عنده ؟ فقال لهم الى وفاته . فان ورثه عنه اولاده فقد بقي لكم هناك . والا رجع اليكم . ولما توفي الشيخ سيدي احمد بن عبد الله صار الشيخ سيدي سعيد رضي الله تعالى عنهما يتردد بالزيارة الى الشيخ العارف الشهير مولاي الطيب ابن العارف الشهير . البدر المنير . القطب الاشهر . السر الازهر . ابي حامد مولاي العربي بن احمد الدرقاوي رضي الله عنهما وذلك بوصية من شيخه سيدي احمد بن عبد الله المذكور وامره له بذلك وقد جاء مع الشيخ سيدي مولاي الطيب مرة الى المعدر . ومكث في دار سيدي سعيد ثلاثة ايام . ثم ذهب الى زيارة ضريح الشيخ الشهير سيدي احمد بن موسى السملالي . نفعا الله به في (تأريخه) فزاره ورجع . وكان الشيخ سيدي سعيد تلقن ذكر الطريقة الدرقاوية أولا من الشيخ العارف بالله سيدي الحاج محمد ابي البيضات الهشتوكي البلقاعي رحمه الله تعالى . وهو عن الشيخ سيدي احمد بن عبد الله المذكور . ثم ندبه بعض الفقراء الى الاخذ عن سيدي احمد بن عبد الله المذكور . واخبرني بعض الفقراء ان سيدي سعيدا زار سيدي احمد بن عبد الله في جملة فقراء في محبة سيدي الحاج محمد البلقاعي . فلما رجعوا وكانوا ببعض الطريق سألهم سيدي الحاج محمد . وقال لهم ايها الفقراء : اي طريق نسلك من هاهنا ؟ فقال له سيدي سعيد يا سيدي انت شيخنا .

فأي طريق امرتنا بها سلكنها . فقال له كيف اكون شيخك وقد استبدت بي ؟ قال سيدي سعيد ما حاصله : انما حفظني الله تعالى . والا فقد خيف علي وعلى حالي ان يكون هباء منثورا . او كما قال . يشير الى ما قيل في مثل ذلك : غر فسلم . وواقعة الشيخ زروق مع شيخه الزيتوني رضي الله عنهما معروفة . واخبرني سيدي ابو عبد الله عن والده الشيخ سيدي سعيد . قال : ان سيدي الحاج محمدا المذكور كان يستشير النبي صلى الله عليه وسلم في كل امر يريد ان يفعله . قلت وسمعت من بعض الفقهاء ان سيدي الحاج محمدا المذكور كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة . وكذلك كان الشيخ سيدي سعيد . وحكى لي قصة تدل على ذلك . وذكر مع ذلك ما يفيد ان سيدي سعيدا اكبر منه مقاما جدا . وهذا الخبر من فضلاء الفقهاء المصاحبين للشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه . واخبرني ولده ابو عبد الله عن الفقير الفاضل المعروف بالكشوفات الصادقة سيدي مبارك بن بكّة الترنيتي رحمه الله تعالى انه قال له : كنت مع الشيخ سيدي سعيد مرة في مسجد . فرأيت المسجد ممتلئا برجال . كلهم على صورة سيدي سعيد الخاصة به . بحيث تقول في كل منهم انه هو . قال فاخبرت سيدي سعيدا بما رأيته من ذلك . فقال يقع للولي اكثر من ذلك . بحيث يتفرع عن ذاته من الدوات الموافقة لها ما يملأ الكون . واخبرني ولده ابو عبد الله عن امه انها قالت ذهب الشيخ سيدي سعيد مرة الى الجبال بلدة الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه . فاخبرنا الجيران بعد ذلك بمدة انهم راوه في سوق (المعدر) فانتظروا وقت الرواح فلم يجيء الى الدار . وبعد ذلك بمدة مديدة جاء من سفره . فاخبرته بما قال الجيران من رؤيته في المعدر . فقال يقع للولي خروج ذوات من ذاته . ويظن كل واحدة منها انها هو . ويرى في بلد بعيد منه (1) . وقد لا يشعر الولي بذلك كله . واخبرني ولده ابو عبد الله عن الفقير الفاضل سيدي مبارك بن بكّة المذكور ان بعض الشرفاء قال للشيخ سيدي سعيد اخبرني اين يلتقي اولياء الله تعالى في الليلة الآتية . وان لم تخبرني وضعت التراب على اذنك واخبرتك وهذا على لسان عامتنا يعبرون بوضع التراب على الاذن عن الاشعار بالغلبة . واعتراف المرء على نفسه بالاذعان للخصم . فقال له الشيخ سيدي سعيد هذه اذني ضع عليها التراب . فوضع الشريف التراب على اذنه . وصار

(1) للسيوطي مؤلف في (تطور الولي والملك) وفي استبصاره - علم الارواح - اليوم ما يؤيد هذا .

الفقير سيدي مبارك المذكور يخلص التراب عنه . ثم قال له سيدي سعيد ما الذي اردت بالاولياء عامتهم ام خاصتهم ؟ فان اردت عامتهم فمجمعهم اي في تلك الليلة هو مسجد المعدر . واما خاصتهم فهم في الاجتماع دائما لا ينفرقون . قال بعض الافاضل من الفقهاء يعني ان اهل الخصوصية دائما مجتمعون في حضرة الله تعالى . لا ينفكون عنها ولا ينفرقون . واخبرني ولده ابو عبد الله عن اخبره من الفقهاء المصاحبين للشيخ سيدي سعيد ان رجلا قال له في سوق تزيت : ارني هذا اليوم اولياء الله في هذه السوق . فاشار الشيخ سيدي سعيد الى رجلين يبيعان الفخار . وقال هذان منهم . اما احدهما فمتسع الصدر . واما الآخر فضيقه . فذهب ذلك الرجل اليهما ووقف على الضيق الصدر منهما يساومه الفخار فأظهر انه سقطت من يده فخارة من اوانيه فانكسرت . فطالبه ذلك الولي بشدة بغرم قيمتها فغرمها . ثم ساوم الآخر المتسع الصدر . وفعل معه مثل ما فعل مع الاول وكسر من اوانيه فخارتين . فلم يبال ذلك الولي . وكلما انكسر له اناء منها . قال له انقضى اجله . فارفع آخر غيره وقلبه . ثم بعث الشيخ سيدي سعيد الى الرجل . وامره بالانتهاء عن كسر اوانيه . واخبرني ولده ابو عبد الله انه قال له والده الشيخ سيدي سعيد مرة : ان الاولياء مجتمعون هذه الليلة في مسجد المعدر . قال ولده ابو عبد الله فذهبت سحر تلك الليلة الى المسجد المذكور . فلما رجعت قال لي من لقيت في المسجد ؟ فقلت فلان وجدته في ميضأة المسجد . وكان يتظاهر بشعوب يغفل وبلاه . فقال هو منهم . قلت وسمعت مثل ذلك عن غير الشيخ سيدي سعيد في حق فلان المذكور والله اعلم . واخبر ولده ابو عبد الله عنه انه اخبر جماعة من الفقهاء انه لما لقي الفقيه الصالح المتبرك به ابا علي سيدي الحسن ابن احمد التميمي جدي رضي الله عنه سألته ابو علي المذكور . وقال له من بلغ مقام ان تصرف ارزاق جميع الخلق على يده . هل بلغ مقام ان يدعو العباد الى الله تعالى ؟ يعني بالتسليك والتربية المتعارفة . قال له سيدي سعيد انما هو بمنزلة من جعله السلطان على علف بهائم . فهو الذي تعرفه البهائم . واما السلطان فيمر بينها ولا تلتفت اليه . فقال له ابو علي فمن يسامح لدعوة العباد الى الله تعالى ؟ فقال له من يلقي واحدا منهم وقلبه مسود تقدر الطباخ . فينظر فيه نظرة فتخرج تلك الكدرة كلها والظلمات منه . قلت وهذه النظرة باطنية كما يخفى . وهي في الحقيقة همة الولي العارف المشغوس تقلب بها الاميان . وتنفعل لها اشياء بقدرة الله تعالى والمنة نبوية .

كل امر تعنى به ثقلب الامميين فيه وتعجب البصراء
رب عين ثقلت في مائها الملح فاضحى وهو الفرات السواء
وكان ابا علي يشير بما ذكره من ذلك الى نفسه رحمه الله تعالى .
واخبرني ولده ابو عبد الله عمن اخبره من افاضل الفقراء انه لما لقي الفقيه
الصالح العارف بالله تعالى ابو علي سيدي الحسن التملي ثم الايرازاني
برأس الوادي سكنى ومدفنا . الشيخ سيدي سعيدا رضي الله عنه . وتلقن
منه الذكر . حصل له الفتح الرباني اذ ذاك من غير عناء ولا تعب . قال
ابو عبد الله اخبرني الفقيه المذكور انه ختم القراءان الكريم اربعين ختمة
في اربعين يوما بنية ان ياتيه الله تعالى بشيخ عارف مسلك يلقي اليه
قياده وفي يوم اتمام العدد المذكور ورد عليه الشيخ سيدي سعيد وهو لا
يعرفه . فسمعه وهو جالس مع بعض الفقراء في مسجد الفقيه المذكور يتكلم
على مسألة من الحقائق . فالقى الله تعالى في قلبه ان هذا هو البقية المطلوبة .
فتلقن منه اذ ذاك . واخبرني ابو عبد الله المذكور عن الفقيه التملي المذكور
ان الشيخ سيد سعيدا رضي الله عنه . راوده على مصالحة الفقيه ابي علي
التمجيدشتي المذكور قبل اذ كان بينهما من التنافر والمهاجرة ما هو معروف
وكانت مدة ذلك سبع سنين . وقد الم بعض الفقهاء الفاسيين في تاريخ له
بذلك . ولم اثبت على تفصيل ما ذكره فوافق الفقيه التملي على ذلك .
واجاب الى ما ندبه اليه الشيخ سيدي سعيد . فذهب سيدي سعيد الى الفقيه
ابي علي التمجيدشتي فعرض عليه امر المصالحة ايضا . وقال له ان احكما
قريب الوفاة (1) فان لم تتوبا من هذا كانت وفاته على سوء خاتمة . والعبادة
بالله . فقال له ابو علي التمجيدشتي نشاور من كنا نشاركهم في هذا الامر .
فقال له الشيخ سيدي سعيد لا . هذا الامر انما هو لله فلا يحضره الا انا
وانتما . فاجابه ابو علي الى ذلك . فقال سيدي سعيد والملافة هنا في
بيتك . فسألتك بالفقيه التملي . فذهب الى التملي . فامر به بالذهاب معه
الى دار التمجيدشتي لاتمام الامر . فكانه خاف من الذهاب اليه في داره .
وقال له ما يؤمنني من القتل . فقال له الشيخ سيدي سعيد . فاي شيء
يقع ان قتلت . الست بشيخك ؟ فقال بلى . فذهب معه . وتصالحا وانطفا
ما بينهما من ذلك الوقت . وكذلك ما بين اتباعهما ببركة سيدي سعيد رضي

(1) كان التمجيدشتي هو المتوفى وشيكا 1297 هـ . واما الآخر فلم يتوفى الا 1308 هـ

الله عنه . قال ولده ابو عبد الله اخبرني الفقيه التملي المذكور عن الشيخ
سيدي سعيد انه قال : اطلعني الله تعالى على ملائكة السموات السبع في
تلك الساعة التي التقى فيها الفقيهان المذكوران وتصالحا وتسامحا فرايتها
في ضاية من الفرح بذلك السرور . واخبرني ولده ابو عبد الله ان بعض
الافاضل من الفقراء جلس مع الشيخ سيدي سعيد على شراب اتاي . فقال
في نفسه : سأطلب من هذا السيد ان يعطيني الله تعالى السر الرباني بلا
مجاهدة ولا عناء . وذلك اول ما لقي الشيخ . وكان له جليس حاضر في
ذلك المجلس فقال في نفسه ايضا : حاجتي من هذا السيد ان كان وليا لله
ان لا اعدم ما اصرفه على الشراب في شراء ما يحتاج اليه . وكان ذلك في
دار الاخير . قال فاعطى الشيخ سيدي سعيد الفاضل الاول كأسا من
الشراب . وقال له هالك المعنى الرباني الوهبي بلا شرط ولا مجاهدة .
واعطى الاخير كأسا اخرى . وقال له هالك ما تنفق على الشراب . فلا تهتم
به ابدا . وكأنك تغرف من النهر . قال الفاضل الاول : وكان من الفقهاء .
وقد كمل الله مرغوب كل منا . على ما اشار اليه الشيخ رضي الله عنه .
واخبرني ولده ابو عبد الله انه جلس مع الشيخ سيدي سعيد وزوجته
في داخل داره بالمعدن . واشتغل واحد منهم ببعض خدمة الدار . فورد
على الشيخ حال عظيم اضطربت منه ذاته . وقف شعرا رأسه ولحيته .
وصوتت ذاته من شدة الاهتزاز والاضطراب . وصار تختلف عليه الالوان .
وصاح صيحة بمد . فقامت السيدة زوجته هاربة . ودخلت الى البيت .
فلما سكن منه ذلك الحال . رجعت اليه . وقالت له : ما الذي دهاك ؟
افزعنا . فقال لها : الآن رايت سيدي علي بن احمد دفع الباب . ودخل
الى حضرة الله تعالى . وقد جعله الله تعالى في مقام الشيخ سيدي علي الجمل
رضي الله عنه . يعني بسيدي علي بن احمد شيخنا الامام العارف بالله
القطب الرباني والقوث الصمداني ابا الحسن سيدي الحاج علي بن احمد
الجعفري ثم الالهي رضي الله تعالى عنه وعنا ءامين . وكان اذ ذاك ارسله
الشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه في طائفة من الفقراء الى زيارة الشيخ
سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه بالجبالة وغيره . وذلك في
اخر حياة سيدي سعيد . ولما رجع شيخنا ومن معه وجده توفى الى
رحمة الله تعالى . ووفاته رضي الله عنه صبيحة يوم الاربعاء الثاني من
سفر هام 1300 هـ . ثم قالت له السيدة زوجته سمعتك تقول : اطلعني
الله على مقام بعض لقرائنا . فرايته فوق مقامي . فهل تعجب ان يكون

أحد أعلى منك مقاماً لا فقال لها ما معناه اليس أن المرء يحب أن يكون ابنه
أعلى منه . ويذكر بين الناس بخير . فقالت بلى . قال فكذلك أولاد القلوب
ثم قال لها ما معناه : كما أن الأمراء يحب كل واحد منهم أن يكثر ما يقدمه
بين يدي السلطان . فكذلك الأولياء العارفون كل واحد منهم يحب أن
ينصلح على يده ويهدي الله به ما يعظم به جاهه عند الله تعالى يوم القيامة .

والمرء في ميزانه أتباعه فاقدر بذرا قدر النبي محمد

صلى الله عليه وسلم . وأخبرني ولده أبو عبد الله عمن رافق من الفقراء
الشيخ سيدي سعيداً رضي الله عنه لما ذهب إلى (إيليق) بتازاروات عام
1299 هـ لما قدم سلطان المغرب مولانا الحسن بن محمد رحمه الله تعالى في
العام المذكور إلى بلاد سوس . وكان الشريف الرئيس الأجل سيدي الحسين بن
هاشم التازارواتي يتوقع من قبل السلطان شراً . وعزم على الرحيل والهرب
إلى الجبل . بل نقل إليه بعض ثقله . فذهب الشيخ سيدي سعيد مع الفقير
المخبر عنه بهذا . إلى إيليق مسكن الشريف المذكور . فادركتهم القائلة بقرب
(إيليق) فنزلا عند السدرة المعروفة بالوادي هناك . ليقبلا تحتها . ويناموا
للاستراحة . ثم قام سيدي سعيد بمجرد اضطجاعه منزعجا . وقال لرفيقه
قم . فقد انزعج باطني . واشتعلت فيه النار . يشير إلى قوة الوارد عليه
بذلك . فقاما ليدخلا إلى (إيليق) فلقيا بعض الفقهاء خرج من دار الرئيس
الشريف المذكور . فأخبرهما أنه تركه يتهاى للسفر والرحيل بنفسه إلى
الجبل . فدخلا فوجداه يريد الركوب . فرحب بالشيخ . وقال له وجدتكما
نريد الرحيل . فقال الشيخ إنما أتيت لأكفك عن الرحيل . فإن أولياء الله
اتفقوا على أن لا يصل السلطان إلى موضعك هذا ولا يقربه . ثم قال له
وهذا الذي قلته لك أنا أعلم أنه لا يطمئن إليه قلبك . ولكن سترى صدق
قولي في المستقبل . وكان الأمر كما قال الشيخ رضي الله عنه . قال وكان
الشيخ سيدي سعيد قبل ذلك قال لرفيقه المذكور : اجتمع أولياء الله تعالى .
وجعلوا أمر التصريف في السلطان بيدي . لانظر في أمره . حتى يرجع من
سوس . وأخبرني ولده أبو عبد الله عنه أنه قال في زوجته السيدة
خديجة بنت محمد الإيسية ثم المعدرية . ولم يكن له زوجة سواها رضي
الله عنها . أن مقامها أعلى من مقام الصالحة المشهورة ببلاد هشتوكه
المعروفة بتناوغلالات باللام المفخمة . إلا أن الله تعالى حجب عنها ذلك السر .
واظن أن الشيخ سيدي محمد بن أحمد الحضيكى ذكر في تاريخه ترجمة

الصالحة المذكورة (1) فليظفر . وأخبرني أبو عبد الله عن والدته المذكورة
أنها قالت له قرب مرض وفاتها ما معناه . كنت قبل هذا أخاف من الموت .
وسؤال القبر وظلماته وأهوال الآخرة . واهتم بأمر الرزق . وأخاف على
الأولاد . والآن أذهب الله عني ذلك كله بالمرة . وزال عني ذلك بالكلية
فإن التفت الآن إلى الدنيا ولا ما فيها . وليس عندي الآن إلا الغيبة والفناء
في عظمة الله وهيبته . والاستغراق في حضرة الله . والفرح بالله . والإنس
به . والغنى به . ولا أعلم شيئاً يفرح به في الدنيا أشبه به هذا الذي أنسا
عليه الآن مما لم أشاهده قط في عمري . ولم يمض إلا يسير ثم مرضت
مرض وفاتها . قال ولما قرب خروج روحها كنت في بيت قريب من موضعها
فذكرت الله تعالى . فورد على حال الفناء . وغبت عن الكون . ولم يبق
عندي شيء أشعر به إلا ذكر اسمعه بصوت ما سمعته قط . وكنت أظن
أذاك أنه ذكر الملائكة ثم غبت عن ذلك الذكر أيضاً . وتخللني برودة كحال
من رش بماء بارد . فافقت من تلك الغيبة . ورجعت بعض الرجوع إلى
إحساسي . وشعوري بالكون ووجوده فرأيت والدتي حينئذ على جبل
مشرف على الدنيا كلها . فقالت هذا هو مقامي . وأنا في الحياة في دار
الدنيا أشرفت منه على جميع الأمة النبوية . وكنت أسأل الله تعالى فيه
ويستجيب لي . والذي أسأله هو المغفرة للأمة المحمدية . ثم أشارت إلى
بحر في جهة الجنوب . وقالت هذا هو البحر الذي أعطاه الله والدك . قال
فنظرت إلى ذلك البحر . وله سور محيط به يشبه قوس قزح . وهو
المسمى بلسان العامة بعروس المطر . ولذلك السور باب . وعلى الباب رجل
لا يتحقق من هو . وكل من قال لذلك الرجل خذ بيدي لله دفعه إلى ذلك
البحر . ورد ذلك الباب إلى داخل السور . قال وماء ذلك البحر أبيض
من اللبن والثلج . ورأيت المحرمات وهي ما نهى الله عنها قد ردها ذلك
السور خارج البحر . قال فقلت في نفسي حينئذ من سلك هذه الطريق
وولج باب هذا السور فقد نجا من المحرمات . قال
ثم سرى عني بالكلية . ففكرت فيما وقع لي . وقلت لعل والدتي قرب
خروج روحها . فدخلت إليها . فوجدتها بحال النزع . فسألته عن حالها .
فقالت الجسد كما ترى . والقلب في فرح بقاء الله تعالى . ثم خرجت روحها
في تلك الساعة . ولم يظهر عليها أثر الشدة . ولا مقاساة سكرات الموت .

(1) ذكرها عفا ولم يترجم لها . وقد توفيت بعده سنة 1207 هـ وتوفي هو 1189 هـ

واخبرني ولده ابو عبدالله عنه : انه لما ابتدا بناء الدار التي سكن فيها اخيرا .
ودفن في شرقها . قال ما معناه نبني هنا باذن الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم دارا تقضى فيها حوائج الامة المحمدية الى قيام الساعة . وذكر عن
جدتي للام رحمها الله السيدة (تعزي) (1) البعقلية . وكانت مشهورة
بالصلاح والكشف . انها قالت في بقعة الزاوية القديمة المبنية في تلك الدار
التي بناها الشيخ سيدي سعيد : انها مجمع الاولياء . وانها موضع تجاب
فيه الدعوات وتقضى الحوائج . وذلك قبل ان يبني سيدي سعيد رضي
الله عنه تلك الدار هناك . واخبرني ولده ابو عبد الله عمن اخبره ممن
حضر وفاة الشيخ سيدي سعيد من الفقراء انه قال حينئذ . ما حاصله :
اعطانا الله الشفاعة في كل من دخل دارنا . او دخلنا داره . او اكل طعامنا
او اكلنا طعامه . او نظرنا فيه . او نظر فينا . ولو نظر فينا نظر سوء .
هذا او قريب منه هو الذي اظن انه ذكره لي ولده ابو عبد الله . واخبرني
ايضا واظنه سمعه من والده الشيخ سيدي سعيد انه سافر مع جماعة من
الفقراء . واظنه الى زيارة الجبال . بلدة الشيخ سيدي مولاي العربي
الدرقاوي رضي الله عنه . وكان الشهر رمضان كانوا يصومون ويتعبسون
في الطريق . وسيدي سعيد يفطر . ويخدمهم بما يحتاجون اليه . ويقوم
على دوابهم . قال فرأى النبي صلى الله عليه وسلم . وقال له انت الذي
على سنتي . يعني حيث افطر في سفر يشق فيه الصوم . يشير الى
الحديث ليس من البر الصيام في السفر . واخبرني سيدي ابو عبد الله
المذكور عن والدته انه لما ورد الشيخ العارف الشهير . البدر المنير . سيدي
مولاي الطيب ابن الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهما الى
بلد سوس (2) . وكان مع طائفة من الفقراء ونزلوا في دار الشيخ سيدي
سعيد . واتي بقبضات من العسل . من عند بعض اهل القرية اما تسلفه
واما اشتراه . والقبضة مكثال معروف عندهم . وطحنت السيدة
زوجته المذكورة مكتلا كبيرا من القمح . فصارت تطعمهم من ذلك القمح
وذلك العسل . ودقيق القمح بحاله لم ينقص منه شيء الا قدر مرقد الهر .
حتى صار من يعينها من النسوة على الطبخ يسألنها هل هذا المكتل هو عين
الاول ؟ وكأنهن فطن لتلك الكرامة . فما زال على حاله حتى ذهبوا . وهم
جماعة اكثر من عشرة بل نحو عشرين . وكذلك العسل . وكان الشيخ

(1) توفيت 1288 هـ

(2) سنة 1273 هـ

سيدي سعيد يعرفه على الخبر الرقيق حتى تمتلئ الاواني . ولما انصرفوا
لال غسل فوجده بحاله لم ينقص منه شيء فردده بالكيل الاول الى من
قبضه منه . قال ولم اتحقق المدة التي مكثوا فيها عند الشيخ سيدي
سعيد . ولا اظنها تنقص من الثلاثة الايام . واخبرني الفقير الفاضل الخير
المراجل الاصيل سيدي الحاج العربي بن حمو بن احمد الاقراني الاصل .
من مال يعزي وهدى انه شاهد من بركة دار الشيخ سيدي سعيد رضي
الله عنه مرة مما جاء به بعض الفقراء من ذبيحة هدية للشيخ . فطلعهم
روحته منها الفقراء نحو نصف شهر . ثم تعمل منها بعد ذلك لذيذا .
واخبرني ايضا انه بات مع الشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه عند بعض
الطلبة . ممن كان يرد عليه سيدي سعيد كثيرا . فالح عليه ذلك الطالب
ان يظهر له بعض ما يذكر من سر الكيمياء في كتب اهلها او نحرها . والسر
عليه في ذلك . فساعفه بان كتب بعض اسمائه تعالى في جدول . ووضع
في قدر فيه ماء فوق نار . وقرأ عليه ما شاء الله ساعة يسيرة . ثم امره .
لفتح القدر . فوجد فيه شيئا من الدراهم . وقطعة من الفضة . ثم قال
له هذا لا ينبغي الاشتغال به . ولا اذن لك فيه . وحذره منه . وقال ان
اشتغلت به اهلكك الجن . قال وكذلك وقع للطالب المذكور . اعاذنا الله من
كل سوء وفتنة ءامين . وقال الشيخ نحن انما ندل على الله لا على نحوه هذا .
او ما يقرب من هذا الكلام . واخبرني ايضا انه ورد مع الشيخ سيدي
سعيد على بعض الاشراف . نفعا الله بهم . وكان في بلد معطش بعيد من
الماء . فوجداه لا ماء عنده . نفذ ما عنده من الماء . فامر الشيخ الفقير
المذكور بالذهاب الى الوادي . وكان بعيدا ليستقي منهم بهائم الشريف
المذكور . ويأتي بالماء منه في ظروفه . فبينما هم في التهيؤ لذلك . وكان
الوقت ليلا . وذلك وقع في المصيف اذ جاءت سحابة . فامطرت في الحسن
ما ملا ما عنده من الصفائر والحفائر . فجعل الشريف يقول هذه كرامة
ظاهرة يا سيدي سعيد . فقال له سيدي سعيد اذكر الله يا سيدي فلان .
واخبرني ايضا ان الشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه ارسله مرة . وقال
له اذهب الى فلان . يعني بعض رؤساء القبائل بسوس . ممن ظهر منه
الجور والفساد . وقد كانت القبائل قامت عليه وقائلته . فقال له الشيخ
ما حاصله . ان اهل الله اشاروا بان امره في انحلال . وشانه الى انحلال .
وكانه اشار له بان يذهب اليه . ويعل ما ينتج ما اشار به . فذهب الفقير
المذكور الى الرئيس المذكور . فوجده مشتغلا بالجموع ورؤساء من تحربوا

لنصره بين يديه . فقال له اعطني عشرة مثاقيل لله . فلم يفعل . وكسر
عليه السؤال وانصرف عنه . فلم يمض الا قليل وانفضت جموعه . وخربت
دياره . وقبض عليه . ومات مسجوناً . والعياذ بالله . وسمعت من غير
واحد من الفقراء ان الشيخ سيدي سعيداً وطائفة من فقرائه باتوا بموضع
من بلاد الشرج يقال له (ايجيواز) فلم يطعمهم اهل القرية . وفي غد تلك
الليلة تكلم معه بعضهم في شأن عدم مبالاة اهل القرية بجماعة الشيخ .
وكانه اعتذر عنهم بأن قريتهم تشاخم الصحراء . ويرد عليها الوارودن كثيراً .
واهلها لم يزالوا في غرامات من ينزل عليهم بالجور من رؤساء الاعراب
ونحوهم . او ما يشبه هذا من الكلام . فقال لهم الشيخ سيد سعيد : من
لم يقيم بعمارة موضع فليخرج منه . فلم يمض الا قليل حتى خربت القرية .
وانجلى عنها اهلها مدة . واعلم ان اهل الله ينطقون لا عن هوى ولا عن حظ
نفساني . بل هم بالله في كل شيء . فيه يتكلمون . وبه يفعلون . وبه
يتحركون ويسكنون . فلا اعتراض عليهم ممن كان محجوباً قاصراً . فلا
تفتر (وما يعقلها الا العاملون) واخبرني ولده سيدي ابو عبد الله انه اعني
الشيخ سيدي سعيداً رضي الله عنه . خرج مدة الى السياحة . وقال
لبعض الفقراء اخرج معنا الى السياحة . وكان الوقت وقت الحرث . والناس
يتهيئون للحراثة . فقال له ذلك الفقير . وكان من خيار اصحابه . ليس
عندي دابة احرث بها . ولا عامل يحرث بها . فلا محيد عن المكث في البلدة
لذلك . ثم اعاد عليه الشيخ الاستدعاء الى السياحة مع الفقراء . فاعاد
الفقير الكلام الاول . وظن ان الشيخ لم يسمعه . فاجابه بما حاصله انكم لا
تعقدون الا في الاموات الذين تمشون على قبورهم . دون من كان حياً
بين ظهرانكم . سيأتيك الله بدابة الحرث . وبمن يقوم بالحرث بها . قال
فكان الامر كذلك وسخر الله له رجلين من جيرانه . جاءه احدهما ببعير
وقال له احرث به . وجاءه الآخر بنفسه . وقال له ان شئت الذهاب الى
الفقراء . حرثت لك بنفسي . فاني فارغ لا شغل لي الآن . وكان الفقير
المذكور ببلدة بعيدة عن بلدة الشيخ خاملاً لا دنيا له . وهو ممن اشار
الشيخ سيدي سعيد بالفتح عليهم من فضلاء اصحابه . واخبرني ولده
ابو عبد الله . قال بات الشيخ في قرية بدار فقير . فاجتمع مع الفقراء في
مجلس الذكر . فدخل عليهم نسوة في زي الرجال ليحضرن مجلس الذكور
لورود وارد جذب وقاهر حال عليهن بذلك . وكان ذلك ليلاً وكان مجيئهن
من قرية اخرى . فاخرجهن سيدي سعيد . وذهب معهن ليلاً الى قريتهن

ثم رجع الى القرية التي تراءى بها جماعة الفقراء . فبات في التذمر او الحسرة
في وسط شعير محسود مجموع . فاصابته الجنابة من الاحتلام تلك الليلة .
قال فاحسست بنفسى يشغل عليها علم الفقراء باغتسالي خوفاً اتهامها بسوء
في حق من ذهب معهن من النسوة المذكورة . فجاء واغتسل بحيث يرون
وضعه . واظهر ان عليه جنابة . فتشوش بعض الفقراء من ذلك . وظن
به السوء حتى اظهره . والقاء اليه . فلم يجب الشيخ عن نفسه . ولم
يصر لها . ولم يكذب ظان السوء به . نظير ما اوصت به المعجوز ذا النون
المصري في قصة المصريين المعروفة (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من
حيى عن بينة) وهذا احق ما وقع لبعض المشايخ من الامتحان بنظيره .
في حكايات مشهورة . سلمنا الله من الانتقاد . وسوء الاستفاد . وامن
قال وكان تلك الواقعة سبباً في انكسار بعض الفقراء الهاميين . وهو
مضيفهم تلك الليلة والامر بيد الله .

نبذة اخرى من حياته

ذلك ما تيسر كتبه للعلامة ابن مسعود وقد تيسرت لي من اخباره
نبذة اخرى تستتم بها الترجمة كما هي . واذا تمشى فيما تقدم بلا تنظيم
حسبما اتفق فلنقتفه في ذلك محاولين ما امكن التنظيم . وجل اهتمامي
على ما اخذته عن الفقير سيدي محمد الزكري الذي انخرط بين يدي
الشيخ الالفي سنة 1304 هـ بعد وفاة الشيخ سيدي سعيد بخمس سنوات
فقط . وقد ادرك كل اصحابه فامكن له ان يسمع منهم كثيراً مما يتعلق به .

كان هو والد الشيخ من كبار اغنياء قريته ومن رؤسائهم . فنشأ
ولده كما ينشأ اولاد الاغنياء . سادراً في الاعبيه منغمساً في ملاهيته . ثم
لما اتصل بشيخه احمد بن عبد الله المراكشي مع فقراء سوسيين صاروا
يعتمدون عنده في بستان في صفة عملة . كما يفعل الفقراء المتجردون عند
اشياخهم . ثم اشار الشيخ الى اصحابه ان يفعلوا شيئاً يضيقون به على
صاحبهم سيدي سعيد . فاقترحوا عليه ان ينزع ثياباً له صحيحة جيدة من
الصوف . مما صاحبه معه من سوس . ليفسلوها له فاعاره فقير منهم
مرقعته . فلبسها الى الغد . ثم طلبها منه . فاستعمله حتى يوتى اليه
بكسوته التي ذهب بها الفقراء لغسل . ولم يدرك ان الفقراء باعوا كسوته .
فاقاموا بها بينهم حفلة . كان سيدي سعيد مع حضرها من شهر ان يعرف

على حساب من أقيمت . ثم لما ألح عليه الفقير صاحب المرقعة في أن ينزع له مرقعته . فتش عن كسوته . فأعجله الفقير . فأتاه بعضهم بكيس من القنب ضيق . فلبسه كقميص . ثم بعد ذلك عرف ما صنع بكسوته . فطابت نفسه بكل ما فعله به اخوانه . فكان ذلك امتحانا من شيخه صادف منه تثبتا ورسوخا في حسن النية . فاستحق بذلك ما استحق . وكان يتردد الى مراكش مع اخوانه الفقراء السوسيين الذين اخذوا عن ابن عبد الله . وهم سبعة .

- 1 - الحاج مبارك البعري .
- 2 - الحاج محمد بونجلال - ابي البيضات - البلفاعي .
- 3 - الحاج الأمين المعدري - وبهذا يعرف ولا ادري اسمه الحقيقي -
- 4 - الساحلي ولا يعرف من حكى لي اسمه .
- 5 - الحاج محمد بونجلال الرسموكي - ثم صاحب سيدي سعيد بعد ذلك .

6 - سيدي الحسن الهشتوكي الشهير .

7 - الشيخ سيدي سعيد . هؤلاء السبعة هم المعروفون بانهم اصحاب الشيخ ابن عبد الله . وينتابونه بالزيارة . وقد اوصاهم ان يبنوا زاوية في المحل الذي يتوسط قبائلهم . فبنوها في قرية وسط هشتوكية وفي اثر مرجعهم من مراكش مرة . دخل سيدي سعيد الخلوة بداره . باذن شيخه . فبقي فيها اربعين يوما . وكانت ازاءه دجاجة ربضت على بيضها . قال : فكننت اقول لنفسي . لا تسبقنك الدجاجة فتقضي حاجتها قبلك . وكانت زوجته السيدة خديجة اذ ذاك تنكر عليه كل الانكار فيما زج فيه نفسه . وقد امض عن مزاوله شؤون داره . وعن اقامة اسباب المعاش لاهله . ففي اخريات ايام الخلوة . جلست السيدة فاطمة زوجة الشيخ سيدي مسعود المعدري . وام العلامة محمد بن مسعود . مع امرأة في سطح دارها تنقيان زرعاً للطحن . فسمعت السيدة مناديا ينادي باعلى صوته على ما عهد من البراحين - المنادين فوق المسجد اذا اريد اعلان شيء عام للناس - فبعد ان هلل وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم على العادة اعلن ان سيدي سعيد قد امره الله على البلاد . وجعله على العباد . فقالت لصاحبها اسمعني ما يقال ؟ فقالت ما ذاك ؟ اني لا اسمع شيئا

فعرفت ان ذلك امر سري ما اطلع عليه غيرها . وقد كانت صاحبة ذات روحانية ورثتها من امها تعزي المشهورة المتوفاة 1288 هـ فجمعت عليها مسئولها لدار جارها الفقير سعيد . فاستأذنت على زوجته . فطلبت منها ان تزور من زوجها . فقالت لها يا هتناه . اتزورين احق ما فونا . قد ربض في دثانة بالمطبخ منذ اسابيع . والناس في اشغالهم . وهو جائم هنالك بلا فائدة . فقالت لها لا بد ان اراه على كل حال . فدخلت عليه . فافضت اليه بما سمعت بعد ان استأذنته . ثم طلبت منه ان يلقيها الورد . فلقنها اياه . فكانت اول من اخذ عنه . والسابقة الى معرفة ما اعطاه الله اياه . ثم انه كان منذ دخل في الطريقة . يدور في الاسواق متكففا مما يسميه الفقراء « خرق العادة » . وكان ابوه الغني الكبير القدر بين قومه يمتطي ذلك . فربما يدخل سوقا باحمال من الحبوب ليبيعه . فان رأى ولده يتكفف الناس . يجمعها في الحين . فيخرج حياء من الناس ان يظنوا به انه يدخل على ولده . حتى يحتاج الى ان يسأل الناس ما يسد به رمقه - وكان يفعل ذلك في سوق الخميس بترنيت . وكان ما بين الترنيتين والمعدريين غير ملتئم . فقال له ترنيتي : نطلب الله ان يجعل كل المعدريين امثالك . فقال له سيدي سعيد ءامين . يقصد الترنيتي : ان يكونوا كلهم حمقى حتى يكفى الترنيتيين مثونتهم . ويقصد سيدي سعيد ان يرجعوا كلهم الى الله . فامن على دعائه . وكان له اولاد منهم محمد بن سعيد . وهو الذي يحكي عنه ابن مسعود فيما تقدم . وءاخران احدهما عدا عليه انسان من المعدريين فقتله . فأمر سيدي سعيد ان يخبز الخبز الكثير . وان يذبح كبش . فأمر زوجته ان تجعل ذلك في قفتها . وهي تظن انه سيفقد على بعض اهل رحمه على عادة الناس . فاذا به يسير معها الى باب القاتل صباح يوم . فارادت زوجته ان ترجع . فحلف لها لئن رجعت لا تكونن لي زوجة بعد اليوم . فذهبت معه مرغمة . فدق الباب على اهل القاتل . فيطلون فيجدونه فيتصارخون هذا احق ءال همو . والد القتل . فيكثرون دق الباب متطلبا فتحه ولا بد . فبعد لاي خرج اليه بعض ءال القاتل . فقال له سيدي سعيد انا وفدنا اليكم . فلا بد ان ندخل الى داركم . فدخل فقال اين فلان القاتل فلا بد ان يحضر امامي ؟ فاخترأ الآخر . وقد عراه من الخجل ما عراه . فألح سيدي سعيد اني جئت اليك اطلب من فضلك ان تعي لي ولدي . فقال له القاتل لا قدرة لي بذلك . فقال له اذن لست بمقاتله . فلم يقتله الا الذي يقدر ان يحييه وهو الله . فلم يخاف مني

حينئذ ؟ فمد اليه قرطاسا فيه لبرئته ومسامحته في الدم . لوجه الله الكريم . فكان ذلك عجبا عجبا في الناس . فانطلقت نائرة كادت تستعر بين اسرتي القاتل والمقتول . ومما يؤثر ايضا من سعة صدره انه كان يختلف الى بعض المتصدرين لارشاد الناس . فكان يذاكر في الدوق الصوفي العالي بعض من يجدهم عنده . فيستولي على البابهم . فينحشرون اليه تباعا . وهو في كل ذلك يكثر التردد الى ذلك المرشد . ومن بين من انحشر اليه اذ ذاك الفقير مبارك بن بكة الترنيتي الشهير . ففي يوم دخل ايضا مجلس ذلك المتصدر . فقابله بمخاضة عنيفة . وقد سماه الشيطان . ووسمه بكل وصف ذميم . فسكت سيدي سعيد حتى افرغ جعبته . والتقى كل ما في صدره فقام اليه فقبل راسه . فقال له لقد صدقت يا سيدي . ولم يعرفني حق المعرفة سواك . وما خفي عنك من اوصافي المدمومة اكثر مما ظهر لك . فشده الرجل . فقال له اين منك النفس يا هذا الرجل ام انت جماد ؟ والا فمن ذا الذي لا يستفز اذا سمع ما سمعته مني . فقال له : لم اعد ان كنت بشرا بكل ما يتأثر به البشر . غير انني رايتك اكثر الوقود لقدرك حتى كثر غليانها ففاضت بما فيها . فاردت ان افوز بما فاضت به قدرك . لتمتليء به قدري . فتعجب الرجل والناس من هذا الدرقاوي الغريب العجيب . وقد دخل مرة على العابد الشهير علي بن عبد السلام من الرجيلات في خلوته فاراد ان يقبل راسه . فابى العابد من ذلك كانه يخاف ان يسلب ما عنده من الاسرار . كما يعتقد كثير من العباد من ان الكبير يسلب ما عند الصغير . فقال له سيدي سعيد فاذا ابيت ان اقبل راسك . فقبل انت راسي . فانتفض العابد . فقال له اية داهية انت بك يا عفريت ؟ فقال له انما اتيت اليك لازيل منك تلك الحجة التي تلسع بها الناس . وكان مشهورا ان الناس يصابون منه كثيرا . ثم قال له : اياتي الشيطان الناس من جهة . وياتيهم امثالك من جهة اخرى ؟ وسمع بان الشريف محمدا المكي نزيل رباط ماسة في اواخر القرن الماضي يزعم انه المهدي . فذهب اليه فقال له اما العلوم الظاهرة فسلمة لك . واما سوى ذلك فليس لك وكان مرة يعظ تلميذه الفقيه الحبيب السكراتي فقال له التواضع التواضع فيكرر عليه ذلك . وهو يحنو براسه الى الارض . حتى مست لحيته التراب . وكان يحفظ كثيرا من المنظومات الغرامية الشلحية في ايام صبوته . فساح مرة مع طائفته فنزلوا في قرية لا تعناد الا الاجتماع في ملعب (اخواش) - الرقص البربري - فافترج عليه اهل

القرية ان اراد الضيافة هو ومن معه ان يرقصوا لهم . فامر الفقراء ان يصطفوا في الملعب . فابتدا يتفنن بالاهازيج الغرامية . والدف في يده . وكان ذا صوت رقيق مؤثر . حتى استولى على المشاعر . ثم افتتح المواعظ الدينية بمنظوماتها . ثم الاذكار . فلم ينشب ان استتاب كل الحاضرين . فتابوا عن اخرهم . فراجعوا الديانة . ثم كانت قريتهم من احسن القرى دينا . وقد استبدلوا بمجالس الاذكار ملاعب (اخواش) . وكان من عادته ان يستخدم فقراءه في شئون زاويته . فاتفق مرة ان يخرج في حمارة فيظ الى بسيطامام زاويته يحصد فيها الفقراء . فوقف عليهم . فوجد ضعفتم من الطلبة كسيدي الحاج الحسن التاموديزني والشيخ الالفي والحاج صالح الاكماري وامثالهم قد نال منهم ما يراولونه ما نال . واصابعهم تتشقق وتسيل دما . فاغرورقت عيناه بالدموع . فقال لهم يا اخواني . لو لا ان الذي تطلبونه لا يحصل لكم الا بهذه المشقة . لما كان مني قلب يستسبك مع ما اراكم عليه . ووقع لتلميذه الفقيه محمد بن المحفوظ التازيمامي الشهير انه ركب مرة بغلته الى زيارته . فخرج صباحا فوجد الفقراء ذهبوا بها الى الحطب . فثار ثأره . فكان ذلك مما اخرجته من بين الفقراء . ولكنه مع ذلك لا يزال متمسكا بحبل شيخه . وبعضهم ينسب تلك الحكاية للواعظ سيدي ابراهيم الساموچني الشهير . فكان ذلك سبب نفوذ يده من طريقة سيدي سعيد . وشاع ايضا ان ابن المحفوظ المذكور تراءت له مقامات حتى حسب ان مقامه اعلى من مقام شيخه . فقال له يوما او ليس يمكن ان تلد الشاة خروفا ثم يكون اكبر منها ؟ فقال الشيخ يمكن ولكن متى اراد ان يرضع فلا بد ان يبرك على ركبتيه ليتأتى له ان يمتص من ضرع امه . يعني لابد من التواضع من التلميذ للشيخ على اية حالة كانت . وكان سيدي عبد الله النجاري الحاحي من المنقطعين الى الشيخ . فكان يتردد الى الشيخ في الوداع . فكان الشيخ يقول له ان استطعت ان تذهب فاذهب . فبقي كانه مربوط . وحكى النجاري ان الفقراء مرة اشتغلوا ببناء خائط . فكان هو الباني صاحب اللوح وكذلك يتفنن في (المعذر) . فيأخذ المركز فيركز التراب فوق الحائط . وفي وسط نهار شمس والحرارة كانها زفير اتون . تباطا الفقراء الذين يطلعون بالتراب الى النجاري البناء الواقف في وسط اللوح . فخرج الشيخ من داره . فوجد النجاري واقفا فوق الجدار متكئا على المركز وقد ابطا عنه التراب . فناداه ان انزل لئلا تظلمك الشمس حين لا ياتيك التراب . قال فنزلت بسرعة .

فاهويت عليه تقبيلاً . اقول له ما دعت يا سيدي تدمو لي بالمغفرة . فانني لا ابالي بكل ما الاقيه من مشقة . فقال له الشيخ الا تزال انت هناك ؟ بل نطلب الله لك مقامات فوق مقامات . واما المغفرة فربما تكون اقرب شيء لكل من معنا . او كما قال مما يؤدي مثل هذا المعنى . وخرج ايضا يوما في وسط نهار حار فوجد في ظل حائط تلميذه الشيخ الالفى وقد وصلته الشمس فمد فوقه رداءه يظله به . والآخر مستغرق في نومه لا يشعر .

وكانت تربية سعيد مزدوجة . فاما المتسببون اي الذين لم ينقطعوا اليه . فانه يلقنهم الورد . ويأمرهم بملازمة الطريق . واداء الفرائض . والعمل بقدر المستطاع . مع قيامهم بشؤون اهاليهم . ثم لا ينقطعون عنه . يتعهدون زاويته فيئة بعد فيئة . واما المتجردون الذين انقطعوا اليه . فانهم يكونون عند نظره في الشاذة والغاظة . فيستخدمهم فيما اراد . ويرقيهم بالاذكار . وكثيرا ما يدخل اصحابه الخلوة . ويأمرهم بذكر الاسم الذي هو الله بشروطه عند ارباب الفن . وذلك محور عبادة المتجردين عنده . وراء مجالس الاذكار الجهرية التي يجتمعون عليها في اوقات معلومة . وكثيرا ما يأمر ذوي الهيئات منهم بخرق العادة في الاسواق . وعلى ذلك تدور تربيته . وكان التواضع لب الطريقة في نظره . والاقبال الكلي على الله . وكان يفهم من كل ما سمعه ما يحشه على ما هو بصده . دخل مرة مع اصحابه مسجدا فصادفوا فيه هداويين . فجلس اليهم فوجدهم يدخلون ويمعنون في ذلك . فقال لاحدهم اي لذة تجد لهذا الدخان الذي اولعت به . فقال له وقد ملأ فاه فنفخ الى جهته نفخة طويلة . هيهات هيهات ان يدرك غيرنا ما في هذا الدخان . ولا يدل على ما فيه من اللذة الا هو نفسه . فاشرب منه تجد ما هناك . ففهم هو من ذلك ما فهم . فكان يقول لاصحابه . هيهات ان يفهم غيرنا ما في هذا الذي نحن فيه . ومن اراد فهمه فليشرب معنا في شرابنا . وكان مع انه امي يستحوذ على الباب العلماء اذا لاقوه . وجل حياته امضاه في السياحات بين القرى . يدعو الناس الى الله . فيستتيب اللصوص والدعار . فكم لص خطير رجع بسببه الى الهداية . وكم ظالم جبار ارعوى بسبب مواعظه عما هو فيه . وقد انتشرت به الدرقاوية في جوانب سوس اكثر من غيره من معاصريه كالحاج مبارك الهواري . فان اصحابه قليلون . لم يعدوا جيرانه بخلاف سيدي سعيد الذي انتشرت زواياه في قبائل ازغار ووادي نون وافران ومجاط

واقا ورأس الوادي وهشتوكة واداولسان وحاحة . ففي كل هذه القبائل اصحابه الكثيرون . ويقيم لهم موسما عاما في زاويته بالمعسر فآخذ من رؤساء المعسر ان تكون لزاويته حرمة . يامن قاصدها . ولا تمتد اليه يد . فاعلنوا بذلك فوق مسجدهم الكبير . وكذلك اناله مثل هذا رئيس (ابليخ) العظيم في ذلك العصر سيدي الحسين بن هاشم . فكان اصحابه يردون على موسم تازاروات فلا يمس واحدا منهم احد . ولا يوخذ بجريرة من اجرم من قبيلته . وفي اول موسم اقامه بالزاوية المعدنية اقبلت الطوائف من كل جهة . فكان الفقراء مئات . فلما دخلوا جميعا الى الزاوية . وحطوا رحالهم . دخل على زوجته خديجة . وكانت الى ذلك الحين لا تزال تجاذبه الحب في الذي يشتغل به . وتنكر عليه فيما زج فيه نفسه . فقال لها هل هيات شيئا للفقراء ؟ فقالت له من اراد ان يتهيأ لهؤلاء الجماهير فليشتغل بالحرث والحصاد والاسباب . واما انت فقد نفقت يدك من كل شيء . وليس عندنا الا طحين قليل . فقال لها انصبي المعصدة . فصارت تمصده . ويملا بيده القصاع حتى ملا 25 قصعة من نحو صاع من دقيق . فاذا ذاك فقط اكبت زوجته على رأسه فتابت الى الله . فرجعت من ذلك اليوم عن الانكار عليه . حكى ذلك سيدي محمد ابن الشيخ عن امه . وحكاها عنه الزكري وجها لوجه . وكان سيدي سعيد كثيرا ما ينشد بالشلحة :

لَفَضْلَتِكَ اَكُنْ اَسِيرَ رَبِّي دَلْبَرَكْتُونَ اَسِيرَ رَسُولِي

(ليس الا فضلك وحده يا رب ❀ وبركتك يا سيدي يا رسول الله)

كان لا يتظاهر بالدعوى . ولا يرفع بما عنده الرأس بين الناس . بل كان دائما متواضعا . يمثل الصوفية بجميع اوصافهم . وكانت لبسته لا تتجاوز قميصا يكون غالبها من الصوف الغليظ . ورداء عليه ويعتم . وله لحية طويلة . مديد القامة عريض ما بين الكتفين . ياخذ الامور بالتوسط . لا يجهد نفسه ولا اصحابه بكثرة المجاهدات . الا اذا انشروحت نفس احدهم لذلك . فقد قال للفقيه سيدي ابراهيم بن الحسن التتاني . وقد وجدته في مشقة فادحة في العبادة . اننا نريد ان نريحك . فلقنه الورد بالتوسط . قال سيدي ابراهيم ففتح لي على يده بما لم يفتح لي بسبب المجاهدات الهائلة التي كنت اقوم بها . وكان يركب على بغلة . ويقدم اصحابه . ويكونون غالبا نحو العشرين . فيتقرون القرى . وكان متى اراد المذاكرة يقرب اليه العلماء من اصحابه . ليأثوه من الاستدلال بما شاء من القرآن والحديث

وهذا ما فعله حين التقى مع سيدي الحسن التلي الايرازاني فقد استدعى اليه العلماء بعد ما لقنه الورد . فاراد ان يذاكره في معنى التصوف . فقال الآخر انني لك منذ الآن فافعل بي ما تشاء . في حكاية سنذكرها ان شاء الله في ترجمة سيدي الحسن الايرازاني في (القسم الخامس) .

وكان الشيخ الالفي يقول ان من اطل على المدر فدعا بما شاء فان ذلك الوقت مظنة الاستجابة . وكان يقول لاصحابه ليس العجب فيمن احنى هامته لمن يظن به علما . وانما العجب فينا حين احيننا هامتنا لشيخنا الامي . وكان الشيخ الالفي احد الفقراء الذين نبشوا قبر سيدي سعيد من افران ليلا . فذهبوا به الى المدر . ثم جعل قبره مجصا حتى كسر عليه الجص وازاله سيدي الحاج الحسن التاموديزتي وقد كان الرئيس سيدي الحسين الاليفي يحسن ظنه في سيدي سعيد وفي اصحابه . فاستخبر عن يعرف عنه منهم الكشف فدل على سيدي مبارك المجدوب . فجالسه فظل يسأله عن امور غيبية . ففتح الآخر طوق قميصه . فازاله عنه . فبقي كما ولدته امه . فتبادر الاموان فاخرجوه وقد القوا عليه ما يستر عورته . فكان ذلك سبب ان تقززت نفسه من هؤلاء الناس . فذهب اليه سيدي سعيد يوما باصحابه . فجلس معه والفقراء في ناحية بمعزل عنهما . ثم استدعى سيدي سعيد مباركا المجدوب . فقال له ماذا عمات ذلك النهار امام الشريف سيدي الحسين ؟ فقال استدعاني الشريف بقصد ان اميط الستار عما في الغيب . فاخترت ان اميط عني الستار عن ان اميطه عما في غيب الله . فادرك سيدي الحسين اذ ذاك ان الفلظ منه . فتاب من مثل ذلك . فرجع الى حسن ظنه باصحاب سيدي سعيد .

كان يقول في ولده سيدي محمد ان له مقاما حسنا ولكن ليس من ارباب هذا الشأن . وقد سأل سيدي الحسن الايرازاني عن يقتدى به ان توفي قبله فاشار الى الشيخ الالفي وهو معه . فقال له بهذا فلتقتد . فبقى كذلك الى ان مات بصرح به على رؤوس الاشهاد .

هذا ما تيسر لي الى الآن مما يتعلق بهذا الشيخ الغريب الاحوال . فلم اعد ان نقلت ما اسمعه من ثقات الفقراء . والغالب اخذته عن الزكري . وهو ثقة عقول . واع لما يسمع عارف لما يقول . وولده سيدي محمد تآخرت وفاته الى 1330 هـ سقط من سبط فقضي عليه . وكان من افضل

الناس عبادة والقبلا على شأنه . لا يدعي لنفسه مقاما . وقد سلم لاصحاب والده الذين تصدروا . ولم يمد معهم اصبعها . ولا عرفت منه دعوى . فحفظه الله مما يتخلى به ابناء المشايخ غالباً . وللشيخ اخ لاييه يسمى برك وهو الرئيس على المدر ايام الكنتافي . وعلى يده تسربت تلك المغارم الالهة الى الكنتافي وهو ملازم للصف . ويمكث بعد الصبح في الصلاة في مصلاه الى ان يصلي الضحى غالباً . وله احوال تنبني على ذلك . ولم يرزق الاولاد بماله مشجع . فرزق الله ذلك المال المجموع ، لانسان تزني خلفه في الرئاسة . كما خلفه على زوجته فامتص كل ذلك ووفاة الرئيس بريك سنة 1350 هـ في المحرم منه . وقد ذكره المؤرخ الرفاكي في روضته بكلمة دلالة . ومعنى ما قال فيه انه لم يخلف خيرا ولا شرا .

شيوخ سيدي سعيد

راينا فيما تقدم ان للمترجم شيوخا ثلاثة :

- 1 - سيدي ابراهيم الولىاضى
- 2 - محمد بن عبد الله العابد المدرى
- 3 - احمد بن عبد الله المراكشى .

اما الولىاضى فسياتي ذكره في فرصة اخرى (1) . واما محمد المدرى فلهى هندي الا انه رجل اعتكف في بيت سنوات كثيرة . يقصده الناس بالزيارات . وتوثر عنه الكشوفات الكثيرة . يخلط فيها الجد بالهزل . كما تقدم من العلامة ابن مسعود . ثم لما توفى دفن في ذلك البيت نفسه في المقبرة المتوسطة بقرية المدر . وقد اشتهر بسيدي محمد صاحب البيت . وقد مضى « آخر عمره » . ووفاته بين السبعين والتسعين في القرن الماضي ولا ادري هل ادركه ابن مسعود . فتكون وفاته في النصف الاخير من العقد التاسع اولا . هذا ما اعرفه عنه الآن .

واما الشيخ احمد بن عبد الله المراكشى فهو من اصحاب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي . ومن لا شهرة له عظيمة بين اصحابه . وناهيك

(1) ذكر في معرض التلميح الاستاذ سيدي الحاج عابد البوشوارى في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) .

في ذلك انه غير مشهور بالمشيخة في وطنه مراکش . وكان عالما بحسن الفهم يشتغل في دكان العدالة . شاهد من الشهود الرسميين . حكى لي الفقيه سيدي ابراهيم اليزيدي المشهور ببني ان عدلا سماه ادركه يحكي له انه كان يجالس سيدي احمد بن عبد الله . فيعطف احدهما على الآخر . ويحكى عنه امورا لم اثبت فيها حق الثبوت . فتستحق التسطير . ومسكنه بمراكش في (ازبنرض) . وتلك الزاوية الدرقاوية الموجودة هنالك اليوم كانت داره . يسكن فيها . فوصى بها ان تكون بعده زاوية . فنقلت وصيته . لانه لا عقب له . وشاع عند الفقراء السوسيين ان الشيخ مولاي الطيب بن مولاي العربي قال له رد الي السر الذي اعطاكه والذي فقال له اما والدك فلم يعطني شيئا ولكن المعطي هو الله . ولكن ان اردت ما عندنا فكن لنا مثل ما كنا لوالدك . هذا ما سمعته يحكى . والله اعلم بصحته . ووفاته في نحو 1270 هـ حزرا . وزاويته محل فسيح طالما كنا نتدارس فيه مع صاحبنا العلامة سيدي عبد الجليل بن القزير . من سكان تلك الحومة بعض انصبة مما كنا نتدارسه اذ ذاك حوالي 1340 هـ .

هذا ما امكن مما يتعلق بسيدي سعيد المدر رحمه الله الذي تخرج به الشيخ الالفي في التصوف كما تخرج به آخرون كمولاي محمد البوزاكرني والحاج الحسن التاموديزتي وغيرهم من مشايخ الطريقة الدرقاوية بسوس .

الأخوتون عنه

- 1 - العلامة التاموديزتي .
- 2 - الشيخ الالفي .
- 3 - الحبيب السكرادي .
- 4 - الحسن بن عبد الله البوزاكرتي .
- 5 - الطيب بن خالد الاجماري .
- 6 - عبد الله بن الطيب .
- 7 - احمد بن صالح الاجماري .
- 8 - الحاج صالح الاجماري .
- 9 - محمد بن ابراهيم التامانارتي .

- 10 - الطيب الانصاري .
- 11 - محمد بن المحفوظ السملالي الافرائي .
- 12 - الحسن الايرازاني .
- 13 - احمد التامجوتسي .
- 14 - الحسين التامجوتسي .
- 15 - علي الدمناتي .
- 16 - سيدي احمد بن مبارك التزيتي .
- 17 - احمد بن عبد الله بن محمد الادوزي العويني .
- 18 - الحاج محمد البوزاكرتي .
- 19 - الحاج احمد اليزيدي .
- 20 - محمد بن مبارك الدثشيري المعدري .
- 21 - عبد الله النجاري الحاحي .
- 22 - محمد احيضر المدر .
- 23 - ابراهيم بن الحسن الاستقالي .
- 24 - سيدي ابراهيم بن سعيد العواد الاستقالي التناثلي .
- 25 - سيدي خالد الترچيني البعقلي .
- 26 - احمد بن عبد الله التمراري الرموكي .
- 27 - محمد بن احمد الانجلاوري الكرسيفي .
- 28 - البشير بن الصديق الفاسي الاقاوي .
- 29 - سيدي الطيب البوشيكري الاجماري .
- 30 - سيدي علي بن علي الاقفلالي الاجماري .
- 31 - اخوه محمد بن عدي .
- 32 - الطيب السكرادي .
- 33 - سيدي احمد بن عبد الله الانساكي الافرائي .
- 34 - سيدي ابراهيم بن المحجوب الساحلي .
- 35 - عبد الله بن محمد التمراري .
- 36 - سيدي ابراهيم الايتداني المياطي .

الفهارس اربعة

- * اولا اسماء المترجمين اصالة او تبعا
- * ثانيا الفهرس العام
- * ثالثا فهرس القوافي
- * رابعا فهرس الرسائل

الفهرس الاول

الصفحة	
5	الشيخ يحيى بن عبد الله الدويملائي التلمي
26	العلامة سيدي الحاج الحسين الافراني
83	الشيخ ماء العينين الصحراري
247	مرييه ربه بن ماء العينين الاديبي الكبير
273	الشيخ النعمة الرجل الصالح
284	محمد الامام بن ماء العينين الشاعر الفحل
294	محمد بن العتيق الشاعر المفوه
299	محمد بن عبد العزيز الصحراري الورع
299	المحفوظ بن الحضرمي الحافظ
306	الشيخ سيدي سعيد المدري

الفهرس الثاني

وهو الفهرس العام لعناوين ما في الجزء الرابع من (المعسول)

1	اسم الكاتب وعنوانه
3	المدكوروون في الكتاب
5	الشيخ يحيى بن عبد الله الدويملائي

هم العلماء الذين عرفنا اسماءهم الآن ممن اخذوا عنه وهناك آخرون لم نستحضرهم . واما كبار اصحابه الذين لم يضربوا في العلوم بسهم مع كونهم حظوا عنده بما حظوا به . فممنهم - ممن نستحضر -

- 37 - مولاي احمد الوادوني .
- 38 - سيدي محمد بن الحسين المجذوب الاجماري .
- 39 - الفقير محمد بن بكتي الافراني .
- 40 - مبارك المجذوب الماسي .
- 41 - سيدي احمد المجاطي الساحلي .
- 42 - مولاي بيهي .
- 43 - الحاج محمد التامانارتي .
- 44 - الفقيرة عائشة الحامدية .
- 45 - فاطمة زوجة سيدي مسعود .
- 46 - الحاج العربي الافراني .
- 47 - الحسن الاغنداني المجاطي .
- 48 - سيدي حامدون التزنيتي .
- 49 - فاطمة موهاندوز الشريفة من اغبنولا .
- 50 - سعيد بن همو الحندقي التكرتي .
- 51 - مولاي بنلا الاستفاري كيسي .
- 52 - سيدي ابراهيم بن الحسن العداني المجاطي .
- 53 - عائشة البعقلية .
- 54 - القائد محمد الجراي .
- 55 - محمد امغار ايت عبلا البعمراني .
- 56 - مبارك بن بكة التزنيتي .

انتهى (الجزء الرابع)

ويليه (الجزء الخامس)

بحول الله

5	نسبه والتكلم حول فروع الركراكيين بسوس . وحول حكايتهم المتداولة
12	رسالة المرغيتي في (الركراكيين) وزعمه صحبتهم للرسول
17	اشادة التاريخ بسيدي يحيى اللدويملائي
20	عبد الرحمن بن عاصم الركراكي
20	يحيى بن عبد الله اللدويملائي - وهو المترجم
20	يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمن
20	سعيد بن يعقوب بن سعيد
21	محمد بن يعقوب بن سعيد
21	احمد بن سعيد بن يعقوب
21	محمد بن محمد بن عبد الرحمن
22	سيدي محمد بن محمد بن محمد - ثلاثا - بن عبد الرحمن
22	احمد بن محمد بن محمد
23	احمد بن حسين بن ابي القاسم
23	عبد الرحمن بن احمد من بني محمد
23	محمد بن احمد من بني محمد
24	الحسن بن محمد - فتحا -
26	سيدي الحاج الحسين الافراني
26	نسبه - وكلمة حول مكانته العليا
28	عبد الله بن بلقاسم السوقي الافراني
28	محمد بن عبد الله بن بلقاسم السوقي
29	العلامة الحاج الحسين (المترجم)
29	متعلمه للقراءان
29	اساتذته السوسيون - سعيد الاساكي الافراني - احمد بن عدي العربوكي - سعيد بن علي البراييمي - العربي بن ابراهيم الادوزي - احمد بن عبد الرحمن الجشتيمي
31	في الحواضر
31	في سوس متصدرا
34	محتنه الاولى
36	مراجعة الاستاذ لداره
38	في الحجاز
39	مع الكلولي
39	محتنه الثانية
40	في تزنيث

40	مع انفلوس
41	عبرة على ارتحال الاستاذ من تانكرت - قصيدة رائية لسيدي الطاهر مع رسالة
44	في الحضرة الحفيظية بقصائد متعددة من انشاء سيدي الطاهر - رائية ودالية
50	تهنئته بالرجوع من احدي وفاداته ببائية لسيدي الطاهر
52	متفرقات عنه
54	مراسلات رسمية اليه
57	آثاره الادبية من رسائل وقطع منظومة
67	كبراء اصحابه في الطريقة
68	(تزيات القلوب) مؤلفه المشهور وما قيل فيه من القوافي
70	وفاته
71	مراثيه
73	اولاده - وما قيل عنهم في التاريخ
76	اقوال المؤرخين : علي بن الحبيب - والرفاكي
83	الشيخ ماء العينين الصحراوي الامام العظيم
89	الشيخ الالف وماء العينين وما خاطبه به من قافية عينية
91	نبذة اخرى مما يتعلق به
92	بعض اعماله في الصحراء
96	ملخص حياته
99	تأنيته ببائية لسيدي الطاهر
101	اولاده
101	احمد الهيبه
102	بعد وفاة والده
103	ارهاصات امارته والحافز اليها
105	كيف يبيع
107	القبائل تنزى الى تزنيث - وما قيل في بعضها من القوافي
109	تحية الادب السوسي للامير الجديد بقواف متعددة
117	الالفون عند الهيبه
119	مولاي احمد الهيبه يفادر تزنيث الى خارجها
120	مربيته ربه يتقدم الى الامام
121	القائد حيدة في تزنيث وما قيل في ذلك من القوافي
124	الهيبه يتها للفرج من تزنيث الى مراکش
125	في طريقه الى السمراء - وذكر منازل من تزنيث الى ان دخل مراکش وهي 15

131	كيف فتحت مراکش ابوابها بهذه السهولة ؟
135	في وسط مراکش
137	قواف جديدة في الامير
139	عمل الهيبة واصحابه في مراکش
149	الحاحيون في مراکش
149	الصفحة الاولى
150	كيف هرب الهيبة من مراکش - وكذلك اصحابه وشاعره سيدي الطاهر
158	الهيبة الى تارودانت
160	في تارودانت - وقوافي التسليبة التي قيلت فيه
164	اعماله في تارودانت
165	جنوبي سوس اذ ذاك
171	الشيخ النعمة يطرد من تزنيت وبعض ما خوطب به من القوافي
178	القائد الحبيب باقا يفرق في طريقه الى تزنيت
179	القائد ابن دحان في تزنيت
180	الهيبة يطرد من تارودانت
182	وثائق رسمية الى القائد محمد الاغباليوي في هذا العهد
185	حالة سكتانة الآن
186	ماذا في حاحة ؟
187	الهيبة في اسر سيف وقواف حوالياه اذ ذاك
192	احتلال اكادير
193	الهيبة في تيمكر
194	عود الى ابن دحان في تزنيت ومحاربته لمرييه ربه - وما قيل اذ ذاك من القوافي
196	حيدة وابن دحان الذي قيلت فيه ايضا قواف
198	القائد الحاج عبد الرحمن بتزنيت
198	الهيبة في كردوس - وما سلى به من القوافي
201	هلاك حيدة - وما قيل اذ ذاك من القوافي
205	وقعة الجنرال لاموط
209	الكتنافي في تزنيت
211	نبذة اخرى من احوال الهيبة - وبقية ما حوالياه من القوافي الكثيرة
242	وفاة الهيبة وبعض احوال اخرى
244	رثاء الهيبة
247	امارة مرييه ربه - وما حيت به من القوافي
249	اعمال الامير الجديد وخلقه

252	ادبيات لمرييه ربه واسداح فيه
264	نبذة متفرقة حول مرييه ربه
267	الاحتلال النهائي لجزولة
271	الشيخ النعمة بن ماء العينين
274	قول الرفاكي فيه
275	بعض آثار النعمة وبعض ما خوطب به نثرا ونظما
284	محمد الامام بن ماء العينين الشاعر المفوه من بين اهله
285	بعض اقواله من القوافي الرائعة او ما خوطب به
294	ماء العينين ابن العتيق سبط الشيخ ماء العينين - وبعض قوافيه العالية
299	محمد بن عبد العزيز التلميذ الاكبر للشيخ ماء العينين
299	الحفوظ بن الحضرمي سبط الشيخ ماء العينين - وقواف حوالياه
306	خاتمة في ذكر المؤلفات في الشيخ ماء العينين
306	سيدي سعيد المعدري
307	قول الشيخ الالفي فيه اثناء منظومة رحلته
310	خطبة كتاب كان يؤلف قبل في سيدي سعيد ثم لم يبق الا هي
311	كراسة العلامة محمد بن مسعود في اخبار سيدي سعيد
311	نبذة اخرى من حياته - ذيل لما في تلك الكراسة
319	شيوخ سيدي سعيد المعدري
340	الاخذون عنه البارزون

الفهرس الثالث

للقوافي مرتبة على حروف المعجم . ويقتصر على الشرط الاول ان كان المطلع مصرا . والا فيوتى بالكلمة الاخيرة من البيت الاول ايضا . لتعرف القافية

- الهمزة -

212	محمد بن عبد الله ؟	لي للحنان صباية لا تهذا
218	الحسن الكوسالي	سيرى مطية فالثواء تواء
219	بعض الالفين	انزلت رحلي في ذرى الكرماء
201	محمد الامام	الا فامعجب متى امتطى الهواء
208	ابن العتيق	هلال الدجا بالبدر مبلبلان ينبيء

- الباء -

سيدى الطاهر الافراني	50
له ايضا	68
بعض الالفيين	69
سيدى الطاهر	99
له ايضا	112
لبعضهم	116
محمد التونلي التمللي	116
سيدى الطاهر	127
له ايضا	147
ابو زيد البزوي	187
له ايضا	204
له ايضا	216
سيدى الطاهر	248
الحسن الكوسالي	252
بعضهم	279
محمد الامام	285
له ايضا	302

- التاء -

الحاج الحسين الافراني	62
بعضهم	197
مريه ربه	257
الشيخ النعمة	275

- الثاء -

سيدى الطاهر	172
له ايضا	191

- الحاء -

ابو الحسن الالفى	163
سيدى الطاهر	215

- السدال -

بعض الالفيين	34
سيدى الطاهر الافراني	48
له ايضا	71
له ايضا	111
مريه ربه	210
محمد الامام	280
محمد الامام	289

- السراء -

سيدى الطاهر الافراني	43
له ايضا	46
له ايضا	54
له ايضا	71
ابن الحبيب الجراري	81
محمد بن مسعود	90
الحبيب السكرادي	122
سيدى الطاهر	188
وله يخمس قصيدة	222
احمد الهبة	
اخرى له يقرظها	240
له ايضا	253
مريه ربه	257
ابن العتيق	295

- السزاي -

بعض الالفيين	299
انما المرتضى ابن عبد العزيز	

- السين -

الحسن بن عبد الرحمن	121
سيدى الطاهر	200
محمد بن الطاهر	217
ابو زيد البزوي	278
الحافظ بن المصطفى	300

- الطاء -

59 للحاج الحسين الافراني سلام على الاخوان والصحب والرهط

- المين -

82 محمد سيداتي
90 الشيخ الافي
115 سيدي الطاهر
161 محمد بن الحاج - لعل -
171 سيدي الطاهر
257 مريه ربه
277 مساجلة - اولها
حلت بمشواك المحل الارفعا
اقول نجوم بل بدور سواطع
نور الهداية والتوفيق قد سطعا
لعا يا امير المؤمنين لعالعا
تألق وهنا برق نعمان يلمع
وصل التي عن هواها القلب مرتدع
هذا الاتاي علا صناعة وعلا - صنعا

- القاف -

110 سيدي الطاهر
157 له ايضا
201 له ايضا
288 محمد الامام
288 سيدي الطاهر
289 محمد بن علي الافي
294 مساجلة
بنود بريح النصر والعز تخفق
يا بارقا بحمي الغوير تالقا
تاوؤب طيف من اميمة طارق
سيرى امامك بالذميل وبالعنق
يا مرحبا بك من امام قد سبق
اهلا بمن جمع المكارم في نسق
انشدن لي من مرقص ابن عتيق

- السلام -

52 بعض الافيين
54 سيدي الطاهر
115 له ايضا
137 له ايضا
144 له ايضا
160 له ايضا
203 له ايضا
253 له ايضا
255 لبعضهم
298 محمد الامام
300 المؤلف
بحقك ان جئت الامام فقبل
هنيئا لقلبي والهنا على مثلي
ايا مولاي قد واغت هلاله
منت سعاد فثاذنت بوصول
ايا ملكا سما بفضل وافضل
هو الدهر ان يمر رفعن عجل يحلو
الحمد لله اما بعد قد نزلا
الم بنا اهلا بمقدمه اهلا
محيك ام شمس الضحى تنهل
بنو الغ اهل العلم والمجد والفضل
اهلا بمحفوظ وبالفاضل

- الهيم -

110 سيدي الطاهر الافراني
111 محمد بن عبد الله
112 محمد بن عبد الله الافي
113 سيدي الطاهر
114 له ايضا
115 له ايضا
116 بعضهم
117 موسى الرداني القاضي
118 سيدي الطاهر
119 له ايضا
120 له ايضا
121 له ايضا
122 محمد الامام
123 عبد الله الافي
124 ابن العتيق
125 محمد الامام
126 ابو الحسن الافي
127 محمد بن علي الافي
128 ابن العتيق
احمل اعيان التسميم سلاما
تصف البدر في السماء والنجوم
انظر الي ترائيت في قاعها - السما
يا خير من مدت له الاعلام
اقسمت بالمجد والعلواء والهمم
ايا شمس الضحى يا بدر تسم
مراكش تحني امامك هامها
صبرا فما هم الخطوب بدائم
امولاي يا سيف الصرامة والعزم
ايا اندي الوري كفا واذا رم
سرور الدنيا طيف الم فسلما
مولاي ابشر فالنسي تسميم
يا طاهر العرض يا كنز الوداد الم
اهلا اسيدنا الامام والعلام
جزيت بالخير يا من دابة الكرم
ازهر نجوم ام بدور تمام
طلعت طلوع الشمس بعد غمام
سلام يزدري زهر الكمام
الي من له في السادة المنصب الاسم

- الشون -

118 محمد بن مسعود
119 بعض الافيين
120 الحاج الحسين الافراني
121 الرفاكي
122 سيدي الطاهر
123 له ايضا
124 بعضهم
125 سيدي الطاهر
126 الرفاكي
127 سيدي الطاهر
128 الشيخ النعمانية
129 ابن العتيق
اخقا لشمس العزم على الشروق - بهان
اشرق حقا كي تبل حشا شتى - هتان
فقط نفسا وقر بذاك عيننا
سيدي حنين ان حبك ذاهب - والعشيان
دعت للهوى بعد الصبا عين العين
رياح الهنا هبت بروح وريحان
ملوا صحبكم من قبل ان يخلق الرهن
يا امير المؤمنين
لناسمري الفرائس مسكنا
مني على الخل الرفيع النشان
لهيبه بقاسي داله رام حبيب ان
الاناسمري سحر سحر

292	محمد الامام	لابدع ان حسن ذولب الى وطن
293	له ايضا	سلام في المزار ينوب عني

- الياء -

30	سيدي الطاهر الافراني	على مفضي العلاء ابي علي
44	له ايضا	سلام يزدرى صوب الولي
191	له ايضا	يا كتابني بالله قبل يديه
200	له ايضا	امولاي هذا الفصح بانت مباديه

- اراجيز -

67	التظيفي	ثم اجازني بها الرباني
100	سيدي الطاهر	مات الامام الشيخ ما العنين
116	الرفاكي	ببايكم زور عبيد الدار
116	الهيبة	يا مرجبا بكم واهلا سهلا
259	مريه ربه	الحمد لله الذي الاسلام
281	ابو الحسن الالفي	يا ايها الخليفة الاجل
307	الشيخ الالفي	ثم الى منبع عين سرنا

الفهرس الرابع

في الرسائل المذكورة في هذا الجزء . ذكرت الارقام التي كانت فيها . وقد يكرر الرقم ليدل على وجود اكثر من رسالة واحدة

سيدي الحاج الحسين الافراني	33 - 59 - 60 - 61 - 62 - 63 - 64
سيدي الطاهر الافراني	42 - 142 - 190 - 250 - 260
سيدي علي بن عبد الله الالفي	163 - 221 - 281 - 282 - 282 - 283
لبعضهم	169
رسائل رسمية	55 - 56 - 182 - 184 - 184 - 185

طبع بمطبعة فضالة - الحمديّة

القرب الاقصى

عام 1380 هـ . الموافق سنة 1960